

GİRESUN ÜNİVERSİTESİ
Arapça Türkçe Dil Paylaşım Forumu
المنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي

أبحاث المؤتمر الدولي العالم في ظل أزمة كورونا: إشكاليات وحلول

٣٠-٣١ مايو ٢٠٢٠م

Bildiler Kitabı

Uluslararası Korona Krizi Gölgesinde Dünya
Sorunlar ve Çözümler Sempozyumu
30-31 Mayıs 2020

تحرير

د. هاني إسماعيل رمضان



المنتدى العربي التركي
للتبادل اللغوي
٢٠٢٠

Bildiler Kitabı
Uluslararası Korona Krizi Gölgesinde Dünya
Sorunlar ve Çözümler Sempozyumu
30-31 Mayıs 2020
Editör
Dr. Hany Ismail RAMADAN
Redaksiyon
Rabah Qandil - Yamina Abdali
1. Baskı 2020
ISBN: 978-975-2481-22-0

أبحاث
المؤتمر الدولي العالم في ظل أزمة كورونا
إشكاليات وحلول
٣٠-٣١ مايو ٢٠٢٠
تحرير
د. هاني إسماعيل رمضان
تدقيق لغوي
رباح قنديل - يمينة عبدالي
الطبعة الأولى 2020
ردمك: ٩٧٨-٩٧٥-٢٤٨١-٢٢-٠



جامعة جيسون
المنتدى العربي التركي
للتبادل اللغوي

٢٠٢٠

Giresun Üniversitesi
Arapça Türkçe Dil Paylaşım Forumu
İlsami İlimler Fakültesi
B Bolk, 5. kat No: 508
Tel: +90 454 310 1780 dahili 5585
Email: atf@giresun.edu.tr
atf.giresun.edu.tr
aslforum.com

جميع الحقوق محفوظة

رئيس المؤتمر الفخري

أ.د. حسين بكر

مساعد رئيس جامعة جيسون

رئيس المؤتمر

أ.د: إلياس قارصلي

رئيس اللجنة التنظيمية

د. هاني إسماعيل رمضان

اللجنة التنظيمية

- أ.د. مزاري عبد القادر المدرسة العليا للأساتذة مستغانم (الجزائر)
د. هاني إسماعيل رمضان - جامعة جيرسون (تركيا)
د. أماني منديل - جامعة نيويورك (أمريكا)
د. محمد يلماز - جامعة جنق قلعة ١٨ مارس آذار (تركيا)
د. مصطفى سركان عبد السلام - جامعة جيرسون (تركيا)
د. زيتوني عبد الله المدرسة العليا للأساتذة مستغانم (الجزائر)

الهيئة العلمية

- الأستاذ الدكتور: إبراهيم فضل الله - الجامعة اللبنانية (لبنان)
الأستاذ الدكتور: ابن عبد الله مفلح - المركز الجامعي غليزان (الجزائر)
الأستاذ الدكتور: أحمد طوران أرسلان - جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية (تركيا)
الأستاذ الدكتور: إلياس قارصلي - جامعة رجب طيب أردوغان (تركيا)
الأستاذ الدكتور: خالد فهمي - جامعة المنوفية (مصر)
الأستاذ الدكتور: داود عبد القادر إيليغا - جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)
الأستاذ الدكتور: سليم بتقة - جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)
الأستاذ الدكتور: شريف حسني عبد القادر - جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)
الأستاذ الدكتور: عز الدين غازي - جامعة القاضي عياض (المغرب)
الأستاذ الدكتور: م حمد بن عبد العزيز العميريني - جامعة الإمام محمد بن سعود (السعودية)
الأستاذ الدكتور: مصطفى محمد رزق السواحلي - جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية (سلطنة بروناي)
الأستاذ الدكتور: مزاري عبد القادر المدرسة العليا للأساتذة مستغانم (الجزائر)
الأستاذ الدكتور: وصفي عاشور أبو زيد - مركز الشهود الحضاري (تركيا)
الأستاذ الدكتور: وليد العناتي - كلية العلوم التربوية والآداب - الأنروا (الأردن)
الأستاذ الدكتور: يعقوب جيولك - جامعة أنقرة يلدرم بايزيد (تركيا)
الأستاذ المشارك الدكتور: أحمد نتوف - جامعة قطر (قطر)
الأستاذ المشارك الدكتور: السيد محمد سالم - جامعة السلطان زين العابدين (ماليزيا)
الأستاذ المشارك الدكتور: سامر الناصر - جامعة كارلوس الثالث مدريد (أسبانيا)
الأستاذ المشارك الدكتور: علي يلماز - جامعة جيرسون (تركيا)
الأستاذ المشارك الدكتور: مصطفى إسماعيل دوغماز - جامعة سلجوق (تركيا)
الأستاذ المشارك الدكتور: ياسر حسين مجباس العزاوي - جامعة الفلوجة (العراق)
الأستاذ الدكتور: ابن زوروة عبد الرحمان - جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم (الجزائر)
الأستاذ الدكتور: حسين جولاق - جامعة جيرسون (تركيا)
الأستاذ الدكتور: رائد مصطفى عبد الرحيم - جامعة النجاح الوطنية (فلسطين)
الأستاذ الدكتور: طارق بو عتور - جامعة قرطاج (تونس)
الأستاذ الدكتور: محمد كمال بلخوان - المدرسة العليا للأساتذة مستغانم (الجزائر)
الأستاذ الدكتور: مصطفى تونجر - جامعة جيرسون (تركيا)
الأستاذ الدكتور: الزلال علي محمد علي - جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية (السودان)
الأستاذ الدكتور: باقل دنيا - جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)
الأستاذ الدكتور: براهيم فطيمة - جامعة جيلالي اليايس سيدي بلعباس (الجزائر)
الأستاذ الدكتور: لوت زينب - المدرسة العليا للأساتذة مستغانم (الجزائر)

المحتويات

١٥

المقدمة

١٧

كلمة رئيس المؤتمر

أ.د. إلياس فارصلي

١٨

منهج الإسلام في التعامل مع الأوبئة وسبب الوقاية منها: كورونا أنموذجا

أ.د. عبد الرحمن الأغبري

٤٤

منهجية الإفتاء في نوازل كورونا

د. وصفي عاشور أبو زيد

٥٩

ضوابط مكافحة كورونا بين الضرورات والأولويات والكفايات

د. عبد الجواد حردان

٩٥

التدابير الفقهية لمكافحة الأوبئة دراسة فقهية

د. ربيع محمد محمد عبد الرحمن

١٢٤

تدبير الأديان السماوية للأزمات الصحية من خلال الكتب المقدسة

عبد الرحيم أبو أيوب

١٤٧

جائحة كورونا إشكالات وحلول من منظور الشريعة الإسلامية
يوسف محمود محمد علي بخيت

١٧٤

الأحكام الشرعية للنوازل في الفقه المالكي جائحة كورونا نموذجاً
يمينة عبدالي

٢٠٧

قراءة شعرية لفقه القيم الإنسانية وانعكاساتها على الحياة الواقعية
أ.د. خميس فزاع عمير

٢٢٤

الأدب في ظل جائحة كورونا
أ.د. إبراهيم فضل الله

٢٤١

كورونا في الشعر العربي الحديث
أ.م. د عبد المنعم جبار عبيد - م.م. إسراء خلف اكريم

٢٦٦

الأدب واستشراف المستقبل وباء كورونا نموذجاً
د. هاني إسماعيل رمضان

٢٨١

تعويد البقاء في أنشودة "الشبح الأمل" للشاعر حبيب يونس
د. رزق الله الياس قسطنطين

٣٠٨

أثر التعلم عن بعد في مخرجات التعلم بالعصف الذهني في ظروف فيروس كورونا
أ.د. أحمد محمد خلف المومني

٣٢٢

السياسة الأدبية لتعليم العربية لغة ثانية أبان جائحة كورونا
د أماني فرح الخليفة سليمان

٣٤٥

تعليم الكورونا عن بُعد في فترة الحجر الصحي

د. محمد بسناسي

٣٧٣

العالم بعد فيروس كورونا - كوفيد 19 رؤية اجتماعية

أ.م.د حمدان رمضان محمد - د.م هيفاء يونس حسين

٤٠٢

أهمية التكافل الاجتماعي في ظل أزمة كورونا

د. سعد المغازي عبد المعطي محمود

٤٣٠

فعالية شبكات التواصل الاجتماعي في التثقيف الصحي حول وباء كورونا المستجد لدى عينة من الشباب المنحرفين في دار الشباب الافتراضية لولاية قالة - الجزائر غوافرية رشيدة - دخلي فاتن

٤٥٠

حال الإنسان في أزمة كورونا مقارنة نفسية فلسفية

هبة لعرابة - سلسبيل بن قاسم

٤٦٩

النظام الدولي بعد كورونا بؤادر تغيير أم استمرار للنظام القديم مقارنة نقدية

الدكتورة فرح صابر

٤٩٤

الاقتصاد في زمن كورونا التحديات والاستراتيجيات

نبيل سديري

٥١٥

Kur'an-ı Kerim Bağlamında Koronavirüs Salgınının Bir Cezalandırma Sayılıp Sayılmayacağı Meselesi

Dr. Mustafa TUNÇE

٥٣٨

Postmodern Dünyada Bulaşıcı Hastalıklarla Yaşamak- Bulaşıcı Hastalıkların Tarihsel Serüveni

Dr. Ali YILMAZ

٥٥٨

توصيات المؤتمر

بشر مالمى ساعي - صفى القاسم سولوا

شارك في المؤتمر ١٦ جنسية مختلفة: الأردن، إسبانيا، أمريكا، تركيا، الجزائر، الدنمارك، السعودية، السودان، سوريا، العراق، فرنسا، لبنان، مصر، المغرب، موريتانيا، نيجيريا، اليمن.
ما ورد في الأبحاث من معلومات وأفكار، أو أخطاء لغوية؛ مسئولية الباحث

Sempozyuma 16 faklı ÷lkeden katılım saęlanmıřtı, Ürdün, Spanya, Amerika, Türkiye, Cezayir, Danimarka, Suudi Arabistan, Sudan, Suriye, Irak, Fransa, Lübnan, Mısır, Fas, Moritanya, Nijerya, Yemen.
Not: Bu eserde yer alan metenlerin tüm sorumluluęu yazarlarına aittir.

قصيدة عن جائحة كورونا

نجيب تمرابط^(١)

الجزائر

حُبُّ الطيبِ صلاةُ القلبِ بالحاءِ
دعاءٌ منجّاهِ في كلّ أثناءِ
هذا الملاكُ الرَّحيمُ الغوثُ شيمتهُ
سلطانُ معرفةٍ طوّفَ أرجاءِ
حكيمٌ أوبئةٍ مضباحٌ منفعةٍ
أخو علومٍ يقيمُ اللّيلَ بالداءِ
أجسادُ عالمنا رهناً وفي يدهِ
إنّ الفناءَ غداً في كلّ أنحاءِ
حيّوا معي من يبيت اللّيلَ مجتهداً
حيّو معي زُمراً جَمَعَ الأطباءِ
لهم بكلّ القلوبِ اليومَ مكرمةً
وأعذبُ الشكرِ ما أُجريتُ كالماءِ
فيا إلهي تعهّدْهم بمرحمةٍ
واقبلْ قصيدي رجاءً بعضُ أصدائي

(١) عضو اتحاد الكتاب الجزائريين



تقديم

ألقت جائحة كورونا بظلالها على العالم بأسره، وانعكست آثارها على جميع نواحي الحياة، فأعادت تشكيل الوعي الإنساني، ووضعت الحضارة الإنسانية أمام تحديات ومسئوليات في آن واحد لا سيما بعدما فرضت تساؤلات لا يمكن تجاوزها، وهو ما وضع الجميع أمام مسؤوليته الأخلاقية والأدبية ببذل ما يمكن بذله؛ لإنقاذ البشرية والخروج بها إلى بر الأمان.

ومن هذا المنطلق دعا المنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي بجامعة جيسون التركية إلى عقد مؤتمر دولي محكم (عن بعد) يجتمع فيه أهل الخبرة والاختصاص في جميع المجالات؛ لدراسة آثار هذه الأزمة العالمية والبحث عن حلول لها كل في مجاله، وساعيا في المساهمة في تقديم حلول علمية وعملية.

ولقد وجدت دعوة المنتدى أذنا صاغية من جامعة جيسون متمثلة في كلية العلوم الإسلامية، وقف كلية العلوم الإسلامية ومركز تطبيقات الواقع المعزز، بالإضافة إلى المدرسة العليا للأساتذة بمستغانم - الجزائر، وأعلن عن المؤتمر في أوائل أبريل تحت عنوان: العالم في ظل أزمة كورونا: إشكاليات وحلول وتحدد له يومي ثلاثين وواحد وثلاثين مايو ٢٠٢٠م للانعقاد.

وبالرغم من قصر المدة التي أعلن عنها للمؤتمر، فقد لبى الدعوة جمع من الباحثين من مختلف الدول، حيث شارك فيه سبعٌ وثلاثون باحثا من خمس عشرة جنسية مختلفة، وتقدموا بثلاث وثلاثين ورقة علمية، وقد جمع المؤتمر نخبة من صفوف الباحثين حيث شارك تسعة باحثين بدرجة أستاذ دكتور بروفيسر وأربعة باحثين بدرجة أستاذ مشارك وثلاثة عشر باحثا بدرجة أستاذ جامعي وأحد عشر باحثا من طلاب الدكتوراه والماجستير.

وأخيرا لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر العميق للأستاذ الدكتور حسين بكر رئيس المؤتمر الفخري، نائب رئيس جامعة جيسون وكذلك الدكتور علي يلماز والدكتور مصطفى تونجر نائبا عميد كلية العلوم الإسلامية بجامعة جيسون على



رعايتهم لهذه المؤتمر ودعمهم المستمر لأنشطة المنتدى منذ تأسيسه في عام ٢٠١٧م.

ونكرر الجزيل لرئيس المؤتمر الدكتور إلياس قارصلي، وأعضاء اللجان العلمية والتنظيمية، والسادة المتحدثين الرسميين، والباحثين والمشاركين جميعاً، عمداً ومدراء المؤسسات العلمية، وأخص منهم سعادة الأستاذ الدكتور عبد القادر مزارى مدير المدرسة العليا بمستغانم - الجزائر والدكتور مصطفى عبد السلام سركان مدير مركز الواقع المعزز على دعمهما لهذا المؤتمر.

والله ولي التوفيق

د. هاني إسماعيل رمضان
رئيس اللجنة التنظيمية
atf@giresun.edu.tr

كلمة رئيس المؤتمر

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا
ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أيها السيدات والسادة، الأساتذة الكرام السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته، أحييكم جميعاً من جامعة رجب طيب أردوغان من رحاب
مدينة ريزه الخضراء الجميلة على شاطئ البحر الأسود، أخاطبكم عبر
الشبكة الدولية وحضراتكم في شتى أنحاء العالم أمام حواسيبكم، وقد
حال دون لقائنا فيروس كورونا، داعياً الله سبحانه وتعالى أن تكونوا
جميعاً وأهاليكم وأحببتكم وأوطانكم بألف خيرٍ.

أرحبُ بكم أجمل ترحيبٍ، وقد أصبحنا كالأواني المستطرقة يشدّ
بعضنا بعضاً، وأشكر لكم مشاركتكم في هذا المؤتمر، المؤتمر الدولي
المُحَكَّم، رُغم ما نمربيه ونُعانيه من وطأة هذا الوباء الذي ألمَّ بالعالم
أجمع، ولذا كان اسم مؤتمرننا (العالم في ظل أزمة كورونا إشكاليات وحلول)
مُعلنين بهذا الاسم تحدينا، وعدم استسلامنا لهذه الأزمة، ساعين قدر
المُسْتَطَاع لِلتَّغَلُّبِ عليها من خلال دراسة تأثيراتها، ورصد انعكاساتها
على جوانب عدّة، راجياً لمؤتمرننا النجاح ولكم التوفيق.

سيداتي سادتي، لن أطيل عليكم في هذه الظروف، أُجدد شكري
لكم وللمنظمين المُشرفين على هذا المؤتمر، والشكر موصول لكل من
يُتحفنا برأيٍ مُشاركاً كان أو مُشاهداً ومُستمعاً.

وتقبّلوا بقبول الاحترام والتقدير، مُعلنًا بذلك بدء أعمال مؤتمرننا
هذا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



أ.د. إلياس قارصلي

منهج الإسلام في التعامل مع الأوبئة وسبل الوقاية منها: كورونا أنموذجاً



أ.د. عبد الرحمن الأغبري^(١)
جامعة أديامان - تركيا

abdurr6363@gmail.com

ملخص البحث:

تناول البحث منهج الإسلام في التعامل مع الأوبئة وبيان سبل الوقاية منها، مسلطاً الضوء على مقاصد الشريعة الإسلامية التي جاءت بالكليات الفقهية للحفاظ على "الدين، النفس، العقل، النسل، المال" ومشيراً إلى أهمية الحجر الصحي، وشموليته في الإسلام انطلاقاً من العقيدة الإسلامية، التي تضبط سلوكيات المسلم وتصرفاته مراعيًا في ذلك مصلحة الجماعة قبل مصلحة الفرد.

The research dealt with the method of Islam in dealing with epidemics and explaining ways to prevent them. Shedding light as well on the intentions of Islamic law, which came with total jurisprudence rules to preserve "religion, self, mind, offspring, money." Furthermore, it pointed to the importance of quarantine and its comprehensiveness in Islam, starting from the Islamic faith, which regulates the behavior and attitude of a Muslim, taking into account the interest of the group before the interest of the individual.

الكلمات المفتاحية:

منهج الإسلام، الأوبئة، الوقاية، مقاصد الشريعة، لقواعد الفقهية، الكليات الخمس، الضرورات.

Key Words:

Islam curriculum, Epidemics, protection, Purposes of Islamic law, Jurisprudence rules, The five colleges, Necessities

(١) يعمل حالياً مدرساً في جامعة أديامان تركيا في كلية التربية قسم اللغة العربية للناطقين بغيرها، له خبرة طويلة في التدريس حيث عمل في الفترة ١٩٩٤ - ٢٠١٤م في جامعة صنعاء والجامعات الأهلية في تدريس العلوم الإسلامية، من ذلك القرآن الكريم وتجويده، والثقافة الإسلامية، والعقيدة الإسلامية ومادة الإعجاز العلمي.



المقدمة:

لا تزال الأوبئة تعصف بالمجتمعات في كل زمان ومكان، غير أن الوباء الذي اجتاحتنا اليوم لم يكن ليقصر على مكان بعينه أو حتى إقليم ما، فقد عم كل أجزاء الأرض، فنحن نعيش حالة استثنائية في ظل هذا الوباء الجديد.

إننا نلاحظ حالة غير مسبوقة من الارتباك تعيشها كل دول العالم، فقد أحدث هذا الوباء (فيروس كورونا) حالة استنفار للعالم كله من أقصاه إلى أقصاه، والمجتمعات تعيش حالة من الرعب، وانتظار المفاجئات، فها هي الدول الكبرى تستنفد كل طاقاتها وتسخر كل إمكانياتها للحد من انتشاره، فماذا نحن فاعلون، ونحن كغيرنا نعيش الحالة نفسها.

الذي أستطيع أن أجزم به؛ أننا - المسلمون - نملك الأمل في التعامل السليم والإيجابي حيال هكذا وباء، فحبل النجاة بأيدينا حسب ما عندنا من توجيهات قيّمة تخفف عنا كثيرًا من المعاناة إذا ما التزمنا بها، فما التوجيهات التي أعنيها؟ وكيف يكون التعامل إزاء هذه الجائحة العامة؟ وما النجاة من هذا الوباء الجديد (كورونا)؟ وما سبل الوقاية منه في ظل القواعد الكلية للشريعة الإسلامية؟ فالتساؤلات كثيرة؟ والقلق يزداد يومًا بعد يوم، وللإجابة عن هذه التساؤلات قررت أن أدلي بما يتسنى لي من جمع شتات هذا الموضوع من مظاهره.

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية دراسة الموضوع من خلال حاجة الناس لمعرفة شمولية الشريعة الإسلامية التي ما تركت مصلحة للإنسان إلا جلبتها له، ولا مفسدة إلا ودفعتها عنه.

أهداف البحث:

يمكن تلخيص أهداف البحث في النقاط التالية:





١. بيان منهج الإسلام في التعامل مع الأوبئة من الناحية الدينية والصحية.
٢. بيان الطرق التي أرشد إليها الإسلام للوقاية من الأوبئة بشكل عام.
٣. عرض الموضوع في ظل مقاصد الشريعة الإسلامية والقواعد الكلية الخمس التي جاءت بحفظ النفس والدين والعقل والنسل والمال.

منهجية البحث:

الوصفي الاستقرائي التحليلي.

مشكلة الموضوع:

أردت أن أجلو الغمة وأبعث الأمل في نفوس الناس؛ لتستبين هداية الإسلام في التعامل المناسب مع أي نازلة بما يتماشى مع الطرق العلمية الواضحة للتعامل المناسب مع أي نازلة بما يتناسب مع الطرق العلمية الحديثة، ولا مجال في الإسلام للدروشة؛ ودس الرؤوس في التراب؛ بل لا بد فيه من اتخاذ الأسباب، والبحث عن علاج بالطرق العلمية التجريبية الحديثة، ولا تعارض بين الإسلام والعلم. وقد تناول الموضوع في ورقتي البحثية المقدمة للمؤتمر إلى مبحثين على النحو التالي:

المبحث الأول: مدخل تمهيدي يتضمن عرضًا موجزًا حول النظافة في الإسلام؛ وكيف أنها سبيل فعال للوقاية من الأوبئة بشكل عام وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريفات مهمة.

المطلب الثاني: هدي الشريعة الإسلامية في التعامل مع الأوبئة.

المبحث الثاني: سبل الوقاية من الأوبئة في ظل القواعد الكلية

لشريعة الإسلام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قاعدة لا ضرر ولا ضرار.

المطلب الثاني: الضرر يزال.

المطلب الثالث: الحجر الصحي وحديث لا يورد مُرَضٌ على مصحح.

الخاتمة: النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مدخل تمهيدي:

لن أخوض كثيراً في مسألة النظافة ولكني سأذكر بضع أحاديث تبين مدى حرص الإسلام على نظافة أتباعه، فقد حرص الإسلام على النظافة - العامة والخاصة والحسية والمعنوية - لكل أفراد المجتمع المسلم، وشدد فيها حين فرضها؛ فجعلها شرطاً للعبادة لا تقبل إلا بها قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦].

وإذ فرض الإسلام على المسلم أن يتطهر لكل صلاة، فقد جعل الطهارة في ثلاثة أشكال ولا تقبل الصلاة إلا بها، وهي طهارة الثوب والمكان إلى جانب الطهارة البدنية إما من حدثٍ أكبر أو أصغر، واستحب له أن يبقى على طهارة دائماً؛ كما ربط الطهارة بمسألة العقيدة، واعتبرها نصف الإيمان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»^(١) فجعل للمحافظ عليها ثواباً عظيماً ومغفرة لذنوبه في الآخرة، ثم بين له كيفية التطهر التي تعكس مدى اهتمام الإسلام بمظهر المسلم ونظافته، فعن مُحْرَانَ مَوْلَى عُمَانَ أَنَّ عُمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَا بَوْضُوءٍ، فَتَوَضَّأَ. فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ مَضَمَّ وَاسْتَنْثَرَ. ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ

(١) صحيح مسلم كتاب الطَّهَارَةِ بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ حديث رقم 360، وعند الترمذي (3517)، وغيرهما.

الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ. ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ. ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ غَسَلَ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"^(١). وأنه إذا أراد البركة في طعامه فعليه أن يتوضأ (يغسل يديه) قبل الأكل وبعده، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أحب أن يكثر خير بيته، فليتوضأ إذا حضر غداؤه وإذا رفع"^(٢)، وروى أبو بكر ياسناده عن الحسن بن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر، وبعده ينفي اللمم"^(٣) يعني به غسل اليدين، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من نام وفي يده ريح غمر فأصابه شيء، فلا يلومن إلا نفسه"^(٤)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بركة الطعام الوضوء قبله، والوضوء بعده"^(٥).

كما حثه على أن يتطهر حتى عند خلوده للنوم، مع أنه وقت للراحة من عناء العمل طوال النهار، قال صلى الله عليه وسلم:

«إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ خَيْرَ مَا تَقُولُ»^(٦).

وعند الاستيقاظ من النوم أمر ألا يغمس يده في إناء وضوئه

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) رواه ابن ماجه

(٣) شرح السنة للبغوي، وذكره الخطيب في تاريخه دون جرح أو تعديل، وقال المصحح «لا بأس برجاله سوى

المروزي» عن منتدى المجلس العلمي الألوكة، <https://majles.alukah.net/t108630>

(٤) أخرجه أبو داود (٣٨٥٢)، وأحمد (٧٥٦٩) واللفظ لهما، والترمذي (١٨٦٠)، والنسائي في ((السنن الكبرى))

(٦٩٠٥)، وابن ماجه (٣٢٩٧).

(٥) الراوي: سلمان الفارسي المحدث: أبو داود المصدر: شعب الإيمان الصفحة أو الرقم: ٥/٢٠١٦.

(٦) أخرجه البخاري (٢٤٧) واللفظ له، ومسلم (٢٧١٠)

قبل غسلها خارج الإناء، قال رسول الله ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً فإنه لا يدرى أين باتت يده»^(١)

ومما يزيد المسلم رغبة في المحافظة على الطهارة والنظافة؛ أن الله جعلها سمة وميزة لهذه الأمة تميزها في الآخرة عن سائر الأمم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أمتي يأتون يوم القيامة غُراً مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوَضُوءِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غَرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ»^(٢).

ولهذا ترى المسلم في كل أحواله نظيفاً متطهراً ما عمل بتوجيهات دينه الحنيف، كيف لا يكون كذلك وهو يتطهر في اليوم ما لا يقل عن خمسة أوقات، ما يجعله بعيداً عن الأوساخ والقاذورات فهو دُرَّةٌ وشامة بين الناس، فهذا أبو هريرة رضي الله عنه يروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أُرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسَلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ مَا تَقُولُونَ؟ هل يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا؟) قالوا: لا يَبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا. قال: (ذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا)^(٣).

إن جمال المسلم بجمال مظهره، وحسن سمته، وسمو روحه، فالنظافة لديه ظاهرة وباطنة؛ وقد أمر المسلم بذلك بصريح القرآن والسنة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]. ومن السنة ما رواه سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفئنتكم ولا تتشبهوا باليهود)^(٤).

(١) الألباني المصدر: إرواء الغليل، الصفحة أو الرقم: ١٨٧/١ خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن

(٢) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

(٣) صحيح ابن حبان الصفحة أو الرقم: ١٧٢٦

(٤) الجامع الصغير رقم: ١٧٤٢ صحيح.



إن المطلوب من المسلم أن يعي أهمية النظافة الشخصية والعامة، فهو بذلك يساهم في زيادة مساحة الأمان من انتشار الأوبئة والأمراض، فعليه ألا يغفل عن تعاليم دينه في هذه الجزئية وغيرها من التوجيهات السامية؛ سواء فيما يتعلق بشخصه، أو بما يحيط به، ولاشك أنه بهذا السلوك الراقى يحصن نفسه من الأمراض والأوبئة حينما ينظف أعضائه - التي غالباً ما تكون عرضة للتلوث - خمس مرات على الأقل باليوم والليل، ومما يلفت الانتباه ورود حديث جامع اشتمل أموراً مهمة تجعل المسلم غاية في النظافة، وتقويه من كثير من الأمراض المهلكة، فعن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً: (عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْقَاءُ اللَّحْيَةِ، وَالسَّوَاكِ، وَاسْتِنْسَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأُظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَتَنْفُ الْإِبْطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ)^(١) قال الراوي: وَنَسِيْتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمَضْمَضَةَ، قَالَ وَكَيْع - وهو أحد رواته - انْتِقَاصُ الْمَاءِ: يَعْنِي الِاسْتِنْبَاجَ.

بالإضافة إلى ذلك عليه أن يتذكر أن المحافظة على بيئته المحيطة به مستحب في حقه إن لم يكن في وقت ما واجب منوط به، فقد نهى الإسلام عن كل أذى يسبب قذارة وتلوثاً في طريق الناس وجلسهم يقول عليه الصلاة والسلام: «من سل سخيمة على طريق المسلمين فعليه لعنة الله»^(٢) كما منع اتخاذ الطرقات أو الماء الراكد أو الظل مكاناً لقضاء الحاجة.

وفي الوقت نفسه هو مأمور أن ينظف فناء بيته كما مر آنفاً ولا نريد أن نطيل الكلام في هذه التوجيهات، فهي مبثوثة في كتب الفقه .. وأحب أن أختتم هذا المدخل باقتباس مهم جاء في تقرير الباحث

(١) رواه مسلم. ولمزيد من الفائدة ينظر موسوعة الأحاديث النبوية، <https://hadeethenc.com>
 (٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٣٢٠/٥، وفي الروض الداني (المعجم الصغير) (٧٧/٢). والسخيمة: الغائط والنجو، ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣٠١/٢. (١).

الأمريكي (كريج كونسيدين) نُشر في ”نيوزويك“ نقلاً عن الدكتور (أنتوني فوسي)، عالم المناعة، والدكتور (سانجاي جوبتا) المراسل الطبي قولهما: ” إن التزام النظافة الصحية، والحجر الصحي، أو ممارسة العزل الاجتماعي عن الآخرين أملاً في الحيلولة دون انتشار الأوبئة المعدية، تُعد أكثر التدابير فاعلية لاحتواء تفشي وباء فيروس كورونا المستجد. وفي المقالة سؤال وُجّه إلى (كوسيندين) الذي صدر له مؤلفان عن الإسلام: ” هل تعلمون من الذي أوصى بالنظافة والحجر الصحي الجديد في أثناء تفشي الأوبئة؟“ فأجاب قائلاً: ” إنه محمد ﷺ [قبل ١٤٠٠ عام^(١)].

وأختم هذا المدخل بالتعريف على تعريفات مهمة حول الأوبئة، ومنها فيروس كورونا.

المطلب الأول تعريفات مهمة:

أولاً تعريف الوباء:

عُرّف الوباء بأنه: (مصطلح عام يشير إلى أحداث متتابعة تؤثر على البشر والكائنات الحية المختلفة من حيوانات ونباتات، ولا يشترط أن تتفق في النوع، وقد يحدث في نطاق محدد، وقد تتسع رقعة الوباء لتنتشر بين بلدان العالم)^(٢).

وعرف في القاموس الطبي بحسب ويكيبيديا: «هو انتشار مفاجئ وسريع لمرض في رقعة جغرافية ما فوق معدلاته المعتادة في المنطقة المعنية»^(٣).

ولا يخفى على القارئ الكريم كثرة التعريفات للوباء غير أني أجدها كلها تتفق في أن الوباء (epidemic) هو الذي ينتشر بشكل عام فيصيب عددًا كبيرًا من مجتمع ما، وقد يتعدى انتشاره إلى خارج حدود هذا

(١) ينظر مقال الحجر الصحي في الإسلام، في <https://www.islamicstories.info> 04/2020

(٢) مصطلحات-طبية/الأمراض-المعدية/وباء، <https://www.altibbi.com>

(٣) https://www.wikipedia.org/wiki/وباء#cite_note-الطبي-1



المجتمع.

ومن أهم هذه التعريفات ما حددته منظمة الصحة العالمية التي عرفتته بأنه (حالة انتشار لمرض معين، حيث يكون عدد حالات الإصابة أكبر مما هو متوقع في مجتمع محدد أو مساحة جغرافية معينة أو موسم أو مدة زمنية)^(١).

بيد أن هناك مصطلح آخر شائع، وذلك بحسب ما جاء في موقع الجزيرة هو تفشٍ (outbreak)، وقد اختلف فيما إذا كان المصطلحان - الوباء والتفشي - متطابقين أم لا، فمنهم من يذهب إلى (أن مصطلح وباء يصف حالة تشمل منطقة واسعة وترتبط بأزمة كبيرة، أما التفشي فيعبر عن حالة انتشار مَرَضِيَّة في منطقة أو مناطق محددة أصغر من الوباء)^(٢).

ومن التعريفات القريبة ما جاء في موقع (مجتمع لازم تفهم)، فقد عرف الوباء على أنه (حالة مرضية تحدث عندما يصاب عدد كبير جداً من الناس في المجتمع بمرض معين في نفس الوقت، وهناك أمثلة على الأمراض الوبائية مثل: الحمى النمشية والأنتفونزا، والطاعون (الموت الأسود)، و الملاريا، و الجدري)^(٣).

وعُرفَ بأنه: (ظهور حالات أمراض معدية في دولة أو مجموعة دول صغيرة متجاورة، وينتشر بصورة سريعة بين الناس)^(٤).

ثانياً: تعريف فيروس كورونا:

عرفت منظمة الصحة العالمية بأنها:

«سلالة واسعة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان

(١) aljazeera.net/encyclopedia/encyclopedia-healthmedicine

(٢) المرجع نفسه.

(٣) <https://www.lazemtefham.com/blog-post.html/01/2016/>

(٤) د. محمد الدسوقي، استشاري الأمراض الصدرية، في حديث للجزيرة، عن فيروس كورونا، مفهومان مختلفان... الفرق بين الوباء والجائحة؟ نشر بتاريخ الأحد ١٥ مارس ٢٠٢٠م.

والإنسان»^(١).

ثم أضافت المنظمة إلى التعريف أعراض هذا الوباء التي تظهر على الإنسان بقولها: (ومن المعروف أن عدداً من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر أمراض تنفسية تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة: مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس) والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (سارس) ، ويسبب فيروس كورونا المكتشف مؤخراً مرض كوفيد-١٩)^(٢) الذي لم يكن معروفاً (قبل بدء تفشيه في مدينة ووهان الصينية في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٩)^(٣).

ثالثاً: تعريف كوفيد-١٩:

بحسب منظمة الصحة العالمية: «هو مرضٌ معدٍ يسببه آخر فيروس تم اكتشافه من سلالة فيروسات كورونا»^(٤). الملاحظ من خلال التعريف لفيروس كورونا اتفاه مع تعريف الوباء، وعلى ذلك يسري عليه ما يسري على الوباء الذي من صفاته أنه: «يظهر بصورة مفاجئة ويكون أكثر شراسة، وسريع الانتشار، واحتمالية التفشي بين أعداد كبيرة من المجتمع، وعادة ما يكون مرض جديد أو مرض مستوطن خرج عن السيطرة، وليست له حدود جغرافية»^(٥).

وهنا لا بد من التذكير بما عُلّم في الشريعة، وكذلك عند الأطباء من أن هناك أمراضاً معدية، وقد تنتقل من شخصٍ إلى غيره بسببٍ أو آخر من خُلطة أو إيراد مُمرضٍ على مصح، ولهذا حدّرت الشريعة من التساهل في هذا الأمر، ونهت أتباعها عن الاختلاط بأصحاب المرض المعدي من منطلق على الحفاظ على النفس كضرورة تندرج في كليات

(١) موقع منظمة الصحة العالمية الصفحة العربية.

(٢) الموقع نفسه. ولمزيد من الفائدة ينظر موقع ويب طب <https://www.webteb.com>

(٣) موقع منظمة الصحة العلمية، وينظر موقع ويب طب <https://www.webteb.com>

(٤) المرجع السابق.

(٥) مصطلحات-طبية، مرجع سابق.



الشريعة الخمس منها الحفاظ على النفس.

وقد جاءت الشريعة بمقاصد تضمنتها كتب الأصول؛ منها حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال^(١) ضمن ما جاءت به من جلب مصالح العباد ودرء المفسد عنهم، وهذا ما سنوضحه في المطلب التالي.

المطلب الثاني: هدي الشريعة الإسلامية في التعامل مع الأوبئة:

كما سبق وأن أشرت إلى أن الشريعة جاءت بمقاصد جليلة وهي جلب المصالح للعباد، ودرء المفسد عنهم، وإتمام مكارم الأخلاق، وعلماء الأصول متفقون على أن درء المفسد مقدم على جلب المصالح إذا تزامت المصالح والمفسد^(٢) ولا شك أن حفظ النفوس في هذا المقام يقتضي التقديم؛ ولهذا أفق العلماء في كل قطر أصابه الوباء بالاستجابة لنصائح الأطباء وتوجيهات حكوماتهم، والالتزام بأخذ الحيطة والحذر والعمل بما يملئ عليهم من تدابير تقيهم شر الوباء، وليعلم المسلم بأن تلك التدابير والعمل بها؛ هو من هدي الإسلام وكل شيء في الكون يجري بقدر.

نعم كل شيء يكون بقدر، غير أن الله جل جلاله سنّ قانون القدر على الأسباب والمسببات والنتائج والمقدمات، ولا بد من انتشار هذا المفهوم بوضوح كي لا يحتج أحدهم بالقدر وهو جاهل بهذا المعنى، فيلقي نفسه في التهلكة متكلاً على فهمه المعوج للقدر، فلا يعمل بالأسباب، ولا يتأمل في النتائج التي لا بد لها من مقدمات.

وإذا عرف المسلم هذه المسألة جيداً، اطمأنت نفسه ووقر الإيمان في قلبه وهدأ باله، ولا ينبغي أن تغيب هذه المسألة عن ذوي الأبواب.

(١) الموافقات المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٥٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، النوع الأول في بيان قصد الشارع في وضع الشريعة، ص ٢٠، الناشر: دار ابن عفاة الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م - المكتبة الشاملة الحديثة.

(٢) الفوائد في اختصار المقاصد، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام سلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) تحقيق: إيداد خالد الطباع الناشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر - دمشق الطبعة: الأولى، ١٤١٦ - فصل في اجتماع المصالح والمفاسد، ص ٤٧ - المكتبة الشاملة الحديثة

إن ديننا نظام محكم ودستور عام للحياة: حلوها ومرها، فكل صغيرة وكبيرة مقدرة ومكتوبة، ومن ناحية أخرى، ما يصيب الإنسان من خير وشر ومن لأواء وبلواء، ومن أمراض وأوبئة، وكل صغير وكبير في هذا الكون سواء ما يتعلق بالإنسان أو بغيره من المخلوقات في كتاب مكنون مستطر. قال تعالى ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] وقال تعالى ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢].

إن نظرة الدين وفلسفته فيها تنطلق من مقتضى أن الإنسان مخلوق مكرم عظيم عند الله، والحفاظ على نفس الإنسان من الضروريات، وقد يتقدم حفظها على الدين إذا اقتضى الحال، ومن هنا يأتي منهج الإسلام في التعامل مع الأوبئة والأمراض حفاظًا على الإنسان أولاً من ناحية وقائية فهو يرشده إلى ما يقيه ويحميه من الأمراض قبل وقوعها بتوجيهات غاية في الأهمية، وهو ما يسمى في العصر الحديث الطب الوقائي، ومن هنا أمر الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بعدم القдом على أمر فيه مهلكة، والأخذ بالحيطه والحذر، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى تَهْلُكَةٍ﴾ [البقرة: ١٩٥] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة أمرت بالتداوي مثل حديث أسامة بن شريك قال: «أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت، ثم قعدت، فجاء الأعراب من ههنا وههنا، فقالوا: يا رسول الله أنتداوي؟ فقال: تداووا فإن الله تعالى لم يضع داءً إلاّ وضع له دواء غير داء واحد الهرم»^(١). وطلب الشفاء أولاً يكون من الله، قال تعالى ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

وقد أنزل الله الدواء والشفاء وفي العسل نموذج، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ

(١) المجموع شرح المذهب، رقم الصفحة أو الرقم: ١٠٧/٥ وإسناده صحيح، انظر الموسوعة الحديثية الدرر السنوية.

شَفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ [النحل: ٦٩].

إذًا على المرء أن يأخذ بالأسباب التي تجري ضمن القدر فيبحث عن العلاج، ولا يركن إلى فهم غير سليم عن القدر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تداواوا عباد الله فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء إلا داءً واحدًا الهرم»^(١) وفي رواية أخرى بزيادة: «علمه من علمه وجهله من جهله»^(٢) ففي الحديث توجيه واضح للأخذ بأسباب التداوي والأخذ بناصية العلم، والبحث في أسبابه، كما وجهه إلى أسباب وقائية قبل وقوع المرض وانتشار الوباء، وهذا ما سيتضح للقارئ بشكل أوضح في البحث التالي.

المبحث الثاني: سبل الوقاية من الأوبئة في ظل القواعد الكلية للشريعة الإسلامية:

الناظر في القواعد الفقهية الكلية للشريعة الإسلامية يجد أنها جاءت مبينة لمقاصد الشريعة الحنفية السمحة من جهة، ومن جهة أخرى تعمل كموجهات للمسلم في كيفية التعامل مع الأحداث والأزمات والأوبئة، ومنها مثلاً وباء كورونا، ولكي يستبين الأمر أكثر؛ نأخذ بعض القواعد في ثلاث مطالب كنماذج لغيرها من قواعد الفقه التي تصل إلى مثني قاعدة أو يزيد.

المطلب الأول: قاعدة لا ضرر ولا ضرار^(٣):

أصل هذه القاعدة حديث نبوي شريف. فعن أبي سعيد سعد بن سنان الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا ضرر ولا ضرار»^(٤)، وهي من جوامع كلم النبي ﷺ، وهي أصل في حماية الإنسان وإبعاد

(١) أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد.

(٢) أخرجه النسائي وابن ماجه والحاكم، وينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ١٠).

(٣) ينظر القاعدة الذهبية في المعاملات الإسلامية لاضرر ولا ضرار، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق إيهاب حمدي غيث، دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

(٤) حديث حسن، رواه ابن ماجه، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، وعند الدارقطني، كتاب البيوع، وغيرهما مسنداً.

الضرر عنه، وإبعاد الضرر عن الآخرين، ولا أرى حاجة في التوسع بذكر شروح هذه القاعدة - التي قد تطول - إذ الضرر هنا قد يكون بتفويت مصلحة ولكني سأركز على جانب دفع المفسدة.

إن هذا الوباء الذي عم الأرض اليوم مثال واضح يمكن أن تُجرى عليه هذه القاعدة وما يتفرع عنها، فهناك من يحمل فيروس هذا الوباء ولكن لا تظهر عليه آثاره، إلا أنه ربما ينقله إلى غيره بالمصافحة أو الاحتكاك أو بأي طريق من طرق نقل العدوى، فعليه أن يتذكر - لا ضرر ولا ضرار - فيتجنب الاحتكاك بالآخرين أو الاقتراب منهم، وهناك من لم يصب بفيروس كورونا كذلك عليه أن يبتعد عن المصابين به حتى لا يضر نفسه، عملاً بالقاعدة المذكورة، وأما من أصيب بهذا الفيروس فمن باب أولى أن لا يكون سبباً في الإضرار بالآخرين، وعلى ذلك يجب عليه ألا يختلط بالناس حتى لا يكون سبباً في الإضرار بهم عملاً بهذه القاعدة المهمة؛ لا ضرر ولا ضرار.

إن نصوص الشريعة مليئة بالتوجيهات التي من شأنها وقاية المسلم من الأوبئة والأسقام، ومن شر كل ذي شرٍّ ولو لم يره، ففي الأذكار والأدعية غُنْية وجُنَّة، فإذا حافظ عليها الإنسان من حال استيقاظه حتى منامه وقاه الله شرَّ ما يكره.

وفي الالتزام بآداب الطعام من غسل اليدين قبل الأكل وبعده وقاية للإنسان وبركة، والالتزام بآداب الشراب: من عدم التنفس في الإناء، أو النفخ فيه، أو شرب الماء على جرعاتٍ مع الاستراحة بين كل جرعة وأخرى، أو عدم شربه من في السقاء مباشرة، كل ما سبق إن التزم بها كالأداب واضحة بالإضافة إلى الملازمة على التوجيهات حال العطاس والسعال، في هذا كله وقاية له من شر نفسه وشر غيره من المرضى.



المطلب الثاني: الضرريزال^(١)

بالنظر إلى الأضرار الناتجة عن فيروس كورونا، يمكننا ملاحظة أنها تنحصر في أمرين رئيسين؛ يتجلى الضرر الأول في: الفتك بحياة الإنسان - خاصة كبار السن وأصحاب الأمراض المزمنة - والوفيات في حالة تزايدٍ مطّردٍ بحسب مؤشرات عالمية^(٢) حيثما وجد هذا الوباء، وهو الأمر الأكثر إيلاّمًا.

أما الضرر الثاني فيظهر في شيوع الحاجة والعوز وتحول فئات من المجتمع إلى فقراء ومساكين، حيث فقد كثير من الناس وظائفهم، ولم يتمكّن الكثير ممن ليس لديه وظيفة من الخروج من بيته للبحث عن لقمة العيش جراء الحظر المفروض على المجتمع، بالإضافة إلى الانهيار الاقتصادي الذي أضرب دول كثيرة.

وكلا الضررين خطرهما بالغ، ومن هنا كان لا بد لكل مسؤول في الدولة التي اجتاحتها الوباء أعمال هذه القاعدة بحيث يتمكن الجميع [بتعاونهم] من إزالة الضرر الناجم عن هذا الوباء، شريطة أن يسير بحظي حكيمة تضمن تحجيم الخطر المحدق بالجميع للمحافظة على حياة أكبر شريحة من المجتمع، ولكي يتم هذا لا بد من اتخاذ التدابير المناسبة التي لا تؤدي إلى ضرر أشد، ذلك أن قاعدة «الضرريزال» تتعلق بها قواعد منها «الضرر لا يزال بالضرر» قاله ابن السبكي^(٣)

أما كيف يمكن اتخاذ ما يلزم من تدابير؟ فالذي تناط به المسؤولية أصناف من القوم، ويأتي الساسة في المرتبة الأولى، وعلى كاهلهم تقوم مسؤولية إصدار القرارات والتوجيهات للجهات المعنية الموكله

(١) الأشباه والنظائر المؤلف: لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩١م، وانظر كتاب مجلة مجمع الفقه الإسلامي - انتفاع الإنسان بأعضاء جسم إنسان آخر حياً أو ميتاً في الفقه الإسلامي إعداد فضيلة الأستاذ الدكتور حسن علي الشاذلي - المكتبة الشاملة الحديثة p2#6646/8356/https://al-maktaba.org/book

(٢) Mobile Version - brocarpress.com/كورونا-المستجد-عداد-مباشر-للإصابات-ح

(٣) كتاب مجلة الفقه الإسلامي عن المكتبة الشاملة الحديثة مرجع سابق.

بشؤون الحضّر، وترتيب ذلك الأمر بعناية وحذر، لإزالة ما أمكن من الضرر عن مواطنيهم، بحيث لا يؤدي إلى ضرر آخر أشد، فالضرر لا يزال بضرر، ثم تبقى مسألة التشديد على فئات عمرية، ويكون ذلك بحسب الخطر المتوقع.

أما الأطباء فيأتون في المرتبة الثانية، ولا بد لهم التجرد لهذا العمل بإنسانية عالية لدفع هذا الضرر وإزالته والتفاني في ذلك، وبناءً على ما يرون من خطر قائم؛ تترتب فتاوى العلماء في ضرورة ترك الصلوات في المساجد في الجُمع والجماعات، لدفع الضرر عن المجتمع المسلم وغير المسلم، وقد قرر علماء الشريعة؛ أن واجبات العبادات تسقط بالعجز^(١). ووباء كورونا سبّب عجزاً ظاهراً لا بسه خوف وكلاهما من رخص الشريعة في ترك الجمعة والجماعات.

ويبقى الجانب الاقتصادي الذي يتولاه المختصون في الاقتصاد، وهؤلاء تقوم على عاتقهم مسألة تنظيم المال العام برسم سياسة مالية تأخذ بها الدولة تتماشى مع حجم هذه الجائحة الكارثية بكل المقاييس، وذلك بما من شأنه إزالة الضرر العام.

أما الضرر الذي لحق بشريحة عريضة من الناس، فعلى الجانب الديني متمثلاً بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية وخطباء المساجد ويمكن أن يدخل معهم مدراء التعليم في الدولة على هؤلاء جميعاً أن يتحملوا مسؤوليتهم بحنكة واقتدار، وذلك بإحياء جانب التكافل الاجتماعي كل حسب ما عنده لإزالة ما أمكن من هذا الضرر أو بعضه.

المطلب الثالث: الحجر الصحي:

الحجر الصحي: هو «عزل أشخاص بعينهم وأماكن أو حيوانات قد

(١) ينظر كتاب الفتاوى الكبرى لابن تيمية - مسألة من صلى خلف الصف منفرداً - المكتبة الشاملة الحديثة، ص (٣٢٧).



تحمل خطر العدوى، وتتوقف مدة الحجر الصحي على الوقت الضروري لتوفير الحماية من مواجهة الأمراض الوبائية^(١).

ومن المعلوم أن آيات القرآن الكريم فيها من التوجيهات العامة والقواعد المهمة ودلالات المعاني ما يمكن أن يُستفاد منها في الوقاية من شر الأوبئة والأمراض؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] وكذلك الأمر نفسه في نصوص السنة توجيهات واضحة، وبيان شافٍ حول كيفية احتواء انتشار الأمراض الوبائية، وإرشادات تحفظ الجميع باتباعها، من ذلك: حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ فِي أَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا» وفي رواية: «الطَّاعُونَ آيَةُ الرَّجْزِ، ابْتَلَى اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِهِ نَاسًا مِنْ عِبَادِهِ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَفِرُّوا مِنْهُ»^(٢).

وحديث يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَيْسَانَ، قَالَ: «أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ فَرَوَةَ بَنَ مُسَيْكٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَرْضًا عِنْدَنَا يُقَالُ لَهَا: أَبِينُ، هِيَ أَرْضُ رَيْفِنَا وَمِيرَتِنَا، وَهِيَ وَبَيْتَةٌ، أَوْ قَالَ: وَبَاؤُهَا شَدِيدٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهَا عَنْكَ، فَإِنَّ مِنَ الْقَرْفِ التَّلَفُ»^(٣) فالنبي ﷺ في حديث أسامة يوجه الأمة كلها إلى الحجر الصحي بمنع من يبلغه وجود الطاعون في أرض ما، وأما في حديث يحيى الريسان فقد جاء التوجيه إليه بحجره مباشرة ومنعه من دخول أرض أبين، حيث الوباء الذي قد يؤدي إلى العدوى بذلك

(١) كتاب الفقه الميسر - النازلة السابعة والخمسون الحجر الصحي - المكتبة الشاملة الحديثة، <https://al-:org.maktaba> p2#2099/33241/book

(٢) رواه البخاري في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (٥٧٢٩)، ومسلم في كتاب الطب، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها (٢٢١٩)، عن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه -. والحديث أصل في الحجر الصحي، وينظر: الحجر الصحي في الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم القلاي، مجلة البيان، العدد (٣٩٧) بتاريخ ٢٤/٤/٢٠٢٠.

(٣) كلمة [مَنْ] فيها إبهام لكن يحيى بن عبد الله المذكور هو المرادي، وهو مقبول عند أهل الحديث، ٢٠١٦٢ - وانظر جامع معمر بن راشد - باب الوباء والطاعون - المكتبة الشاملة الحديثة: <https://al-:org.maktaba-:com.db-islam.hadith/> book#911/5610/ موسوعة الحديث، <http://com.db-islam.hadith/>

المرض الخبيث وربما كان سبباً في الموت^(١).

وقد تكرر هذا التوجيه بالحجر إلى شخصٍ آخر بعينه ما يعكس حرص الشريعة على الحفاظ على الناس ووقايتهم مما قد يقع بهم؛ فعن عمرو بن الشريد، عن أبيه، قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي ﷺ: «إنا قد بايعناك فارجع»^(٢). فأمره النبي ﷺ بذلك احتياطاً وحذراً وحفاظاً للناس من العدوى^(٣)، وقد كانت الوقاية سبيلاً مشروعاً ومتبعاً للوقاية من الأمراض لدى الصحابة رضوان الله عليهم؛ فعن هشام بن عروة، عن أبيه، أنه قال: «أقبلت إلى الزبير يوماً وأنا غلام وعنده رجل أبرص فأردت أن أمس الأبرص فأشار إليّ الزبير فأمرني أن أنصرف كراهية أن أمسه»^(٤).

ولعظمة الشريعة الإسلامية فإنها تربط الدنيا بالآخرة، فتوجه أتباعها إلى الرُّقي بإيمانهم نحو الكمال بجملة من اليقينيات الإيمانية فلا يسخط إذا ما أصابه ضر ولا يحزن إن فاته شيء من الدنيا، بل قد يكون هذا لمصلحته في الدنيا والآخرة^(٥).

فعلى المسلم أن يعلم ابتداءً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن له في كل هم وغم ومصيبة في ماله ونفسه وأهله أجر عظيم إن صبر واحتسب وقد يبلغ مرتبة الشهيد في الأجر على اللأواء التي تصيبه، فقد ثبت عن النبي ﷺ: «أن الطاعون كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابراً، يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر الشهيد»^(٦).

(١) ينظر الحجر الصحي في الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم القلاي، مجلة البيان، العدد (٣٩٧) بتاريخ ٢٤/٤/٢٠٢٠.

(٢) صحيح مسلم كتاب السلام باب اجْتِنَابِ الْمَجْذُومِ وَنَحْوِهِ حديث رقم ٤٥٦٦.

(٣) الحجر الصحي، د. القلاي، مرجع سابق.

(٤) شعب الإيمان، البيهقي، حديث: (١٢٩٦).

(٥) ينظر الحجر الصحي في الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم القلاي. المرجع السابق.

(٦) صحيح البخاري، حديث: ٥٧٣٤.



ولما احتار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من منع الناس من دخول أرض الشام، وهو على أبوابها عندما قيل له إن في البلد طاعونًا فاستشار الناس؛ فأشار البعض عليه بالدخول، ورأى البعض عدم الدخول إلى أرض الوباء، ووافقهم الرأي مشيخة قريش من مشيخة مهاجرة الفتح، ف جاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبًا لبعض حاجته فلم يشهد المشاورة، فكان رأيه ألا يدخل إلى الشام حيث الطاعون، مستدلًا بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ، أَي: بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ؛ - لِيَكُونَ أَسْكَنَ لَأَنْفُسِكُمْ، وَأَقْطَعَ لَوْسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ؛ لِئَلَّا يَكُونَ مُعَارَضَةً لِلْقَدْرِ؛ وَحَتَّى لَا يَنْتَشِرَ الْوَبَاءُ خَارِجَ الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ فِيهِ، فَحَمِدَ عُمَرُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مُوَافَقَةِ اجْتِهَادِهِ وَاجْتِهَادِ مُعْظِمِ الصَّحَابَةِ حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ»^(١)

فأخذ عمر برأي ابن عوف لظهور الدليل عنده، فقال له بعض القوم: «أَتَفَرُّ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ؟» فقال: «نفر من قدر الله إلى قدر الله»^(٢)، وفيه تأكيد لما هو متقرر في الإسلام من أن اتخاذ أسباب الوقاية والعلاج لا يتنافى مع الإيمان.

«وقد توصل العلماء في الطب الحديث أن حصر المرض في مكان محدود يتحقق بإذن الله بمنع الخروج من الأرض الموبوءة»^(٣).

«فالنهي عن الخروج من الأرض الموبوءة يمثل حرجًا صحيًا سبق إليه الإسلام الطب بمئات السنين، كما أن منع الدخول إلى الأرض الموبوءة يعد إجراءً وقائيًا سبق إليه الإسلام»^(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب باب ما يذكر في الطاعون، الصفحة برقم: ٥٧٢٩، رواه عبد الله بن عباس.

(٢) موطأ مالك كتاب الجامع باب ما جاء في الطاعون حديث رقم ١٦٢٦

(٣) كتاب مجلة البحوث الإسلامية ص ٢٧٣ - أولا النهي عن الخروج من الأرض الموبوءة أو الدخول إليها - المكتبة

الشاملة الحديثة، <https://al-maktaba.org/book/p1#33243/34106>

(٤) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

الخاتمة:

النتائج:

من أهم النتائج التي يمكن استخلاصها:

١. أن النظافة في الإسلام شاملة لشخص الإنسان ظاهراً وباطناً، كما أنها تشمل بيئته التي يعيش فيها، فهو مأمور بتنظيفها وعدم إفسادها بأي طريقة ولو كانت في نظره بسيطة.
٢. جاء الإسلام لحماية الإنسان بغض النظر عن دينه، ويتجلى ذلك من خلال مقاصد الشريعة التي جاءت مجلب المصالح ودرء المفاسد، والحفاظ عليه بعدم المساس بالكليات الخمس المشهورة؛ حفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال.
٣. تميزت الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع والأنظمة بشمولية الحجر الصحي واعتبار العقيدة منطلقاً للمسلم للامتثال في سلوكياته وتصرفاته مراعيًا في ذلك مصلحة الجماعة قبل مصلحة الفرد.

التوصيات:

يوصي الباحث:

١. بضرورة العناية بالالتزام بأداب النظافة الشخصية العامة والخاصة والاهتمام بنظافة البيئة، فهي من صميم ديننا وهي عنوان المسلم الناصح لدينه.
٢. ضرورة توعية الخاصة من النخب والعامة من طبقات المجتمع بالقواعد الفقهية للشريعة، وبأساليب تربوية تضمن نشر المفاهيم المتعلقة بما نحن بصدده من الجائحة الكارثية لكورونا التي قد تمتد لوقت غير معلوم.



٣. يوصي الباحث القائمين على أمر الناس أخذ الحيطة والحذر والتمسك بمبدأ الحجر الصحي، والاستفادة من التقنيات الحديثة، والتكنولوجيا العلمية في اتخاذ التدابير المناسبة التي تحول دون انتشار الأوبئة بشكل عام وكورونا المستجد - كوفيد - ١٩ بشكل خاص.



قائمة المراجع:

- أولاً: القرآن الكريم.
- ثانياً: كتب السنة النبوية.
- الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩.
- الأشباه والنظائر: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- إرواء الغليل في تحريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) إشراف: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
- الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق) المؤلف: معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ عدد الأجزاء: ٢ (الأجزاء ١٠، ١١ من المصنف)
- د. محمد الدسوقي، استشاري الأمراض الصدرية، في حديث للجزيرة، عن فيروس كورونا، مفهومان مختلفان.. ما الفرق بين الوباء والجائحة؟ نشر بتاريخ الأحد ١٥ مارس ٢٠٢٠م.
- الروض الداني (المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمير الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥.
- سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية -
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة

العصرية، صيدا - بيروت.

- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) المحقق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت سنة النشر: ١٩٩٨ م.

- سنن الدارقطني المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ) حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م

- شرح السنة المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م.

- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان؛ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) المحقق: شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣.

- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

- صحيح الجامع الصغير وزياداته المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتب الإسلامي.

- الفتاوى الكبرى لابن تيمية المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- الفوائد في اختصار المقاصد، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) المحقق: إياد خالد الطباع الناشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر - دمشق الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.
- كتاب مجلة مجمع الفقه الإسلامي - انتفاع الإنسان بأعضاء جسم إنسان آخر حيا أو ميتا في الفقه الإسلامي إعداد فضيلة الأستاذ الدكتور حسن علي الشاذلي - المكتبة الشاملة الحديثة
- النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.
- المجموع شرح المذهب ((مع تكملة السبكي والمطيعي)) المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار الفكر (طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي).
- مختصر صحيح مسلم «للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري» المؤلف: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ) المحقق: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان الطبعة: السادسة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- المستدرک علی الصحیحین المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف:



- د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد, عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني الناشر: دار الحرمين - القاهرة.
- الموافقات المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- منتدى المجلس العلمي الألوكة، ذكره الخطيب في تاريخه دون جرح أو تعديل، وقال المصحح "لا بأس برجاله سوى المروزي" عن <https://majles.alukah.net/t/١٠٨٦٣٠>
- ثالثًا: مواقع الشبكة الدولية العنكبوتية.
- كتاب الفقه الميسر - النازلة السابعة والخمسون الحجر الصحي - المكتبة الشاملة الحديثة، <https://almaktaba.org/book/٢٥٩٩/٣٣٢٤١/>
- الحجر الصحي في الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم القلاي، مجلة البيان، العدد (٣٩٧) بتاريخ ٢٠٢٠/٢٤/٤.
- القاعدة الذهبية في المعاملات الإسلامية لا ضرر ولا ضرار، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق إيهاب حمدي غيث، دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- كتاب الفقه الميسر - النازلة السابعة والخمسون الحجر الصحي - المكتبة الشاملة الحديثة، <https://hadeethenc.com>
- موسوعة الأحاديث النبوية، <https://www.islamicstories.info>
- مقال الحجر الصحي في الإسلام، <https://www.altibbi.com>
- مصطلحات-طبية/الامراض-المعدية/وباء <https://www.altibbi.com>
- [wikipedi.org/wiki](https://www.wiki-cite_note#الطبي)
- aljazeera.net/encyclopedia/encyclopedia-healthmedicine
- [https://www.lazemtefham.com](https://www.lazemtefham.com/blog-post.html/٠١/٢٠١٦/)
- موقع منظمة الصحة العالمية، الصفحة العربية.

موقع ويب طب [/com.webteb.www//:https](https://www.webteb.com)
[/com.brocarpress](https://www.brocarpress.com) - Version Mobile
للإصابات-جي.



منهجية الإفتاء في نوازل كورونا



د. وصفي عاشور أبو زيد^(١)

تركيا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد،

فإن الحديث عن الإفتاء في النوازل المعاصرة أمر بالغ الخطورة والدقة معاً، فأما خطره فلأنه إفتاء للناس في دين الله وتوقيع عن رب العالمين، وأما دقته فلأنه يحتاج لمنهجية دقيقة لا يمكن لأي أحد أن يقوم بها إلا إذا تأهل لها وتدرّب عليها.

حين ظهر وباء فيروس كورونا وأحدث ما أحدث من تغييرات كبيرة، ظهرت مع هذه التغييرات ظواهر ونزلت نوازل وجدت مستجدات، وكل هذا يتطلب كلمة الشرع الشريف؛ فلا تنزل نازلة إلا وللإسلام حكم فيها، قد يكون تفصيلياً، وقد يكون منهجياً، فالتفصيلي ما توجد أدلته بشكل مباشر وجزئي، والمنهجي هو ما يدل على منهجية القول فيها والوصول لحكم بشأنها.

وفي النوع الأخير يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: «فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها»^(٢).

من أجل هذا تعالج هذه الورقة المنهجية الصحيحة للإفتاء في نوازل فيروس كورونا باعتباره نموذجاً من نماذج الفتوى في النوازل المعاصرة، وقد اقتضت طبيعتها أن تأتي في رؤوس العناوين الآتية:

تمهيد حول صلاحية الشريعة وخطورة الإفتاء.

ثم معالم منهجية في الإفتاء بشأن كورونا، وشملت هذه المعالم ما يلي:

أولاً: لا ينظر في النوازل إلا المؤهلون لها.

ثانياً: فقه طبيعة النازلة.

(١) أستاذ أصول الفقه ومقاصد الشريعة. عضو عدد من الهيئات العلمائية العالمية. عضو محكم في مجالات علمية محكمة وفي أبحاث ترقية الأساتذة لدى عدد من الجامعات. رئيس لجنة التزكية والتعليم الشرعي في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين. رئيس مركز الشهود الحضاري للدراسات الشرعية والمستقبلية. شارك في عشرات المؤتمرات البحثية الدولية بأوراق بحثية، وله ثلاثون كتاباً ومبحثاً منشوراً، وألقى عشرات الدورات الشرعية وكتب مئات المقالات في الفقه والأصول والدعوة والتربية والمقاصد والأسرة والسياسة.

(٢) الرسالة: ٢٠. محمد بن إدريس الشافعي. تحقيق أحمد شاكر. مكتبة الحلبي، مصر. الطبعة: الأولى،

١٩٤٠م/١٣٥٨هـ.



ثالثاً: العلم بالأحكام الشرعية المتعلقة بالنازلة.

رابعاً: رعاية المقاصد.

خامساً: رعاية المآلات.

سادساً: الحفاظ على توقيفية العبادات في هيئة أدائها.

ونسأل الله تعالى العون التوفيق والقبول الحسن إنه على ما يشاء قدير.

الكلمات المفتاحية:

منهجية - إفتاء - نوازل - كورونا - المقاصد - المآلات





تمهيد في صلاحية الشريعة وخطورة الإفتاء

أولاً: صلاحية الشريعة وعمومها وشمولها

الشريعة الإسلامية بطبيعتها فيها من الصلاحية والعموم والشمول ما يجعلها قادرة - بفعل المجتهدين فيها - أن تبسط سلطانها على الواقع، وتفي بحاجة المستجدات والنوازل.

فأما صلاحيتها فلما تضمنته من أدلة تشتمل على مرونة وسعة تستوعب كل جديد: قياس، مصلحة مرسلة، استحسان، قواعد، مقاصد الخ..

وأما أنها عامة، فهي رسالة إنسانية لكل الخلق، لم تنزل لمكان دون مكان، ولا لزمان دون زمان، ولا لقوم دون غيرهم، وإنما هي رسالة الزمان والمكان والإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأما أنها شاملة، فهي تشمل تشريعاتٍ لكل مجالات الحياة، فليست مقصورةً على مجال دون مجال، وإنما لكل مناحي الحياة.

وفي هذا يروي شيخنا الإمام يوسف القرضاوي عن الإمام حسن البنا في خصائص رسالة الإسلام قوله وافية معبرة؛ إذ يقول: «إنها الرسالة التي امتدت طويلاً حتى شملت آباد الزمان، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة»^(١).

ويبين العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - رحمه الله - أن هذا العموم والصلاحية تتصور بكيفيتين، فيقول: «فعموم الشريعة لسائر البشر في سائر العصور مما أجمع عليه المسلمون، وقد أجمعوا على أنها مع عمومها صالحة للناس في كل زمان ومكان ولم يبينوا كيفية هذه

(١) الخصائص العامة للإسلام: ١٠٥. يوسف القرضاوي. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية. ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.



الصلاحية؛ وهي عندي تحتمل أن تتصور بكيفيتين:

الكيفية الأولى: أن هذه الشريعة قابلة بأصولها وكلياتها للانطباق على مختلف الأحوال بحيث تسائر أحكامها مختلف الأحوال دون حرج ولا مشقة ولا عسر...

الكيفية الثانية: أن يكون مختلف أحوال العصور والأمم قابلاً للتشكيل على نحو أحكام الإسلام دون حرج ولا مشقة ولا عسر، كما أمكن تغيير الإسلام لبعض أحوال العرب، والفرس، والقبط، والبربر، والروم، والتتار، والهنود، والصين، والترک، من غير أن يجدوا حرجاً ولا عسراً في الإقلاع عما نزعوه من قديم أحوالهم الباطلة^(١).

ومن الملاحظ أن الكيفيتين اللتين أشار لهما ابن عاشور منفي فيهما الحرج والمشقة والعسر، سواء تحكمت الكليات والأصول في الأحوال، أو وفقت الأحوال أوضاعها للتشكيل علة نحو أحكام الإسلام.

ثانياً: دقة الإفتاء وخطورته

ولا شك أن الإفتاء منصب عظيم، حتى أطلق عليه ابن القيم مقام «التوقيع عن رب العالمين»؛ ولهذا فهو شديد ودقيق وخطير، وقد كان الصحابة يتهربون منه ويجيل بعضهم على بعض الفتاوى والاستفتاء.

وفي هذا المعنى يقول الإمام مالك - رحمه الله - : «ما شيء أشد عليّ من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام؛ لأن هذا هو القطع في حكم الله، ولقد أدركت أهل العلم والفقهاء في بلدنا وإن أحدهم إذا سئل عن مسألة كأن الموت أشرف عليه، ورأيت أهل زماننا هذا يشتهون الكلام فيه والفتيا، ولو وقفوا على ما يصيرون إليه غداً لقللوا من هذا، وإن عمر بن الخطاب وعلياً وعلقمة وخيار الصحابة كانت ترد عليهم المسائل وهم خير القرون الذين بعث فيهم النبي - صلى الله عليه وسلم - كانوا

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية: ٩١. محمد الطاهر ابن عاشور. دار السلام. القاهرة. ١٤٢٧هـ. ٢٠٠٦م.

يجمعون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويسألون، ثم حينئذٍ يفتون فيها وأهل زماننا هذا قد صار فخرهم الفتيا، فبقدر ذلك يُفتح لهم من العلم^(١). هذا في عصر الإمام مالك، فكيف لو عاش لعصرنا ورأى وسائل التواصل فماذا عساه أن يقول؟!

معالم منهجية في الإفتاء بشأن كورونا

وللنظر في المستجدات عامة، ونازلة فيروس كورونا المستجد خاصة، منهجية من اللازم اتباعها للوصول إلى حكم شرعي صحيح، ومن أهم هذه المعالم:

أولاً: لا ينظر في النوازل إلا المؤهلون لها:

لا بد للناظر في نصوص الشريعة عامة، والنوازل خاصة أن تتوفر فيه مؤهلات مذكورة ومقررة في كتب الأصول، وهناك من الأئمة من أجمل خصالا وأدباً فضلاً عن المقومات، ومن ذلك ما ورد عن الإمام أحمد أنه قال: «لا ينبغي للرجل أن يُنصَّب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال:

أولها: أن تكون له نية، فإن لم يكن له نية لم يكن عليه نور ولا على كلامه نور.

والثانية: أن يكون له علم وحلم ووقار وسكينة.

الثالثة: أن يكون قوياً على ما هو فيه وعلى معرفته.

الرابعة: الكفاية وإلا مضغه الناس.

الخامسة: معرفة الناس.

قال الإمام ابن القيم معلقاً على هذه الخصال: «وهذا مما يدل على جلالة أحمد، ومحله من العلم والمعرفة؛ فإن هذه الخمسة هي دعائم

(١) ترتيب المدارك ١/ ١٧٩. مطبعة فضالة المحمدية. المغرب.

الفتوى، وأي شيء نقص منها ظهر الخلل في المفتي بحسبه»^(١) ثم شرح الإمام ابن القيم كل خصلة منها شرًا وافيًا في الموضوع نفسه.

وفي التأيي وعدم التسرع في الفتوى جاء عن الإمام مالك - رحمه الله - أنه قال: «إني لأفكر في مسألة منذ بضع عشرة سنة، فما اتفق لي فيها رأي إلى الآن»^(٢). وقال أيضًا: «ربما وردت عليّ المسألة فأفكر فيها ليلي»^(٣).

ويقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - في ذلك: «حقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعدّ له عدّته وأن يتأهب له أهفته وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به، فإن الله ناصر وهاديه، وكيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب»^(٤).

هذه جملة من الخصاص والخصال التي ينبغي أن يتحلى بها من يتصدى للنظر الشرعي في النوازل؛ فضلًا عن شروط المفتي أو المجتهد التي تشمل العلم بالقرآن والسنة، ومواضع الاختلاف ومواضع الاتفاق، ومقاصد الشريعة، وعلوم العربية، ونحو ذلك مما هو مكرر ومقرر في كتب الأصول.

ومن المؤسف أن الفتيا في عصرنا تتعرض للانتهاك من غير المؤهلين لها؛ فيفتي من يعرف ومن لا يعرف، من هو مؤهل ومن ليس مؤهلًا، في حين أنهم عند التخصصات الدنيوية في الطب والهندسة وعلوم الأرض بل علوم الدنيا لا يتجرؤون هذه الجرأة، وإنما يستمعون للطبيب ولا يناقشون، وللمهندس ويمثلون، ولعالم الفلك ولا يجادلون، وللصيدي وينصتون، إلا الفتوى في دين الله فإنها - مع الأسف - أصبحت مستباحة الحمى!

(١) إعلام الموقعين ٤ / ١٥٢. للإمام ابن قيم الجوزية. تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٢) ترتيب المدارك ١ / ١٧٨.

(٣) المرجع السابق: ١ / ١٤٤.

(٤) إعلام الموقعين: ٩ / ١.



ثانياً: فقه طبيعة النازلة:

إن فقه النازلة والواقع المحيط بها وملابساتها وطبيعتها والتعرف إلى تفصيلاتها الجزئية بدقة وأمانة يعتبر الفيصل في الاجتهاد، وتنزيل الحكم الشرعي وتحقيق مناطه، فإن عين المجتهد تقع أول ما تقع على النازلة وفقهها والوقوف على كل ما يتعلق بها، ثم يذهب للشرع الشريف ونصوصه المقدسة يلتمس لها العلاج والدواء والحكم الشرعي الصحيح.

وفي هذا يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علماً.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع ثم يطبق أحدهما على الآخر؛ فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجراً... ومن تأمل الشريعة وقضايا الصحابة وجدها طافحةً بهذا، ومن سلك غير هذا أوضاع على الناس حقوقهم، ونسبه إلى الشريعة التي بعث الله بها رسوله»^(١).

فابن القيم هنا يبين مركزية فقه النازلة وما يلابسها في الواقع، ويعتبرها الخطوة الأولى في الاجتهاد التي يتأسس عليها فقه الواجب فيها، فبعدما يتعرف إلى النازلة يذهب للشرع الشريف بنصوصه ومقاصده ليبحث لهذه النازلة عن حكمها الصحيح.

وقد ضرب ابن القيم - رحمه الله - عدّة أمثلةٍ تتعلق بأهمية الاستفسار عن تفصيلات وملابسات الواقعة محل الإفتاء، فمن ذلك: «إذا سُئِلَ عن رجل حلف لا يفعل كذا وكذا، ففعله؛ لم يجز له أن يفتي بحنثه

حتى يستفصله؛ هل كان ثابت العقل وقت فعله أم لا؟ وإذا كان ثابت العقل فهل كان مختاراً في يمينه أم لا؟ وإذا كان مختاراً فهل استثنى عقيب يمينه أم لا؟ وإذا لم يستثن فهل فعل المحلوف عليه عالماً ذاكراً مختاراً أم كان ناسياً أو جاهلاً أو مكرهاً؟ وإذا كان عالماً مختاراً فهل كان المحلوف عليه داخلاً في قصده ونيته، أو قصد عدم دخوله مخصصه بنيته، أو لم يقصد دخوله ولا نوى تخصيصه؟ فإن الحنث يختلف باختلاف ذلك كله»^(١).

فمن فراسة المفتي وفطانتته أن يستفسر عن كل شيء خاص بالنازلة؛ كي يستوعبها تماماً، وهذا يناظر عمل الطبيب؛ فإنه يسأل المريض أسئلة كثيرة حتى يقف على التشخيص السليم للمرض ليصف له العلاج الناجح والدواء الناجع؛ ولهذا دائماً هناك شبه كبير بين تعامل المفتي مع الأديان وتعامل الطبيب مع الأبدان.

ثالثاً: العلم بالأحكام الشرعية المتعلقة بالنازلة:

ومن معالم المنهجية الواجب اتباعها في الفتاوى في النوازل - بعد الاطلاع على النازلة بتفصيلاتها كما سبق - أن يكون المفتي أو المجتهد على علم بالأبواب الفقهية والمسائل التي تندرج تحتها النازلة إن كانت مما يندرج تحت باب أو يتخرج على مسأله.

وهذا يدعونا للحديث عن مدى جواز تجزئة الاجتهاد، بمعنى هل يجوز للمجتهد أن يكون مجتهداً في باب واحد فقط من أبواب الفقه أم لا بد من توفر شروط الاجتهاد في كل الأبواب بلا تجزؤ؟ وهناك من الأصوليين من يرى الجواز، وهو حديث موجود في كل كتب الأصول في باب الاجتهاد والتقليد؛ فيجتهد المجتهد في أحكام الأسرة، أو في أحكام الجنایات، أو في أحكام السياسة الشرعية ونحو ذلك، وهذا يتطلب الإحاطة

(١) المرجع السابق ٤ / ١٤٦.

الكاملة بفروع هذا الباب وما يتعلق به من قواعد وأحكام ومقاصد.

وقد تكون النازلة جديدة غير مسبوقة؛ فيتلمس لها المجتهد بعلمه وخبرته وملكاته ومهاراته حكم الشرع لها من خلال ما استقر لديه من الكليات والمعاني والمقاصد وروح التشريع بشكل عام.

وهذا لا يتمكن منه كل فقيه، وإنما من خبر أحكام الشرع وعالجها وعاشها حتى تكونت له ملكة تمكنه من ذلك، وفي هذا يقول العز بن عبد السلام: «ومن تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفسد، حصل له من مجموع ذلك اعتقاد أو عرفان بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها، وأن هذه المفسدة لا يجوز قربانها، وإن لم يكن فيها إجماع ولا نص ولا قياس خاص، فإن فهم نفس الشرع يوجب ذلك، ومثل ذلك أن من عاشر إنساناً من الفضلاء الحكماء العقلاء وفهم ما يؤثره ويكرهه في كل ورد وصدر ثم سنحت له مصلحة أو مفسدة لم يعرف قوله فإنه يعرف بمجموع ما عهده من طريقته وألفه من عاداته أنه يؤثر تلك المصلحة ويكره تلك المفسدة، ولو تتبعنا مقاصد ما في الكتاب والسنة، ولعلمنا أن الله أمر بكل خير دقه وجله، وزجر عن كل شر دقه وجله، فإن الخير يعبر به عن جلب المصالح ودرء المفسد، والشر يعبر به عن جلب المفسد ودرء المصالح»^(١).

فإذا كانت المسألة النازلة أو المستجدة تقع في باب العبادات فيجب استحضار مسائل العبادات ومقاصدها ومراد الشارع العام منها، وإذا كانت تقع في أحكام الأسرة فعلى هذا النحو، وهكذا في الأبواب كلها.

وفي نازلة كورونا نجد أنها تتصل بأحكام المساجد وصلوات الجمع والجماعات والعيدين والتراويح وأحكام الصيام وأحكام الحج وأحكام العلاقات الاجتماعية والزوجية والمخالطة والمعاشرة، وهناك أحكام

(١) قواعد الأحكام في إصلاح الأنام: ١٦٠/٢. تحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي. دار المعارف بيروت - لبنان.

الزيارات والجناز وتغسيل الموتي المصابين بالفيروس والدفن ومدى جواز حرق الجثث، إلى غير ذلك من أحكام.

فيجب على الفقيه الذي تأهل للنظر ويتصدى للإفتاء والاجتهاد أن يكون محيطا إحاطة كاملة بهذه المسائل ويستحضرها ويستظهرها: شكلا وروحا، أحكاما ومقاصد، بالأسباب والشروط والأركان والموانع والعزائم والرخص والصحة والفساد والبطلان؛ حتى يتمكن من التخيير والإلحاق، أو الاجتهاد من جديد إنشأء؛ مستحضرا مقاصد الشارع من الباب الذي تنتمي له المسألة محل الاجتهاد والنظر والإفتاء.

رابعا: رعاية المقاصد:

ومن المعالم المنهجية في الإفتاء في النوازل رعاية مقاصد الأحكام؛ فإنها ضابطة للعقل الفقهي، وناظمة لحركة الإفتاء والنظر في النصوص والاستنباط منها، فوظائف المقاصد متنوعة ومهمة ومحورية.

وهذا ما حدا الإمام الشاطبي أن يحرص مقومات درجة الاجتهاد في وصفين: فهم مقاصد الشريعة فهما تاما، والقدرة على الاستنباط في ضوئها، يقول: «إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين:

أحدهما: فهم مقاصد الشريعة على كمالها، والثاني: التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها.

أما الأول؛ فقد مر في كتاب المقاصد أن الشريعة مبنية على اعتبار المصالح، وأن المصالح إنما اعتبرت من حيث وضعها الشارع كذلك، لا من حيث إدراك المكلف؛ إذ المصالح تختلف عند ذلك بالنسب والإضافات واستقر بالاستقراء التام أن المصالح على ثلاث مراتب، فإذا بلغ الإنسان مبلغا، فهم عن الشارع فيه قصده في كل مسألة من مسائل الشريعة، وفي كل باب من أبوابها فقد حصل له وصف هو السبب في تنزله منزلة الخليفة للنبي صلى الله عليه وسلم في التعليم والفتيا والحكم بما أراه الله.

وأما الثاني: فهو كالحادم للأول؛ فإن التمكن من ذلك إنما هو بواسطة معارف محتاج إليها في فهم الشريعة أولاً، ومن هنا كان خادماً للأول»^(١).

ونص الشاطبي هذا واضح وجلي ومعبر عن المراد بهذا المعلم، وأهميته في النظر الشرعي، ومحوريته في الاجتهاد وشرعيته وصحته.

فإذا لم تنهياً التربة الصالحة التي هي «الحكم الوضعي» بوجود أسبابه وتحقق شروطه وانتفاء موانعه، فلا يمكن أبداً أن يتنزل الحكم التكليفي من علياء سمائه إلى واقع أرضه؛ حيث لا محل له يتنزل عليه، وإذا تنزل بجهل فسوف لا يتحقق مقصوده بل ربما حقق ذلك مفسد فردية وجماعية، وهو ما يشوه مبدأ صلاحية الشريعة، ويغض الدين للناس في النهاية، في الوقت الذي لا نملك فيه وقت فراغ لمعالجة آثار الاجتهاد المنحرف والإسلام وشرعيته تهاجم ليل نهار.

وقد أشرنا في البند الثالث إلى أهمية المقاصد في الاجتهاد في المستجدات والنوازل التي ليس لها حكم سابق، فالأحكام الشرعية للوقائع والمستجدات التي ليس عليها دليل خاص، يحكم فيها بمقتضى المقاصد الكلية والغايات العامة، فتبنى أحكامها على أساس اتفاقها أو عدم اتفاقها مع تلك المقاصد، فما كان موافقاً ومحققاً لها أخذ به وصار تحصيله مطلوباً، وما كان مخالفاً ومناقضاً لها لا يلتفت إليه وفي ذلك يقول الشاطبي: (كل أصل شرعي لم يشهد له نص معين وكان ملائماً لتصرفات الشرع ومأخوذاً معناه من أدلته فهو صحيح يبني عليه ويرجع إليه إذا كان ذلك الأصل قد صار بمجموع أدلته مقطوعاً به؛ لأن الأدلة لا يلزم أن تدل على القطع بالحكم بانفرادها دون انضمام غيرها إليها... فإنه وإن لم يشهد للفرع أصل معين فقد شهد له أصل كلي، والأصل الكلي إذا

(١) الموافقات للشاطبي: ٥/٤١-٤٣. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفا. الطبعة الأولى. ١٤١٧هـ/

كان قطعياً قد يساوي الأصل المعين وقد يربى عليه بحسب قوة الأصل المعين وضعفه، كما أنه قد يكون مرجوحاً في بعض المسائل حكم سائر الأصول المعينة المتعارضة في باب الترجيح»^(١).

ومن هنا فإن رعاية المقاصد والمعاني الكلية والأصول العامة في الاجتهاد تؤثر تأثيراً كبيراً وأساسياً في التطبيق الصحيح للحكم، والتنزيل السليم له، بما يحقق مقصوده وغاياته التشريعية، وإذا لم تراعى المقاصد في الاجتهاد: فهما وتأصيلاً وتنزيلاً، فسوف نواجه أخطاء فادحة في هذه المستويات جميعاً: سنواجه انحرافاً في الفهم، واعوجاجاً في التأصيل، وأوهاماً في التنزيل، بما يفضي إلى عدم تحقيق المقصد من الحكم، بل أحياناً تفضي عدم رعاية المقاصد إلى تحقيق العكس من مقصود الحكم.

خامساً: رعاية المآلات:

قد يكون المجتهد متمكناً من استيعاب النازلة، وقد يكون متضلعا من علوم الشريعة ومتحققاً بمقومات الاجتهاد وشرائطه، ومراعياً للمقاصد ومقتضياتها، ولكنه لا يملك مهارة التنزيل التي تتضمن النظر إلى الموازنات بين المصالح بعضها وبعض، والمفاسد بعضها وبعض، والمصالح والمفاسد، وكذلك رعاية المآلات واعتبارها قبل التنزيل وأثناء التنزيل.

فقد يكون الأمر واجباً ثم يتحول إلى حرام بسبب ما يفضي إليه من مآل فاسد أو ضار، وقد يكون محرماً لكنه يباح أو قد يصل للوجوب بسبب رعاية المآل، وهكذا.

ولهذا قرر الإمام الشاطبي أن: «النظر في مآلات الأفعال معتبر، مقصود شرعاً كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد

(١) الموافقات للشاطبي: ٣٢١-٣٣٠.



نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك، فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية، فربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى المفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعاً من إطلاق القول بالمشروعية وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم مشروعية ربما أدى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية وهو مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه عذب المذاق محمود الغب، جار على مقاصد الشريعة^(١).

ونجد أمثلة تطبيقية نبوية كثيرة في هذا، مثل: عدم هدمه للأصنام في صحن الكعبة وهم في المرحلة المكية، وعدم قتله للمنافقين حتى لا يتحدث الناس أن محمد يقتل أصحابه، وعدم بناء البيت على قواعد إبراهيم لحدثان عهد قومه بالإسلام، وهكذا فعل النبي ذلك وغيره رعاية للمآلات.

سادساً: الحفاظ على توقيفية العبادات في هيئة أدائها:

من الضوابط المنهجية الخاصة بنازلة كورونا: الحفاظ على توقيفية العبادات وبخاصة في هيئة أدائها، فقد ظهرت فتاوى - أغلبها فردي - تبيح الصلاة خلف المذيع، وتبيح الصلاة خلف البث المباشر، وهذا فيه مخالفة للهيئة الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها، وهو الذي قال: «... وصلوا كما رأيتموني أصلي...»^(٢).

ومن المعلوم أن العبادات توقيفية، واختراع هيئة جديدة للعبادة يعتبر نوعاً من الإحداث في الدين، لا سيما في فريضة مثل صلاة الجمعة

(١) الموافقات: ١٧٧-١٧٨.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأذان. باب الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة، والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: الصلاة في الرحال، في الليلة الباردة أو المطيرة.

التي لها بديل وهو صلاة الظهر، وكذلك في النوافل التي ليس من الضروري أن تصلى جماعة ويسع المسلم أن يصليها فرداً.

ويكون الحفاظ على هذه الهيئة بقدر الإمكان وبقدر المستطاع، وهناك من القواعد الفقهية ما يسند ذلك، ومنها: لا تكليف إلا بمقدور، وما لا يدرك كله لا يترك جله، والميسور لا يسقط بالمعسور، والمشقة تجلب التيسير، والضرورات تبيح المحظورات، وغير ذلك.

وبهذه المعالم يكون المجتهد أقرب للسلامة، ويكون الاجتهاد أدنى للصحة، وتكون الفتوى محققة لمقاصدها: صحةً في النظر، وتحقيقاً للمنط، واستيعاباً للواقع، وتحكيماً للمقاصد، ورعاية للمآلات، وحفاظاً على توقيفية العبادات في هيئة أدائها، والله تعالى أعلى وأعلم أحكم.



أهم المراجع:

- = إعلام الموقعين عن رب العالمين. للإمام ابن قيم الجوزية. تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- = ترتيب المدارك وتقريب المسالك. أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي. المحقق ابن تاوويت الطنجي. مطبعة فضالة المحمدية. المغرب. ١٩٦٥م.
- = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري. لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي). الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- = الخصائص العامة للإسلام. لشيخنا الإمام يوسف القرضاوي. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية. ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.
- = الرسالة. محمد بن إدريس الشافعي. تحقيق أحمد شاکر. مكتبة الحلبي، مصر. الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ / ١٩٤٠م.
- = قواعد الأحكام في إصلاح الأنام. عز الدين بن عبد السلام السلمي. تحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي. دار المعارف بيروت - لبنان.
- = مقاصد الشريعة الإسلامية. محمد الطاهر ابن عاشور. دار السلام. القاهرة. ١٤٢٧هـ. ٢٠٠٦م.
- = الموافقات للشاطبي. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان. الطبعة الأولى. ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.



ضوابط مكافحة كورونا بين الضرورات والأولويات والكفايات

د. عبد الجواد حردان^(١)

جامعة سوتشو إمام - تركيا

abdulcevadhardan@gmail.com

ملخص:

لكل من الدولة والفرد والمجتمع أولويات، وعندما تتعارض ويتعذر دفع المفسد العامة إلا بتفويت المصالح الخاصة تُضطر إلى دفع أعظم الضررين بارتكاب أخفهما، والأصل أن درء المفسد مقدم على جلب المصالح عند تعذر الجمع، ولما غدت عدوى كورونا جائحةً تهدد حفظ نفس الفرد والمجتمع من الهلاك وحفظها من أهم المقاصد الشرعية بل هو أهمها عند بعضهم^(٢)، أمكن القول بأن الضرورة قد تحققت؛ فلا بد من دفعها لكن بضرر أخف منها، فإذا كان احتمال الهلاك في العدوى ٣٪ فالموازنة تقتضي حساب الهلاك الناتج عن الإجراءات الوقائية المانعة لانتشار العدوى في ضوء ما تقدمه الدولة والمحسنون وأرباب فروض الكفاية من بدائل تسد الرمق وتحفظ للإنسان الحد الأدنى من مقومات الحياة، وهو حسابٌ تختلف تقديراته من بلد إلى آخر؛ وعندئذٍ تعدو الموازنة بين ضروريات حفظ النفس وأولويات الفرد والمجتمع والدولة أقرب إلى الصواب، فتقتضي مخرجات هذا التفاضل بتحديد نسب الضرر المحتملة التي يجوز إلحاقها بكل من الفرد والمجتمع والدولة، ثم تأتي فروض الكفاية في حالات الطوارئ؛ لتفرض إجراءات تخفف الأعباء عن أطراف العقد الاجتماعي جميعاً من وجهه، وتضيق عليهم في أمور أو تكلفهم بأخرى على سبيل فرض الكفاية من وجه آخر علماً أنها لم تكن واجبة عليهم قبل نزول الجائحة.

وأما الوقائع والصور التي تمثل ضرورات الضروريات فهي على درجات، وكذا القول في الأولويات فقد يبلغ بعضها درجة الضروريات، ومنها ما يكون في مستوى الحاجيات أو التحسينيات، وأمّا فروض الكفاية الملزمة للقادرين فتتناسب درجاتها ومقاديرها مع كل من الضروريات والأولويات طرداً وعكساً منعاً للضرر بأطراف العقد الاجتماعي ودرءاً للضرر عن الملزمين بفروض الكفاية المستحدثة بعد نزول جائحة كورونا.

وأساس الموازنة بين هذه الثلاثية في مكافحة كورونا هو التماس العدل النسبي المقدر عليه في ضوء ما يمكن رصده من دلائل وأمارات هادية إليه في التشريع ومقاصده

(١) مدرس طرائق التدريس وأصول الفقه بكلية الإلهيات في جامعة سوتجي إمام - قهرمان مرعش، وجامعة طرابلس، ورئيس قسم التربية في أكاديمية مكة ٢٠١٣م دكتوراه في «المناهج وطرائق التدريس» بتقدير مرتبة الشرف الأولى. ٢٠١٠م دكتوراه أصول الفقه، قيد المناقشة في جامعة الأزهر. وله عشرات الكتب والبحوث، منها: العربية الحديثة للناطقين بغيرها (٧ أجزاء).
(٢) بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب: الأصفهاني، (٤٠٢/٣).

وكلياته الخمس.

وللبحث عن ضوابط مكافحة كورونا على هدي هذه الثلاثية تسعى الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما الضوابط التشريعية التي توازن بين الضروريات والأولويات في مكافحة كورونا؟
٢. ما الموازين التشريعية التي تحفظ بقاء أعلى حدٍّ من الأولويات ولا تخل بالحد الأدنى من الضروريات؟
٣. ما الأسس التي تُتيح استحداث صور جديدة من فروض الكفاية للموازنة بين الضروريات والأولويات؟

كلمات مفتاحية:

فقه الأولويات، مقاصد التشريع، فرض الكفاية، مكافحة العدوى، ضوابط تشريعية، موازين تشريعية، الضروريات، الضرورات، كورونا كوفيد ١٩.

١. إجراءات الدراسة

تعالج الدراسة المسائل المطروحة بناءً على مسلمات تشريعية لا تختلف عليها الشرائع، فاقتضى ذلك الشروع بالأوجه التي يقوم عليها حفظ الكليات الخمس لدى مكافحة كورونا، ودلَّ استقراء الوقاية والعلاج على هدر أولويات فردية ومجتمعية لم يكن الناس ليستغنوا عنها يوماً ما لولا احتمال معارضتها لما هو أهمُّ للفرد والجماعة سواء بسواء، ولما تبين أنَّ حفظ الضروريات وأساس الأولويات ممتنع عادةً إلا بالتكافل والتعاون برزت أهمية فرض الكفاية لسدِّ باب الفاقة والعوز وحماية الأمة من الوباء، فكان لزاماً بحث الضروريات والأولويات والكفايات في ثلاثة مباحث أقدم بين يديها ما لا يسعُّ الباحثُ إغفاله كمصطلحات البحث وأسئلته وأهدافه وفروضه ومنهجه وما فيه من دراسات سابقة.

١,٢ مشكلة الدراسة:

تباينت آليات الوقاية والعلاج من جرثومة كورونا تبايناً عكس القدر المتفق عليه والمختلف فيه بين الدول في المبادئ والقيم والموازين الملحوظة في رعاية المصالح العامة والخاصة، فبين الإفراط والتفريط

تنوعت تلك الإجراءات على نحوٍ أظهر ضرورة البحث عما في التشريع الإسلامي من أصولٍ وقواعدٍ وقيمٍ وتنظيمٍ موجّهٍ يقدّم للعقل البشري دعمًا في رسم الطريق الأمثل؛ لاستكشاف معالم العدل والاعتدال في طرائق الوقاية والعلاج بلا ضرر ولا ضرار، فاقتضت هذه الدعوى بحث مشكلة الدراسة في فقرتين:

أ- الإحساس بمشكلة الدراسة

ب- أسئلة الدراسة

١،١،٢ الإحساس بالمشكلة:

للسباق الفردي والدّولي في اكتشاف دواءٍ أو لقاحٍ لجرثومة كورونا وجهٌ حميدٌ شرعًا لأنه وسيلةٌ لإحراز ما به صلاح النفس البشرية ودرء الهلاك عنها، وللوسائل حكم المقاصد؛ فهو يحمل على البحث الحثيث عن أسباب الوقاية والعلاج، ويقدم للعلماء التمويل اللازم؛ لتحقيق هذا الهدف، لكن لهذا السباق وجه آخر مشؤوم كشفت عواره المنافسة السياسية والاقتصادية، وبرهنت على ذلك بقرصنة بعض الدول لبياناتٍ علمية واحتكار باحثين أو مؤسسات متخصصة لبيانات ومخرجات جزئية قد تسهم في سرعة بلوغ باحثين آخرين إلى الهدف. لو أنّ تلك المعلومات تحررت وتداولتها مراكز البحوث والمختبرات والشركات الصناعية على نطاق واسع أو بمنهج منضبط مشروط؛ يجمع بين تحرير البيانات من قيود الأنانية والنظرة القاصرة والاحتكار والتوظيف السياسي وبين ضبط هذا التحرير ضبطًا يمنع التنازع المحموم والاستغلال المذموم لجهد الآخرين.

ولما كان الدواء واللقاح ضرورة قائمة لوقاية الأرواح من هلاك واقع أو متوقع تعيّن البحث عن ضوابط تضع للبشرية منهجًا تعاونيًا، يجمع لها إيجابيات السباق والمنافسة أنفة الذّكر ويذبُّ عنها سلبياتها، وهو ما افترضته الدراسة في فروض الكفاية ودفع الضرر ومنع الضّرار ودرء المفسدة

وجلب المصلحة في كليات التشريع القائمة على تقديم حفظ النفس. وأما الوقاية من كورونا فلها وسائل عدة نجم عنها تعارض بين المصلحة الخاصة والعامّة، وقامت على درء الضرر عن النفس سواء في ذلك الواقع والمتوقع والموهوم ملتزمةً بإضرارٍ نسبيٍّ محققٍ تفاوتت درجاته، قد ألحقته بالأفراد والمجتمعات في النفس والعقل والنسل والمال والدين، ولدى النظر في التشريع الإسلامي يتبين ما تتضمنه قواعده ومقاصده من إسهاماتٍ افترضت الدراسة أنها تضمن التوازن في حفظ الكليات الخمس، وتقوم على موازنة لا تخطئ أحداً من أطراف العقد الاجتماعي أيّاً كان موقعه.

٢,١,٢ أسئلة الدراسة:

تستدعي الدعاوى السابقة والفروض اللاحقة تقديم براهين مفصلة على صدقها ليحكم لها أو عليها، وقد حصر البحث الاستدلال والبرهان في تقديم إجابة عن الأسئلة التالية:

* ما الضوابط التشريعية التي توازن بين الضروريات والأولويات في مكافحة كورونا؟

* ما الموازين التشريعية التي تحفظ بقاء أعلى حدّ من الأولويات ولا تخل بالحد الأدنى من الضروريات؟

* ما الأسس التي تُتيح استحداث صور جديدة من فروض الكفاية للموازنة بين الضروريات والأولويات في مكافحة كورونا؟ وثمة أسئلة لا تنفك عن موضوع الدراسة، إلا أنّها جديرة ببحث آخر له أدوات بحثية خاصة به، وتلك الأسئلة هي:

* ما نسب الضرر المحتملة التي يجوز إلحاقها بكل من الفرد والمجتمع والدولة في مكافحة كورونا؟

* ما الإجراءات الواجب فرضها في حالات الطوارئ، لتخفيف الأعباء عن أطراف العقد الاجتماعي جميعاً من وجهٍ وتضييقه عليهم وعلى القادرين منهم في أمورٍ أخرى على سبيل فرض الكفاية بسبب نزول الجائحة؟

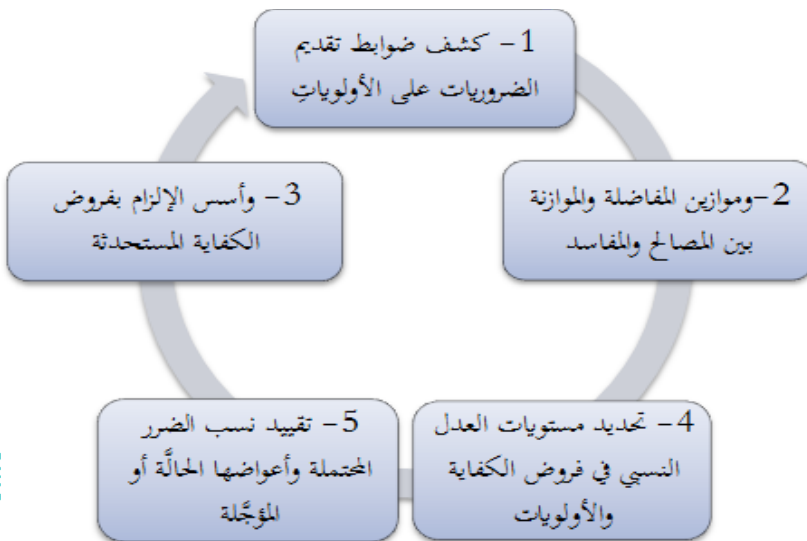
٢,٢ منهج الدراسة:

وصفي: التزمت الدراسة المنهج الوصفي في بيان الضوابط الشرعية لمكافحة كورونا.

مقارن: اعتمد البحث المنهج المقارن في الاستدلال على المقاربة التي استنبطها الباحث من النصوص والمقاصد العامة.

تحليلي: جرى سبر الوقائع والإجراءات والأدلة المستنبطة ثم تحليلها بتنقيح مناطها قبل تحقيقه وإسقاط النص على الواقع؛ وهو منهج يعين الباحث على استخلاص مخرجات مبرهن عليها شرعاً، ويستبعد العامل الذاتي والتصورات الخاطئة والفروض الوهمية العارية عن البرهان.

٣,٢ أهداف الدراسة:



٤,٢ فرضيات الدراسة:

يتجه البحث إلى اعتماد التخطيط لاحتمالات المكافحة الشاقة طويلة المدى؛ فيفترض أنه:

* لا وقاية من كورونا إلا بإلغاء أولويات الفرد والمجتمع جزئياً أو كلياً.

* لا طاقة للفرد والمجتمع والدولة بتحمل كل منهم المسؤوليات وحده على المدى البعيد.

* لا علاج لكورونا في القريب المنظور مع احتمال إدراجه في قائمة الأمراض الدائمة.

* لا مناعة لقاحية من كورونا على مستوى العالم إلا بعد فترة أطول من اكتشاف العلاج.

* لا طاقة للمؤسسات الوقاية والعلاج باستيعاب الجميع وحفظ أرواحهم كلهم.

لا يمتنع أن تتكاثر الجرثومة ويتناسل منها جيل جديد يساويها أو يزيد عليها في الخطر؛ فتتضاعف مراحل الوقاية والعلاج وما ينجم عنهما من أعباءٍ وتعارض في المصالح العامة والخاصة الداخلية والخارجية.

٥,٢ مصطلحات الدراسة:

ضوابط مكافحة كورونا: الحدود والقيود والأسس والمبادئ الشرعية التي تضبط عملية الوقاية والعلاج من جرثومة كورونا (كوفيد ١٩) ونحوه من الأمراض المعدية.

الضروريات إجرائياً: مستويات في العلاج والوقاية لا بدّ منها لحفظ الكليات الخمس وخاصةً نفس الفرد والجماعة من الهلاك وأسبابه.

الضرورات إجرائياً: أحوال استثنائية محظورة تمر بها عمليات

الوقاية والعلاج، ويعارضها وقوعُ محذور أو ترك واجبٍ أو إهدارُ حقٍّ للشخص نفسه أو لغيره أو للجماعة، فيرخص بها منعا لوقوع ضررٍ أكبر أو تفويت مصلحةٍ أعظم، ويلاحظ أن مصطلح الضرورات ليس مرادفاً لمصطلح الطوارئ وإن اجتمعا أحياناً، فالطوارئ أخصُّ لأنها وقائع ما تزال تحدث وتتشكل ولم تكتمل، وتقتضي سرعة في اتخاذ القرار، وأكثرها أكبر من الاستعداد والطاقات المتاحة لأنها تأتي على حين غرة بما لم يسبق التخطيط له، أما الضرورة فهي حالة قد تبيّنت واستقرت غالباً.

فقه الأولويات: تحديد عادل لمرتبة كلِّ مفردة في الكليات الخمس، وتقديم الأولى فالأولى منها وفقاً لتسلسل الضروريات والحاجيات والتحسينيات باعتماد معايير شرعية صحيحة، فلا يقدم غير المهمِّ على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا المرجوح على الراجح، ولا يكبر الصغير ولا يصغر الكبير، بل يوضع كل شيء في موضعه بموازين العدل والاعتدال.

الأولويات إجرائياً: مراتب الضروريات والحاجيات والتحسينيات في حفظ نفس الفرد وماله ونسله وعقله ودينه، وتحديد الأهم والمهم منها لدى هذا الفرد، وتقديم ما حقه التقديم، وتأخير ما حقه التأخير عنده أثناء إجراءات الوقاية والعلاج الفردية والمجتمعية التي تقوم بها المؤسسات.

الكفايات إجرائياً: إلزام المكلفين كافة بمساعدة الناس كافةً؛ لبلوغ حدِّ الكفاية في الوقاية والعلاج ودرء آثارهما على الحياة، إلزاماً يشمل القادرين بالمباشرة وغير القادرين بإعانة القادرين، ويسقط الطلب عن الباقين بحصول مقاصد هذه الفريضة، ويأثم القادرون جميعاً إن تركوها كلاً أو جزءاً تركاً يفوت مقاصدها كلياً أو جزئياً.

٢. مدخل إلى موضوع الدراسة:



يقتضي الحد من انتشار عدوى الأوبئة ضرورة الالتزام والإلزام بإجراءات وقائية تحفظ ضروريات الكليات الخمس للفرد والأمة حالاً ومالاً أخذاً بقاعدة سدّ الذرائع، وكل ما يفضي إلى مفسدة قطعاً أو غالباً أو بكثرة كما في عدوى كورونا كوفيد ١٩، لكن المشكل أنّ هذه الإجراءات قد تؤدّي إلى خلل أو هدرٍ لبعض مراتب تلك الكليات من حاجيات أو تحسينيات، وأحياناً تفضي إلى خللٍ أو هدرٍ في ضروريات الفرد أيضاً، ومثل هذا أيضاً يقع في أحوالٍ تتعارض فيها مصلحة تداوي فردٍ موبوءٍ بآخر مبتلى بمرضٍ آخر مُهلك، وقد ساوت الشريعة الإسلامية في حالة الاختيار بين حفظ نفس الفرد وحفظ نفوس الأمة، وجعلت قتل فردٍ قتل الناس جميعاً والعكس صحيح ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] لكن الأليق يقتضي التشبيه أن يكون وجه الشبه في المشبه به أقوى منه في المشبه، فحياة الناس جميعاً والفرد المشرف على الهلاك منهم أقوى في الاعتبار من حياته؟ هذه المسألة لا تطرح في الشريعة في حالة الاختيار؛ فإنّ الأرواح تتساوى، ولا فرق بين روح فرد وأرواح الناس جميعاً، فيمتنع التضحية بفردٍ ولو من أجل الناس جميعاً في حالة الاختيار؛ لذلك تقتضي الشريعة بقتل الجماعة بالواحد قصاصاً أيّاً كان عدد القتلة، روى مالك «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَتَلَ نَفْرًا خَمْسَةً أَوْ سَبْعَةً بِرَجُلٍ وَاحِدٍ قَتَلُوهُ قَتْلَ غِيلَةٍ، وَقَالَ عُمَرُ: لَوْ تَمَّ أَلَّا عَلَيْهِ أَهْلٌ صَنَعَاءَ لَقَتَلْتُهُمْ جَمِيعًا»^(١)، وأما في حالة الاضطرار لحفظ النفس، أو العرض أو الدين، كما في الجهاد ودفع الصائل فلها نظر آخر يأتي فيه تفصيل القول في أحوال الجهاد بين فرض الكفاية وفرض العين، ويعود النظر في بعضه إلى ترجيح الفرد لضرورة على آخر ببدلٍ أخرويٍّ؛ فله أن يقاتل الصائل وله أن يصير فيغدو مقتولاً شهيداً (فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنِي

(١) الموطأ: مالك، رقم (١٣)، (٢/ ٨٧١).

آدم^(١)، وإنما وقع خلاف الفقهاء في التقديم والتأخير والإقدام والإحجام عند قيام حالة الاضطرار مع التزاحم كما في إغراق فردٍ لإنقاذ ركاب السفينة إذا توقف إنقاذهم على ذلك، وإطعام أحد المضطرين دون غيره من طعامٍ لا يكفي لكليهما، وعلاج أحدهم وتقديمه على مرضى آخرين في حالة كهذه، وضرب عدوٍ تترس بمن لا يجوز قتالهم من معصومي الدم الذين لا يقاتلوننا كالأطفال والنساء والشيخ والمسلمين.

وللبدل الأخرى لمن يؤمن به قدره عند الامتثال للشرع في التدابير الوقائية التي تقي الآخرين من عدوى الأوبئة، ولو عري الأمر عن إلزام ولي الأمر «فَلَيْسَ مِنْ رَجُلٍ يَقَعُ الطَّاعُونَ، فَيَمُكُّثُ فِي بَيْتِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ»^(٢) قال ابن حجر: «اقتضى منطوقه أن من اتصف بالصفات المذكورة يحصل له أجر الشهيد وإن لم يمت بالطاعون»^(٣).

وأما البدل الدنيوي وهو عوض المثل في الضرر القسري الواقع بأطراف الواقعة، ونفقات الوقاية والعلاج، وأعواض المصالح الفردية المهذرة؛ فهذه لها ما يفي بها إما من بيت المال والزكاة المعجلة، وإما من المكلفين بالإنفاق على أقاربهم والقادرين على فروض الكفاية بالمباشرة وغير قادرين بإعانة القادرين؛ فالبديل إذاً أخروي ودنيوي، والدنيوي على مراتب أعلاها مثل المفقود، وأدناها حفظ ما هدر مما من شأنه أن يحفظ ضروريات النفس والنسل والعقل والمال ثم حاجياتها ثم تحسينياتها إن أمكن، ومن يجب عليهم دفع العوض الضروري الذي لا تقوم الحياة إلا به لهم مراتب أولهم الأقارب الذين تلزمهم نفقات ذويهم من أصول وفروع وحواش، ثم الزكاة الحائلة والمعجلة لسنة أو أكثر إن شاء المزي، يليها ما



(١) سنن أبي داود، رقم (٤٢٥٩)، (١٠٠/٤)، قال المحقق: صحيح.

(٢) مسند أحمد، رقم (٢٦١٣٩)، (٢٣٥/٤٣)، قال المحقق: إسناده صحيح على شرط البخاري.

(٣) فتح الباري: ابن حجر (١٠/١٩٤).

زاد في بيت المال عن حاجة المسلمين، ثم استحدثت ضروب كافية من فروض الكفريات^(١) عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: إِنَّ فِي الْمَالِ لِحَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ، وَتَلَا هَذِهِ آيَةَ: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ١٧٧]^(٢).

٤. مكافحة كورونا بين الضروريات والأولويات والكفريات

قد يقع التعارض بين الضروريات نفسها عند تواردها على محلٍّ واحدٍ لأكثر من فردٍ، أو تنازع أكثر من جهة وتعذر الوفاء بمصالحهم جميعاً كما إذا كان عدد من يلزمهم جهاز التنفس من مرضى كورونا أكثر من الأجهزة المتاحة، أو كانت الضرورات تقضي بحتمية مداوي عددٍ من المرضى بمرض كورونا وأمراض أخرى لا طاقة للمستشفيات باستقبالهم جميعاً، وقد يفترض التزاحم بين ضروريات فردٍ وحاجيات أمةٍ تضم في طياتها ضروريات بعض أفرادها كما في مريض مشرفٍ على الهلاك بمرض غير كورونا والإجراءات الوقائية لحماية الأمة من انتشار العدوى، ومنها حظر التجول والحجر الصحي وترك مداواة أمراضٍ أخرى مُهَلِكَة لدرء تمدد مساحة كورونا في الأمة واحتمال هلاك بعض من يصاب منهم بهذه العدوى ولو أن نسبتهم قليلة لا تزيد على ٣٪.

هذا الضرب من التعارض يفرض قيام موازنة علمية دقيقة لا تفاضل بين الناس معصومي الدم بل تتساوى فيها ضروريات حفظ الأنفس، وتقدّم على حاجياتها وتحسينياتها، ناهيك عن تقديمها على ما سواها من الكليات، وكلّما أمكن درء التعارض باستحداث موازنة ترعى الضروريات كلها ولا تهدر منها شيئاً، وتحفظ للناس أولوياتهم أيضاً- وجبت ولو اقتضى ذلك استحداث فروض كفايةٍ على القادرين- عوناً

(١) مقاصد الشريعة: ابن عاشور، ص ٣٨٣.

(٢) تفسير الطبري جامع البيان، رقم (٢٥٢٥) (٣/٣٤٢)، التفسير من سنن سعيد بن منصور، رقم (٩٢٦)، (١٠/٥). قال المحقق: إسناده صحيح، ولم يصح رفعه.

للمضطرين أو تعويضًا للمتضررين بقدر لا طاقة لهم بخسرانه ولا يغتفر مثله لمثلهم؛ فبين رعاية الضروريات وأعواض الأولويات أورايتها إن كانت ضرورية وبين الكفايات تلازم شرعي يعتبر بأحوال أخرى مثيلة له أو شبيهة به.



١،٤ الضروريات والأولويات:

تقدّم أنّ الأولويات على مراتب مرتّبة: الضروريات فالحاجيات ثمّ التحسينيات، ومن أولويات الفرد ضروريات قد تعارضها مثلها للجماعة فيلزم الجمع أو الترجيح، ناهيك عن أن مجموع أولويات الفرد من الحاجيات والتحسينات ينتهض أن يكون كل واحد منهما فردًا من أفراد الضروريات^(١)، وقد يلزم من اختلال التحسيني بإطلاق أو الحاجي بإطلاق اختلال الضروري بوجه ما^(٢).

وينبغي تحديد معايير تصنيف الأولويات لتجري الموازنة في أفراد الواجبات، وصور المصالح، وأنواع المفاسد، وبين المصالح والمفاسد، وبين

(١) الموافقات: الشاطبي (٤١/٢).

(٢) المصدر السابق (٣١/٢).

الفعل القاصر والمتعدي أو الخاص والعام، وبين حالات الضرر والإضرار، على ذلك ضبط قواعد الترجيح بين مرضى كورونا وغيرهم ثم بين مرضى كورونا أنفسهم، وبعد تقدير أحوال المرضى وظروفهم واستجاباتهم للتداوي ونسب إنقاذهم وأعدادهم ومالكي الأجهزة منهم، فإن الترجيح يستند إلى أسس أهمها حفظ النفوس، والمساواة بينها، ومقصد المحافظة على الحياة كما في إسعاف المضطر، وتقديم رعاية جزئية بديلة عن الأجهزة؛ فيُنظر في الترجيح عند التزاحم إلى مرجّحات مثل الأوج والأرجى بُرءًا والأمراض المزمنة والأضعف مقاومةً، والمشرف على الهلاك والميؤوس منه والحي يانعاش الجهاز فقط، والأكثر نفعًا في مجال حفظ النفس كالمريض المتخصصين في الطب وصناعته؛ ومردُّ ذلك كله إلى أنّ أولويات الوقاية والعلاج في الضروريات نفسها معتبرة، وهو ما يوجب النظر في أحوال إحياء النفس بالعلاج ودرجة الحاجة إليه في مرضى كورونا بناء على التشخيص والحالة ومدى نجاعة العلاج؛ فيقع التمييز بين من يتوقع إنقاذه وغيره فيقدم الأول، وبين من أشرف على الهلاك فرُجى شفاؤه وغيره ممن لم يبلغ به المرض هذه المرتبة فيرجح الأول.

ويلزم التمييز بين ضروريات الفرد ومراتب ضروريات الوقاية الجماعية من عدوى تقتل ٣٪ من المصابين كحمل الناس كAFFة على وقاية الناس كAFFة بالعزل والتباعد والحجر، وحظر السفر والتجول والدخول والخروج من منطقة إلى أخرى؛ فيقدر لكل حالة قدرها، فليست كل إصابة بكورونا تقضي بأولوية علاجها أو تقديمها على الأمراض الخطرة الأخرى.

وينبغي أن نوازن بين الإنفاق على مكافحة كورونا وقايةً وعلاجًا، يشملان البحوث العلمية؛ لكشف دواء ولقاح وبين ضروريات أخرى، فيقدم الإنفاق على المكافحة ما دام لا ينجم عن تأخير الإنفاق على غيره ضرر أكبر كما في الإنفاق على شراء الأسلحة وسباق صناعتها، وهكذا

القول في الإنفاق على أسباب التداوي المأمور به شرعاً كالبحث عن الدواء واللقاح وزيادة عدد وسائل حفظ النفس كأجهزة التنفس ونحوها، ولو أنفق على البحث العلمي الطبي مثل ما ينفق على الحروب والأسلحة لكان للطب اليوم شأن آخر في كفاحه للعدوى وقايةً وعلاجاً.

هذه كلها فرضيات في تعارض الضروريات والأولويات، لكن ما موازين الترجيح في المرتبة نفسها وما أدلتها؟ تقدّم أنّ الضروري مقدم على الحاجي عند تعارضهما، أما إذا كانت المصلحتان المتعارضتان في رتبة واحدة؛ فإن كان كل منهما متعلقاً بكليّ على حدة جعل التفاوت بينهما حسب تفاوت متعلقاتهما، لكن هل يقدم ضروري حفظ الدين على ضروري حفظ النفس أم يقدّم الثاني على الأول؟ فيه خلاف سبق، وتقدّم أنّ حفظ النفس أولى عامّةً وفي واقعة كورونا خاصّةً، فحقّ الآدمي مرجح على حقوق الله تعالى لأنها مبنية على الشح والمضايقة وحقوق الله تعالى مبنية على المسامحة والمساهلة، والنفس كما هي متعلق حقّ الآدمي بالنظر إلى بعض الأحكام فهي متعلق حقّ الله تعالى بالنظر إلى أحكام آخر، ولا يمتنع تقديم حقّ الله وحقّ الآدمي على ما تمحض حقّاً لله^(١).

والجمع مقدّم على الترجيح ما أمكن، فإن تعين ترجيح حفظ النفس وأمكن حفظ الدين ببدلٍ عن الأصل وجب، وهكذا القول في مصالح الضروريات وأولويات الأفراد فإنه كلما أمكن الجمع بوجه من الوجوه أو تقديم العوض والبديل وجب.

أما إذا كانت المصلحتان المتعارضتان متعلقتين بكليّ واحد كالدين أو النفس أو العقل؛ فينظر إليهما من حيث شمولهما للناس، فيقدم أعم المصلحتين شمولاً على أضيقتهما في ذلك، ويكون دفع المفسدة أولى من جلب المصلحة، وتتحمل أدنى المفسدتين لدفع أعظمهما، فإذا تعارضت

(١) الإحكام في أصول الأحكام: الآمدي، (٤/ ٢٧٥).

المصلحة مع المفسدة روعي الأغلب منهما، ويجوز ترك واجب لفعل الأوجب أو السكوت على مفسدة لدفع الأفسد عند تعذر تحصيل جميع الواجبات أو دفع جميع المفسد، يقول ابن تيمية: «فإذا ازدحم واجبان لا يمكن جمعهما فقدم أوكدهما لم يكن الآخر في هذه الحال واجباً، ولم يكن تاركه لأجل فعل الأوكد تارك واجب في الحقيقة، وكذلك إذا اجتمع محرمان لا يمكن ترك أعظمهما إلا بفعل أدناهما لم يكن فعل الأدنى في هذه الحال محرماً في الحقيقة، وإن سمي ذلك ترك واجب وسمي هذا فعل محرم باعتبار الإطلاق لم يضر، ويقال في مثل هذا ترك الواجب لعذر وفعل المحرم للمصلحة الراجحة أو للضرورة أو لدفع ما هو أحرم»^(١) «فإذا ازدحمت المصالح والمفاسد، وتعارضت المصالح والمفاسد، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفسد أكثر لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته»^(٢).

وهذا ما جعل حفظ النفوس وسلامتها من عدوى كورونا الواقعة أو المتوقعة المورثة لهلاك بنسبٍ قليلة مقدّماً على أداء الحج هذا العام مثلاً، وعلى حفظ العقل بالعلم والتعليم المباشر لكن لما أمكن تقديم البديل لم يسقط بالتعارض فحل التعليم عن بعد محل التعليم المباشر، وعلى حفظ المال وتثمينه بالتجارة والصناعة مثلاً لكن إن كانت الأعباء بأنواعها مقدوراً عليها وجبت على من تجب عليه النفقة للمضطرين في باب ضروريات حفظ النفس عند العوز وعلى بيت المال والقادرين في فروض الكفاية في ضروريات وحاجيات حفظ المال.

هذا كلّه في تعارض أولويات الضروريات العامة نفسها، فإن تعارضت الضروريات العامّة نفسها وأولويات الأفراد الخاصة أو أولويات

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٢٠/٥٧).

(٢) رعاية المصلحة والحكمة في تشريع نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم: محمد طاهر حكيم، ص ٢٤٥.

المجتمع التقديرية فأياها يقدّم؟ وهل للمرجوح عوض؟

يتعين البحث أولاً في الأولويات المذكورة لتصنف على أنها ضرورية أو حاجية أو تحسينية، فإذا ظهر أنها ليست ضرورية قدمت الضروريات العامة ببدلٍ كما في بعض فروع طلب العلم والتعليم التي لا تندرج في الضروريات، أمّا ما كان ضرورياً لحفظ النفس كالتخصص في الطب والتمريض والصناعة لسدّ حاجة الأمة في أمراض العدوى وقايةً وعلاجاً فهذا من ضروريات حفظ النفس ذاتها ولا يندرج في باب التعارض بين ضرورياتها وضروريات حفظ العقل أو حاجياتها.

وإذا تبين أن أولويات الفرد هذه ضرورية فإن لم تكن من ضروريات حفظ نفسه فالضروريات العامة في مكافحة كورونا وقايةً وعلاجاً مقدّمة، وهذا كما في أولويات الفرد الضرورية في حفظ ماله من الهلاك بالعمل وحفظ العِرض بالزواج أو بالمعاشرة إن كانت زوجته مصابة بكورونا وهو غير قادر على الزواج بثانية أو ثالثة مثلاً.

ويلزم النظر في تعارض الضروريات العامة وأولويات الأفراد الضرورية لحفظ النفس من جهة الغايات والمصالح والمفاسد؛ فإن كانت الضروريات العامة في مكافحة كورونا تحقق لأصحاب الأولويات وغيرهم ما هو أهم من أولوياتهم الخاصة بهم في حفظ أنفسهم فلا ريب أن قاعدة الترجيح بدرء المفسدة الخاصة والعامة تعضد تأخير هذا الضرب الضروري من الأولويات الخاصة مؤقتاً؛ لكون الضروريات العامة أهم للفرد نفسه من تلك الخاصة به، فمن كان خطر إصابته بالعدوى يؤدي إلى موته غالباً لمرض في الرئة عنده واضطر لمداواة مرضٍ آخر يؤدي به إلى الهلاك لاحقاً كالسرطان المبتدئ، ولم يكن للسرطان دواء إلا في مستشفى مكافحة كورونا، فارتفع احتمال إصابته بالمرض وانتقال العدوى ونقلها وموته بها؛ كان للجنة الطبية أو للطبيب المنفرد عندئذٍ ترجيح ما يراه أقل ضرراً على المريض وغيره إلى أجلٍ مسمّى؛ فإن كان إرجاء مداواة السرطان

المتدئ إلى أجلٍ معلومٍ أرجى نفعًا للمريض ولغيره فقد قدّم ضروريًا على آخر يُعدُّ من أولويات الفرد لمرجح راجح عنده، وكلما أمكن الجمع بين مصالح الضروريات العامة وأولويات الفرد الضرورية بوجه من الوجوه فإنه يجب الجمع منعًا للإهدار الكلي لمصلحةٍ يمكن حفظها جزئيًا.

وأما إن لم تكن الضروريات العامة في مكافحة كورونا تحقق لأصحاب الأولويات وغيرهم ما هو أهم من أولوياتهم الخاصة بهم في حفظ أنفسهم، فهل تقدّم الضروريات العامة كمسألة تترس العدو بأسرانا ليتمكن من قتلنا وقتلهم أم لا؟ أم يمتنع التقديم كمنع إغراق أحد الركب لإنقاذ السفينة من الغرق إن تعيّن الإغراق؛ لأنها ليست كلية إذ يحصل بها هلاك عدد محصور وليس ذلك كاستئصال كافة المسلمين، ولأنه لا يتعين واحد للإغراق إلا أن يتعين بالقرعة ولا أصل لها، أم يجوز الاجتهاد في التقديم بناء على الظنون كما إذا نشب حريق في سفينة قوم لا يعرفون السباحة، أم تقدّم ضروريات الفرد كما لو تترس الكفار في قلعة بمسلم فإنه لا يحل رمي الترس إذ لا ضرورة؛ فبنا غنية عن القلعة، فنعدل عنها إذ لم نقطع بظفرنا بها؛ لأنها ليست قطعية بل ظنية^(١).

وكل هذا يستلزم أن يقدر المتخصصون المصالح والمفاسد عند تعارض الضروريات العامة وأولويات الفرد الضرورية؛ فيُنظر أيهما أعظم مفسدةً ثم أيهما له بدل يعوّضه جزئيًا أو كليًا إذا جاز تركه أو إهداره بناءً على ما ذُكر، وهو ما يقتضي موازنة دقيقة بين المصالح والمفاسد أو التكلفة والعائد في مكافحة كورونا وقاية وعلاجًا.

٢،٤ تقديم الضروريات العامة على الأولويات الخاصة (التكلفة

والعائد):

إن الموازنة المنصفة بين الضروريات العامة والأولويات الخاصة

(١) المستصفي: الغزالي (ص: ١٧٦)، المحصول: الرازي (٦/ ١٦٤).

لتقديم ما حقه التقديم، وتأخير ما حقه التأخير توجب حساباً دقيقاً للتكلفة والعائد الناجمين عن مكافحة كورونا في مراحل الوقاية والعلاج كلها، وأيسر الطرق وأجمعها النظر في آثار هذه الإجراءات على الكليات الخمس جملةً نظراً مستجمعاً يغني عن درس تفصيلاتها واحدة واحدة، ففي باب التكلفة يجدر استقراء الآثار الواقعة على جزئيات الكليات التالية:

* هدر مصالح ووقوع مفسد وأضرار مالية عامة وخاصة، ضرورة وحاجية وتحسينية، بعوض أو بلا عوض، فردية أو ثنائية أو مشتركة بين أكثر من جهة، نعم الأصل أنه ليس لأحد أن يمنع أحداً من فعل المباحات مطلقاً كالصناعات والحرف والسفر للكسب وغير ذلك إلا إذا صارت هذه المباحات مصدرًا من مصادر الإضرار بالعمامة فإنه يجوز أو يجب تقييدها^(١)، وهذا كمنع الطيب الجاهل وغيره من أصحاب المهن من ممارسة مهنتهم لجهلهم وإضرارهم بالنفوس والأموال^(٢).

* تضييع مصالح وتحقيق مفسد دينية عامة وخاصة، ضرورة وحاجية وتحسينية، ببدل أو بلا بدل.

* إلغاء نسبي لمصالح حفظ العقل الضرورية والحاجية والتحسينية ببدل أو بلا بديل.

* تأخير بعض مصالح حفظ النسل ووقوع مفسد ضرورية وحاجية وتحسينية فيها مثل الطلاق والشقاق نتيجة للحظر والضائقة الاقتصادية، وتأخير تثبيت عقود الزواج، والمباعدة الاجتماعية بين زوجين أحدهما مريض.

* هدر بعض مصالح حفظ النفس الحاجية والتحسينية كحالات التعارض وتأخير علاج الأمراض الأخرى جسدية كانت أم نفسية.

(١) مقاصد الشريعة: ابن عاشور ص ٣٨٢.

(٢) المدخل الفقهي العام: مصطفى الزرقا ص ٩٩٥، شرح القواعد الفقهية: أحمد الزرقا، ص: ١٩٨.



إنَّ النسب المئوية للأضرار الواقعة أو المتوقعة والمصالح المهذرة في مكافحة كورونا وقايةً وعلاجًا وفقًا لضوابط المكافحة الآتية لتبرهن بجلاء على أنها أكثر كَمًّا من المصالح العاجلة أو الآجلة، وأعظم من درء المفسد الواقعة أو المتوقعة على الكليات الأخرى عدا حفظ النفس من ناحية الوجود والعدم، ولما كان حفظ النفس أولى ومقدمًا على الكليات الأخرى وبهلاكها أو إشرافها على التهلكة تنعدم مصالح الكليات الأخرى أصلًا وفرعًا وتفضي إلى وقوع المفسد كُلاًّ وجزءًا ظهر أن الكيفية أعظم من الكمية وأنه لا مناص من تقديم حفظ النفس من ناحية الوجود والعدم على الكليات الأخرى، فتحتمل أضرارها وفوات بعض مصالحها وقاية لها من أن تذهب برُمَّتها فلا يبقى منها شيء إثر هلاك من يقومون بها؛ فمن المقرر أن درء المفسد أولى من جلب المصالح، فإذا تعارضت مفسدة ومصلحة قدم دفع المفسدة غالبًا^(١) وإذا كانت المفسدة متعدية إلى الكليات الخمس لوقوعها بالنفس التي يفضي هلاكها إلى فوات سائر الكليات كان درؤها وتقديمها على المصالح الأخرى أوجب.

وأما ثمار إجراءات الوقاية والعلاج فأعلاها حفظ البشر من أن يفني بعضهم بعضًا، ولها عوائد أخرى أهمها:

١. حفظ ضروريات بقاء النفس حالًا ومآلًا، وحفظ حاجياتها وتحسينياتها مآلًا.
٢. حفظ الضروريات والحاجيات والتحسينيات للمال والدين والنسل والعقل مآلًا.
٣. عائدت حاصلة غير مقصودة وتعود على حفظ الكليات الخمس بجلب مصالح ودرء مفسد ومنها مثلًا:

* في حفظ العقل: تطوير المناهج للمزاوجة بين التعليم عن بعد

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: العزبن عبد السلام (١/٥)، الفروق: القراني (٢/١٨٧).

والفيزيائي.

* في حفظ المال: الحد من الهدر، واكتشاف أعمال وفرص بديلة، واختراع وسائل تمويل جديدة، وتخفيض الاستهلاك.

* في حفظ النفس: مكافحة التلوث البيئي، والحد من الحوادث والمنازعات.

* في حفظ النسل: تقارب أفراد الأسرة والعناية بهم.

* في حفظ الدين: تعاون أفراد الأسرة على العبادة وتعليمهم وتقويمهم، ومضاعفة العناية بنشر الدين عن بعد، وغير ذلك كثير لا يُحصى.

٣،٤ ضوابط مكافحة كورونا:

الأصل الذي تبني عليه هذه الضوابط هو فقه النص وفقه الواقع معاً، ولو كان الواقع أكثر صراحةً وشفافيةً مما هو عليه لكان لذلك أثره على هذه الضوابط أيضاً لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ويتوقع أن يكون للعمل بهذه الضوابط أثراً بيئياً في إحداث التوازن والتوسط بين الإفراط والتفريط في الإجراءات والحقوق والواجبات والحاضر والمستقبل معاً:

٣،٤،١ خصصة الوقاية وتقييدها ما أمكن لا تعميمها وإطلاقها؛

جمعاً بين الضروريات والأولويات:

إن حفظ النفس ودرء المفسد عنها وتقديمها على الكليات الأخرى وترجيح ضروريات حفظ النفوس على حاجيات نفس الفرد وتحسينياته وعلى ضرورياته أحياناً: لا يقتضي شيء منه هدراً مطلقاً عاماً لمصالح الكليات الأخرى والأفراد بلا قيد ولا زمان أو مكان وبلا عوض أو بدل؛ فالجمع مقدّم على الترجيح، والضمان راجح على الهدر في حقوق العباد خاصةً، وكلّ رخصة أبيحت للضرورة أو الحاجة إلى الوقاية من كورونا

في مكانٍ لم تستبح في غيره قبل وجودها فيه، والتأقيتُ واليقين وصفانِ لازمانِ للضروراتِ المعتبرة شرعاً لأنَّ الضروراتِ عارضة ليست أصلية ولا باقية، ولأنَّ الرخص لا تناط بالشك^(١)، وهو ما يجعل الضروراتِ العامَّة مقدَّمة على أولويات الأفراد الخاصة الحاجية والتحسينية والضرورية في الكليات كلها إلا عند تعارضها مع ضروريات حفظ نفسه فالحكم يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والمقاصد وخصائص المصلحة الكلية الضرورية، قال ابن عاشور: «الضرورة العامة المؤقتة - وذلك أن يعرض الاضطرار للأمة أو طائفة عظيمة منها- تستدعي إباحة الفعل الممنوع لتحقيق مقصد شرعي مثل سلامة الأمة...، ولا شكَّ أنَّ اعتبار هذه الضرورة عند حلولها أولى وأجدر من اعتبار الضرورة الخاصة، وأنها تقتضي تغييراً للأحكام الشرعية المقررة للأحوال التي طرأت عليها تلك الضرورة»^(٢).

نعم تقرَّر تقديم الوقاية من كورونا على جلب مصالح ودرء مفسد أخرى بناءً على أنه إذا تعارضت مفسدتان رُوعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما، وأن الضرر يُزال بأقلِّ منه لا بمثله ولا بأكثر منه وإنما يدفع الأعظم منه بالأخف، وأنه يُتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام كما في جواز الحجر على الطَّيب الجاهل^(٣)، وأن درء المفسد العامة مقدَّم على جلب المصالح الخاصة إذا تعذر الجمع، وأنَّ الضرورات تبيح المحظورات فيجوز في الضرورة ما لا يجوز في غيرها، وعند الضرورة له أن يدفع الضرر عن نفسه بمال الغير بشرط الضمان مع أنه لا حق له فيه فلأن يكون له ذلك فيما له فيه حق أولى^(٤)؛ لكن تقرَّر أيضاً في تخصيص المكافحة أنَّ الضرورة تقدر بقدرها، وأنَّ الاضطرار لا يبطل حقَّ الغير، وأنَّه ليس

(١) الأشباه والنظائر: السبكي (١/١٣٥).

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية: ابن عاشور (ص ٣٥٨).

(٣) شرح القواعد الفقهية: أحمد الزرقا (ص: ١٩٨).

(٤) المبسوط: السرخسي (٢٢/١٠).

لمن يدفع الضرر عن نفسه أن يُلْحَقَ الضرر بغيره^(١)، وأنَّ التصرف بالحق مقرونٌ بالنظر إلى ما ينتج عنه من أضرار، وأنَّ الأصل في جلب المصلحة أو دفع المفسدة إذا كان مأذونًا فيه أن لا يلزم عنه إضرار الغير^(٢)، وما جاز لعذرٍ بطل بزواله، والأصل بقاء ما كان على ما كان ما لم يحدث ويتجدد مقتضى موجب للتغيير، والأحكام تدور مع عللها وجودًا وعدمًا، وللعلة حكْمٌ تتضمن كلُّ منها جلب مصلحة أو درء مفسدة؛ لهذا كله وجب تقييد مكافحة كورونا وقايةً وعلاجًا في ضوء ما سبق، فتُقَيَّد المكافحة بعوضٍ أو بدلٍ، وبزمانٍ أو مكانٍ، وبأشخاصٍ أو أحوالٍ بعينها، وبإهدار أقلِّ قدر من مصالح الكليات الأخرى ومنافع الأفراد وإلحاق الحدِّ الأدنى من المفاسد بهم ما أمكن وهكذا.

روى البخاري عن أبي سلمة أن أبا هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يُورَدَنَّ ممرضٌ على مُصَحَّحٍ» وأنكر أبو هريرة حديث الأول، قلنا: ألم تحدث أنه: «لا عدوى» فرطن بالحبشية، قال أبو سلمة: فما رأيته نسي حديثًا غيره^(٣). قال يحيى بن يحيى الأندلسي في هذا الحديث: «القوم يكونون شركاء في القرية ويريدون منعهم من ذلك: إن كانوا يجدون من ذلك الماء غناء بماء غيره يستقون منه من غير ضرر بهم، أو يقومون على حفر بئرٍ أو جزي عين، فأرى أن يؤمروا بذلك؛ وإن كانوا لا يجدون من ذلك غناء إلا بما يضرهم قيل لمن تأذى بهم: استنبط لهم بئرًا، أو أجر لهم عينًا، أو أمر من يستقي من البعد، وإلا فكل ذي حق أولى بحقه، وأعظم الضرر أن يُمنع أحدٌ ملكه بغير عوض»^(٤).

هذا الذي ذكرتُ يَحْتَمُّ تجزئة الحلول وتخصيصها وتقييد هدر المصالح ببدل أو عوض في جميع أضرب الوقاية من كورونا، وذلك التخصيص

(١) المصدر السابق (٥١/١٣).

(٢) الموافقات: الشاطبي (٥٣/٣).

(٣) صحيح البخاري، رقم (٥٧٧١) (٧/١٣٨).

(٤) شرح صحيح البخاري: ابن بطال (٩/٤٥٠).



بأنواعه لا بد أن يكون وفقاً لمعطيات الزمان والمكان والأشخاص والأعمار والأحوال والمتغيرات والتفاعل مع الأمراض الأخرى وبناءً على الدراسات العلمية لانتشار المرض وآثاره المتيقنة والمحتملة، وهي تقديرات توجب تكليف متخصصين في مجالات عدة لضبطها وتقديرها بدقة ثم البناء على نتائج بحوثهم وتقاريرهم وتقديراتهم، كما توجب عليهم التعاون مع نظرائهم في بلدان أخرى عملاً بالأحوط ودرءاً لمفاسد متوقعة عزّز وقوعها ما دلت عليه البيانات الإحصائية والدراسات الاستقرائية والتحليلية في بلدان أخرى، وهو تعاونٌ له وقعٌ كبير في حدس المفاسد الموهومة وتخصيص الوقاية من كورونا كماً وكيفاً، فما ينبغي تعميم الوقاية بناءً على حالة نادرة لها عوامل وظروف خاصة أدت إلى نتائج معينة لأنّ النادر كالمعدوم، ولا يجوز الحجر على كل الناس إلى أجل غير معلوم إذا أمكن ضبط المرضى ومتابعتهم بالأساور الذكية مثلاً أو بوسائل أخرى، ولا تُهدرُ مصالح الكليات الأخرى التي لها بديل لأن الميسور لا يسقط بالمعسور فمثلاً غسل موتي كورونا له بدل وهو التيمم أو صناعة جهاز لغسل الموتي وهكذا سائر المصالح، قال العز بن عبد السلام: «إذا اجتمعت مصالح ومفاسد فإن أمكن تحصيل المصالح ودرء المفاسد فعلنا ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى فيهما لقوله سبحانه وتعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: ١٦]، وإن تعذر الدرء والتحصيل فإن كانت المفسدة أعظم من المصلحة درأنا المفسدة ولا نبالي بفوات المصلحة، قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]. حرّمهما لأن مفسدتهما أكبر من منفعتهما»^(١).

٢،٣،٤ إلزام الكافة بدفع أضرار الخاصة المندرجة في الضروريات والحاجيات من باب فرض الكفاية درءاً لمفاسد واقعة أو متوقعة ناجمة عن

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: العز بن عبد السلام (١/ ٩٨).

الوقاية أو العلاج

فينبغي على الدولة أن تفرض التكافل والتعاون بوسائل محددة تيسر ضبط المتابعة والتطبيق وتلزم الناس بإجراءات الوقاية وتكفيهم حاجاتهم، قال أصبغ في المصابين بالأمراض المعدية: «إن كفاهم الإمام مؤنتهم وأجرى عليهم الرزق منعوا من مخالطة الناس، قال ابن حبيب: والحكم بتنحيتهم إذا كثروا أعجب إليّ، وهو الذي عليه الناس»^(١). ويقترن الوجوب الكفائي بالعفو عن القادرين في أمور تيسر عليهم قيامهم بفرض الكفاية؛ فإن المشقة تجلب التيسير، وإنما وجب درء الضرر عن الخاصة لأنه كلما أمكن الترك إلى بدل فإنه يقدّم على ترك لا بدل له ولا عوض، فالضرر في كورونا يجب أن يُزال بشرط أن لا يكون ذلك بضرر مثله أو أكثر منه، والضرر يدفع بقدر الإمكان فيجب دفعه قبل وقوعه ما أمكن لأن الوقاية خير من العلاج، ويختار أهو الشرين عند التعارض فيدراً الضرر الأشد بالأخف، ويدفع كلياً إن أمكن، وإلا بقدر ما يمكن بأن كان يجبر بعوض فيجبر به^(٢).

وهذا الإلزام ليس في الضروريات فقط بل الحاجيات مثلها وتليها في الرتبة فإنّ الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامةً كانت أم خاصّة، ولا يدخل موضوع الإلزام في الضمان بل في التضامن المندوب أو الواجب بفرض الحاكم لضرب من ضروب الكفاية؛ لأن وجوب المكافحة وقاية وعلاجاً وجواز إهدار مصالح الكليات الأخرى والتزام مفاستها دون اشتراط وجود بدلٍ أو عوضٍ يمنع لزوم الضمان الذي يستقر في الذمة ويلزم المكلف قضاؤه إن لم يؤدّه في وقته؛ إذ إن الجواز الشرعي ينافي الضمان، والأصل أن ما حصل مفعولاً بإذن الشرع كان كأنه حصل مفعولاً بإذن من له



(١) شرح صحيح البخاري: ابن بطال (٩/٤١٢).

(٢) القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة: محمد الزحيلي (١/٢٠٨).

لولاية من بني آدم^(١) والأصل أن إيجاب الحق لله تعالى في الغير يزيل ملك المالك، وتقديم الضروريات العامة على أولويات الأفراد حق لله وللعبد، وعندئذ لا عوض ولا بدل ولا ضمان إلا بنص من الشارع أو إيجاب ولي أمر المسلمين في باب الكفريات.

نعم هو إلزام شرعي يآثم تاركه لكن لا يقضيه إذا ما حصل المقصود منه كما هو شأن سائر فروض الكفاية؛ وهو إلزام مشروعاً برعاية المصلحة الأعظم للأمة والفرد لأن نفاذ تصرف الراعي على الرعية ولزومه عليهم شأؤوا أم أبوا معلق وموقوف على وجود الثمرة والمنفعة في تصرفاته دينية كانت أم دنيوية، فإن تضمنت منفعة ما وجب عليهم تنفيذها وإلا ردت، لأن الراعي ناظر^(٢).

ويبدأ الحاكم بالدعوة للتكافل طوعاً ويحث على تعجيل الزكاة لمن شاء ثم يلزم بالتكافل عند الضرورة والحاجة التي تنزل منزلتها؛ لأن تصرف الراعي على الرعية منوط بالمصلحة، وبرهان هذا الترتيب في الحديثين الآتين: عن أبي موسى قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم»^(٣) وعن أبي سعيد الخدري قال: «بينما نحن في سفر مع النبي -صلى الله عليه وسلم- إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان معه فضل ظهر، فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد، فليعد به على من لا زاد له»، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل»^(٤).

(١) المصدر السابق (٢/ ١٠٩١).

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٩٣).

(٣) صحيح البخاري، رقم (٢٤٨٦)، (٣/ ١٣٨).

(٤) صحيح مسلم، رقم (١٧٢٨)، (٣/ ١٣٥٤).

٣,٣,٤ البدء بوسائل الوقاية البديلة التي لا تعارض الأولويات ولا تهدر مصالحي الكليات الأخرى، وترك الانتقال إلى الرخص وترجيح مصلحة على أخرى إلا بعد تعذر الجمع وانعدام البدائل ووسائل الوقاية والعلاج الأخرى رغم بذل أقصى الجهد، وتقديم وسائل الوقاية القاصرة المتعدية في آنٍ واحدٍ على إجراءات الوقاية العامّة درءاً للتعارض

فمن وقى نفسه فقد وقى غيره، فوقيته لنفسه قاصرة عليه من وجه ومتعدية إلى غيره من وجه آخر، وهذا يشمل حتمية زيادة المعرفة الفردية المنتجة للسلوك الوقائي قبل افتراض التعارض بين الضروريات والأولويات، ويوجب تثقيف الفرد دينياً وقانونياً وصحياً بمستوى عالٍ يحمله مسؤولية سلامة نفسه والآخرين في نطاق السببية والمباشرة، ويسوّغ سنّ قوانين إدارية لمعاقبة من يخالف الوقاية الفردية من عدوى كورونا لأنّ الامتثال لها واجب شرعاً، ففي الحديث «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(١)، ولما كان حفظ النفس من مقاصد الشريعة بل هو أولها عند بعضهم وجبت رعاية كل فرد لنفسه ليحفظ وجودها من ناحية الوجود بفعل ما تستمر به ومن ناحية العدم بدرء ما يؤدي بها إلى التهلكة المنهي عنها {وَلَا تُقْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البقرة: ١٩٥]، ولما كان السبب كالمباشر عدداً المهمل لوسائل وقاية النفس من الهلاك والعدوى متعدّياً على نفسه وعلى نفوس الآخرين وإن اختلف في عدّه متعمداً ما لم يقصد نشر المرض وإضرار شخصٍ أو بلبٍ ما به^(٢)، فلا ضرر ولا ضرار^(٣)، وللوسائل حكم المقاصد، ويجرم فعل ما يؤدي إلى الحرام ولو كان جائزاً في نفسه^(٤)، فالسببية والمباشرة في قتل النفس والإضرار بها سواء من عدة أوجه فإنّ المتسبب

(١) صحيح البخاري، رقم (٧١٤٤)، (٦٣/٩).

(٢) مجلة مجمع الفقه الإسلامي/ منظمة المؤتمر الإسلامي، ٨٤، ٩/٣، ٩٤، ٦٥/١.

(٣) موطأ مالك، رقم (٢٧٥٨)، (٤/١٠٧٨).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم (١١٠/٣).



كالمباشر وإن كان الحكم يضاف إلى المباشر إذا اجتمعوا، ولا يضاف إلى المتسبب إلا بالتعمد والقصد، وإذا عُذَّ الإهمال ومخالفته لأمر الحاكم بالوقاية الذاتية تعمُّدًا فإن تسببه في انتشار العدوى ينسب إليه عندئذٍ، ولا يبعد إذاً أن يعمَّه في حالتي التزامه بالوقاية الذاتية وإهماله لها قوله تعالى ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

٤,٣,٤ تنظيم التعاون المادي والعلمي للكشف عن دواء ولقاح لمكافحة عدوى كورونا كوفيد ١٩، وتعميم نتائج البحث الشخصي والجماعي، وتحرير معلومات البحث عن وسائل الوقاية والعلاج والمناعة من أي قيود ومصالح وحقوق فردية أو دولية معنوية أو مادية

فمثل هذا التعاون توجهه النصوص الأمرة بحفظ النفس، وأمَّا سقوط حقوق الملكية الفكرية والمعنوية فهو خلاف الأصل لأنَّ الاضطرار لا يبطل حقَّ الغير، لكن إيمان مالكها بوجوب مشاركة المعلومات والبيانات والمدخلات والمخرجات البحثية وجوبًا شرعيًا يحمله على إسقاط ملكيته لها، وهذا مشروط بمنع استيلاء أي طرفٍ على تلك الحقوق لجعلها حقًا عامًا مشتركًا كسائر الحقوق التي لا تقوم الحياة إلا بها مثل الماء والهواء، فإن تعذَّر ذلك وجب التعاون وحفظ الحقوق قدر الاستطاعة، فإن تعذَّر حفظها وجب التعاون ولو بإضاعة الحقوق الشخصية تقديمًا لأعظم المصلحتين ودرءًا لأفسدهما لا سيما أنمالية أكثر هذه البحوث من تبرعات الخزان العامة في عدة دول، فالحقُّ العام فيها معتبر وهو جزءٌ أساسٌ فيها أيضًا.

٤,٤ موازين مكافحة في ضوء الضوابط السابقة:

أدرجت الدراسة في الضوابط قيودًا تُعَدُّ موازين أصيلة في عدالة مكافحة كورونا وقاية وعلاجًا، وأهمُّها:

- اعتبار ضروريات الأولويات؛ فليست أولويات الأفراد معتبرة كلها ولا مهددة كلها، ففيها الضروري والحاجي والتحسيني، وعند معارضتها للضروريات العامة فإن سقوط الأخيرين لا يقتضي سقوط الأول مطلقاً بل لكل مسألة وواقعة أحوال يُنظر فيها للجمع أو الترجيح بين مصالح ضروريات أولويات الفرد وجلب مصالح الضروريات العامة ودرء مفسدها.

- التعويض الكلي أو الجزئي، وهو بدل أو عوض شامل لمصالح الكليات الأخرى عند تقديم حفظ النفس عليها، ويُلاحظ فيه جبر الخلل المتوقع أو الواقع على المحتاجين والمرضى من خلال استحداث أضرب من فروض الكفاية تسد عوزهم، ولا يُغفل هذا العوض من كُفّفوا بفروض الكفاية المادية والمعنوية والفكرية والعلمية، فيخفف عنهم لاحقاً، ويحط عنهم شيئاً من التبعات والأعباء كالضرائب ونحوها، ويسر لهم سبل أعمالهم بضوابط محددة تجعل ما قدّموه في مكافحة كورونا عوناً لهم في قابل الأيام.

- الضرورة تقدر بقدرها، فينتهي الاضطرار في كورونا المبيح للإخلال بمصالح الكليات الأخرى بارتفاع الضرورة أو بالعثور على بديل لا تنتهك به تلك المصالح ولا يقع به شيء من المفسد، وهما شرطان منصوص عليهما في مثل هذه الحالة {فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} [البقرة: ١٧٣]، فلا ضرورة عند ارتفاع مقتضاها وإلا عُدَّ ذلك بغياً، ولا بقاء لها عند وجود بديل أو أصلٍ سائغ وإلا كان ذلك عدواناً على مصالح الكليات الأخرى وإضراراً بها وأولويات الأفراد الحاجية والتحسينية وكذا الضرورية أحياناً.

٤،٥ أسس استحداث ضروبٍ من فروض الكفاية لمكافحة كورونا

والموازنة بين ضرورياتها وأولوياتها؟

يقوم وجوب استحداث ضروبٍ من فروض الكفاية في مكافحة كورونا على أسس تستمد شرعيتها من حالة الاضطرار وإناطة تصرفات

الراعي على الرعية بالمصلحة كناظر الوقف، وأبرز تلك الأسس:

١. زيادة المسؤوليات على القادرين عاجلاً، وتخفيف الأعباء عنهم أجلاً أو عاجلاً كما سبق.
٢. التكافل بين القادرين ذوي الكسب المحدود، فلا حقَّ لأحدٍ في فضلٍ، وله الحقُّ في عوضٍ آجل لأنَّ الاضطرار لا يبطل حقَّ الغير.
٣. التعاون المادي والمعنوي في سبيل البحث العلمي وتحرير معلومات البحث وتسييلها.

٦،٤ ضوابط مكافحة كورونا مانعةً من الخرافات، طاردةٌ لها:

١،٦،٤ مكافحة كورونا بين الطب والدين:

كشفت ضوابط مكافحة كورونا ما شاب النصوص الشرعية ومفاهيم الإيمان والتوكل والرقية الشرعية من مفاهيم خاطئة، وأكّدت أنّ مجالات الدين وحدوده هي العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق الشاملة لقيم التداوي والدواء وأخلاقيات التشخيص والبحث الطبي؛ فمن هذه الحيثية بطل قولهم: لا دين في الطب، نعم الطبُّ موضوعٌ بحثِّ علميٍّ يوجبُه الدينُ لتحقيقِ مقاصد حفظ النفس والنسل والعقل فلا طب في الدين ولا دين للطب، فلا يمنع اختلاف الدين تعلّمه وتعليمه والتعاون في أبحاثه، ولا يُقبل عقلاً وشرعاً أن تُنسب إلى الدين أدوية لعلاج كورونا كوفيد ١٩ وغيره من الأمراض؛ فليس من موضوعات الدين أن يبين للناس قضايا الطب والتداوي والدواء، فمن نسب إليه تشخيصاً لكورونا أو تفسيراً لانتشاره في منطقة دون غيرها أو دواءً لعلاجها أو لقاحاً للمناعة والوقاية منه فنسبته تلك من جملة أوهامه أو أكاذيبه أو أهوائه التي يردُّها الدين نفسه ابتداءً دون نظرٍ في تفصيل ما ادّعاها اقتصاراً على النظر في موضوع الدعوى، فإنَّه لما تبين أن الدين غير مختص بموضوع الدعوى كان ذلك كافيًا للإعراض عن النظر في أباطيل نسبتها إليه

أكاذيب المنجمين وخرافات الجاهلين ورؤى الكذابين، وقد تقرّر شرعاً أنه لا عبرة بالرؤى والمنامات في التشريع، ويشمل ذلك رؤية النبي في المنام، هذا ناهيك عن أنّ موضوع تلك الرؤيا طبيّ فلو كان في اليقظة لما صحت نسبته إلى الدين إلا بدليل على أنه وحيٌّ لا اجتهادٍ لما سبق أن الطبّ ليس من موضوعات الدين وحدوده

ومثل تلك الرؤى والخرافات تفسيرُ الواهيمين لنصوص قطعية أو ظنية بلا منهجية علمية، واستدلالهم بأخرى ضعيفة أو موضوعة بدون تمحيص ونقد، ومثلها أيضاً نشرهم لنصوص مكذوبة على كتب مجهولة مثل عنبر الزمان، وتعميمهم لكلامٍ خاصّ في باب المناعة والعلاج قد صدر عن محمدٍ من باب الخبرة والتجربة والرأي البشري لا بوصفه نبياً يوحي إليه، فإنه لو صحّ عنه ورود ما يُقطع بنسبته له إلى الوحي وكانت دلالاته على الموضوع الطبيّ قطعيةً لأمّا بذلك وقطعنا بنجاعته وقدمناه على ما سواه إلا أنّ شيئاً من ذلك لم يثبت لأنه ليس من موضوعات الدين، روى مسلم في باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره -صلى الله عليه وسلم- من معاش الدنيا على سبيل الرأي عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: (مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْمٍ عَلَى رُؤُوسِ التَّخْلِ، فَقَالَ: «مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟» فَقَالُوا: يُلْقِحُونَهُ، يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنثَى فَيَلْقِحُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئاً» قَالَ: فَأَخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئاً فَخُذُوا بِهِ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» وَفِي رِوَايَةِ الطَّحَاوِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «وَالظَّنُّ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ»^(١)، وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ «فَقَالَ: مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: يُؤَبِّرُونَ التَّخْلَ،

(١) صحيح مسلم، رقم (٢٣٦١)، (٤/١٨٣٥)، مسند أبي داود الطيالسي (١/١٨٦)، مسند أحمد (٣/١٥)، شرح مشكل الآثار (٤/٤٢٤).



قَالَ: لَوْ تَرَكُوهُ لَصَلَحَ، فَتَرَكُوهُ، فَشَيَّصَ، فَقَالَ: «مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فإِيَّيَّ» وفي رواية له قَالَ: «لَا لِقَاحَ» أَوْ «مَا أَرَى اللَّقَاحَ شَيْئًا» فَتَرَكُوا اللَّقَاحَ، فَجَاءَ تَمْرُ النَّاسِ شَيْصًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا لَهُ! مَا أَنَا بِصَاحِبِ زَرْعٍ وَلَا نَخْلٍ، لَقَّحُوا»^(١) قال الطحاوي: «ولم يكن ذلك منه صلى الله عليه وسلم إخباراً عن وحي، وإنما كان منه على قول غير معقول ظاهر مما يتساوى فيه الناس في القول، ثم يختلفون فيتبين ذوو العلم به عن سواهم من غير أهل العلم به، ولم يكن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ممن كان يعاني ذلك ولا من بلد يعانیه أهله... وكان مع أهل المدينة من معاناة النخل والعمل ما يصلحها ما ليس مثله مع أهل مكة، وكان القول في الأمر الذي قال فيه ما قال واسعاً له أن يقول فيه، وأن يكون ذلك القول منه على ما نفي ما يستحيل عنده ويكون منه على الظن به»^(٢).

٢،٦،٤ موضع الدين من مكافحة كورونا كوفيد ١٩

أمّا موضع الدين وموضوعه في علاج كورونا فهو أخلاقي داعم للطب، يؤازر الطب الفقهي في تقديم حلول للضرورات، ويبحث على البحث وعلى التبرع المادي والعلمي لاكتشاف الدواء واللقاح ولسد نقص الأدوات الطبية وتلبية احتياجات فقراء كورونا، ويقدم حلولاً أخلاقية للأطباء عند تراحم المرضى، ويحمل الناس على تقديم المصلحة العامة على الحقوق الشخصية، ويحث على الالتزام بوسائل الوقاية، ويدعو إلى التعاون في سد الاحتياجات الأساسية، ويحض على القيم الأخلاقية في معاملتنا للمصابين بكورونا، ويعلم الأفراد آداب الحركة والمعاملة وأحكام الاستهلاك والتخزين في الأوبئة، ويحفز على التطوع لمساعدة الجهات الصحية في تنفيذ تعليمات الجهات المختصة، ويشرع الأبواب للتخفيف من معاناة عمال

(١) شرح مشكل الآثار (٤/٤٢٥، ٤٢٦).

(٢) المصدر السابق (٤/٤٢٥).



اليومية ونحوهم كما في تعجيل الزكاة وبدل الحج وأضرب فروض الكفاية المستحدثة في الجوائح والكوارث، ويقدم الأحكام والأخلاق والآداب التي تبين التصرف الفردي الشرعي لمن أصيب بالمرض أو شك بالإصابة، ويحض على الالتزام بالواجبات الفردية والنظافة ونحوها لمنع انتشار الوباء، ويقدم نصائح مناسبة لتبليغ الجهات الصحية عن المصابين المهملين لأنفسهم، ويُدلي بتوجيهات مقاصدية لأهل العلم والمال والإعلام والعامّة حول أولويات أيام الوباء، ويبين ما ينبغي علينا فعله في باب التفاؤل والتشاؤم ومقاومة الشائعات والمبالغات، ويصحّح المفاهيم والقناعات الدينية الخاطئة كإهمال الوقاية وترك التداوي احتجاجاً بالقدر وبمثل قوله تعالى ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١] ومن أدراك أيُّها المتقول على الله أن الله لم يكتب عليك الإصابة بكورونا! قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ أَمْ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: بَلْ أَعْقِلُهَا وَتَوَكَّلْ^(١) ويعضد ذلك أننا (أمرنا بالفرار من أرض الوباء والخوف منها على أجسامنا من الأمراض والأسقام، وفي الحديث «فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فَرَارِكَ مِنَ الْأَسَدِ»^(٢)، فصول النفس والأجسام والمنافع والأعضاء والأموال والأعراض عن الأسباب المفسدة واجب^(٣) لقوله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ففي الجامع الصغير مما رواه أحمد في مسنده والنسائي عن عبد الرحمن بن عوف، والنسائي عن أسامة بن زيد قال صلى الله عليه وسلم: «إِذَا سَمِعْتُمُ الطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا عَلَيْهِ»^(٤) قال المناوي: أي يجرم عليكم ذلك لأن الإقدام عليه جرأة على خطر وإيقاع للنفس في التهلكة، والشرع ناهٍ عن ذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى

(١) بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام: ابن القطان، (٣/ ٢٦٦).

(٢) مسند أحمد، (٩٧٢٢)، (١٥/ ٤٤٩).

(٣) الفروق للقرافي (٤/ ٢٣٧).

(٤) صحيح البخاري، رقم (٥٧٣٠)، (٧/ ١٣٠).



التَّهْلُكَةُ ﴿البقرة: ١٩٥﴾^(١).

قال ابن حجر: (قال البيهقي: وأما ما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال لا عدوى فهو على الوجه الذي كانوا يعتقدونه في الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى، وقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من هذه العيوب سبباً لحدوث ذلك؛ ولهذا قال -صلى الله عليه وسلم-: فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فَرَارِكٌ مِنَ الْأَسَدِ^(٢)، وقال: لا يُورِدُ مُمْرَضٌ عَلَى مُصِحِّحٍ^(٣)، وقال في الطاعون: من سمع به بأرض فلا يقدم عليه^(٤). وكل ذلك بتقدير الله تعالى، وتبعه على ذلك ابن الصلاح في الجمع بين الحديثين ومَن بعده وطائفةٌ ممن قبله، فالمراد بنفي العدوى أن شيئاً لا يعدي بطبعه نفيًا لما كانت الجاهلية تعتقده أن الأمراض تعدي بطبعها من غير إضافة إلى الله، فأبطل النبي -صلى الله عليه وسلم- اعتقادهم ذلك، وأكل مع المجذوم؛ ليبين لهم أن الله هو الذي يمرض ويشفي، ونهاهم عن الدنومنه ليبين لهم أن هذا من الأسباب التي أجرى الله العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها، ففي نهيهِ إثبات الأسباب، وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل بل الله هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئاً، وإن شاء أبقاها فأثرت)^(٥).

قال الطبري (في حديث سعد: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا»^(٦) دلالة على أَنَّ عَلَى الْمَرْءِ تَوَقِّي الْمَكَارِهِ قَبْلَ وَقُوعِهَا وَتَجَنُّبُ الْأَشْيَاءِ الْمَخُوفَةِ قَبْلَ هُجُومِهَا، وَأَنْ عَلَيْهِ الصَّبْرُ وَتَرْكُ الْجَزَعِ بَعْدَ نَزْوِلِهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَهَى مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي أَرْضِ الْوَبَاءِ عَنْ دُخُولِهَا إِذَا وَقَعَ فِيهَا، وَنَهَى مَنْ هُوَ فِيهَا

(١) تهذيب الفروق: محمد بن علي بن حسين، (٢٥٨/٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) فتح الباري: ابن حجر (١٦٠/١٠).

(٦) تقدم تخريجه.

عن الخروج منها بعد وقوعه فيها فراراً منه، فكذلك الواجب أن يكون حكم كل متقى من الأمور، سبيله في ذلك سبيل الطاعون، وهذا المعنى نظير قوله عليه السلام: «لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، وإذا لقيتموهم فاصبروا»^(١)(٢).

وصفة القول أن المؤمن يمضي في اتقائه عدوى كورونا على هدي وصية يعقوب عليه السلام لبنيه: {يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ} [يوسف: ٦٧] ويتجلى له كمال اتباعه لوصيته في جمعه بين السبب والإيمان الكامل بأن الفاعل المطلق هو الله، وما الأسباب إلا جند من جنوده؛ فأتبع عليه السلام وصيته بقوله: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٦٧].

١,٥ خلاصة البحث وأهم نتائجه:

خلص البحث في إجابته عن أسئلة الدراسة إلى ما يلي:

١. السؤال الأول: ما الضوابط التشريعية التي توازن بين الضروريات

والأولويات في مكافحة كورونا؟ وجوابه أن لها أربعة ضوابط:

* خصخصة الوقاية وتقييدها ما أمكن لا تعميمها وإطلاقها جمعاً بين الضروريات والأولويات.

* إلزام الكافة بدفع أضرار الخاصة المندرجة في الضروريات والحاجيات من باب فرض الكفاية درءاً لمفاسد واقعة أو متوقعة ناجمة عن الوقاية أو العلاج.

* البدء بوسائل الوقاية البديلة التي لا تعارض الأولويات ولا تهدر مصالح الكليات الأخرى، وترك الانتقال إلى الرخص وترجيح مصلحة على أخرى إلا بعد تعذر الجمع وانعدام

(١) صحيح البخاري، رقم (٢٩٦٦)، (٤/٥١).

(٢) شرح صحيح البخاري: ابن بطال (٩/٤٢١، ٤٢٣).





البدائل ووسائل الوقاية والعلاج الأخرى رغم بذل أقصى الجهد، وتقديم وسائل الوقاية القاصرة المتعددة في آنٍ واحدٍ على إجراءات الوقاية العامّة درءًا للتعارض.

* تنظيم التعاون المادي والعلمي للكشف عن دواء ولقاح لمكافحة عدوى كورونا كوفيد١٩، وتعميم نتائج البحث الشخصي والجماعي، وتحرير معلومات البحث عن وسائل الوقاية والعلاج والمناعة من أي قيود ومصالح وحقوق فردية أو دولية معنوية أو مادية.

٢. السؤال الثاني: ما الأسس التي تُتيح استحداث صور جديدة من فروض الكفاية للموازنة بين الضروريات والأولويات؟ وجوابه أنّ أهمها ثلاثة:

* زيادة المسؤوليات وتخفيف الأعباء.

* التكافل بين القادرين ذوي الدخل المحدود.

* التعاون المادي والمعنوي في سبيل البحث العلمي عن الدواء واللقاح وتحرير معلومات البحث وتسجيلها.

٣. السؤال الثالث: ما الموازين التشريعية التي تحفظ بقاء أعلى حدّ من الأولويات ولا تتخل بالحد الأدنى من الضروريات؟ وجوابه أبرزها ثلاثة:

* اعتبار ضروريات الأولويات.

* التعويض الكلي أو الجزئي.

* الضرورة تقدر بقدرها.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله تعالى على نبينا محمد وعلى آله وصحبه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.



المصادر والمراجع

- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب: محمود بن عبد الرحمن أبو القاسم شمس الدين الأصفهاني، ت: محمد مظهر بقاء، دار المدني، السعودية.
- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- المسند: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، إشراف: محب الدين الخطيب.
- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.
- التفسير من سنن سعيد بن منصور: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، ت: د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصمعي.
- الموطأ: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبجي المدني، ت: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.
- الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان.
- الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن علي بن أبي علي الثعلبي الأمدي، ت: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان.
- مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية.
- رعاية المصلحة والحكمة في تشريع نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم: محمد طاهر حكيم، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- المستصفى: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- المحصول: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي، ت: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة.
- المدخل الفقهي العام: مصطفى الزرقا، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٨م.
- شرح القواعد الفقهية: أحمد بن الشيخ محمد الزرقا، ت: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم - دمشق / سورية، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام سلطان العلماء، ت: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية



القاهرة.

- الفروق: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي القرافي، عالم الكتب.
- الأشباه والنظائر: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- المسوط: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، دار المعرفة - بيروت.
- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.
- شرح صحيح البخاري: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة: محمد مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- مجلة مجمع الفقه الإسلامي/ منظمة المؤتمر الإسلامي، عدد ٨، ١٣، ١٤، ١٩٩٥، <http://www.aifi-ijfi.org/html/1978> /متاح بتاريخ ٧، ٢٠٢٠
- إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين بن قيم الجوزية، ت: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت.
- بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام: علي بن محمد بن عبد الملك أبو الحسن ابن القطان، ت: د. الحسين آيت سعيد، دار طيبة - الرياض.
- تهذيب الفروق والقواعد السننية في الأسرار الفقهية: محمد بن علي بن حسين مفتي المالكية بمكة المكرمة، عالم الكتب.



التدابير الفقهية لمكافحة الأوبئة دراسة فقهية

د. ربيع محمد محمد عبد الرحمن^(١)

الكلية الجامعية الإسلامية - ماليزيا

rabie@kuipsas.edu.my

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعده،

اعتنى الفقه الإسلامي ببدن الإنسان وتكفل بالتدابير الواقية له من الأوبئة والأمراض؛ لأنّ الحفاظ على بدن الإنسان وصحته مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية فلا علم ولا عمل ولا مال ولا جهاد إلا بالصحة؛ لذا استعنت بالله واخترت أن أكتب في «التدابير الفقهية لمكافحة الأوبئة دراسة فقهية»

منهج البحث: منهج الاستقراء.

الهدف من البحث: إبراز دور الفقه الإسلامي في مواجهة الأزمات عامة وكورونا خاصة.

سؤال البحث: ما التدابير الفقهية لمواجهة الأوبئة؟

الكلمات المفتاحية: (التدابير- الفقهية- مكافحة- الأوبئة)

أهم النتائج المتوقعة:

(١) محاضر الشريعة الإسلامية بالكلية الجامعية الإسلامية ببهانج السلطان أحمد شاه (KUIPSAS) بماليزيا، حاصل على دكتوراه في الفقه العام كلية الشريعة والقانون بالقاهرة جامعة الأزهر ٢٠١٠ من أبحاثه: التخفيف من وطأة الفقر - مصادر المالية الإسلامي - ركائز الاقتصاد الإسلامي في مواجهة الثورة الصناعية الرابعة.





١- إبراز دور الفقه الإسلامي في مكافحة الوباء.

٢- التدابير الفقهية لحماية للمجتمع.

وكانت خطة البحث على النحو الآتي:

التمهيد: مكانة الحفاظ على البدن بين مقاصد الشريعة ثم

المبحث الأول: أنواع المرض والطب

المبحث الثاني: التدابير الفقهية لمكافحة الأمراض والأوبئة

أولاً: تشريع الطهارة وأثره في مكافحة الأوبئة.

ثانياً: الترخيص بفطر المريض

ثالثاً: من التدابير التي تؤدي إلى الحمية من الوباء الطعام الحلال.

رابعاً: تحريم جماع الحائض وأثره في مكافحة الوباء.

خامساً: من التدابير لمكافحة الوباء تغطية الاناء وإيكاء السقاء.

المبحث الثالث: التداوي والحجر الصحي.

التمهيد: مكانة الحفاظ على البدن بين مقاصد الشريعة

ترتيب الكليات الخمس

أمرنا الله بحفظ النفس فقال سبحانه: «وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»^(١)

ومقصود النهي عن الإلقاء باليد إلى التهلكة النهي عن التسبب في إتلاف النفس أو القوم عن تحقق الهلاك بفعل ما هو موصل إلى تلف النفس أو الروح.^(٢)

(١) البقرة: ١٩٥

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٩٠ لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، والتحرير والتنوير (٢/ ٢١٤) للظاهر بن عاشور. ت ١٣٩٣هـ

واختلف العلماء السابقين في ترتيب مقاصد الشريعة بناء على اختلافهم في مفهوم الدين هل المقصود به العبادات أم المقصود سائر الإسلام؟ وأيضاً لاختلاف المناسبة.

١- ترتيب الإمام الغزالي: الدين ثم النفس ثم العقل فالنسل فالمال.

٢- ترتيب الإمام الزركشي: النفس، ثم المال، ثم النسل، ثم الدين، ثم العقل.^(١)

ويرى الباحث ترجيح ترتيب علماء المعاصرين وهو النفس، العقل، الدين، النسل، المال حيث إنه يجب المحافظة أولاً على النفس التي تقوم بها الأفعال، ثم على العقل الذي به التكليف، ثم نحافظ على الدين الذي به العبادة، وقوام العالم.

ويتقدم حفظ النفس على النسب والعقل والمال لتضمنه المصالح الدينية التي تحصل بالعبادات وحصولها موقوف على بقاء النفس ويقدم حفظ النسب على المقاصد الأخرى؛ لأنه لبقاء نفس الولد؛ إذ بتحريم الزنا لا يحصل اختلاط النسب فينسب إلى شخص واحد فيهتم بتربيته وحفظ نفسه وإلا أهمل، فتفوت نفسه لعدم قدرته على حفظها ويقدم حفظ العقل على حفظ المال؛ لفوات النفس بفواته، وبفواته يلتحق بالحيوانات ويسقط عنه التكليف.^(٢)

المبحث الأول: أنواع المرض والطب

المرض هو كل ما أحال الإنسان عن القوة والتصرف، ومرض أي تغيرت صحته واضطربت بعد اعتدالها.

والأوبئة: اسم لكل مرض عام فكل طاعون في ذلك وباء ولا ينعكس

(١) المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية ص: ٣١٦ د.علي جمعة.

(٢) وقائع المؤتمر الثاني والعشرين المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة أ.د.علي جمعة ص ١٠ وما بعدها
٨ ربيع الأول ١٤٣١هـ مارس ٢٠٠٨ <http://www.imtithal.com>
والتقرير والتحرير ٢٣١/٣ لابن أمير الحاج المتوفى: ٨٧٩هـ



من أسباب المرض: الإسراف والإكثار من الأكل، وهو مضر بالبدن ويتولد منه الأمراض، والإنسان قليل الأكل أصح جسماً، وأذكى فهماً، وأقل نوماً، وأخف نفساً.^(١)

ومن الأسباب عدم النظافة وأكل الخبائث والمحرمات وممارسة الفاحشة والعدوى وتغير الطقس والهموم إضافة إلى قدر الله.

أنواع المرض

١- مرض الأبدان، المتسبب في ترك الجهاد قال تعالى: «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ». ^(٢)

ذكر الله مرض البدن وبيّن أثره في أحكام الحج والصوم والوضوء لبيان علاقة البدن وصحته بالتشريع، وقواعد طب الأبدان ثلاثة: حفظ الصحة، والحماية عن المؤذي، واستفراغ المواد الفاسدة، فذكر سبحانه هذه الأصول الثلاثة في هذه المواضع الثلاثة.^(٣)

٢- مرض الشبهات والشكوك قال تعالى: «وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ، وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»^(٤)

٣- مرض الشهوات^(٥)، فقال تعالى: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ

(١) قال بعض العلماء الوباء: مرض الكثير من الناس في جهة دون سائر الجهات.

البحر الرائق ١٨١/٢ لابن نجيم المصري (ت بعد ١١٣٨ هـ)، والمحل (٣٤٧/١) لابن حزم الظاهري (المتوفى: ٥٦٦ هـ) واللغة العربية المعاصرة (٢٠٨٧/٣) د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤ هـ) والعدوي (٩٤/٢) ليعلى العدوي (المتوفى: ١١٨٩ هـ)

(٢) المحيط البرهاني (٣٥١/٥) لمحمود بن أحمد الحنفي (المتوفى: ٦١٦ هـ)

(٣) سورة النور آية ٦١ وتفسير الشافعي ١١٤٩/٣ لمحمد بن إدريس الشافعي (المتوفى: ٢٠٤ هـ)

(٤) الطب النبوي لابن القيم (ص: ٦) لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)

(٥) سورة النور آية ٤٨-٤٩-٥٠

(٦) الطب النبوي (ص: ٦)

النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ»^(١)

أنواع المرض عند الفقهاء

١- المرض المخوف الذي الحياة فيه باقية، والإياس من صاحبه واقع كالطواعين، والجراح النافذة، فعطاياه كلها من ثلثه، سواء كان هبة أو محابة.....

واختلف الفقهاء في حد المرض المخوف، فقيل: ما لا يقدر صاحبه أن يقوم إلا أن يقيمه إنسان، وقيل: أن يكون صاحب فراش، وإن قام بنفسه، وقيل: هو أن لا يقدر على المشي إلا أن يهادى بين اثنين، وقيل: أن لا يقدر أن يصلي قائماً، أو أن لا يكون الموت به نادراً.

وقيل: المرض إنما يكون سبباً صالحاً للموت، فيضاف إليه، ويجوز حدوثه عنده، وأقرب ما يقال ما يكثر حصول الموت منه.^(٢)

ويرى الجويني أنّ المرض المخوف ليس الذي تندر النجاة منه، فالبرسام معدود من الأمراض المخوفة، والنجاة منه ليست بالنادر^(٣) وبعض الأمراض التي يشكل أمرها المرجع فيها أهل الطب، كما يرجع فيما أشكل من الشرع إلى أهل الفقه.

الرأي الأول: لا يُقبل فيه أقل من طيبين؛ لأنّ ذلك محل محل الشهادة. ولا يقبل فيه إلا قول مسلمين عدلين.^(٤)

روي عن أبي موسى، قال: مرض النبي -صلى الله عليه وسلم-، فاشتد مرضه، فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» قالت عائشة: إنه

(١) سورة الأحزاب آية ٣٢

(٢) الجوهرة ١/٢٥٦ (لأبي بكر بن علي الحدادي الحنفي (المتوفى: ٨٠٠هـ) وقلبيوبي وعميرة ٣/ ١٦٤ (احمد سلامة القليوبي وفاته ١٠٧٠هـ وأحمد البرلسي عميرة، وفاته: ٩٥٧هـ، والذخيرة (٧/ ١٣٧) لأحمد بن إدريس الشهرير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، ومطالب أولي النهي (٤/ ٤١٧) لمصطفى بن سعد الحنبلي (المتوفى: ١٢٤٣هـ)

واعترض الجويني على هذا (نهاية المطلب ١١/ ٣٤١) لعبد الملك الجويني، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ) (٣) نهاية المطلب (١١/ ٣٤٠)

(٤) البيان ٨/ ١٩٠ للعمري اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ)



رجل رقيق، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» فعادت، فقال: «مري أبا بكر فليصل بالناس، فإنك صواحب يوسف» فأتاه الرسول، فصلى بالناس في حياة النبي. (١)

الرأي الثاني: يكفي قول طبيب واحد والرخصة لا تتعلق بنفس المرض لتنوعه بل بالمشقة، ومعرفة المرض المحقق للرخصة، إما باجتهد الإنسان، وإما بقول طبيب حاذق مسلم غير ظاهر الفسق.

استدللاً بقصة عمر فإنه لما جرح سقاه الطبيب لبناً، فخرج من جرحه، فقال له الطبيب: اعهد إلى الناس. فعهد إليهم ووصى، فاتفق الصحابة على قبول عهده ووصيته. وأبو بكر لما اشتد مرضه، عهد إلى عمر، فنفذ عهده. (٢)

٢- المرض غير المخوف لا يؤثر على الأحكام الشرعية غير المخوف كالجرب ووجع الضرس والرمد. (٣)

٣- أن يصل المريض إلى حشجة النفس، وبلوغ الروح التراقي، فلا لقوله ولا فعله حكم؛ لأنه في حكم الموتى، ومثاله من شقَّ بطنه وأخرجت حشوته، وإن تحرك أو تكلم؛ فالباقي منه كحركة المذبوح بعد الذبح. (٤)

أنواع طب الأبدان:

١- ما فطر الله عليه الإنسان والحيوان، ولا يحتاج فيه إلى معالجة طبيب، كطب الجوع، والعطش والبرد، والتعب بما يزيلها.

(١) صحيح البخاري ١٣٦/١ كتاب الآذان باب: أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، لمحمد بن إسماعيل البخاري)، ومسلم ٣١٣/١ كتاب الصلاة باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر، وغيرهما من يصلي بالناس (لمسلم بن الحجاج (المتوفى: ٢٦١هـ))

(٢) البيان ٣٠٦/١ وأسنى المطالب ٣٨/٣ ل زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيني (المتوفى: ٩٢٦هـ)، ومجمع الأنهر ١/٢٤٨ ل داماد أفندي (المتوفى: ١٠٧٨هـ)، والبنية ٤/٧٦ ل بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، والمغني ٦/٢٠٣ لابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)

(٣) الجوهرة ٢٥٦/١

(٤) الحاوي ٣١٩/٨ لعلي بن محمد الماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)

٢- ما يحتاج إلى فكر وتأمل، كدفع الأمراض المتشابهة الحادثة في المزاج، بحيث يخرج بها عن الاعتدال، إما إلى حرارة، أو برودة، أو يبوسة، أو رطوبة، أو ما يتركب من اثنين منها، وهي نوعان: إما مادية، وإما كيفية، أعني إما أن يكون بانصباب مادة، أو بحدوث كيفية، والفرق بينهما أن أمراض الكيفية تكون بعد زوال المواد التي أوجبتها، فتزول موادها، ويبقى أثرها كيفية في المزاج.^(١)

المبحث الثاني: التدابير الفقهية لمكافحة الأمراض والأوبئة

أولاً: تشريع الطهارة وأثره في مكافحة الأوبئة.

الطهارة نوعان: طهارة عن الحدث، وتسمى طهارة حكيمية، وطهارة عن الخبث، وتسمى طهارة حقيقية والطهارة عن الحدث فثلاثة أنواع: الوضوء ومنه الواجب والمسنون، والغسل ومنه الواجب والمسنون) والتيمم بشروطه.^(٢)

ولأهمية الطهارة جعلها رسول الله شرط الإيمان، روى أبو مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الطهور شرط الإيمان...»^(٣)

ولما لها من دور في حماية الإنسان جعلها الإسلام من شعائر الدين الخفيف وسلوك من سلوكه، ويتجلى ذلك في مخاطبة ربنا - سبحانه - لذرية آدم أجمع في قوله تعالى: «يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ»^(٤)

ولأهميتها قرنها الله بتوحيده فقال: «وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ»^(٥)

(١) الطب النبوي ص ٦

(٢) البدائع (٣/١) لعلاء الدين الكاساني (المتوفى: ٥٨٧هـ) والمجموع (٢/٢٠٢) لبيحي بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)

(٣) صحيح مسلم ٢٠٣/١ كتاب الطهارة باب فضل الوضوء، وسنن ابن ماجه ١٠٤/١ كتاب الطهارة باب الوضوء شرط الإيمان

(٤) الأعراف آية ٣١

(٥) المدثر آية ٣-٤



وللحفاظ والاستمرار عليها اعتبرها الفقهاء شرطاً من شروط صحة الصلاة، استنباطاً من قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ»^(١)

وشرح النبي مقصود الأمر بها في القرآن فقال: «لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ» قال رجل من حضرموت: ما الحدث يا أبا هريرة؟ قال: فساء أو ضراط»^(٢)

ولم يقتصر الأمر على طهارة البدن بل شمل طهارة الثوب والمكان، وطهارة المسلمة من الحيض والنفاس شرط صحة الصلاة والصيام إجمالاً والطواف على رأي جمهور العلماء.^(٣)

والطهارة من التدابير اللازمة للمحافظة على الصحة من الأمراض والأوبئة التي من أسبابها الأوساخ والأقذار، والنفوس تعاف النجس ولو كان ماء قليلاً حلته نجاسة يسيرة، ومبني النجاسات على ما تعافه النفوس وتستقدره الطباع^(٤)

ثانياً: من التدابير الفقهية جواز التيمم للمريض

المريض الذي يخاف من استعمال الماء تلف النفس، أو تلف عضو،

(١) المائدة آية ٦

(٢) صحيح البخاري ٣٩/١ كتاب الطهارة باب لا تقبل صلاة بغير طهور (رواية أبي هريرة)، ومسلم ٢٠٤/١ كتاب الطهارة باب وجوب الطهارة للصلاة.

(٣) العناية ٢١/٣ لأكمل البابرقي (المتوفى: ٧٨٦هـ) والحاوي ١٣٠/٤

١ لا طواف قبل الطهارة من الحيض والنفاس.

٢ تحترز الحائض من الدم وتطوف لضرورة السفر. (موسوعة الفقه الإسلامي (٣/٣٤٢)

(٤) أبو اسحاق الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، والتنبيه ١/١٤٩، وأبو عبد الله المازري المالكي (المتوفى: ٥٣٦هـ) شرح

التلقين ٢٥٦/١، ومُصطفى الخن، الدكتور مصطفى البُغا، علي الشَّربجي الفقه المنهجي ٢٩/١

أو حدوث مرض يخاف منه تلف النفس، أو تلف عضو...، يجوز له التيمم مع وجود الماء وبه قال كافة أهل العلم، إلا ما حكي عن الحسن، وعطاء، أنهما قالوا: لا يجوز له التيمم مع وجود الماء، واحتجا بقوله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ..... فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا} (١)، أبيح للمريض التيمم عند عدم الماء. (٢)

واختلف الفقهاء في متعلق الرخصة بالمرض أو المشقة:

الرأي الأول: يرى الحنفية أنّ المشقة هي سبب التخفيف وليس المرض، وهذا من قبيل الحميّة عما يُؤذي. (٣)

الرأي الثاني: يرى الجمهور تعلق الرخصة بالمرض وخوف حدوثه (٤)

حجة الرأي الأول: الرخصة لا تتعلق بنفس المرض لتنوعه بل بالمشقة، ومعرفة ذلك تكون باجتهاده بأن يعلم من نفسه أنّ عينه اشتد وجعًا، وإما بقول طيب حاذق مسلم غير ظاهر الفسق، وقيل عدالته شرط والمراد بالخوف غلبة الظن، ويدخل فيه خوف عود المرض ونقصان العقل. (٥)

حجة الجمهور: الخوف أو مظنته دون الرجوع لأمر طيب، ومطلق المرض ولو قل يبيح الفطر، وإن كان يتألم فقط ولا يخاف المرض ولا زيادته ولا تباطؤ البرء فليس المرض عذرًا يوجب الترخص (٦)

روي عن أبي موسى، قال: مرض النبي فاشتد مرضه، فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» قالت عائشة: إنه رجل رقيق، إذا قام مقامك لم

(١) المائدة آية ٦

(٢) البيان ٣٠٦/١

(٣) مجمع الأنهر ١/ ٢٤٨ والعناية (٣٥٠/٢)

(٤) حاشية العدوي (٢٢٣/١) ومواهب الجليل (٤٤٨/٢) لمحمد بن عرفة الدسوقي (المتوفى: ١٢٣٠هـ) على الشرح الكبير

(٥) (٣٨٩/١) وكشاف القناع (٤٩٥/١) لمنصور بن يونس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ)

(٥) مجمع الأنهر (٢٤٨/١) والعناية (٣٥٠/٢)

(٦) حاشية العدوي (٢٢٣/١) ومواهب الجليل (٤٤٨/٢) والشرح الكبير (٣٨٩/١) وكشاف القناع (٤٩٥/١)



يستطع أن يصلي بالناس، قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس...»^(١)

والمرتبة العليا في المشقة التي تنفك العبادة عنه الخوف على النفوس والأعضاء والمنافع فهذا يوجب التخفيف؛ لأنّ حفظ هذه الأمور هو سبب مصالح الدنيا والآخرة فلو حصلنا هذه العبادة لشوابها لذهب أمثالها.^(٢)

قال تعالى في آية الوضوء: «وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا»^(٣)، فأباح للمريض العدول عن الماء إلى التراب حمية له أن يصيب جسده ما يؤذي، وهذا تنبيه على الحمية عن كل مؤذله من داخل أو خارج.^(٤)

هل المرض المتوقع مبيح للتييم؟

١- يرى الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة أنّ المرض المبيح للتييم هو الذي يخاف منه الإنسان الضرر على روحه أو بدنه، وهو المراد بالنص.^(٥)

٢- يرى بعض البغداديين أنه لا يتييم لتوقع المرض أو لزيادته أو تأخر البرء أو مجرد الألم، فلا يبيح التيمم لقوله تعالى: { وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ }^(٦)

من التدابير الفقهية المتعلقة بالطهارة اشتراط طهارة الأعيان لصحة

البيع

اشتراط العلماء طهارة المعقود عليه، وعليه فلا يجوز بيع النجس

(١) سبق تخريجه

(٢) الذخيرة ١/ ٣٤٠

(٣) المائدة آية ٦

(٤) الطب النبوي (ص: ٧)

(٥) البدائع (١/ ٤٨) والذخيرة ٣٣٩ ونهاية المطلب ١/ ١٩٤ والمجموع ٢/ ٢٨٢،

الإنصاف ١/ ٢٦٥ لعلاء الدين المرادوي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)

(٦) الذخيرة ١/ ٣٣٩ والآية سورة المائدة ٦

كالخمر والخنزير، وما كان طاهراً طهارة أصلية وعرض عليه نجاسة يمكن إزالتها فيجوز بيعه، لكن يجب تبنيه عند البيع كان الغسل يفسده أو ينقصه أو لا كان المشتري يصلي أم لا.^(١)

الرأي الثاني: يرى ابن عرفة جواز بيع النجس للضرورة؛ للانتفاع به^(٢)

والدليل النهي عن أكل المال بالباطل؛ لأن ما كان كذلك لا تحصل به منفعة للمسلم أو تحصل به منفعة يسيرة، فكأنه غير منتفع به أصلاً فأخذ العوض عنه من أكل المال بالباطل المناقض للتجارة.^(٣)

ثالثاً: الترخيص بفطر المريض

الرأي الأول: يرى الحنفية والشافعية والحنابلة أن المرض الذي لا يشق معه الصوم ليس سبباً للترخيص.^(٤)

الرأي الثاني: يرى المالكية أن للمريض أن يفطر وإن كان قادراً على الصوم - إذا أجهده الصوم^(٥)

حجة الرأي الأول: قوله تعالى: { فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ }^(٦)

المرض والسفر لا يوجبان القضاء، وليس المراد عين المرض، فإن المريض الذي لا يضره الصوم ليس له أن يفطر فكان ذكر المرض كناية عن أمر يضر الصوم معه.

ويجب القضاء لقوله تعالى: { فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ } لأن الأصل في العبادة المؤقتة إذا فاتت عن وقتها أن تقضى.

(١) القوانين الفقهية (ص: ١٦٣) وحاشية العدوي ١٣٨ / ٢ والوسيط ١٧ / ٣ وفتح العزيز ١١٢ / ٨

(٢) التاج والإكليل ٥٧ / ٦

(٣) مواهب الجليل (٤ / ٢٥٨) وتحفة المحتاج ٢٣٤ / ٤

(٤) البدائع (٢ / ٩٧) والاختيار ١٣٤ / ١ لعبد الله الموصل الحنفي (المتوفى: ٦٨٣هـ)، والبحر الرائق ٣٠٣ / ٢ والبيان

٤٦٧ / ٣ والمغني ١٥٥ / ٣

(٥) الذخيرة (٢ / ٤٩٦) والبيان والتحصيل ٣٣٥ / ٢

(٦) البقرة: ١٨٤



وشرعية الفطر لدفع الحرج وتحقيقه منوط بزيادة المرض أو إبطاء البرء أو إفساد عضو أو يجهد المرض بما يلحق به الضرر غير المطاق، ومعرفة ذلك باجتهاد المريض والاجتهاد، بل هو غلبة الظن عن أمارة أو تجربة أو بإخبار طبيب مسلم غير ظاهر الفسق وقيل عدالته شرط.^(١)

حجة المالكية: قوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}

وضعيف البنية إن لم يجهد الصوم لزمه وإن أجهده فقط كان مخيرا أو خاف حدوث علة لم يكن له الصوم ولا قضاء إن أفطر ما دام كذلك فإن تغيرت حالته قضى.^(٢)

رابعًا: من التدابير التي تؤدي إلى الحمية من الوباء الطعام الحلال

جاء الشرع بإحلال المستطاب طبعًا، ولم يجعل المستخبث في الطبع غذاء، وإنما جعل المستطاب الذي بلغ في الطيب غايته.^(٣)

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} ^(٤) ويذكي الحيوان بالذبح والاصطياد وبهما تحصيل منفعة الغذاء للآدمي، وإزالة للخبث، وتطيبًا بتمييز الطاهر من النجس.^(٥)

ولا يطيب الحيوان إلا بخروج الدم المسفوح وذلك بالذبح والنحر؛ والميتة محرمة لأنَّ المُحَرَّم (الدم المسفوح) فيها قائم، فلا يطيب مع قيامه ولهذا يفسد في أدنى مدة ما يفسد في مثلها المذبوح، وكذا المنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة.^(٦)

(١) البدائع (٩٧/٢) الاختيار ١٣٤/١ والبحر الرائق ٣٠٣/٢ والبيان ٤٦٧/٣، وفتح العزيز ٤٢٦/٦ لعبد الكريم بن

محمد الرفاعي القزويني (المتوفى: ٦٦٢٣هـ) والمغني ١٥٥/٣

(٢) الذخيرة (٤٩٦/٢)، والبيان والتحصيل ٣٣٥/٢ لمحمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: ٥٢٠هـ)

(٣) البدائع ٣٨/٥

(٤) البقرة: ١٧٢

(٥) المبسوط (٢٢٠/١١) لمحمد بن أحمد السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، وأسنى المطالب (٥٦٦/١) والمغني ٤٠٥/٩

(٦) البدائع ٤٠/٥

ومن المحرمات النجاسات والحشرات والخبائث تحريمها بقوله تعالى: { وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ }^(١)، والمستقذرات كالوزغ والعقارب، وما يضر البدن ويؤذيه كالخمر والخنزير، والإسراف في الأكل والشرب، والنباتات كلها مباحة إلا ما فيه ضرر أو يغطي على العقل، وما فيه ضرر من الطاهرات كالسم القاتل والزجاج والتراب الذي يؤذى البدن، وما فيه ضرر أو سم حرام، وإن كان مجرياً.^(٢)

وهذا يعني أن لتحريم الطعام أسباب: منها الاحترام كالآدمي والفساد كالتراب، والخبث كالضفدع وكل ما يستخبثه الإنسان قبل ورود الشرع قال تعالى: { وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ }^(٣).

وتحريم ما لا حرمة له ولا ضرورة في أكله يدل على نجاسته؛ لأن الشيء إنما يحرم إما لحرمة أو لضرره أو نجاسته.^(٤)

قال ابن رشد: ما يعاف الإنسان شربه يجب أن يجتنب استعماله في القربة إلى الله تعالى، وأن يعاف وروده على ظاهر بدنه كما يعاف وروده على داخله.^(٥)

خامساً: تحريم جماع الحائض وأثره في مكافحة الوباء

الحنية من الأذى بتحريم جماع الحائض^(٦) وهي قوله تعالى -: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾^(٧)

وجه الدلالة: الأذى: ما يُكره من كل شيء، وهو سبب ظاهر في المنع

(١) الأعراف: ١٥٧

(٢) المبسوط (٢٢٠/١١)، ومواهب الجليل (٢٣١/٣) والمجموع (٣٧/٩)

(٣) الأعراف: ١٥٧ و تبين الحقائق (٣٢/١) لفخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣هـ)

(٤) كفاية الأخيار (ص: ٧٠) للحصني، تقي الدين الشافعي (المتوفى: ٨٢٩هـ)

(٥) بداية المجتهد (٣٢/١) لمحمد بن أحمد ابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)

(٦) المبسوط ١٥١/٣ والذخيرة ٣٧٦/١ والحاوي ٣١٣/٩ والمغني ٢٢٣/١

(٧) البقرة: ٢٢٢



ويقتضي اعتزالهنّ على الإطلاق، ما يؤذي ودم الحيض أذى يمنع صحة الصلاة والصوم؛ لأنه له لوناً ورائحة منتنة ونجاسة مؤذية فيقتضي اعتزالهنّ على الإطلاق، وما لا يكون فيه استعمال الأذى فهو حلال مطلق.^(١)

ومخالطة النجاسة خلق فاسد تمجه الطبيعة السليمة، ويقرب من الشياطين وفي جماع الحائض الغمس في النجاسة، وجماع الحائض لا سيما في فور حيضتها ضار باتفاق الأطباء.^(٢)

سادساً: من التدابير لمكافحة الوباء تغطية الإناء وإيكاء السقاء

أمر الشرع بتغطية الإناء وإيكاء السقاء^(٣)، عن جابر قال النبي: «خمروا الآنية، وأكوا الأسقية، وأجيفوا الأبواب واكفتوا صبيانكم عند العشاء...»^(٤)

إيكاء السقاء تتعلق به مصالح دنيوية كالحفظ من الشيطان والوباء والنجاسات والهوام، فالأمر بتغطية الإناء يحقق الاحتياط للأمور الدينية والمصالح البدنية، فإن كان لأجل صيانة الماء عن مُفسداته الشرعية، فهو احتياط للأمور الدينية، وإن كان الاحتراز عن الوباء، فهو احتياط للأمور البدنية وصيانتها من المُضَرَّات.^(٥)

وأهل الطب صرحوا بأنه يجب على المتحرز من الوباء أن يخرج من بطنه الرطوبات الفضلية ويقلل الغذاء ويميل إلى تبريد البدن...^(٦)

سابعاً: النهي عن قضاء الحاجة في منافع الناس كالماء والظل

النهي عن قضاء الحاجة من بولٍ أو براز في الماء الذي يستعمله الناس

(١) المبسوط ١٥٩/١٠ (والذخيرة ٣٧٦/١) والأم ١٨٥/٥ لمحمد بن إدريس الشافعي (المتوفى: ٢٠٤هـ) والحاوي (١/٣٨٠)

(٢) حجة الله البالغة (٢٠٨/٢) لولي الله الدهلوي (المتوفى: ١١٧٦هـ)

(٣) المجموع (١/٢٦٥)

(٤) البخاري ١٢٩/٤ كتاب بدء الخلق باب: خمس من الدواب فواسق، يقتلن في الحرم، ومسلم ١٥٩٦/٣ كتاب الأشربة باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء.

(٥) إغاثة الطالبين (٢/٣٨٧) (تحفة الأحوذى) (٥/٤٣٣) المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)

(٦) التنوير (٢/١٠٨)

في وضوئهم واغتسالهم، وسائر شؤونهم، وفي طريقهم الذي فيه يمشون، وفي ظلهم الذي به يستظلون، وموارد مياههم التي عليها يجلسون، ومن ذلك شواطئ الترع والقنوات والأنهار.

عن معاذ بن جبل قال رسول الله: «اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل»^(١)

للفقهاء تعليق مشترك على سبب النهي وتجنب اللعن من الناس ولالإمامين زكريا الأنصاري وابن قدامة تصريح مختلف فقلا: «سبب التحريم هو إيذاء الناس وصيانة للثمر عن التلويث عند وقوعه سواء كان مأكولاً أو منتفعاً به؛ لئلا تعافه النفس»^(٢).

ثامناً: تحريم الفواحش

تحريم الزنا واللواط لما فيهما من الأضرار الصحيّة، والآفات الاجتماعية.

وعن ابن عمر عن النبي: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطّاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»^(٣)

وللزنا أضرار منها زهاب نور الإيمان وحجب الدعاء واستوجاب النار وحرمان النظر إلى وجه الرحمن والذرية الفاسدة التي تؤذي المجتمع وتهدمه وتجلب له الدمار والفضيحة والابتلاء بالطاعون وعضال الداء.^(٤)

المبحث الثالث: التداوي والحجر الصحي

(١) سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) (سنن أبي داود) ٢١/١ كتاب الطهارة باب المواضع التي نهى عن البول فيها، قال الأرئؤوط: حسن لغیره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة أبي سعيد الحميري، وروايته عن معاذ منقطعة، فإنه لم يدركه، وسنن ابن ماجه ١١٩/١ باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق.

(٢) أسنى المطالب (٤٧/١) والفقہ المنهجي ٤٩/١ والمغني ١٢٢/١

(٣) ابن ماجه أبو عبد الله محمد (المتوفى: ٢٧٣هـ) (سنن ابن ماجه) ١٥٠/٥ باب العقوبات قال الهيثمي رواه الزار ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ٣١٨/٥ باب ما نهى عن قتله من النساء... قال الأرئؤوط: صحيح في تحقيقه لابن حبان ٢٩٥/١٠ ذكر استحقاق القوم عقاب الله جل وعلا عند ظهور الزنى والربا فيهم.

(٤) مرقاة المفاتيح ٢٣٩/٥ للملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ، والفقہ على المذاهب الأربعة ١٢١/٥)



أولاً: مشروعية التداوي عند وقوع الأمراض:

أمر الشرع بالتداوي لما فيه من جلب المصلحة ودفع المفسدة بدفع ما يؤذي، والواجب الاحتماء عن سبب المرض قبل حصوله وإزالته بعد حصوله، والتداوي لا يُنافي التوكُّل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع، والعطش، والحر، والبرد بأضدادها، وحقيقة التوحيد تتم بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وتعطيها يقدر في نفس التوكُّل. (١)

ولا خلاف في جواز التداوي بالطاهر واختلف الفقهاء في حكم التداوي بالنجس

الرأي الأول: يرى الحنفية وقول للمالكية والشافعية الجواز إلا الخمر فلا تجوز إلا للضرورة: فيجوز التداوي بالمحرم كالخمر والبول إن أخبره طبيب مسلم أنّ فيه شفاء والحرمة ترتفع بالضرورة فلم يكن متداويا بالحرام فلم يتناوله حديث النهي، وهذا يعني أنّ الاستشفاء بالمحرم إنما لا يجوز إذا لم يعلم أنّ فيه شفاء. (٢)

الرأي الثاني: يرى المالكية على المشهور وقول للشافعية والحنابلة وقيّد الحنفية عدم الجواز بعدم علم المريض إمكانية الشفاء عدم جواز التداوي بالنجس. (٣)

الرأي الثالث: يجوز بأبوال الإبل خاصة لورود النص فيها ولا يجوز غيرها. (٤)

(١) الطب النبوي (ص: ١٣) والفوائد (ص: ٥٤) والموافقات (٢/٢٦١) لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهرير بالشاطبي (المتوفى: ٥٧٩٠هـ)

(٢) المحيط البرهاني (٥/٣٧٣) ومجمع الأنهر (٢/٥٥٥)، وأبو القاسم، محمد ابن جزي الكلبى الغرناطي (المتوفى: ٥٧٤١هـ) والقوانين الفقهية ص ١١٦ ونهاية المطلب ٣٠٥/٢

(٣) البيان والتحصيل ٣٢٤/١٨ والمدخل ١٣٢/٤ والمحيط البرهاني (٥/٣٧٣) ومجمع الأنهر (٢/٥٥٥) والقوانين الفقهية ص ١١٦ ونهاية المطلب ٣٠٥/٢ والمغني ٤٢٣/٩

(٤) المجموع ٥٠/٩

حجة التحريم: عموم رواية أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله: «إن الله عز وجل أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا، ولا تداووا بجرام»^(١)

ويدخل فيه ترياق فيه لحوم حيات أو خمر ويجوز ببول إبل، ونبات فيه سُمية إن غلبت السلامة مع استعماله.^(٢)

وفي قوله صلى الله عليه وسلم «لكل داء دواء»^(٣) تقوية لنفس المريض والطبيب، وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه، فإنَّ المريض إذا استشعرت نفسه أنَّ لدائه دواء يزيله، تعلق قلبه بروح الرجاء، وبردت عنده حرارة اليأس، ومتى قويت نفسه انبعثت حرارته الغريزية، وكان ذلك سبباً لقوة الأرواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية، ومتى قويت هذه الأرواح، قويت القوى الحاملة لها، فقهرت المرض ودفعتة، وكذلك الطبيب إذا علم أنَّ لهذا الداء دواء أمكنه طلبه والتفتيش عليه.^(٤)

ثانياً: الحجر الصحي

صون النفس والأجسام والمنافع والأعضاء والأموال والأعراض عن الأسباب المفسدة واجب^(٥)

والحجر مكان يُعزل فيه أشخاص، أو أماكن، أو حيوانات، قد تحمل خطر العدوى.^(٦)

وتتوقف مدة الحجر الصحي على الوقت الضروري لتوفير الحماية،

(١) سنن أبي داود ٢٣/٦ أول كتاب الطب باب في الأدوية المكروهة، قال الأرناؤوط: صحيح لغيره، قال: الصنعاني في إسناده إسماعيل بن عياش، وقد حدث هنا عن ثعلبة بن مسلم الخثعمي وهو شامي فحديثه محتج به. (فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار ١٩٨٩/٤) باب النهي عن التداوي بالتحرمات، قال ابن حجر الدراية في تخریج أحاديث الهداية (٢٤٢/٢) أخرجه أبو داود بإسناد حمصى وعن أنس رفعه، وعند الطبراني ضعيف.

(٢) كشف القناع ٧٦/٢ و منصور بن يونس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ) (منتهى الإرادات ٣٤١/١)

(٣) مسلم ١٧٢٩/٤ كتاب السلام باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، ومسند أحمد ٤٥٠/٢٢ مسند جابر.

(٤) الطب النبوي (ص: ١٥)

(٥) الفروق ٤/٢٣٧

(٦) العدوى تعدي المرض من إنسان إلى آخر ومن بهيمة إلى أخرى. (القوانين الفقهية (ص: ٢٩٦)



في مواجهة خطر انتشار أمراض بعينها. ويشير الحجر الصحي في سياق الرعاية الصحية إلى مختلف الإجراءات الطبية المتبعة لإحباط انتشار العدوى التي قد تنتشر بالمستشفيات.

وتوجد صور مختلفة للحجر الصحي تُستعمل اعتماداً على نمط العدوى والعوامل المتضمنة في انتشارها بهدف مواجهة التشابه في عملية الانتشار عبر الجسيمات الهوائية أو القطرات، أو من عبر الاتصال عن طريق الجلد، أو من خلال الاتصال عن طريق سوائل الجسم.^(١)

أصل الحجر في السنة النبوية

١- عن أسامة: قال رسول الله «الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض، وأنتم بها فلا تخرجوا، فراراً منه» قال أبو النضر: «لا يخرجكم إلا فراراً منه»^(٢)

وجه الدلالة: يحرم عليكم ذلك؛ لأن الإقدام عليه تهور وجرأة على خطر وإيقاع النفس في معرض التهلكة والعقل يمنعه والشرع يأباه قال القاضي: وفيه النهي عن استقبال البلاء^(٣)

طاعون عمواس وأثره في التدابير الفقهية

ابتلى الله أصحاب المسلمين بطاعون عمواس فكان بمثابة التطبيق العملي للسنة النبوية في وضع التدابير اللازمة لمواجهة الأوبئة وقع هذا الطاعون سنة سبعة عشر وقل ثمانية عشر هجرية^(٤) زمن الخليفة عمر فكان ما فعله عمر دستوراً للأمة يجب مراعاته عند نزول نازلة، حيث اتخذ تدابير لمواجهة الوباء استنبط العلماء منه دروساً منها: ١- تطبيق

(١) <https://ar.wikipedia.org/wiki>

(٢) البخاري ١٧٥/٤ كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار، والمسند ٢٨٨/٢٩ حديث شرحبيل بن حسنة.

(٣) فيض القدير (٣٨٣/١) لزين الدين محمد الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)

(٤) قال ابن عبد البر: كان سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة. (الاستذكار (٣/١٩٠))

الشورى تطبيقاً لسنة النبي وتنفيذاً لقوله تعالى: «وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ»^(١)

٢- الاجتهاد واجب عند عدم وجود النص.

٣- النزول على النص واجب إذا ما وُجد.

٤- الإيمان بالقدر فما ينزل من بلاء أو وباء بقدر الله.

٥- شكر المجتهد لله حين يوافق اجتهاده سنة النبي.

٦- وتطبيق القياس.

٧- الجمع بين العمل والتوكيل بين الأخذ بالأسباب والأخذ بالاحتياط والحزم ومجانبة أسباب الهلاك.

٨- ظهر للصحابة نازلة جديدة في تقسيم ميراث من مات في الوباء كيف التوارث، وسيأتي بيان ذلك في بيان ميراث الغرقى والحرقى.

فالموتى الذين لم يعلم أيهم مات أولاً أنه لا يرث بعضهم من بعض، وإنما يجعل ميراث كل واحد منهم لورثته الأحياء، وبذلك قضى زيد في قتل اليمامة، وفيمن مات في طاعون عمواس.^(٢)

موقف الصحابة في التعامل مع الطاعون:

اختلف فقهاء الصحابة في كيفية التعامل مع الوباء وكان خلافهم في جواز الدخول وليس الخروج من أرض الوباء، فالخروج متعلق بمقاصده للتداوي أو الابتعاد عن الوباء أو العمل، وهو مباح لذا رجع سيدنا عمر إلى المدينة ولم يخطئه أحد.

القول الأول: أشار جمهور الصحابة على سيدنا عمر بن الخطاب بالقدوم عليه وعدم الخروج عنه؛ لأنّ ترك القدوم عليه أحب من الرجوع عنه، فإذا كره الرجوع عنه فأحرى أن يكره الخروج عنه.

(١) سورة الشورى آية ٣٨

(٢) شرح النووي على مسلم (14/209) وفتح الباري ١٠/١٨٥ وما بعدها.



القول الثاني: يرى عمرو بن العاص أنّ الأفضل أن لا يقدم عليه وأن يخرج؛ لأنه إذا كره المقام فيه فأحرى أن يكره القدوم عليه.

القول الثالث: الأفضل ألا يقدم عليه وألا يخرج عنه للنهي الوارد في ذلك عن النبي - عَلَيْهِ السَّلَامُ - رواية عبد الرحمن بن عوف، وهذا القول أصح الأقوال؛ لأنّ السنة حجة على القولين الآخرين.^(١)

ولآراء الصحابة في القدوم على الوباء، معنى صحيح في أصول السنن المجتمع عليها من الكتاب والسنة وملاك ذلك كله الإيمان بالقدر وأنّ ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه مع إباحة الأخذ بالحذر والحزم والفرار عن المهلكة الظاهرة.

وحجة الطائفتين من الصحابة واضحة مبينة في الحديث وهما مستمدان من أصلين في الشرع أحدهما التوكل والتسليم للقضاء والثاني الاحتياط الحذر ومجانبة أسباب الإلقاء باليد إلى التهلكة.^(٢)

حيث ورد ما يبيح عدم الخروج، وقيد في حصول أجر الشهادة لمن يموت بالطاعون وهو أن يمكث بالمكان الذي يقع به فلا يخرج فراراً منه.^(٣)

وفي المنع من الدخول إلى الأرض التي قد وقع فيها الحذر والحماية وتجنب الأسباب المؤذية، والأخذ بالعافية التي هي مادة المعاش والمعاد؛ فلا يستنشقوا الهواء الذي قد عفن وفسد فيمرضون، ولا يجاوروا المرضى فيحصل لهم بمجاورتهم من جنس أمراضهم، وحمية النفوس عن الطيرة والعدوى، فإنها تتأثر بهما، والطيرة على من تطير بها، وللجمع بين

(١) البيان والتحصيل ١٧/ ٣٩٨)

(٢) النووي على مسلم (٢٠٩/١٤) والاستذكار ٢٥١/٨ كتاب الجامع باب ما جاء في الطاعون.

اختلاف المهاجرين والأنصار في القدوم على الوباء فلكل واحد منهم معنى صحيح في أصول السنن المجتمع عليها من الكتاب والسنة وملاك ذلك كله الإيمان بالقدر وأن ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه مع إباحة الأخذ بالحذر والحزم والفرار عن المهلكة الظاهرة. (الاستذكار ٢٥١/٨)

(٣) فتح الباري ١٠/ ١٩٣)

النصوص النهي عن الدخول الحذر والحماية، وفي النهي عن الفرار أمر بالتوكل، والتسليم، فالأول: تأديب وتعليم، والثاني: تفويض وتسليم.^(١)

وللأخبار الواردة رأي الحنفية والمالكية أنّ منع الخروج والدخول لا يحمل على التحريم لكن لا يدخل ولا يخرج صيانة لاعتقاده فأما إذا كان يعلم أن كل شيء بقدر الله تعالى وأنه لا يصيبه إلا ما كتب الله عليه فلا بأس بأن يدخل ويخرج.

وقيل المنع من الخروج خوفاً من تعطل المرضى الذين في تلك الأرض؛ لأنّ الناس إذا فروا عنهم تعطلت أحوالهم وأحوال من يموت منهم وقيل جبراً لخاطر الفقير الذي لا يجد ما يعينه إلا على الخروج وقيل غير ذلك^(٢)

لذا قال ابن حزم في الطاعون: لا عدوى إنه لا يعديك، ولا ينفعك فرارك مما قدر عليك^(٣)

١- ميراث الموتي في الوباء والجوائح إذا لم نعلم السابق منهم.

الرأي الأول: يرى الجمهور من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وجمهور الصحابة أنه لا ميراث بين الحرقى والهدمي والهلبي في الوباء وفي القتال وفي الغربية وغير ذلك ولا يدري من مات أولاً ومال كل واحد منهم لورثته الأحياء ولا يرث الأموات بعضهم من بعض.^(٤)

الرأي الثاني: قول لسيدنا علي أنه يرث الأموات بعضهم من بعض

(١) الطب النبوي (ص: ٣٥) والذخيرة (١٣/٣٢٦)

(٢) حاشية الطحطاوي (ص: ٥٤٧) والبيان والتحصيل ٣٩٧/١٧ والذخيرة ٣٢٥/١٣

نهيه عن الخروج من بلده، ففيه معنيان:

١ حمل النفوس على الفقة بالله، والتوكل عليه، والصبر على أقضيته، والرضى بها.

٢ ما قاله أئمة الطب: أنه يجب على كل محتزم من الوباء أن يخرج عن بدنه الرطوبات الفضلية، ويقلل الغذاء، ويسبل

إلى التبرّد... (الطب النبوي (ص: ٣٤)

(٣) المحلى بالآثار (٣/١١٩)

(٤) التنف (٢/٨٥٦) والبدايع (٤/١٦٦) والتلغين (٢/٢٢٠) ومنح الجليل ٦٩٦/٩ والحاوي ٨٧/٨ والمغني ٦/٣٨١



٣٠-٣١ مايو ٢٠٢٠م

المؤتمر الدولي العالم في ظل أزمة كورونا: إشكاليات وحلول



إلا ما ورث عن صاحبه.^(١)

حجة الرأي الأول: كل أمرين حادثين لا يعرف تاريخهما يجعل كأنهما وقعا معاً، والإرث يبتنى على اليقين بسبب الاستحقاق وشرطه وهو حياة الوارث بعد موت المورث، ولم يثبت ذلك فلا يرث بالشك.^(٢)

حجة الرأي الثاني: حياة كل واحد منهم كانت ثابتة بيقين، والأصل بقاؤها إلى ما بعد موت الآخر، ولأنّ الحادث يضاف إلى أقرب الأوقات فكان كل واحد منهم مات بعد موت الآخر فيرث منه.^(٣)

٢- عن أبي هريرة قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «لا عدوى ولا صفر ولا هامة» فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال إبلي، تكون في الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجر بها؟ فقال: «فمن أعدى الأول؟» وفي لفظ «عن عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله: «لا يورد ممرض على مصح»^(٤)

علّق النبي (صلى الله عليه وسلم) الشفاء على مصادفة الدواء للداء، وكل داء له ضد من الدواء يعالج بضده، فعلّق النبي البرء بموافقة الداء للدواء، والدواء متى جاوز درجة الداء في الكيفية، أو زاد في الكمية على ما ينبغي، نقله إلى داء آخر، ومتى قصر عنها لم يف بمقاومته، وكان العلاج قاصراً، ومتى لم يقع المداوي على الدواء، أو لم يقع الدواء على الداء، لم يحصل الشفاء، ومتى لم يكن الزمان صالحاً لذلك الدواء، لم ينفع، ومتى كان البدن غير قابل له، أو القوة عاجزة عن حملته، أو ثم مانع يمنع من تأثيره، لم يحصل البرء لعدم المصادفة، ومتى تمت المصادفة حصل البرء

(١) النتف (٨٥٦/٢) والبائع ١٦٦/٤

(٢) تبيين الحقائق (٢٤١/٦) والاختيار (١١٢/٥) والنتف (٨٥٦/٢) والبائع ١٦٦/٤

(٣) تبيين الحقائق (٢٤١/٦)

(٤) البخاري ١٢٨/٧ كتاب الطب باب لا صفر، وهو داء يأخذ البطن، وصحيح مسلم ١٧٤٢/٤ كتاب السلام باب لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر



بإذن الله ولا بد، وهذا أحسن المحملين في الحديث.^(١)

وقد مر عمر بن الخطاب بامرأة مجذومة وهي تطوف بالبيت، فقال لها: «يا أمة الله، لا تؤذي الناس لو جلست في بيتك» فجلست.^(٢)

وعليه وجب أن يحال بين المجذومين وبين اختلاطهم بالناس لما في ذلك من الإذية لهم والضرر بهم^(٣)

والنهي أن يحل الممرض على المصح؛ لأنه أذى، أي لأنه قد يتأذى بذلك على ما هو موجود من جري العادة في ذلك، وكل هذا من فعل الله وقدره السابق.^(٤)

لا يحل المجذوم محل الصحيح معه يؤذيه وإن كان لا يعدي فالنفس تكرهه فهو من باب إزالة الضرر لا من العدوى وقيل هو ناسخ لقوله - صلى الله عليه وسلم - لا عدوى^(٥)

ومقصود نفى النبي العدوى الذي يعتقده الملاحدة، فهم يعتقدون أنّ الادواء تعدى بانفسها وطباعها.

وهذا باطل لأنه جرت العادة أن يخلق الداء عند ملاقاته الجسم الذي فيه الداء، كما أنه أجرى العادة أن يخلق الأبيض بين الأبيضين والأسود بين الأسودين، وإن كان في قدرته أن يخلق الأبيض من الأسودين لا أنّ هذه الادواء تعدى بنفسها.^(٦)

قال ابن عبد البر جملة الأحاديث في الوباء يجمعها النهي عن ركوب الغرر والمخاطرة بالنفس والأرض الوبيئة لا يكاد يسلم صاحبها من

(١) الطب النبوي ص: ١٢

(٢) الموطأ ٦٢٥/٣ جامع الحج، ومصنف عبد الرزاق ٧١/٥ باب: الطواف أفضل أم الصلاة وطواف المجذوم، قال عبد القادر الأرئوط: في سنده انقطاع، فإن عبد الله بن أبي ملكية لم يدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (جامع الأصول (٢١٦/٣)

(٣) البيان والتحصيل (٣٩١/٩)

(٤) البيان والتحصيل (٢٧٧/١٧)

(٥) الذخيرة (٢٥٦/١٣)

(٦) المجموع ٢٦٩/١٦

الوباء فيها إذا نزل بها فنهوا عن هذا الظاهر إذ الآجال والآلام مستورة عنهم. (١)

- الموتي بسبب الوباء يغسلوا ما أمكن وإلا دفنوا بغير غسل

الرأي الأول: يرى المالكية والحنابلة ووجه للشافعية يجوز دفن الموتي بالوباء دون أن يُغسلوا، وإن أمكن تغسيلهم بصب الماء عليهم فجائز. (٢)

الرأي الثاني: يرى الحنفية ووجه للشافعية والحنابلة تغسيلهم. (٣)

الرأي الثالث: يرى الشافعية والحنابلة أن من تعذر غسله لعدم الماء وللخوف عليه من التقطع بالغسل كالمجدور والغريق والمحترق يُيمَم إذا أمكن (٤)

حجة الرأي الثالث: كالحي العادم للماء أو الذي يؤذيه الماء. (٥)

التصرفات المالية زمن الوباء

يرى المالكية والشافعية والحنابلة أنه في زمن الوباء والطاعون فتصرف الناس كلهم فيه محسوب من الثلث وينبغي لمن ورثته أغنياء أو فقراء أن لا يوصي بزائد على ثلث والأحسن أن ينقص منه شيئاً. (٦)

(١) التمهيد (١٢/٢٦٠)

(٢) التاج والإكليل (٤٦/٣) والحاوي ٣٦٣/٣ والشرح الكبير ٣٣٧/٢

من الفتوى التي لم يقف عليها الباحث إلا في كتب المالكية تعتد زوجة المفقود زمن الوباء بعد ذهاب المرض يرى المالكية أن زوجة المفقود في زمن المجاعة أو الوباء أو الكفة أو السعال فتعتد بعد ذهاب ذلك المرض. (مواهب الجليل (٤/١٥٥) والفواكه الدواني (٢/٤٢)

(٣) البنابة (٣/٢٦٤) وحاشية الطحاوي ص ٦٢٨ والحاوي ٣٦٣/٣ والمغني ٣٩٩/٢

(٤) المنهاج القويم ص ٢٠٨ والشرح الكبير (٢/٣٣٧)

(٥) منهاج الطالبين ص ٦١ والشرح الكبير (٢/٣٣٧)

(٦) جامع الأمهات ص ٣٨٦ وفتح المعين (ص: ٤٢٨) وإعانة الطالبين ٢٤٧/٣ وكشاف القناع ٣٢٣/٤



الخاتمة

وأخيراً الخاتمة وتشتمل على التوصيات وأهم النتائج ومراجع البحث
أهم التوصيات:

- ١- على البلاد الإسلامية الاهتمام بدراسة الطب النبوي.
- ٢- تطبيق الفقه الإسلامي تفعيلاً عملياً في مجالات الحياة.
- ٣- طباعة ونشر الأحكام الفقهية المتعلقة بالنظام الصحي.
- ٤- عمل ندوات علمية و تثقيفية لطبقات المجتمع المختلفة لنشر الوعي الصحي الفقهي.

أهم النتائج:

- ١- الحاجة الملحة لدراسة وتطبيق الفقه الإسلامي
- ٢- سبق الفقه الإسلامي لضبط الحجر الصحي.
- ٣- التدابير الفقهية حماية للمجتمع.

المراجع

القرآن الكريم وكتب التفسير

- * عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) الناشر: مؤسسة الرسالة.
- * محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) تفسير الإمام الشافعي - دار التدمرية - السعودية.
- * محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد- التحرير والتنوير المؤلف: الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس

كتب السنة النبوية

- * أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ) (المسند) الناشر: دار الحديث، القاهرة.
- * سليمان بن الأشعث بن إسحاق السُّجِّسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ) - سنن أبي داود- المحقق: شعيب الأرنؤوط - الناشر: دار الرسالة.
- * محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ت: ٢٥٦هـ- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري الناشر: دار طوق النجاة.
- * محمد بن عيسى بن سَورَة بن موسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ) سنن الترمذي- تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر الناشر: الحلبي - مصر.
- * محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ) - سنن ابن ماجه -: دار إحياء الكتب العربية -
- * مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري- ت: ٢٦١هـ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

كتب الفقه

- * أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي المتوفى: ٥٨٧هـ (بدائع الصنائع



في ترتيب الشرائع) الناشر: دار الكتب العلمية ط الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

* زين الدين بن إبراهيم بن محمد ابن نجيم المصري ت: ٩٧٠ (البحر الرائق شرح كنز الدقائق) الناشر: دار الكتاب الإسلامي.

* عبد الرحمن بن محمد بن سليمان المدعو بشيخي زاده المتوفى: ١٠٧٨هـ (مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر) الناشر: دار إحياء التراث العربي.

* عثمان بن علي بن محجن الزييلي الحنفي ت: ٧٤٣هـ (تبيين الحقائق وحاشية الشَّلِيّ) (أحمد بن محمد بن أحمد الشَّلِيّ ت: ١٠٢١هـ) المطبعة الكبرى الأميرية - القاهرة ١٣١٣هـ.

* حمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي المتوفى: ٤٨٣هـ (المبسوط) دار المعرفة بيروت.

* محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العيني المتوفى: ٨٥٥هـ (البنية شرح الهداية) دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

ثانيًا: الفقه المالكي:

* شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي المتوفى: ٦٨٤هـ (الذخيرة) الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت

* محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المتوفى: ٥٢٠هـ (البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة) دار الغرب الإسلامي، بيروت

* محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد المتوفى: ٥٩٥هـ (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) دار الحديث - القاهرة

* محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي ت: ٧٤١هـ (القوانين الفقهية)

ثالثًا: الفقه الشافعي

* إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي المتوفى: ٤٧٦هـ (المهذب) دار الكتب العلمية.

* زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري المتوفى: ٩٢٦هـ (أسنى المطالب في شرح روض الطالب) دار الكتاب الإسلامي

* عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني المتوفى:

٦٢٣هـ (العزیز شرح الوجیز المعروف بالشرح الكبير) : دار الکتب العلمیة،

بیروت

* علی بن محمد بن محمد بن حبیب البصری الشهیر بالماوردی ت: ٤٥٠هـ (الحاوی

الکبیر): دار الکتب العلمیة، بیروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م

* یحیی بن شرف النووی المتوفی: ٦٧٦هـ (المجموع شرح المهدب (تکملة

السبکی والمطیعی) دار الفکر.

* یحیی بن شرف النووی المتوفی: ٦٧٦هـ (روضه الطالبین وعمدة المفتین)

المکتب الإسلامی، بیروت ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

رابعًا: الفقه الحنبلي

* عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي الحنبلي، المتوفى:

٦٢٠هـ (المغني لابن قدامة) الناشر: مكتبة القاهرة.

* علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي الحنبلي المتوفى: ٨٨٥هـ

(الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف) دار إحياء التراث العربي.

* محمد بن أحمد الفتوح الحنبلي الشهير بابن النجارت ٩٧٢هـ (منتهى

الإرادات) الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.



تدبير الأديان السماوية للأزمات الصحية من خلال الكتاب المقدس والقرآن الكريم

عبد الرحيم أبو أيوب^(١)

جامعة سيدي محمد بن عبد الله - المغرب

ABOUAYYOUB8ALANSARI@HOTMAIL.COM

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،،

مع ظهور وباء كورونا، ظهرت تفسيرات دينية لأسباب ظهوره وطرق علاجه. وكمثال لذلك مع الاختصار على الأديان السماوية:

أن بعض الحاخامات قالوا بأنه عقاب لأعداء اليهود فلا يصيبهم، مما أدى إلى استهتار الحريديم به، كما أن وزير الصحة الحاخام يعقوب ليتسمان قال: ”أنا على ثقة أن المسيح سيأتي ويخرجنا من كورونا كما أخرجنا الله من مصر“^(٢)، وخالف تعليمات وزارته فأصيب.^(٣)

أما النصراني فكانت تصريحاتهم متضاربة؛ فبينما وصفه القس

(١) أستاذ التربية الإسلامية وباحث في الدكتوراه تخصص مقارنة الأديان. حاصل على شهادة الماجستير في الدراسات السامية ومقارنة الأديان.

(٢) جريدة القدس العربي: ٢٠٢٠/٠٣/٢٥. [https://www.alquds.co.uk/%D9%B1%D9%A1%D9%A7%D9%A8%D9%A9%D9%AD%D9%AE%D9%AF%D9%B0%D9%B1%D9%B2%D9%B3%D9%B4%D9%B5%D9%B6%D9%B7%D9%B8%D9%B9%D9%BA-%D9%BB%D9%BC%D9%BD%D9%BE%D9%BF](https://www.alquds.co.uk/%D9%B1%D9%A1%D9%A7%D9%A8%D9%A9%D9%AD%D9%AE%D9%AF%D9%B0%D9%B1%D9%B2%D9%B3%D9%B4%D9%B5%D9%B6%D9%B7%D9%B8%D9%B9%D9%BA-%D9%BB%D9%BC%D9%BD%D9%BE%D9%BF%D9%B0%D9%B1%D9%B2%D9%B3%D9%B4%D9%B5%D9%B6%D9%B7%D9%B8%D9%B9%D9%BA-%D9%BB%D9%BC%D9%BD%D9%BE%D9%BF)

(٣) جريدة الشرق الأوسط، العدد: ١٥١٢٤. ٢٠٢٠/٠٤/٢٥.

كينيث “بأنه شيطان وحكم عليه بالطرد وأمره بزحف على بطنه”^(٤)، وصفه القس ويلس بـ “الملك الذي جاء لتطهير الأرض”^(٥)، وقال الأسقف العام لكنائس وسط القاهرة: “إن سر التناول المقدس هو الشافي من أمراض الجسد والروح، أرجوا أن نقرب منه بهيبة وليس بفحص علمي”^(٦). وسخر بمن يقتفي العلم، ليقترح الليمون كعلاج“. ولم تخضع الكنائس للحجر الصحي إلا مكرهة.^(٧)

أما بعض المسلمين فقال أحدهم إن هذا الأمر لا يصيب المسلمين، لكن هذا لم يصدر عن علماء أو جهات موثوقة.

هذه التفسيرات تجعلنا نتساءل، هل لها ما يبررها في الكتب المقدسة؟ وإذا كانت، فهل تقدم حلولاً معقولة أم لا؟

هذا ما سأحاول استجلاءه باستقراء الكتب المقدسة، لعنا نجد التشريع الذي يقنع العقل بجذته، ويلامس الفطرة بأحكامه، ويواكب العصر بشموليته، ليكون طوق نجاة للعالم.

النظرة الدينية لأسباب الأوبئة:

أسباب الأوبئة من خلال الكتاب المقدس:

من خلال الكتاب المقدس، فللأوبئة أسباب ثلاثة:

(٤) قناة كينيث: ٢٠٢٠/٠٣/٣٠.

<https://www.youtube.com/watch?v=OSIrQBGFUtw>

(٥) منظمة Right Wing Watch: ٢٠٢٠/٠١/٢٨.

<https://www.rightwingwatch.org/post/rick-wiles-the-coronavirus-is-an-end-times-plague-sent-by-god-to-purge-the-world-of-sin>

(٦) برنامج بستان العقيدة: ٢٠٢٠/٠٣/٠٤.

١egvR_GidUU=<https://www.youtube.com/watch?v>

(٧) قناة الجزيرة: ٢٠٢٠/٠٣/١٣.

<https://www.aljazeera.net/news/cultureandart>

١٣/٣/٢٠٢٠/https://www.aljazeera.net/news/cultureandart

B٣ZDAZAAZD٩٧B١AAZDAZD٩٨١D٩٧AAZDAZ-A٩٧AAZDAZD٩٨٦٧AAZD٩٧AFZD٩



لا يذكر الوباء في العهد القديم^(١) إلا للعقاب، حتى ولو كان في المواشي^(٢). فهو من الضربات التي يعاقب بها الخارج عن الوصايا، كما جاء: «إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرض أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك... يلصق بك الرب الوباء حتى يببذك»^(٤).

وهو لا يصيب الأتقياء، لأن «الساكن في ستر العلي في ضل القدير بيت. أقول للرب ملجائي وحصني الهي فاتكل عليه. لأنه ينجيك من فخ الصياد ومن الوباء الخطر»^(٥). لكن هذا يناقض ما جاء أن أيوب أصيب بمرض خطير مع أنه كان «مستقيم يتقي الله»^(٦).

وهذه أمثلة من الأوبئة التي ذكرها الكتاب المقدس^(٧):

- هلاك ٢٤٠٠٠ من بني إسرائيل بالوباء بعد غضب الرب عليهم بسبب الزنا.^(٨)

- هلاك ١٤٧٠٠ من بني إسرائيل بالوباء عقب تمرد قورح.^(٩)

- هلاك الجواسيس الذين أشاعوا بأن الأرض المقدسة رديئة.^(١٠)

أما العهد الجديد فإنه جعل ظهور الأوبئة علامة للعودة الثانية، حيث جاء فيه: «تكون زلازل عظيمة في أماكن ومجاعات وأوبئة...

(١) للكتاب المقدس قسمين: قديم يقدسه اليهود والنصارى، وجديد يقدسه النصارى فقط.

(٢) سفر الخروج: ٣/٩.

(٣) دائرة المعارف الكتابية. مادة: وبأ.

(٤) سفر التثنية: ٢٨/١٥-٢٨.

(٥) سفر المزامير: ١٩١/٣.

(٦) سفر أيوب: ٢/٣-٧.

(٧) دائرة المعارف الكتابية. مادة: ضرب. بتصرف

(٨) سفر العدد: ٢٥/٩١.

(٩) سفر العدد: ١٦/٤٩.

(١٠) سفر العدد: ١٤/٣٧.

من خلال القرآن والسنة، فالأوبئة تأتي لأسباب ثلاثة:

أ. الوباء ابتلاء للمؤمن:



يكون الابتلاء بالخير والشر، لقول الله -عز وجل-: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾^(١). وغايته توجُّه العبد إلى الله، بعبادة الشكر على خيره، وبالتضرع إليه بعبادة الصبر على الشر.

وهو من علامات الإيمان لقوله تعالى: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٢). وهو أشد على الأنبياء -عليهم السلام-، فلما سئل الرسول -عليه السلام- أي الناس أشد بلاء، قال: ﴿الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاءؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة﴾^(٣).

ومما يشهد للأوبئة أنها من أنواع الابتلاء التي تصيب المسلم، قوله -عليه السلام-: ﴿مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى مِنْ مَرَضٍ، فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحْطُ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا﴾^(٤). وقوله -عليه السلام-: ﴿الطَّاعُونَ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ﴾^(٥). وهذا ما يفسر موت خيرة الصحابة به.

ب. الوباء عقاب:

أحاديث كثيرة تؤكد أن الوباء يكون عقاباً للطغاة، منها قوله -عليه السلام-: ﴿إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ أَوْ السَّقَمَ رِجْزٌ عُذِّبَ بِهِ بَعْضُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ﴾^(٦).

(١) سورة الأنبياء: ٣٥.

(٢) سورة العنكبوت: ٢٤، ٢٣.

(٣) سنن الترمذي: ٢٣٩٨، صحيح

(٤) صحيح مسلم: ٢٥٧١.

(٥) صحيح البخاري: ٥٧٣٢.

(٦) صحيح مسلم: ٢٢١٨.



ولعل الوباء هو آخر ما عُوقب به فرعون قبل إغراقه، فهو الرجز المقصود^(٧) في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٨).

وكما عوقبت به الأمم سابقة، تعاقب به هذه الأمة إذا فعلت أسبابه. استنادا للقاعدة القرآنية: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٩). ومن الأسباب الموجبة للعقوبة بالوباء، الوقوع في الزنا، لقول الرسول r: ﴿لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا﴾^(١٠).

ج. الوباء آية للتفكير والاعتبار:

يأتي الوباء كذلك تذكيرا للناس بخالقهم وبيانا لقدرته عليهم، وأنه المتصرف في ملكه بحكمته، لقوله- عز وجل-: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾^(١١). وهذا الأمر يتعلق بالناجحي منه لعله يتعظ به^(١٢) ويؤدي الوظيفة التي خلق من أجلها.

إذن من خلال ما سبق فالأوبئة في العهد القديم لا تكون إلا عقابا، وتكون عقابا من الرب أو من الشيطان بحسب العهد الجديد. وهذا ما يفسر تفسيرات المحامات والقساوسة لوباء كورونا. أما في

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن. ج: ١٣، ص: ٧١.

(٨) سورة الأعراف: ١٣٤.

(٩) سورة الشورى: ٣٠.

(١٠) سنن ابن ماجه: ٤٠١٩، حسن

(١١) سورة الإسراء: ٥٩.

(١٢) ممن كانت أزمة كورونا سبب إسلامه: المصارع النمساوي الشهير ويلهلم أوت، حيث قال: «لقد أعطتني أزمة كورونا الراحة اللازمة

لأجد إيماني مرة أخرى. قناة الجزيرة: ٢٠٢٠/٠٤/١٩.



الإسلام؛ فتكون للابتلاء، والعقاب والاعتبار. وهذا ما يؤكد حديث: ﴿الطَّاعُونَ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي وَرَحْمَةٌ لَهُمْ وَرِجْسٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١). وهذا الأمر يمنع اتهام المريض، لأنه لا يمكن معرفته هل هو عقاب أم ابتلاء إلا بالوحي.

التدابير الدينية الوقائية للأزمات الصحية:

أهم التوصيات التي حثت عليها منظمة الصحة العالمية للحد من انتشار الأمراض^(٢) هي:

* نظافة اليدين جيداً بالماء، وتغطية الفم والأنف عند السعال أو العطس.

* تجنب الاقتراب من الأشخاص المصابين.

* تجنب تناول المنتجات الحيوانية النيئة.

ولذلك فمقارنة التدابير الدينية الوقائية بين الكتب المقدسة، ستكون في: نظافة اليدين، والتغذية السليمة، والحجر الصحي. وذلك لمعرفة أي من التشريعات عباداته المأمور بها معقولة المعنى وتساير متطلبات العصر.

التدابير الوقائية للأزمات الصحية من خلال الكتاب المقدس:

أ. نظافة اليدين:

شدد العهد القديم طقوس الطهارة، وبالغ في تحديد النجاسات التي تجب الطهارة منها. من ذلك أنه جعل:

* من حضرميت، يصير نجسا ولا يطهره إلا رماد البقرة.^(٣)

* المريض بالبرص نجسا، وقد لا يتطهر إلا بمحرق ثيابه وهدم

(١) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث. ٢٥٥.

(٢) منظمة الصحة العالمية: ٢٠٢٠/٧٠/٢١.

<http://www.emro.who.int/ar/health-topics/corona-virus/protect-yourself-and-others.html>

(٣) بذل المجهود في إفحام اليهود. ص: ٣٣. يراجع أيضا سفري اللاويين: ٢١. والعدد: ١٩.

بيته. (٤)

* المرأة الحائض نجسة، وكل ما تجلس عليه يتنجس. (٥)

لكن يقابل هذا الإفراط، تفريط في غسل اليدين عند الوضوء. وهذا أمر مخالف للمعقول، كما وصفه يهودي سابقاً (٦). فالوضوء عند اليهود يكون بصب الماء على اليدين فقط (٧) بدون فركهم (٨).

أما في العهد الجديد؛ فالطهارة لا علاقة لها بالماء لأنها داخلية فقط، ولا تكون إلا بالإيمان بالرب يسوع. أما المعمودية فلا علاقة لها بالنظافة، فهي ليست إزالة وسخ الجسد، بل هي علامة خارجية لموت المنتصر ودفنه وقيامته مع المسيح (٩).

وسبب عدم وجود الطهارة عند النصارى، أنه ليس عندهم شيء نجس إلا ما يخرج من الفم: «إن كل ما يدخل الفم يمضي إلى الجوف ويندفع إلى المخرج. وأما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر. وذلك ينجس الإنسان» (١٠). مما جعل بعضهم يتقرب للرب بعدم الاغتسال (١١).

هذا الأمر جعل الكاتبة (ري تاناهيل) تقول وهي تتحدث عن ضحايا أوبئة سابقة: «على الأرجح أن المسيحيين عانوا أكثر من اليهود أو المسلمين، حيث لم تكن النظافة العامة جزءاً من عقيدتهم. ثم تعرض قولة جيروم: الرجل الذي تطهر بالمسيح لا يحتاج مزيداً من الطهارة. وتقول: ومن المستبعد أن يكون النقاء الروحي قد خط دفاعاً قويا ضد البراغيث التي كانت تنقل الطاعون» (١٢).

(٤) سفر اللاويين: ١٣/١٤ و٤٥/١٤

(٥) سفر اللاويين: ١٥/٢٣-١٩

(٦) بذل المجهود في إفحام اليهود. ص: ٢٨.

(٧) الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية. ص: ٩٠.

(٨) التلمود، طهاروت. ص: ٥٢٥.

(٩) دائرة المعارف الكتابية. مادة: طهر. بتصرف

(١٠) إنجيل متى: ١٥/١٨

(١١) تاريخ الرهينة. ص: ٣٩.

(١٢) قصة الجنس عبر التاريخ. ص: ١٤١



من أهم القواعد التي اعتمدها التوراة في التغذية، أنه لا يحل إلا ما شق ظلفه ويجتر من الحيوانات. ومن الأسماك ما له زعانف وقشور. وجعلت الباقي نجسا ومن مسه يتنجس إلى المساء^(١). أما قوانين الذبابة فجاوزت العقل والمنطق؛ حيث أمروا المتفقد للذبيحة أن يدخل يده في بطنها، فإن وجد القلب ملتصقا بالظهر أو الجانب حرموه^(٢).

أما في العهد الجديد، فجميع الأطعمة طاهرة "تقدس بكلمة الرب والصلاة"^(٣). بل إن النصارى يعتقدون أن كمال الإيمان أن تشرب سما ولا يضرك^(٤).

ج. الحجر الصحي:

ذكر أحدهم^(٥) أن الحجر الصحي المذكور في التوراة وذلك من خلال النص التالي: «إذا كان إنسان في جلد جسده ناتئ أو قوباء أو لمعة تصير في جلد جسده ضربة برص يؤتى به إلى هرون الكاهن أو إلى أحد بنيه الكهنة. فإن رأى الكاهن الضربة في جلد الجسد وفي الضربة شعر قد ابيض ومنظر الضربة أعمق من جلد جسده فهي ضربة برص فمتى رآه الكاهن يحكم بنجاسته. لكن إن كانت الضربة لمعة بيضاء في جلد جسده ولم يكن منظرها أعمق من الجلد ولم يبيض شعرها يحجز الكاهن المضروب سبعة أيام. فإن رآه الكاهن في اليوم السابع وإذا في عينه الضربة قد وقفت ولم تمتد الضربة في الجلد يحجزه الكاهن سبعة أيام ثانية. فإن رآه الكاهن في اليوم السابع ثانية وإذا الضربة كامدة اللون ولم تمتد الضربة في الجلد يحكم الكاهن بطهارته إنها حزاز فيغسل ثيابه ويكون طاهرا. لكن

(١) سفر التكوين: ٤/٩. واللاويين: ١١

(٢) القرآن والتوراة: أين يتفقان وأين يفتقان. ج: ٢، ص: ٣٩٥. بتصرف

(٣) رسالة بولس ١ إلى تيموثاوس: ٥/٤

(٤) إنجيل مرقس: ١٦/١٨-١٨.

(٥) حساب على تويتر، يُرجح أنه لشخصية يهودية: ٢٠٢٠/٠٣/١٨.

١٢٤٠٣٣٦٢٧٠٧٩٥٣٥٤١١٢/https://twitter.com/Third_____eye/status

إن كانت القوباء تمتد في الجلد بعد عرضه على الكاهن لتطهيره يعرض على الكاهن ثانية. فإن رأى الكاهن وإذا القوباء قد امتدت في الجلد يحكم الكاهن بنجاسته إنها برص. إن كانت في إنسان ضربة برص فيؤتى به إلى الكاهن، فإن رأى الكاهن وإذا في الجلد ناتئ ابيض قد صير الشعر ابيض وفي الناتئ وضح من لحم حي، فهو برص مزمن في جلد جسده فيحكم الكاهن بنجاسته لا يحجزه لأنه نجس، لكن إن كان البرص قد أفرخ في الجلد وغطى البرص كل جلد المضروب من رأسه إلى قدميه حسب كل ما تراه عينا الكاهن، ورأى الكاهن وإذا البرص قد غطى كل جسمه يحكم بطهارة المضروب كله قد ابيض إنه طاهر»^(٦).

لكن الذي نشر هذا النص تجاهل عدة أمور، أهمها:

- * أن النص يميز بين الطاهر والنجس، والمريض ليس نجسا.
- * أنه جعل من فيه قليل البرص نجسا، ومن غطاه البرص كله طاهرا.
- * أنه يتحدث عن الكاهن المكلف بدور العبادة، ولا علاقة له بالطب.

أما عن النصارى فقد حاول الأب رفعت أن يطابق بين قوله «لا تسلموا في الطريق على أحد»^(٧) وبين توجيهات الجهات المختصة: «لا تصافحوا أحداً». رغم أنه يعلم أن إلقاء السلام ليس هو المصافحة باليد. ورغم أنه اعترف أن هذه العبارة يقصد بها «لا تهتموا بالمجاملات على الطريق لأن بين أيديكم رسالة عليكم إيصالها بسرعة»^(٨).

وخلاصة القول، أن الكتاب المقدس بين طرفين؛ طرف الإفراط

(٦) سفر اللاويين: ١٣-١/١٣

(٧) إنجيل لوقا: ١٠/٤

(٨) وكالة عمون الإخبارية: ١٦/٠٣/٢٠٢٠.

٥٢٤٦١٠=https://www.ammonnews.net/index.php?page=article&id



والتشدد بلا معنى معقول ويمثله العهد القديم، وطرف التفريط وتساهل بلا مقصد مقبول ويمثله العهد الجديد.

فصفة الطهارة وقواعد التغذية في العهد القديم، ليس لها مقصد صحي إلا "حماية المقدس من النجاسات وضمان دخول الأطهار إليه"^(١)، كما جعل المريض نجسا. وأما في العهد الجديد فالكل طاهر بلا طهارة، وكل ما وجدته يباع فأكله^(٢) ولو كان سما.

التدابير الوقائية للأزمات الصحية من خلال القرآن والسنة:

أ. نظافة اليدين:

القرآن واضح في صفة الطهارة وأوقاتها وغايتها، قال- عز وجل - :
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾^(٣).

فغسل اليدين من الوضوء المرتبط بالصلاة المفروضة خمس مرات يوميا. ولا بد من فركهم جيدا وتخليل أصابعهم، لقوله تعالى: ﴿أَسْبِغِ الْوُضُوءَ، وَخَلَّلْ بَيْنَ الْأَصَابِعِ، وَبَالِغٌ فِي الْإِسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا﴾^(٤). بل إن غسل البراجم^(٥) من سنن الفطرة التي حري بكل إنسان أن يفعلها بله إذا كان مسلما. أما غايتها فنظافة الإنسان ظاهرا وباطنا، ﴿يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾.

أما العطاس الذي لم يذكره الكتاب المقدس، فقد كان نبينا - عليه السلام - يقول: «إِذَا عَطَسَ عَطَى وَجْهَهُ يَبْدِيهِ أَوْ بَثْوَبِهِ وَعَضَّ بِهَا صَوْتَهُ» . ومثل هذا ما دعت إليه منظمة الصحة العالمية. ورغم ذلك، لا ينبغي اعتبار صحة النصوص المقدسة وبطلانها بمدى موافقتها لنظريات تظهر

(١) التلمود، طهاروت. ص: ٨

(٢) رسالة بولس ١ للأهل كورنثوس: ٢٥/١٠.

(٣) سورة المائدة: ٦.

(٤) سنن أبي داود. ١٤٢.

(٥) صحيح مسلم: ٢٦١. البراجم: مفاصل الأصابع

وتغيب بغياب أسباب ظهورها، فذلك علم له مناهجه.

ب. التغذية:

القاعدة المعمول بها في بيان الحلال من الأطعمة، هي قوله-عز وجل :-: ﴿وَيُحَلِّ لَّهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾^(٦). فالقرآن جعل علة التحريم هي "الضرر بالصحة". وبهذه العلة يعرف العلماء حكم ما قد يظهر مستقبلا بالقياس. وكذلك ما حرمته السنة؛ فكله يدخل في الخبائث، ككل ذي ناب من السباع.

ج. الحجر الصحي:

قدمت السنة في الحجر الصحي قواعد ثابتة. منها:

* عدم دخول أرض الوباء أو الخروج منها: لقوله - عليه السلام -: ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ﴾^(٧).

* رفع أجر الملتزم به تثبिता له ومواساته: لقوله - عليه السلام -: ﴿لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونَ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ﴾^(٨).

* عدم مخالطة المصابين: لقوله - عليه السلام -: ﴿فَرِّمَنِ الْمَجْدُومِ كَمَا تَفَرُّ مِنَ الْأَسَدِ﴾. وحتى لا يتهم البعض بالعدوى، قال - عليه السلام -: ﴿لَا عَدْوَى﴾^(٩) إلا بإذن الله- عز وجل

.-

فجاءت هذه القواعد واضحة المقاصد لحماية صحة الإنسان. الأمر

(٦) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٧) صحيح البخاري: ٥٧٢٩

(٨) صحيح البخاري: ٥٧٣٤

(٩) صحيح البخاري: ٥٧٣٤



المؤتمر الدولي العالم في ظل أزمة كورونا: إشكاليات وحلول
الذي جعل الدكتور كريج كونسيدين يقول:

Experts like immunologist Dr. Anthony Fauci and medical reporter Dr. Sanjay Gupta are saying that good hygiene and quarantining, or the practice of isolating from others in the hope of preventing the spread of contagious diseases, are the most effective tools to contain COVID-19.

Do you know who else suggested good hygiene and quarantining years ago during a pandemic? Muhammad, the prophet of Islam, over 1,300 years ago.

”يقول خبراء علم المناعة، كأنتوني فوسي وسانجاي غوبتا: إن النظافة الصحية الجيدة، والحجر الصحي، أو الانعزال عن الآخرين؛ هي أكثر الأدوات فعالية لاحتواء كوفيد-19. هل تعرف من اقترح النظافة الصحية الجيدة والحجر الصحي خلال الوباء؟ إنه محمد، نبي الإسلام، قبل 1300 عام.“

التدابير الدينية العلاجية للأزمات الصحية:

لما حددت الكتب المقدسة بعض أسباب الأمراض، ذكرت علاجها.

التدابير العلاجية للأزمات الصحية من خلال الكتاب المقدس:

لما كانت أسباب الأوبئة في الكتاب المقدس؛ إما العقاب أو الشيطان أو خطيئة آدم، كانت علاجاته كلها روحية، فهذه لا تدفع بالعقاقير بل بإتباع الوصايا والإيمان بالرب يسوع، وتناول السر المقدس. ومع ذلك فقد جاءت بعض العلاجات الطبيعية نذكرها أولاً.

أ. العلاج الطبيعي:

(1) جريدة نيوزويك: 2020/03/17.

twitter___&1=amp?1492798-coronavirus-19-https://www.newsweek.com/prophet-prayer-muhammad-covid-19-2020-03-17&impression=true&fbclid=IwAR3MT

ذكر الكتاب المقدس بعض العلاجات. من ذلك:

* علاج الملك حزقيا بالتين. لكن الذي غفل عنه مؤلف العهد القديم، هو أن هذا الملك لا يمكن أن يمرض بحسب الكتاب المقدس لأنه «عمل المستقيم»^(٢).

* أن قلب الحوت وكبده تطرد الشياطين والأرواح، ومرارته تعالج العيون^(٣).

* علاج الجراح بالزيت والخمر^(٤). والمعدة بالخمر^(٥).

وعلى غرابة هذه العلاجات، فإنها لا تجدي نفعا لولا تدخل الكنيسة، واعتراف المريض بخطيئته.

فقاعدة العلاج الكنسي؛ أن يأتي المريض ل«شيخ الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تشفي المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطية تغفر له. اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا طلبة البار تقدر كثيرا في فعلها»^(٦).

لكن الجدير بالذكر أن الكتاب المقدس ينسب الشفاء مرة للوسائل^(٧)، وأحيانا للرب^(٨) ويقول للأطباء: «أنتم ملفقوا كذب أطباء بطالون كلكم»^(٩).

(٢) سفر الملوك ٢: ٣/١٨. و ٧/٢٠.

(٣) سفر طوبيا: ٨٧/٦.

(٤) إنجيل لوقا: ٣٤/١٠.

(٥) رسالة بولس ١ إلى تيموثاوس: ٢٣/٥.

(٦) رسالة يعقوب: ١٦-١٤/٥.

(٧) سفر أخبار الأيام ٢: ١٦/١٢، ١٤/٢.

(٨) سفر الخروج: ٢٦/١٥.

(٩) سفر أيوب: ٤/١٣.



لما ربط اليهود المرض بالعقاب فقط، كان علاجهم الوحيد هو الصلاة. لما جاء «إن أغلقت السماء ولم يكن مطر وإن أمرت الجراد أن يأكل الأرض وإن أرسلت وباء على شعبي. فإذا تواضع شعبي الذين دعي اسمي عليهم وصلوا وطلبوا وجهي ورجعوا عن طرقهم الردية فإنني اسمع من السماء واغفر خطيتهم وأبرئ أرضهم»^(١) وبهذه الطريقة واجهوا كورونا.^(٢)

أما العهد الجديد فمحوره هو العلاج الروحي، حتى جعل مهمة يسوع هي شفاء الناس حتى لقب بالطبيب الأعظم^(٣). ومثال للعلاج الروحي من الكتاب المقدس:

- * توقف انتشار الوباء بقتل الخاطئين^(٤)، أو البخور.^(٥)
- * علاج البواسير بتقديم قربان ذهبي.^(٦)
- * علاج امرأة بلمس ثوب يسوع.^(٧)

وأمام ازدياد الكتاب المقدس للأطباء، وقول تاتيان: ”إن علم العقاقير فن باطل خادع“، استبدلت الكنيسة الكاهن بالطبيب، والسر المقدس بالدواء، وألزمت المرضى، دون رحمة، أن يمتنعوا عن تناول العقاقير الطبية قبل سر الاعتراف. وأصدرت قرارا سنة ٨٩٥، جاء فيه:

(١) سفر أخبار الأيام ٢: ١٤١٢/٧

(٢) قناة NEWS٣٤: ٢٠٢٠/٠٢/١٦.

D%AVZDAZ-١٥٨١٨١٤٦٥/middle-east/B١ZDAZAVZDAZAAZAEZDAZDAZArZhttps://www.i٢news.tv/ar/ZDA
-A٦ZD٩Z٨٥ZD٩Z-٨٦ZD٩ZAAZD٩Z٤٤ZD٩ZB٥ZAAZDAZAA-ZD٩ZDAZAVZDAZB١ZDAZB٤ZDAZB٩ZDAZ٨٤Z٩
D٩Z-B٣ZDAZAAZD٩ZB١ZAAZDAZD٩Z٨١ZD٩Z-AVZAAZDAZD٩ZAVZADZDAZDAZB٦ZDAZ-A٤ZACZD٩ZDAZAVZDAZ
-B٧ZDAZATZDAZAVZADZDAZDAZ-٨٥ZD٩ZAVZDAZ٨٥ZD٩ZAVZDAZ-AVZDAZ٨٦ZD٩ZAAZD٩ZB١ZDAZAAZD٩Z٨٣Z
٨٩ZD٩Z٨٣ZD٩ZAAZDAZ٨٥ZD٩Z٨٤ZD٩ZAVZDAZ

(٣) دائرة المعارف الكتابية. مادة: طب

(٤) سفر العدد: ٩٤/٢٥.

(٥) سفر العدد: ٤٨٤٦/١٦.

(٦) صمويل ١: ٣/٦.

(٧) سفر مرقس: ٣٤٢٦/٥.

”ليس ثمة علاج بدون اعتراف“^(٨).

فأصبح ”الرجال المثخون بالجروح يضطرون إلى الانتظار طويلا، استعدادا للإقرار بخطاياهم وذنوبهم جميعا، وتناول الخبز الذي يسمونه جسد الرب قبل أن ينالوا إسعافا أوليا“^(٩). هذا الحال جعل الطبيب برنارد شويقربأن حيثما دخلت النصرانية دخلت الأوبئة^(١٠).

واليوم يريدون علاج كورونا بنفس الطريقة، كما دعا لذلك الأسقف العام لكنائس وسط القاهرة، وكتناشو بقوله: «المشكلة هي الخطيئة. وثمان علاجها دم المسيح»^(١١). وتهكم آخر بالطب بقوله: ”إن الطبيب لا يصلح إلا لضعيفي الإيمان“.

If your faith is strong and you can believe the Word without wavering, then you'll be able to receive that healing by faith alone... And, for the Christian who hasn't yet developed that kind of faith, the doctor is his best friend^(١٢).

التدابير العلاجية للأزمات الصحية من خلال القرآن والسنة:

ميز القرآن بين العلاج بالوسائل الطبيعية الخاصة بالأمراض العضوية، وبين العلاج الروحي.

أ.العلاج طبيعي:

(٨) شمس العرب تسطع على العرب. ص: ٢١٩ و٢٢٣

(٩) المرجع نفسه. ص: ٢٢٥

(١٠) حيرة الطبيب، برنارد شو. نقلا عن «الطب والعلاج بين الإسلام واليهودية والنصرانية»: ٢٠٠٨/٠٢/٢٨.

ixzz٦QJdIsUzx#/١٩٦٠/٠/https://www.alukah.net/culture

(١١) كلية الناصرة الإنجيلية: ٢٠٢٠/٠٣/٢٨.

D%AVZAA-ZDAZD9%A1ZD9%-A1ZDAZAVZDAZAAZDAZAAZD9%A4ZD9%AVZhttps://www.nazcol.org/ar/blog/%DA

-ZD9%A٢ZD9%AAZDAZ-B٣%AFZDAZDAZ٨٢ZD9%A٥ZD9%A٤ZD9%AVZDAZ-AAZDAZAVZAAZDAZDAZ٨٣ZD9%A٤Z9

٨٣٩/٨٤ZD9%AVZDAZ-B٣ZDAZ٨٢ZD9%A٤ZD9%AVZDAZ-٨٥ZD9%A٤

(١٢) موقع كينيث: ٢٠٢٠/٠٥/٢٧.

https://www.kcm.org/read/questions/it-contrary-the-principles-faith-use-doctors-and-medicine-when-you-need-healing



يقوم طب الأبدان على ثلاث قواعد؛ حفظ الصحة، والحمية عن المؤذي، واستفراغ المواد الفاسدة. هذه القواعد استنبطها ابن قيم الجوزية من القرآن الكريم وقد أطال بسطها^(١).

أما عن العقاقير فقد ذكر القرآن والسنة منها القليل، من ذلك:

* قوله سبحانه عن العسل: ﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾^(٢). وللإشارة، لم يقل شفاء للمؤمنين، لأن من خصائص العلاج الطبيعي للإنسانية جمعاء، فهو ليس حكراً لأحد.

* قوله: ﴿الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: شَرْبَةِ عَسَلٍ، وَشَرْطَةِ مَحْجَمٍ، وَكَيِّ نَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّْ﴾. وقوله - عليه السلام -: ﴿فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إِلَّا السَّامَ﴾^(٣).

وسبب قلة العقاقير، أن الإسلام يقدم قواعد ثابتة، ويترك العقل يبحث وفقها بما يناسب المطلوب، والقاعدة الذهبية التي قدمها لحفظ الصحة هنا، هي قوله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿تَدَاوُوا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُزَلْ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً، إِلَّا الْمَوْتَ، وَالْهَرَمَ﴾^(٤). وهذه ليست دعوة للعلاج فقط، وإنما هي دعوة للخبراء بالاجتهاد فيما ينفع الإنسانية، ودعوة للدول الإسلامية بالاهتمام بالبحث العلمي ودعمه. كما أنها تبعث اليقين بالطبيب والأمل للمريض.

ب. العلاج الروحي:

هذا الأمر حصل من الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى في أمور الطبيعية. من ذلك:

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد. ج: ٤، ص: ٦٦.

(٢) سورة النحل: ٦٨-٦٩.

(٣) صحيح البخاري: ٥٦٨٠ و٥٦٨٨.

(٤) مسند أحمد: ١٨٤٥٥.

* علاجه لساق سلمة بن الأكوع بالنفث فيه ثلاثا. (٥)

* علاجه لرجل عبد الله بن عتيك بمسحها. (٦)

* علاجه عيني علي بعدما بصق فيهما. (٧)

لكن لما كانت المعجزة خاصة بالأنبياء - عليهم السلام -، وغايتها تأكيد صدقهم فقط، لم يداوم عليها^(٨) حتى لا يتعلق الناس بالمعجزات ويتركوا الأسباب.

غير أنه لما انتهت المعجزات وبقيت معجزة خالدة جعلها الله - عز وجل - شفاء بقوله: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٩)؛ وذلك لأن القرآن روح. ولا يصلح الروح إلا الروح.

لكن لا يكون شفاء إلا لمن عمل بأحكامه، ورضي بتوجيهاته في كل المجالات، كما في المجال الصحي. لذلك كان شفاء للمؤمنين وليس لكل الناس.

ومادام المرض من الله والدواء كذلك، علمنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - طريق الوصول إليه؛ وهي التوكل عليه بالقلب، مع الأخذ بالأسباب بالبحث عن العلاج بعيدا عن كل الخرافات. لذلك وصفه كونسيدين في مقاله السابق:

“he knew when to balance faith with reason”

خلاصة:

بعد كل هذا، يظهر جليا أن الكتاب المقدس خالف الفطرة

(٥) صحيح البخاري: ٤٢٠٦.

(٦) صحيح البخاري: ٤٠٣٩.

(٧) صحيح البخاري: ٣٧٠١.

(٨) يُنظر: صحيح مسلم: ٢٥٧٦.

(٩) سورة الإسراء: ٨٢.



الإنسانية، ومنع العقل من التفكير، لذلك تركه الناس قبل أن يخرجوا من الكنيسة التي حاربت العلم. وهذا عكس القرآن الكريم الذي يقدم حلولاً أو يوجه العقل للإبداع وفق قواعد منطقية.

لذلك قال الطبيب موريس بوكاي بعد دراسته: "إن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث... أما في الكتاب المقدس فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً".^(١)

ولنا يقين بأن الله أنزل للوباء علاجاً، لكن الوصول إليه يكون بالبحث والاجتهاد، وليس في النكت والمنامات. فعلى الدول الإسلامية دعم المؤسسات العلمية والدينية، وتتبع التوجيهات الإسلامية في كل المجالات، بالاعتماد على الخبراء كل في تخصصه، حتى إذا وقعت أزمة كان الحل جاهزاً.

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث. ص: ١٣.

•المراجع:

- * بذل المجهود في إفحام اليهود، السموأل المغربي. دار القلم. تحقيق: عبد الوهاب طويلة. الطبعة الأولى.
- * بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، الحارث بن محمد. تحقيق: حسين الباكري. مركز خدمة السنة-المدينة. طبعة الأولى.
- * تاريخ الرهينة والديرة، رؤوف حبيب. مكتبة المحبة.
- * التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا. القاهرة. ٢٠٠٤.
- * التلمود، ترجمة مصطفى عبد المعبود. تقديم: محمد خليفة. مكتبة النافذة.
- * جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري. تحقيق: أحمد شاكر. مؤسسة الرسالة، طبعة ٢٠٠٠.
- * حيرة الطبيب، برنارد شو. ترجمة عمر مكاوي. دار الفكر العربي.
- * دائرة المعارف الكتابية، ولیم وهبه بباوي. دار الثقافة. الطبعة الثانية.
- * دراسة الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث، موريس بوكاي. دار المعارف. الطبعة الرابعة.
- * زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية. مؤسسة الرسالة. الطبعة: ١٩٩٤.
- * سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني. تحقيق: محمد عبد الباقي. دار إحياء الكتب.
- * سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث. تحقيق: محمد عبد الحميد. المكتبة العصرية.
- * سنن الترمذي، محمد بن عيسى. تحقيق: أحمد شاكر ومن معه. مكتبة مصطفى- مصر. طبعة: ١٩٧٥.
- * شمس العرب تسطع على العرب، زيغريدهونكه. ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي. دار الجيل-الوفاق. الطبعة الثامنة.
- * صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق: محمد الناصر. دار طوق النجاة. طبعة: ١٤٢٢هـ.



- * صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج. تحقيق: محمد عبد الباقي. دار الإحياء-بيروت.
- * الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية، هدى درويش. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. الطبعة الأولى.
- * القرآن الكريم.
- * القرآن والتوراة: أين يتفقان وأين يفترقان، لحسن الباش. دار قتيبة.
- * قصة الجنس عبر التاريخ، ري تاناهيل. ترجمة: إيهاب عبد الحميد. دار ميريت. الطبعة الأولى.
- * الكتاب المقدس.
- * مجلة التراث الأرثوذكسي.
- * المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني تحقيق: صفوان الداودي. الناشر: دار القلم، طبعة: ١٤١٢هـ.
- * النبوة والسياسة، غريس هالسل. ترجمة محمد السماك. دار النفاثس. الطبعة السابعة.

• المواقع:

- * القدس العربي.
- * الشرق الأوسط.
- * القس كينيث.
- * منظمة Right Wing Watch.
- * برنامج بستان العقيدة.
- * الجزيرة.
- * شهود يهوه.
- * منظمة الصحة العالمية.
- * وكالة عمون الإخبارية.
- * نيوزويك.
- * قناة i24NEWS
- * شبكة الألوكة
- * كلية الناصرة الإنجيلية

المؤتمر الدولي العالم في ظل أزمة كورونا: إشكاليات وحلول ٣٠-٣١ مايو ٢٠٢٠م



٣٠-٣١ مايو ٢٠٢٠م

المؤتمر الدولي العالم في ظل أزمة كورونا: إشكاليات وحلول



جائحة كورونا إشكالات وحلول من منظور الشريعة الإسلامية

الباحث: يوسف محمود محمد علي بخيت^(١)

مدير المركز التعاوني لتأهيل الحفظة - السودان - الخرطوم

Yousfina777@gmail.com

ملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد، فإن من السنن الكونية التي تحتم على الخلق وقوعها الابتلاءات، ومنها: الابتلاء في النفس بالأمراض، والأوجاع والأوبئة، ومن هذه الأوبئة التي نزلت على الأمة «جائحة كورونا»، فقد مسحت العالم شرقا وغربا، حتى عرفت عند القاصي والداني، وتسائل الناس عن الوقاية منها وطرق علاجها، وقد اهتم الباحثون بالبحث عنها كل على حسب تخصصه، ومن هذا المنطلق ظهر كتابة هذه الورقة من منظور الشريعة الإسلامية، وتكمن مشكلة البحث في الجمع والتفريق بين الإيمان بالله، والمواريث الشعبية في جائحة كورونا، وسبل الخروج من هذه الجائحة بالطرق الوقائية منها والعلاجية، فقد تناولت الدراسة القوانين والسنن الكونية المتحتمة على الكون بأسره، وما وراء ذلك من أسرار ربانية تختلف فيها العقول البشرية بين مؤمن بها وكافر، وما وضعته الشريعة الإسلامية من أمور تحرزية، وتدابير وقائية، وطرق علاجية.

وتهدف الدراسة لتأصيل الملمات الصحية التي تطرأ على العالم، من أوبئة وجوائح تأصيلا شرعيا لأسبابها، وفقه التعامل عند نزولها، وبيان

(١) مدير المركز التعاوني لتأهيل الحفظة، عضو الاتحاد السوداني للعلماء والأئمة والدعاة، عضو الجمعية السودانية للدراسات الإسلامية، (السودان)



التدابير الوقائية والطرق العلاجية لها.

ومحاور هذه الورقة تتكون من ثلاثة فصول:



الفصل الأول: مسائل في جائحة كورونا، وفيه ثلاثة مباحث: المبحث الأول: فيروس كورونا والطاعون، المبحث الثاني: كورونا وباء وبلاء، المبحث الثالث: انتشار العدوى بين الإيمان بالله والمواريث الشعبية.

الفصل الثاني: الطرق الوقائية من جائحة كورونا، المبحث الأول: التعويضات، المبحث الثاني: الابتعاد عن المعاصي والمحرمات.

الفصل الثالث: الاهتمام بالنظافة، الفصل الثالث: الطرق العلاجية من جائحة كورونا، وفيه ثلاثة مباحث، المبحث الأول: التضرع إلى الله بالدعاء، المبحث الثاني: الحجر الصحي، المبحث الثالث: الاستطباب، ثم ذكر النتائج التوصيات.

وقد استخدم الباحث المناهج التالية: المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي، ومنهج تحليل المضمون.

الفصل الأول: مسائل في جائحة كورونا

المبحث الأول: جائحة كورونا والطاعون

تعد جائحة كورونا من الأوبئة المعدية التي ظهرت منذ القدم، وقد عُرف بالموت الأسود في القرن الرابع عشر، وذلك لتسببه بوفاة ما يزيد عن ٥٠ مليون حالة وفاة في أوروبا، وقد أظهرت بعض الإحصائيات أنّ عدد حالات الإصابة بهذه الأوبئة خلال الفترة الممتدة ما بين عامي ٢٠١٥ و٢٠١٥ ما يُقارب ٣٢٤٨ حالة، من بينهم ٥٨٤ حالة وفاة، وفي الوقت الراهن تُقدّر حالات الإصابة بالطاعون بما مقداره 2000-1000 حالة سنوياً أغلبها في إفريقيا، ومن الجدير بالذكر أنّ الأوبئة أكثر ما تنتشر



في المناطق ذات مستوى النظافة المتدني، أو كثيرة الازدحام، أو تلك التي يشيع فيها وجود القوارض»^(١) وقد اختلف العلماء في الفرق بين الأوبئة والطواعين، وهل بينهما خصوص وعموم، وفي أيٍّ منهما تندرج جائحة كورونا، ولمعرفة هذا نقف مع المصطلحين من حيث اللغة والاصطلاح، فقد عرف ابن منظور الطاعون بقوله: «أنه المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد له الأمزجة والأبدان»^(٢).

وقد خالف بعض العلماء ابن منظور ووصفوا تعريفه بأنه تعريف الوباء وليس تعريف الطاعون، ولكن من باب الأمانة العلمية فإن ابن منظور ليس وحده من ينحو هذا المنحى في تعريف الطاعون، بل جمع من العلماء يتبنى هذا التعريف منهم ابن سينا فهؤلاء يعرفون الوباء والطاعون على حد سواء، وهذا يفتح لنا نافذة جديدة أن بين المصطلحين قواسم مشتركة تصل إلى درجة أن يكون بين المصطلحين خصوص وعموم.

ومن الذي خالفوه هذا التعريف صاحب المعجم الوسيط حيث عرف الطاعون بقوله: «دَاءٌ وَرَئِيٌّ وَبَائِيٌّ سببه مكروب يصيب الفئران، وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان»^(٣). ويؤيده هذا المعنى اللغوي المعنى الاصطلاحي الذي ذكره النووي بقوله: «الطاعون قروح تخرج في الجسد فتكون في الآباط أو المرافق أو الأيدي أو الأصابع وسائر البدن، ويكون معه ورم وألم شديد، وتخرج تلك القروح مع لهيب ويحصل معه خفقان القلب والقيء»^(٤). وهذا المعنى يوافق الحديث الذي

(١) "Plague", www.who.int, Retrieved March 22, 2018. Edited.

(٢) لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، الناشر: دار صادر - بيروت، ط: الثالثة - ١٤١٤ هـ، ج ١٣، ص ٢٦٧.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، الناشر: دار الدعوة، ط: الأولى، ج ٢، ص ٥٥٨.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢ هـ، ج ١، ص ١٠٥.



روته عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: « غدة كغدة البعير يخرج في المراق والإبط »^(١).

وقد ذكر ابن القيم أن بين الوباء والطاعون عموم وخصوص بقوله: « ولما كان الطاعون يكثر في الوباء، وفي البلاد الوبيئة، عبر عنه بالوباء، كما قال الخليل: الوباء الطاعون. وقيل: هو كل مرض يعم، والتحقيق أن بين الوباء والطاعون عموماً وخصوصاً فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعوناً، وكذلك الأمراض العامة أعم من الطاعون فإنه واحد منها، والطواعين خراجات وقروح وأورام رديئة حادثة، وهذه القروح والأورام والجراحات هي آثار الطاعون وليست نفسه، ولكن الأطباء لما لم تدرك منه إلا الأثر الظاهر جعلوه نفس الطاعون»^(٢)

والخلاصة أن جائحة كورونا يطلق عليها الوباء حقيقة، ويطلق عليه الطاعون مجازاً من باب إطلاق الكل وإيراد الجزء، وبهذا نجتمع بين الفريقين فالذين عرفوا التعريف بالمعنى العام أخذوا باعتبار ذكر الكل وإيراد الجزء، والذين عرفوا الطاعون بالتعريف الخاص إنما قصدوا الطاعون حقيقة، ولهذا ليس بين التعريفات تناقض، بل تناسق وزيادة فائدة في المعنى.

المبحث الثاني: جائحة كورونا وباء وبلاء

إن الأوبئة والجوائح التي تنزل على الناس تختلف باختلاف نزولها واستقبالها، فتعتبر للكافر بلاء وانتقام، وللمؤمن وباء تحط به الخطايا، ويرفع به الدرجات، شريطة الصبر والاحتساب، لما في حديث عبد الله، قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك، فقلت: يا

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى، ج: ٤، ص: ١٧٣٧.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج: ٤، ص: ٣٦.

رسول الله، إنك لتوعك وعكا شديدا؟ قال: «أجل، إني أوعك كما يوعك رجلا منكم» قلت: ذلك أن لك أجرين؟ قال: «أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها، إلا كفر الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها»^(٣) فكلما عظمت منزلة الرجل عند الله عظم ابتلاءه كما في حديث مصعب ابن سعد، عن أبيه قال: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسبه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خيط»^(٤). إنما خص الله أنبياءه بالأوجاع لما خصهم به من قوة اليقين وشدة الصبر والاحتساب ليكمل لهم الثواب ويتم لهم الأجر، وهذه حكمة بديعة خلف الابتلاءات لا يتفطن لها الكثير.

وعلى الذي سبق فقد خصت الشريعة الإسلامية الأوبئة والجوائح بزيادة أجرٍ عن غيرها كما في حديث عائشة، أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الطاعون، فقال: «كان عذابا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، ما من عبد يكون في بلدة يكون فيه، ويمكث فيه لا يخرج من البلد صابرا محتسبا، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر شهيد»^(٥). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المطعون شهيد»^(٦)

وقد جاء تفسير الطاعون في حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن فناء أمتي بالطعن والطاعون قالت أما الطعن

(٣) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، لمحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ، ج٧، ص١١٥.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ج٩، ص٩٧٤.

(٥) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ، ج٧، ص١٢٨.

(٦) موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك الأصبجي، صححه ورقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، ط: الأولى، ج١، ص٢٣٣.



فقد عرفناه فما الطاعون قال غدة كغدة البعير تخرج في المراق والآباط من مات منه مات شهيدا»^(١).

أما بالنسبة للكافر فإنه لا يؤجر على هذه المصائب من أوبئة وجوائح وغيرها لعموم نصوص الوحي التي تدل على إحباط عمله قال تعالى: «إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم* أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين»^(٢) وقال تعالى: «ما كان للمشركين أن يعمرؤا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون»^(٣).

ولذلك نجد فرقا بين المؤمن والكافر في حال نزول البلاء، فإن المؤمن يكون صابرا محتسبا يعلم أن ما أخطئه لم يكن ليصيبه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، أما الكافر فلعدم إيمانه تجده في خوف وتوتر دائم، وذلك لحبه الدنيا لأنها جنته، ولبغضه الآخرة لأنه سجنه، وهذا بدوره يؤثر بقدر الله

على انتشار المرض، ففي جائحة كورونا كانت أعداد المصابين في المجتمعات الكافرة أكبر بكثير من المجتمعات المسلمة، والسبب في ذلك الخوف والتوتر الذي ينزل بالكافر عندما يسمع بالموت، وقد ذكر بعض علماء الطب الحديث عن جائحة كورونا ودواعيها، أن من أكبر الدواعي للإصابة بجائحة كورونا ضعف المناعة في الجسم، ومن أكبر العوامل المؤدية إلى ضعف المناعة في الجسم «الخوف والتوتر» وهذا كان سببا واضحا بقدر الله في انتشار جائحة كورونا في المجتمعات الكافرة.

المبحث الثالث: انتشار العدوى بين الإيمان بالله والمواريث الشعبية

(١) الاستذكار، أبو عمر القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠، ج٣، ص٦٨.

(٢) سورة آل عمران: الآيات ٢١-٢٢.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٧.

العدوى اسم من أعدى يعدي فهو معد. ومعنى أعدى أي أجاز الجرب الذي به إلى غيره، أو أجاز جربا بغيره إليه، وأصل هذا من عدا يعدو إذا جاوز الحد^(٤).

والعدى عند أهل الجاهلية في السابق، وعند المجتمعات الكافرة اليوم أن المرض يعدو بطبيعته لا بقدر الله وإرادته، وهذا فهم ينافي العقيدة الصحيحة التي دلت عليها الشريعة الإسلامية قال الله عز وجل: «ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير* لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور»^(٥) فقال الحسن: نعم والله إن الله ليقضي القضية في السماء ثم يضرب لها أجلا أنه كائن في يوم كذا وكذا في ساعة كذا وكذا في الخاصة والعامة حتى إن الرجل ليأخذ العصا ما يأخذها إلا بقضاء وقدر» وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بمخمسين ألف سنة»^(٦) ولذلك أنكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعتقد الفاسد على أهله فقال: «لا عدوى ولا صفر ولا هامة» فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال إبلي، تكون في الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرى فيدخل بينها فيجر بها؟ فقال: «فمن أعدى الأول؟»^(٧)

ومعنى الحديث أن البعير الأول الذي جرب من أجره؛ أي وأنتم تعملون وتعترفون أن الله تعالى هو الذي أوجد ذلك من غير ملاصقة لبعير أجرى فاعلموا أن البعير الثاني والثالث وما بعدهما إنما جرب

(٤) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م، ج ٣، ص ٧٣.

(٥) سورة الحديد: الآيات ٢٢-٢٣

(٦) المسند الصحيح المختصر، مسلم بن الحجاج، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج ٤، ص ٢٠٤٤.

(٧) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ، ج ٧، ص ١٢٨.

بفعل الله تعالى وإرادته لا بعدوى تعدي بطبعها ولو كان الجرب بالعدوى طبيعة لا قدرا، لم يجرب الأول لعدم المعدي ففي الحديث بيان الدليل القاطع لإبطال عقيدتهم في العدوى.

أما اعتقاد أهل الإيمان في العدوى، أن الابتعاد ممن أصيب بمرض معد كالجرب والبرص والجزام ونحوه إنما هو من باب الأخذ بالأسباب لأن الشريعة تأمر بذلك، كما في قصة وفد ثقيف أن رجلا مجذوما أرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم إننا قد بايعناك فارجع، وهذا موافقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»^(١) وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يورد ممرض على مصح»^(٢)، ونجد في المقابل أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل مع مجزوم، كما في حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم: «أكل مع المجذوم وقال له كل ثقة بالله وتوكلا عليه» وعن عائشة قالت كان لها مولى مجذوم فكان يأكل في صحافي ويشرب في أقداحي وينام على فراشي، فالجمع بين الأحاديث حمل الأمر باجتنابه والفرار منه على الاستحباب والاحتياط لا للوجوب وأما الأكل معه ففعله لبيان الجواز والله أعلم^(٣)، وبهذا يبين أن الإسلام يأمر بالحد من مخالطة المجذوم مع العلم أن المرض لا يصيبه إلا بقدر الله، فالأمر بالفرار من المجزوم من باب سد الذريعة لئلا يعتقد الذي نزلت عليه العدوى إنما هي بمخالطته لهذا المصاب وليست بقدر، وبهذا يقدر في إيمانه بالقدر فيهلك، ولذلك جعلت الشريعة التحرز لئلا يقع المسلم في هذه المخالفة، أما جواز المخالطة ففيه الثقة بالله وأن هذا الأمران قدر الله كان وإن لم يقدر لم يكن، كفعل النبي صلى الله عليه وسلم

(١) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ، ج ٥، ص ٣١١.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود سليمان السجستاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط: الأولى، ج ٤، ص ١٧.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢، ج ١٤، ص ٢٢٨.

وأكله مع المجزوم في قصعة واحد، وشرب خالد بن الوليد سُماً وقال ثقة بالله وتوكلا عليه، فهذا أمور تجسد علاقة بالإيمان بالله في هذا الباب، ومن الحكم في جواز المخالطة أن المريض يكون بحاجة لمن يخالطه لقضاء حوائجه كالزوجة والأبناء، ولذلك أعطت الشريعة الإسلامية الخيار بالفسخ بالنسبة للزوجة مع زوجها.

الفصل الثاني: الطرق الوقائية من جائحة كورونا

المبحث الأول: التعويذات من الأسباب الوقائية لجائحة كورونا

التعويد من عاذ يعوذ إذا التجئ، ومنه عوذ: أعوذ بالله، أي: ألجأ إلى الله، عودا وعبادا. ومعاذ الله: معناه: أعوذ بالله، ومنه: العوذة، والتعويد^(٤).

فإن العبد يحتمي من كل شر يخافه بالله، لأن الله تعالى لا يغلبه شيء، وأن الأمر كله بيده من قبل ومن بعد، خيره وشره، قال تعالى: «وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير»^(٥) وقال تعالى: «وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم»^(٦) وقال تعالى: «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا»^(٧)

وكان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم الاستعاذة من كل شر ينزل على الخلق، مستمرا كان أو عارضا، على المجتمع كان أم على الفرد، علم أم جهل، ولذلك كان من هديه صلى الله عليه وسلم يتعوذ من كل شر يخافه على نفسه وأهله وعلى الأمة عامة، كان تعوذه مجملا في بعض الأحيان مفصلا في أحيين كثيرة، فكان يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء

(٤) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، ج٢، ص٢٢٩.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٧-

(٦) سورة يونس: الآية ١٠٧.

(٧) سورة التوبة: الآية ٥١.



القضاء، وشماتة الأعداء»، وكان يتعوذ صلى الله عليه وسلم من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم، وكان يتعوذ صلى الله عليه وسلم من الفتنة بقوله: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن شر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر ومن شر فتنة المسيح الدجال»، وكان يتعوذ صلى الله عليه وسلم من زوال النعمة بقوله: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجأة نقمتك، وجميع سخطك»، وكان يتعوذ صلى الله عليه وسلم من الجوع: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئس البطانة» وكان يتعوذ صلى الله عليه وسلم من الفقر بقوله: «اللهم إني أعوذ بك من القلة والفقر والدلّة»، وكان يتعوذ صلى الله عليه وسلم من جار السوء بقوله: «اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء، ومن ليلة السوء، ومن ساعة السوء، ومن صاحب السوء»

وكان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم التعوذ عند الصباح والمساء، كقراءته أواخر البقرة لحديث ابن مسعود، أن النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه) وقوله: «كفتاه» قيل: أجزأته عن قيام الليل، وقيل: كفتاه من كل شيطان وهامة، فلا يقربه ليلته، وقيل: كفتاه ما يكون من الآفات تلك الليلة، وقيل: معناه حسبه بهما فضلا وأجراً^(١)، وكذلك حديث عبد الله بن خبيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قرئ (قل هو الله أحد) والمعوذتين حين تصبح وحين تسمي ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»، قال الطيبي: (من كل شيء) أي تدفع عنك كل سوء^(٢) فالمسلم يحصن نفسه من كل شر يعلمه أو لا يعلمه.

(١) شرح سنن أبي داود أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني، المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج ٥، ص ٣٠٣.

(٢) مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، نور الدين الملا الهروي القاري، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ج ٤، ص ١٨٥.

فالعبد إذا تحصن عند الصباح وعند المساء لا يصيبه مكروه، وإن نزل عليه شيء من الأوبئة والجوائح فإنها تكون له رحمة، وقد يخطئ البعض في فقه هذا الباب فيعتقد أن الذي يحافظ على هذه الأذكار والتعويزات لا يصيبه مرض مثل الأوبئة والجوائح، ولكن الصحيح من الفهم أن العبد المحافظ عليها قد يصيبه مرض، ولكن لا يكون إلا رحمة له.

المبحث الثاني: الابتعاد من المعاصي والمحرمات من الطرق الوقائية من جائحة كورونا

المعاصي تعتبر من أكبر العوامل الجالبة للمصائب، فسيئات المصائب من سيئات الأعمال، فإن المصائب التي تنزل على المجتمعات من أوبئة وجوائح ماهي إلا عقوبات دنيوية، قال تعالى: «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير»^(٣). وقال تعالى: «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك»^(٤) وقال: «أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم»^(٥)، والمعصية لا تقتصر عقوبتها على البشر بل حتى الدواب يصلها شؤم المعصية ابن آدم، قال مجاهد: إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة، وأمسك المطر، وتقول: هذا بشؤم معصية ابن آدم، ومن تأثير المعاصي على المجتمع ما يحل بها من الأوبئة والجوائح والزلازل والخسف والمسح، وقد «مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ديار ثمود، فمنعهم من دخول ديارهم إلا وهم باكون، ومن شرب مياههم، ومن الاستسقاء من آبارهم، حتى أمر أن لا يعلف العجين الذي عجن بمياههم للنواضح، لتأثير شؤم المعصية في الماء»، ويؤثر شؤم الذنوب والمحرمات حتى في نقص الثمار وقد ذكر الإمام أحمد في مسنده قال: «وجدت في خزائن

(٣) سورة الشورى: الآية ٣٠.

(٤) سورة النساء: الآية ٧٩.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٦٥.



بعض بني أمية، حنطة، الحبة بقدر نواة التمرة، وهي في صرة مكتوب عليها: كان هذا ينبت في زمن من العدل، وأخبرني جماعة من شيوخ الصحراء أنهم كانوا يعهدون الثمار أكبر مما هي الآن، وكثير من هذه الآفات التي تصيبها لم يكونوا يعرفونها، ومن آثار المعاصي والمحرمات على المجتمع أنها تزيل النعم، وتحل النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب، كما قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة. ومصدق هذا قول الله تعالى: «ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»^(١)، فأخبر الله تعالى أنه لا يغير نعمة أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه، فيغير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، قال تعالى: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»^(٢) فإن المعاصي والمحرمات تزيل النعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة، فتزيل الحاصل، وتمنع الواصل، فإن نعم الله ما حفظ موجودها بمثل طاعته، ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته، وقد جعل الله سبحانه لكل شيء سببا وآفة، سببا يجلبه، وآفة تبطله، فجعل أسباب نعمه الجالبة لها طاعته، وآفات المانعة منها معصيته، فإذا أراد حفظ نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها، وإذا أراد زوالها عنه خذله حتى عصاه بها، ومن العجب علم العبد بذلك مشاهدة في نفسه وغيره، وسماعا لما غاب عنه من أخبار من أزيلت نعم الله عنهم بمعاصيه، وهو مقيم على معصية الله، كأنه مستثنى من هذه الجملة، أو مخصوص من هذا العموم، وكأن هذا أمر جار على الناس لا عليه، وواصل إلى الخلق لا إليه.

وكذلك المحرمات في المأكل والمشرب والمنكح فإنها تجمع الأسباب الجالبة لهذه الأوبئة، لأن من علل تحريمها التأثير على البدن والعقل، فإما أن تؤثر على العقل، أو البدن، أو كلاهما معا.

(١) سورة الأنفال: الآية ٥٣.

(٢) سورة الرعد: الآية ١١.

وقد أثبت علماء الطب الحديث أن من الأسباب الجالبة لجائحة كورونا أكل بعض الحشرات والحيوانات التي حرمتها الشريعة الإسلامية كالحم الخنزير، والضفادع والكلاب ونحو ذلك من الحيوانات المحرمة، والتعامل غير المناسب مع هذه الحيوانات المحرمة، من جلوس معها ومخالطتها بطريقة غير صحية، وما كان تحريم هذه الأشياء إلا لنجاستها، وتأثيرها على الأبدان.

وهنا تظهر سماحة الإسلام وحمايته للكليات الخمس ومنها المحافظة على النفس والعقل، فما من شيء حرّمته الشريعة الإسلامية إلا حفاظاً على هذه الكليات الخمس، فارتكابها يؤدي إلى هذه الأضرار المتعدية والمعدية، التي تفتك بالأمة وتهدر الأنفس والأموال، بل تفتت الأمن وتغير مجرى الحياة العملية التي اعتادها الناس كما هو الآن في جائحة كورونا.

المبحث الثالث: النظافة في الاسلام وأثرها في الوقاية من جائحة كورونا

ينظر الاسلام إلى النظافة أنها جزء لا يتجزأ من الإيمان، فلم يعد ينظر إليها أنها مجرد سلوك مرغوب فيه، بل قضية إيمانية تتصل بالعتيدة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق» ولقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم النظافة نصف الإيمان، حيث قال صلى الله عليه وسلم: «الطهور شرط الإيمان» ومن مظاهر النظافة في الاسلام الوضوء: بما فيها من تعهد للأعضاء الظاهرة من الإنسان الأكثر تعرضاً للتلوث، وجعلها شرطاً لقبول الصلاة أوجب الشارع غسل جميع البدن، بعد الجماع وبعد الحيض والنفاس وغير ذلك من المواطن التي يلزم معها الغسل قال تعالى: «ويستلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث



أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين»^(١)، ومن مظاهر النظافة في الإسلام: غسل اليدين قبل الأكل وبعده، وغسلهما بعد الاستيقاظ من النوم، ومن مظاهر النظافة في الإسلام النهي عن التبول أو التبرز أو إلقاء القاذورات في الطرق أو في الأماكن التي يركن إليها الناس للاستراحة مثل الظلال كما في حديث جابر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل»، ومن مظاهر النظافة في الشريعة الإسلامية سنن الفطرة، وهي عبارة عن بعض السلوكيات التي تعني بنظافة الإنسان، «الختان، والاستحداد، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقص الشارب»، لحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «خمس من الفطرة: الاستحداد، والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط وتقليم الأظفار»، ومن مظاهر النظافة في الإسلام التسوك: وهو استخدام السواك وتطهير الفم من بقايا الطعام لما في حديث أبي هريرة لولا أن أشق على أمتي لأمرهم بالسواك عند كل صلاة» وقد نهت الشريعة الإسلامية أن تأكل شيئاً تنبعث منه رائحة كريهة قال صلى الله عليه وسلم: «من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين فلا يقربن مسجداً؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم» انظر كيف يراعى الإسلام الذوق العام حتى مع غير البشر، بل ويصل التحذير لدرجة «فلا يقربن مصلانا»، ومن مظاهر النظافة في الإسلام الحث على التطيب بالمسك وغيره من أنواع الطيب الذي يسرُّ النفس، ويُبهِجها، ويبعث على النشاط والقوة، كما في حديث الليث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حبب إلي الطيب، والنساء، وجعلت قرّة عيني في الصلاة»

اهتمت الشريعة الإسلامية بالنظافة لهذه الدرجة العظيمة، حفاظاً على الأبدان من التلوث، وقد ظهر للجميع ان من أكبر الأسباب الجالبة لجائحة كورونا التلوث وعدم النظافة، وفي المقابل فإن من أكبر

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

الأعمال التي قامت بها الدول والمنظمات العالمية والمحلية لمجابهة جائحة كورونا النظافة بكل أشكالها من تعقيم للمؤسسات والشوارع العامة، وغير ذلك من أماكن الاكتظاظ، ويظن البعض أن النظافة إنما هي من ابتكار الغرب، وأن أمة الإسلام ليس لها علاقة بذلك، ولكن في الحقيقة إذا كانت بعض الأديان أولت النظافة جزء من اهتمامها فقد جعلها الإسلام نصف الإيمان، كما جعلها شرط لبعض العبادات، وانظر إلى اهتمام الإسلام بالنظافة في شمولها وخصوصها، فبعض الأشياء تتعلق بالإنسان في ذاته كخصال الفطرة، والغسل ونحو ذلك، وبعضها يتعلق بالأدييات كدخول الخلاء والتطهر من الحيض والنفاس والجماع لأن هذه الأشياء مرتبطة بتعليمات الشريعة الإسلامية، ولذلك تجد أهل الغرب مع تطورهم المادي إلا أنهم مازالوا يتطهرون بالمناديل الورقية بدلا من الماء، وهذا يظهر لك الفرق بين من يقوم بالطهارة والنظافة تعبداً، وبين من يقوم بها سلوكاً، فالأول يقوم بها على الوجه الأكمل لأنه يبتغي الأجر والثواب من الله تعالى، أما الثاني فإنه يقوم بها تصنعاً، فالنظافة بأنواعها المختلفة من أهم الطرق الوقائية لجائحة كورونا

الفصل الثالث: الطرق العلاجية لجائحة كورونا

المبحث الأول: التضرع والرجوع إلى الله من الطرق العلاجية لجائحة

كورونا

ينزل الله المصائب من الأوبئة والجوائح حتى يرجع الخلق إلى ربهم ويعودوا إلى رشدهم، ويقبلوا على الله بالدعاء والتذلل والانكسار، قال تعالى: «ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون* فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون»^(٢) فلولا تحضيض، بمعنى هلا، وهذا عتاب على ترك الدعاء، وإخبار عنهم أنهم لم يتضرعوا حين نزول العذاب،

(٢) سورة الأنعام: الآيات ٤٢-٤٣.

كما قال: «فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين»^(١) واستكبارهم هنا بترك دعائه سبحانه وتعالى ولذلك سمي الله من لم يلجئ إليه بالدعاء مستكبرا قال الله تعالى: «ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين»^(٢) فيخبر الحق تعالى أن الغرض من إنزال هذه الأوبئة والجوائح التضرع إليه وإخلاص العبادة له، وأن يفردوه بالتذلل والإنابة. فهلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا، وعلموا الغرض من البلاء الرجوع إليه الله، قال تعالى: «وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون»^(٣) وقال تعالى: «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون»^(٤) وأخبر سبحانه وتعالى: «ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون»^(٥) وهذا نظير قوله تعالى: «ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون»^(٦)

فمن تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن ينزل بهم الشدة والضرر وما يلجئهم إلى توحيده فيدعونه مخلصين له الدين ويرجونه لا يرجون أحدا سواه وتتعلق قلوبهم به لا بغيره فيحصل لهم من التوكل عليه والإنابة إليه وحلاوة الإيمان وذوق طعمه والبراءة من الشرك ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف أو الجذب أو حصول اليسر وزوال العسر في المعيشة فإن ذلك لذات بدنية ونعم دنيوية قد يحصل للكافر منها أعظم مما يحصل للمؤمن. وأما ما يحصل لأهل التوحيد المخلصين لله الدين فأعظم من أن يعبر عن كنهه مقال أو يستحضر تفصيله بال

(١) سورة الأعراف: الآية ١٣٣.

(٢) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٦٨.

(٤) سورة الروم: الآية ٤١.

(٥) سورة الأحقاف: الآية ٢٧.

(٦) سورة المؤمنون: الآية ٧٦.

ولكل مؤمن من ذلك نصيب بقدر إيمانه.

والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه، ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن كما في حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «الدعاء سلاح المؤمن»، والشريعة الإسلامية تحث على الدعاء وترغب فيه لحديث معاذ بن جبل، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لن ينفع حذر من قدر ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم بالدعاء عباد الله»، وعند نزول الأوبئة والجوائح تكون استجابة الدعاء أكبر لكثرة العلل والدواعي التي تحيط بحال الداعي ودعائه، من الإلحاح، وصفاء القصد، وجمعية القلب، وشدة الحاجة، والتذلل والانكسار ولذلك كان لزاما على الداعي أن يراعي هذه الأمور في دعائه، قال ابن القيم: «وكثيرا ما تجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم، فيكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله، وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعا في الوقت الذي ينبغي استعماله على الوجه الذي ينبغي»^(٧)، ولذلك كان من هديه صلى الله عليه وسلم الدعاء في مثل هذه النوازل فكان يكثر في الدعاء عند وباء المدينة المنورة في أول قدوم له للهجرة، فقد أصيب جمع من الصحابة بالحمى منهم أبو بكر الصديق، وبلال رضي الله عنهما، وكان يكثر من الدعاء في الاستسقاء عند الجذب، والقنوت عند النوازل كما قصة رعل وزكوان، وهذا فيه بيان أن من أنجع أنواع العلاج لهذه الجائحة الدعاء والرجوع إلى الله.

المبحث الثاني: الحجر الصحي من الطرق العلاجية لجائحة كورونا

الحجر بمعنى الحظر والمنع تقول حجرت على الرجل، وحظرت

(٧) الداء والدواء، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الناشر: دار المعرفة - المغرب، ط: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ج ١، ص ١٥.



وعجرت^(١) الحجر والحجر لغتان، وهو الحرام، وكان الرجل في الجاهلية يلقي رجلاً يخافه في الأشهر الحرم، فيقول: حجراً محجوراً، أي حراماً محرماً عليك في هذا الشهر، فلا ينداه بشيء^(٢). و«المحجر الصَّحِّي»: مكان يُحجز فيه المصابون بالأمراض الوبائية تحت المراقبة خوفاً من انتشارها^(٣)،

و«الحجر الصحي» هو عزل الأشخاص المخالطين لحالات مؤكدة أو لحالات يُحتمل إصابتها بالمرض لفترة زمنية تحدد وفقاً لفترة حضانة المرض -الفترة ما بين حدوث العدوى وظهور الأعراض- وقد قُدرت بـ ١٤ يوماً في حالة كوفيد-١٩، أما «العزل» فيُعرف بأنه حجز المرضى الذين ظهرت عليهم الأعراض بالفعل بعيداً عن الأشخاص الأصحاء. ويوصف «التباعد الاجتماعي» بأنه الحفاظ على مسافة -متر واحد على الأقل- بين الأفراد الأصحاء، ومن الممكن وضع شخصين مصابين في غرفة واحدة، ولكن يجب أن تكون المسافة بين المريضين على الأقل متراً ونصف المتر إلى مترين، وأن يكون المكان معرضاً للتهوية بشكل دائم، خشية من انتقال الفيروسات المختلفة، ليس فقط كوفيد-١٩ ولكن أي أمراض تنفسية أخرى لأنه من الممكن أن تؤدي إلى مضاعفات أخرى^(٤)

وأظهرت مجموعة من الدراسات عن الحجر الصحي أنه يؤدي دوراً حيوياً في التحكم في انتشار مرض كوفيد-١٩، مقارنةً بأي تدابير وقائية أخرى تطبق من دونها، إذ أدى إلى انخفاض معدل العدوى بنسبة تتراوح بين ٤٤٪ و ٨١٪، ومعدل الوفيات بنسبة تتراوح بين ٣١٪ و ٦٣٪.

(١) الجرائيم، أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، حققه: محمد جاسم الحميدي، قدم له: لسعود بوبو، الناشر: وزارة الثقافة، دمشق، ج١، ص٣٩٤.

(٢) الدلائل في غريب الحديث، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، تحقيق: د. محمد بن عبد الله القناص، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ج٣، ص١٠٩٨.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ج١، ص٤٤٧.

(٤) الخولي، أمجد، «١٠/٣/٢٠٢٠» الفرق بين الحجر والعزل الصحي، تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٦/٦/٢٠٢٠م، رابط الموقع:

<https://news.un.org/ar/story>

كما كان للجمع بين إجراءات الحجر الصحي والتدابير الوقائية الأخرى -مثل غلق المدارس ومنع السفر والالتزام بالتباعد الاجتماعي- تأثيرٌ أكبر على الحد من أعداد الحالات التي تتطلب رعاية حرجة وكذلك أعداد الوفيات، مقارنةً بتطبيق إجراءات الحجر الصحي وحدها، تقول نسرين جمال -طبيبة في قسم أمراض الدم المناعية وطب نقل الدم بمستشفى مودينا الجامعي بإيطاليا- في تصريحاتها لـ«العلم»: «لا شك أن تطبيق الحجر الصحي والتدابير الوقائية الأخرى يمكن أن يساعد في احتواء الوباء، لكن كل دولة تختلف في بنيتها السكانية وبيئتها وثقافتها ومستوياتها الاجتماعية، فحتى داخل كل دولة يمكن أن يختلف معدل التكاثر الأساسي (٠) من مدينة إلى أخرى»، ويعتبر معدل التكاثر الأساسي (٠) مقياسًا وبائيًا يُستخدم لوصف العدوى، ويشير إلى عدد الأشخاص الذين من الممكن أن يصابوا بالعدوى من مريض واحد، وإذا كانت قيمة ٠ أعلى من واحد صحيح فإن العدوى تنتشر بشكل كبير، وإذا كانت أقل من الواحد الصحيح فإن العدوى تتلاشى سريعًا^(٥).

وقد استخدمهم الشريعة الإسلامية الحجر الصحي في جميع أنواع الأوبئة والجوائح المعدية التي مرت على العالم الإسلامية على مر العصور، والغرض من ذلك الاستشفاء ووضع التدابير العلاجية والوقائية لأن بعض الأوبئة والجوائح من سماتها سريعة الإصابة والانتشار، فإذا استخدم الناس الحجر الصحي يؤدي ذلك وبدون شك إلى الحد من انتشار الجائحة، والناظر إلى جائحة كورونا يجد أن أكثر الوسائل الوقائية والعلاجية المستخدمة والناجعة هو الحجر الصحي الذي قرره الشريعة الإسلامية ودعت إليه لما في حديث عن عبد الله بن عامر بن ربيعة: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام، فلما جاء بسرغ، بلغه أن



(٥) أشرف، سمر، «٢٠٢٠/٥/٩»، «مامدى فعالية الحجر الصحي، تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٦/٦/٢٠٢٠م، رابط الموقع: <https://www.scientificamerican.com/arabic/articles/news/how-effective-is-quarantine-and-preventive-measures-in-face-of-coronavirus-pandemic>

الوباء وقع بالشأم، فأخبره عبد الرحمن بن عوف: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه» فرجع عمر من سرغ^(١).

وهناك حكمة أخرى من الحجر الصحي في الشريعة الإسلامية وهي لطيفة جدًا تتعلق بالإيمان، وبقاعدة كسد الذرائع وهي: أن الذي أصيب قد يعتقد إنما كانت إصابته بهذا المرض لدخوله على المريض مجردة عن قدر الله تعالى فيهلك، وسئل الثوري: فهل من أحد إلا وهو ميت بعد استيفائه مدة أجله الذي كتب له؟ قيل: نعم. قال: فإن كان كذلك فما وجه النهي عن دخول أرض بها الطاعون أو الخروج منها؟ قيل: لم ينه عن ذلك أحد حذارا عليه من أن يصيبه غير ما كتب عليه أو أن يهلك قبل الأجل الذي لا يستأخر عنه ولا يستقدم، ولكن حذار الفتنة على الحي من أن يظن إنما كان هلاكه من أجل قدومه عليه وأن من فر عنه فنجاة من الموت أن نجاته كانت من أجل خروجه عنه^(٢). فيه الدلالة على أن على المرء توقى المكروه قبل وقوعها وتجنب الأشياء المخوفة قبل هجومها، وأن عليه الصبر وترك الجزع بعد نزوله. فهذه حكمة جليلة وراء الحجر الصحي. وفي الحجر الصحي لا بد من مراعاة المريض رعاية صحية واجتماعية، لأن بعض الحكومات تفرض على المرضى الحجر الصحي ولا تقوم برعايتهم، ومثله الحجر المنزلي وهذا لغير المصابين توقيا من الإصابة فهؤلاء ينبغي أن تراعى معاشهم وحاجاتهم لأنك إذا منعت الإنسان من العمل والخروج فمن البدهي جدًا أن توفر له أمور معاشه، والوسائل الوقائية، والمراجعة الصحية المستمرة، حتى لا يكون حال هذه الدول كالمرة التي حبست الهرة لاهي أطعمتها ولا جعلتها تأكل من حشاش الأرض فكان

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، لمحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ، ج ٩، ص ٢٦.

(٢) شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ج ٨، ص ٣٢٦.

سببا لدخولها النار.

المبحث الثالث: الاستطباب من الطرق العلاجية لجائحة كورونا

الاستطباب: هو طلب العلاج من أهل الخبرة، ومنه استطبَّ لوجعه: أي استوصف^(٣). والطبيب هو الحاذق في كل شيء وخص به المعالج عرفاً، والطب نوعان طب جسد وهو المراد هنا وطب قلب ومعالجته خاصة بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام عن ربه سبحانه وتعالى وأما طب الجسد فمنه ما جاء في المنقول عنه صلى الله عليه وسلم ومنه ما جاء عن غيره وغالبه راجع إلى التجربة ثم هو نوعان نوع لا يحتاج إلى فكر ونظر بل فطر الله على معرفته الحيوانات مثل ما يدفع الجوع والعطش ونوع يحتاج إلى الفكر والنظر كدفع ما يحدث في البدن مما يخرج عن الاعتدال وهو إما إلى حرارة أو برودة وكل منهما إما إلى رطوبة أو يبوسة^(٤)، وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يؤمر بالاستطباب لمن سأله عن العلاج ومن ذلك حديث ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكي»^(٥) قال النووي: هذا من بديع الطب عند أهله لأن الأمراض الامتلائية دموية أو صفراوية أو سوداوية أو بلغمية فإن كانت دموية فشفاؤها إخراج الدم وإن كانت من الثلاثة الباقية فشفاؤها بالإسهال بالمسهل اللائق لكل خلط منها فكأنه نبه صلى الله عليه وسلم بالعسل على المسهلات وبالجمامة على إخراج الدم بها وبالفصد وآخر الكي لأن فيه استعمال الألم الشديد في دفع ألم قد يكون أضعف من ألم الكي»^(٦)، فهذه وصفات طبية نبوية كان النبي صلى الله عليه وسلم يصفها

(٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري البيني، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري وآخرون، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ج٧، ص٤٠٥٢.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ ج، ١٠، ص١٣٤.

(٥) مصدر سابق، صحيح البخاري، ج٧، ص١٢٣.

(٦) مصدر سابق، شرح صحيح مسلم، ج١٤، ص١٩٢.



لمن سأله عن علة مع اختيار الشيء المناسب له، ومن هنا نجد أن العلماء يهتمون بالطب النبوي، بل ويفردونه بالتأليف.

فالشريعة الإسلامية تحث على الاستطباب وتدعو إليه لأنه ما من داء إلا وله دواء لحديث عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أنزل الله عز وجل داء، إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله»^(١) وفي الحديث إشارة إلى استحباب الدواء، وفيه رد من أنكر التداوي فقال: كل شيء بقضاء وقدر فلا حاجة إلى التداوي وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع الجوع بالأكل وقمع العطش بالشرب، ولذلك قال المحاسبي: يتداوى المتوكل اقتداءً بسيد المتوكلين، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتعالج، وقال: «لكل داء دواء» لا على أن الدواء شاف لا محالة، وإنما يشرب على رجاء العافية من الله تعالى به.

فهذا فيه بيان واضح لأنه قد علم أن الأطباء يقولون المرض هو خروج الجسم عن المجرى الطبيعي والمداواة رده إليه وحفظ الصحة بقاءه عليه فحفظها يكون بإصلاح الأغذية وغيرها ورده يكون بالموافق من الأدوية المضادة للمرض وبقراط يقول الأشياء تداوى بأضدادها ولكن قد يدق ويغمض حقيقة المرض وحقيقة طبع الدواء فيقل الثقة بالمضادة ومن هنا يقع الخطأ من الطبيب فقد يظن العلة عن مادة حارة فيكون عن غير مادة أو عن مادة باردة أو عن مادة حارة دون الحرارة التي ظنها فلا يحصل الشفاء فكأنه صلى الله عليه وسلم نبه بآخر كلامه على ما قد يعارض به أوله فيقال قلت لكل داء دواء ونحن نجد كثيرين من المرضى يداوون فلا يبرؤون فقال إنما ذلك لفقد العلم بحقيقة المداواة لا لفقد الدواء.

وهذا فيه رد على من يقول ليس لجائحة كورونا علاج، والأصح

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ج٧، ص٣٨.

منه أن يقول «لم يعرف الأطباء علاج كورونا حتى الآن» والأصح من هذا أن يقول «لم يصل علمنا لعلاج جائحة كورونا، لأن الدواء موجود لا محالة ولكن لم يصل إليه الأطباء، أو وصلوا له وكتموه، أو وصلوا له ولم يعرفوه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من داء إلا وله دواء» ويبقى المحك «علمه من علمه وجهله من جهله»، وفيه عظمة الله تعالى، وأنه على كل شيء قديد، وأنه قد أحاط بكل شيء علماء.

نتائج البحث

الشريعة الاسلامية تتصف بالمرونة والشمول، فهي صالحة لكل الأزمان، ومواكبة لكل ما يطرأ عليها من نوازل.

المعاصي والمحرمات من أكبر الأسباب الجالبة للأوبئة والأمراض.

الشريعة الاسلامية تراعى المقاصد، وتحفظ الكليات وتقدم درء المفسد على جلب المصالح.

التضرع إلى والرجوع إليه من أسباب رفع البلاء.

الحجر الصحي والاستطباب من الطرق العلاجية التي دعت إليها الشريعة الإسلامية.

التوصيات

البحث عن خصائص الشريعة الاسلامية، ومميزاتها عند نزول الأوبئة.

محاربة الرزيلة، وإقامة الحسبة، ونشر الخير بين الناس.

الرجوع إلى مقاصد الشريعة الاسلامية، حتى تظهر للناس سماحة الدين الإسلامي.

التضرع إلى الله والرجوع إليه عند نزول الأوبئة.

الاهتمام بالطرق العلاجية ومنها الحجر الصحي والاستطباب.





* أشرف، سمر، "٢٠٢٠/٥/٩م"، مامدى فعالية الحجر الصحي، تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢٠/٦/١٦م، رابط الموقع: <https://www.scientificamerican.com/arabic/articles/news/how-effective-is-quarantine-and-preventive-measures-in-face-of-coronavirus-pandemic>

* "Plague", www.who.int, Retrieved March ٢٠١٨, ٢٢ .
.Edited

* الاستذكار، أبو عمر القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠م، ج٣.

* تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م، ج٣.

* الجراثيم، أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، حققه: محمد جاسم الحميدي، قدم له: لمسعود بوبو، الناشر: وزارة الثقافة، دمشق، ج١.

* الخولي، أمجد، "٢٠٢٠/٣/١٠"، الفرق بين الحجر والعزل الصحي، تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢٠/٦/١٦م، رابط الموقع: <https://news.un.org/ar/story>

* الداء والدواء، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الناشر: دار المعرفة - المغرب، ط: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ج١.

* الدلائل في غريب الحديث، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، تحقيق: د. محمد بن عبد الله القناس، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج٣.

* زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط:



السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٤.

* سنن أبي داود، أبو داود سليمان السجستاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط: الأولى، ج٤.

* شرح سنن أبي داود أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج٥.

* شرح صحيح البخاري لابن بطلال، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ج٩.

* شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري وآخرون، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج٧.

* صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، لمحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ، ج٧.

* صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى، ج٤.

* فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩م، ج١٠.

* كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، ج٢.

* لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، الناشر: دار صادر - بيروت،



* مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، نور الدين الملا الهروي القاري،

الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ج٤.

* مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل،

المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط:

الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ج٧، ص٣٨.

* مصنف عبد الرزاق، أبو بكر بن أبي شيبة، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر:

مكتبة الرشد - الرياض، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ، ج٥.

* معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر،

بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م،

ج١.

* المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون،

الناشر: دار الدعوة، ط: الأولى، ج٢.

* المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبوزكريا محيي الدين يحيى

بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثانية،

١٣٩٢هـ، ج١.

* موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك الأصبجي، صححه ورقمه:

محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان،

عام النشر: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، ط: الأولى، ج١.



المؤتمر الدولي العالم في ظل أزمة كورونا: إشكاليات وحلول ٣٠-٣١ مايو ٢٠٢٠م



الأحكام الشرعية للنوازل في الفقه المالكي

جائحة كورونا نموذجا

يمينة عبدالي^(١)

كلية العلوم الإسلامية بوهران - الجزائر

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

إن الشريعة الإسلامية شريعة سمحاء مبنية على حفظ كلياتها الخمس وفق تحقيق مقاصدها في حفظ مصالح العباد في الدارين في تلبية الضروريات والحاجيات للمكلفين. قال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُم فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]

ومن حيث أن العبد هو محور التكليف فإن دائرة التكليف وما يترتب عليها من أحكام مقيدة برفع الحرج والتخفيف والتيسير بما ليس في الوسع. لقوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] فرفع الحرج عن المكلفين أصلا من الأصول التي بنيت عليها الشريعة ولعل التأمل في قواعدها الخمس الكبرى سردا لا تفصيلا «الأمر بمقاصدها» و«اليقين لا يزول بالشك» و«العادة المحكمة» و«المشقة تجلب التيسير» و«لا ضرر ولا ضرار» كلها مندرجة تحت

(١) باحثة ماجستير في كلية العلوم الإسلامية وهران - الجزائر

أصل رفع الحرج لذا قال ابن العربي في كتابه أحكام القرآن "ولو ذهبت إلى تعديد نعم الله في رفع الحرج لطال المرام"^(٢)

فنجد في واقعنا المعاصر بعض المستجدات كنوازل تقع على المكلفين لا تسمح بأداء العبادات كما هي مشروعة في الأصل كالأعراض والأوبئة وما يندرج ضمن مسمى النوازل الشرعية وما يترتب عليها من أحكام شرعية.

ولأن معرفة أحكام النوازل أو القضايا المعاصرة ضرورة شرعية فإن البحث يهدف إلى تسليط الضوء على نازلة من النوازل المعاصرة، وهي وباء كورونا وما يتعلق بها من أحكام شرعية وهل استوفى المذهب المالكي استيعاب النازلة وما يتعلق بها من أحكام وما يرتبط بها من مستجدات معاصرة؟

وسيتمتع البحث المنهج الاستدلالي الاستقرائي في بعض فتاوى المذهب المالكي المعاصرين وما ترتب من أحكام الشرعية في باب العبادات من طهارة، وصلاة، وغلق للمساجد وأحكام تتعلق بالجناز وغيرها

وجاء البحث على النحو التالي :

الكلمات المفتاحية:

الأحكام الشرعية، فقه النوازل، السادة المالكية

مقدمة

المبحث الأول: مصطلحات البحث

المطلب الأول: مفهوم الحكم الشرعي لغة واصطلاحاً

الفرع الأول: مفهوم الحكم لغة واصطلاحاً





الفرع الثاني: مفهوم الشرع لغة واصطلاحاً

الفرع الثالث: مفهوم الحكم الشرعي

المطلب الثاني: مفهوم فقه النوازل وحكمه

الفرع الأول: مفهوم الفقه لغة واصطلاحاً

الفرع الثاني: مفهوم النوازل لغة واصطلاحاً

الفرع الثالث: حكم فقه النوازل

المطلب الثالث: اعتناء المالكية بفقه النوازل

الفرع الأول: المذهب المالكي

الفرع الثاني: كتب النوازل عند المالكية

الفرع الثالث: خصائص النوازل الفقهية المالكية

المطلب الرابع: نبذة عن جائحة كورونا

المبحث الثاني: التأصيل الفقهي للنوازل في فقه المالكي

المطلب الأول: التصور الفقهي

المطلب الثاني: التنقيح الأصولي

المطلب الثالث: التكيف الفقهي

المطلب الرابع: الاستنباط

المطلب الخامس: التنزيل الفقهي أو التطبيق

المبحث الثالث: التنزيل الفقهي على بعض مسائل لجائحة كورونا

المطلب الأول: مسائل في باب الصلاة

المطلب الثاني: مسائل في الموتى



المطلب الثالث: مسائل في الزكاة

المبحث الأول: مصطلحات البحث

هذه الورقة تخص الفقه المالكي بصفة خاصة فيما يتعلق بفتاويهم حول جائحة كورونا غير أن في تعريف المصطلحات والبحث عن مدلولاتها للمعاجم الأصولية والفقهية جمعت شتات هذه الأمور حيث يعود طالب العلم إليها ويسلم بالاستعانة بها

وبما أن هذه الورقة موسوعة ب: الأحكام الشرعية للنوازل في الفقه المالكي جائحة كورونا نمودجا فإن المصطلحات التي نتناول مفهومها باختصار هي: الحكم، الشرع، النوازل، الفقه، المالكية، جائحة كورونا وهذا ما سنتناوله في المطالب التالية :

المطلب الأول: مفهوم الحكم الشرعي لغة واصطلاحا

الفرع الأول: الحكم في اللغة والاصطلاح

١. الحكم في اللغة: ورد في لسان العرب أن « الحُكْمُ بمعنى العِلْمُ والفقه؛ قال الله تعالى: وآتيناك الحُكْمَ صَبِيحاً»

وعُرِّفَ أيضاً بمعنى القَضَاءِ^(١) أن يقضى بشيء على شيء فيقول هو كذا أو ليس بكذا وقد حَكَمَ عليه بالأمرِ حُكْمًا وحُكُومَةً بمعنى حَكَمَ بَيْنَهُمْ

فالحكم إذا يفسر بالفصل؛ يُقال: «حكمتُ بين الخصمين» إذا فصلتَ بينهما فيمنع النزاع والخصومات فإذا هو بمعنى المنع، ولذا سُمِّيَ القضاء حكماً؛ لأنه يمنع النزاع والخصومات^(٢)

كما ويدور حول المنع من الفساد أو المنع للإصلاح، والحكم أعم



(١) فيروز أبادي، لسان العرب

(٢) عادل يوسف العزازي (٢٧-٤-٢٠١٥)، «معنى الحكم وأقسامه»، www.alukah.net، اطلع عليه بتاريخ

١٣-٦-٢٠٢٠. بتصرف.

من الحكمة فكل حكمة حكم وليس كل حكم حكمة^(١)

وفي معناه ما جاء في قول أبي تمام:

السيف أصدق إنباء من الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب

٢. الحكم في الاصطلاح:

عرفه التفتازاني: «الحكم يطلق في العرف على إسناد أمر إلى أمر

آخر أي نسبته إليه بالإيجاب والقبول»^(٢)

وهو نفس معناه في الاصطلاح العام بمعنى إثبات أمر لأمر أو

نفيه عنه^(٣)

الفرع الثاني: الشرع في اللغة والاصطلاح

١. الشرع في اللغة: هو الطريق، وهو بمعنى المثل^(٤) فنقول الناس

في هذا شرعٌ بمعنى: سواءً^(٥)

شَرَعَ الْوَارِدُ يَشْرَعُ شَرْعًا وَشُرُوعًا: تناول الماءَ بفيه فالشريعةُ والشَّرَاعُ

والمشَرَعَةُ: المواضعُ التي يُنحدر إلى الماء منها، قال الليث: وبها سمي ما

شَرَعَ اللهُ للعبادِ شريعةً من الصوم والصلاة والحج والنكاح وغيره^(٦)

الشرع في الاصطلاح: أو الشريعة هي ما شرعه الله تعالى على لسان

نبيه صلى الله عليه وسلم في حمل رسالة القران، وعلى السنة الأنبياء

عليهم السلام قبله، فالشريعة جامعة لكل ولاية وعمل فيه صلاح

الدين والدنيا، وهي كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه السلف الأمة في

العقائد والأصول والعبادات والأعمال والسياسات والأحكام والولايات

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القران، مكتبة نزار مصطفى الباز، الجزء الأول، ص: ١٦٨

(٢) سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، مير

محمد كتب حانه

(٣) خالد تواتي، مصطلحات فقهية وأصولية، ص: ٥٠

(٤) المعجم الوسيط

(٥) القاموس المحيط

(٦) لسان العرب

و العظيات^(٧)

فكان الحُكْمُ الشَّرْعِيّ: إذا هو الحُكْمُ الخَاضِعُ لِأَحْكَامِ الشَّرْعِ^(٨)

وأما الشرعية: أي مستمدة من الشرع فهو احتراز لإخراج الأحكام الحسية والعقلية واللغوية^(٩)

الفرع الثالث: مفهوم الحكم الشرعي:

هو خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف بالاقضاء (الطلب) أو التخيير أو الوضع^(١٠)

والمقصود بـخطاب الله تعالى: كلامه مباشرة وهو القرآن الكريم أو بواسطة وهو ما يرجع إلى كلامه من سنة أو إجماع وسائر الأدلة الشرعية التي نصبها الشارع لمعرفة حكمه^(١١) وكلها كاشفة لخطاب الله تعالى ومظهرة للحكم الشرعي لا مثبتة له^(١٢)

قال تعالى « إن الحكم إلا لله » [الأَنْعَام: ٥٧] فيخرج به خطاب غير الله تعالى فكل تشريع من غيره باطل

أما «المعلق» سواء كان المتعلق قولاً أو فعلاً وخرج ما تعلق بذوات المكلفين وما تعلق بذات الله عز وجل وما تعلق بالجمادات^(١٣)

- فالحكم عند الأصوليين هو نفس خطاب الشارع، أما عند الفقهاء فهو ما ثبت بالخطاب الشرعي^(١٤)

(٧) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ويوسف البدوي، مقاصد الشريعة عن ابن تيمية، ومحمد الدسوقي، مقدمة في أصول الفقه

(٨) الغني

(٩) البدوي، مدخل الفقه الإسلامي وأصوله، ص: ٢٩

(١٠) المهذب في أصول الفقه المقارن، تحرير لمسانله ودراستها دراسة نظرية تطبيقية

(١١) خالد رمضان حسن، معجم أصول الفقه، دار الحرايشي، الطبعة الأولى ١٩٩٨. ص ١١٥

(١٢) معجم أصول الفقه، ص ١١٤

(١٣) أبي إسلام مصطفى بن محمد بن سلامة، التأسيس في أصول الفقه على ضوء الكتاب والسنة، مكتبة

الحرمين للعلوم النافعة، الجزء الأول، ص: ٢٩-٣٠

(١٤) عبد الكريم نملة، الجامع لمسائل أصول الفقه للمذهب الراجح، مكتبة الرشد، الرياض، طبعة

٢٠٠٠، ص ١٩



- فالتعريف على هذا النحو يعني أن جمهور الأصوليين جعلوا الحكم علماً على نفس خطاب الشارع. وأما عند الفقهاء فإن الحكم هو الصفة الشرعية التي هي أثر لذلك الخطاب وهو الذي توصف به أفعال العباد^(١) من وجوب وحرمة وإباحة وهكذا..

المطلب الثاني: مفهوم فقه النوازل لغة واصطلاحاً:

الفرع الأول: مفهوم الفقه لغة واصطلاحاً

١. الفقه في اللغة: وردت لفظة الفقه في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كثيراً، منها

قوله تعالى: «وَاحْتَلَّ عُقَدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨)» [طه]

وقوله تعالى: «فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا» [

النساء: ٧٨]

وقوله صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»

رواه ابن ماجه

فنجد دلالات هذه الكلمة الفهمُ والفِطنةُ، وجاءت بمعنى العلم

أيضاً^(٢) فيقال: أوتي فلانٌ فِقْهاً في الدين أي فهِماً فيه^(٣)

٢. الفقه في الاصطلاح: كان علماء الشريعة في صدر الإسلام يطلقون

كلمة الفقه على العلم بالأحكام الشرعية مطلقاً سواء أكانت هذه الأحكام

متعلقة بالعقائد أم متعلقة بأعمال العباد أم متعلقة بالأخلاق قال تعالى

:«فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين» [التوبة: ١٢٢] ثم

حدث تطور للكلمة وصار مدلولها قاصراً على الأحكام الشرعية العملية،

(١) وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، الجزء الأول، الطبعة الأولى ١٣٠٦-١٩٨٦، ص: ٤١

(٢) المعجم الوسيط

(٣) لسان العرب

ولعل الإمام أبا حنيفة أطلق على كتابه -الفقه الأكبر - باعتبار المعنى الأعم الذي كان سائدا في صدر الإسلام^(٤)، فنخلص إلى أن تعريف «الفقه» هو معرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية»

فلفظ «معرفة» يشمل العلم والظن وذلك لأن الأحكام الشرعية إما يقينية وإما ظنية فاليقينية ما أدرك على حقيقته، والظنية ما أدرك على وجه راجح مع احتمال مرجوح^(٥)

كما أشار البدوي في كتابه مدخل الفقه الإسلامي وأصوله إلى أن الفقه: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية عن أدلتها التفصيلية بالاستدلال^(٦)

الفرع الثاني : مفهوم النازلة لغة واصطلاحا

١. النوازل في اللغة:

قال ابن منظور: النزول الحلول وقد نزلهم ونزل عليهم ونزل بهم نزولا ومنزلا ومنزلا^(٧)

فهي بمعنى الشدة تنزل بالقوم فالنازلة وجمعها النوازل هي شدة الدهر تنزل بالناس^(٨)

قال الراغب الأصفهاني: « يعبر بالنازلة عن الشدة وجمعها النوازل»^(٩) إذا بهذا المعنى هي الضيق الناجم عن واقعة أو حدث نزل بالناس وهي أيضا المصائب.

(٤) انظر هامش محمد إبراهيم الحنفاوي، الفتح المبين في تعريف مصطلحات الفقهاء والأصوليين في المذاهب، دار السلام، الطبعة الثالثة: ٢٠٠٩، ص: ١٣

(٥) أبي إسلام مصطفى بن محمد بن سلامة، التأسيس في أصول الفقه على ضوء الكتاب والسنة، مكتبة الحرمين للعلوم النافعة، الجزء الأول، ص : ١٤

(٦) البدوي، مدخل الفقه الإسلامي وأصوله، ص: ٢٧

(٧) ابن منظور

(٨) ابن منظور، لسان العرب، الجزء ١٤، مادة نزل حرف النون

(٩) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، الجزء الثاني، ص: ٤٦١



ولنفس المعنى قال الشاعر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها مخرج



نلخص إلى أن المعنى اللغوي للنازلة له وجهتين إما الشدة وإما الحلول وعلى أساس هذا المعنى استُمد واستُنبت معنى النازلة اصطلاحاً بـ

بقيد هـ

٢. النوازل في الاصطلاح:

عرفها الدكتور وهبة الزحيلي: «المسائل أو المستجدات الطارئة على المجتمع بسبب توسع الأعمال وتعقد المعاملات والتي لا يوجد نص تشريعي مباشر أو اجتهاد فقهي سابق ينطبق عليها وصورها متعددة ومتجددة ومختلفة بين البلدان أو الأقاليم لاختلاف العادات والأعراف المحلية»^(١)

-عرفها الدكتور الحسن الفيلاي: «بأنها الواقعة والحادثة التي تنزل بالشخص سواء في مجال العبادات والمعاملات أو السلوك والأخلاق حيث يلجأ هذا الشخص إلى من يفتيه بحكم الشرع في نازلته»^(٢)

-وعرفت أيضاً «الوقائع الجديدة التي لم يسبق فيها نص أو اجتهاد»^(٣) وهذا ما شاع واشتهر عند الفقهاء عامة فكل واقعة جديدة هي مسألة تتطلب اجتهاداً لبيان حكمها

-فالنوازل في اصطلاح المالكية خصوصاً في بلاد الأندلس والمغرب العربي هي القضايا والوقائع التي يفصل فيها القضاة طبقاً للفقهاء الإسلاميين^(٤) وكما تطلق على المسائل والوقائع التي تستدعي حكماً شرعياً إذا هي تشمل

(١) وهبة الزحيلي: سبل الاستفادة من النوازل والفتاوي والعمل الفقهي في التطبيقات المعاصرة، دار المكتبي، الطبعة الأولى ٢٠٠١، ص: ٩

(٢) ملتقى القيروان مركز علمي مالكي بين المشرق والمغرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة، ص ٢٣٠

(٣) مسفر القحطاني، منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة، دار ابن حزم، الطبعة الثانية ٢٠١٠، ص: ٨٧

(٤) محمد بن حسين الجيزاني، فقه النوازل دراسة تأصيلية تطبيقية، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ٢٠٠٦ الجزء الأول، الجزء الأول، الجزء الأول، ص ٢٠-٢١



جميع الحوادث التي تحتاج لفتوى أو اجتهاد ليتبين حكمها الشرعي سواء كانت هذه الحوادث متكررة أم نادرة الحدوث، وسواء أكانت قديمة أم جديدة، غير أن الذي يتبادر إلى الذهن في عصرنا الحاضر من إطلاق مصطلح النازلة انصرافه إلى واقعة أو حادثة جديدة لم تعرف في السابق بالشكل الذي حدث فيه الآن^(٥)

٣- معنى فقه النوازل وعلاقته بعلم الفقه:

فقه النوازل باعتباره علما ولقبا هو معرفة الأحكام الشرعية للوقائع المستجدة الملحة والعلاقة بين علم الفقه وعلم النوازل هي العموم والخصوص الوجيه

يجمعان في معرفة أحكام الوقائع العملية المستجدة

علم الفقه أعم من علم فقه النوازل من جهة أن الفقه يشمل معرفة أحكام المسائل العملية سواء كانت واقعية أو مقدرية، مستجدة أو غير مستجدة

فقه النوازل أعم من علم الفقه من جهة أن فقه النوازل يشمل معرفة الأحكام الشرعية للوقائع المستجدة سواء كانت هذه الوقائع عملية أو غير عملية

ومن المصطلحات المتقاربة التي تطلق على فقه النوازل عند المالكية الفتاوى والأجوبة والأسئلة أو المسائل والأحكام والعمليات^(٦) مثل: مسائل ابن رشد، نوازل الزياتي، وأجوبة عبد القادر الفاسي، وأيضا الوقائع والمستجدات غير أن جوهر الفرق هاهنا أن النوازل يتعلق بها ولا بد حكم شرعي، أما الوقائع والمستجدات فلا يلزم أن يتعلق بها

(٥) الدكتور مسفر بن علي بن محمد القحطاني، منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة، دار ابن حزم، الطبعة الثانية ٢٠١٠، ص ٨٨

(٦) ماجي قندوز، الدرر المكنونة في نوازل مازونة رسالة دكتوراة ٢٠١٠-٢٠١١ ص ٨١-٨٢



المؤتمر الدولي العالم في ظل أزمة كورونا: إشكاليات وحلول
٣٠-٣١ مايو ٢٠٢٠م



حكم شرعي^(١)

بيد أن فقه النوازل مقصور على فقهاء ومجتهدي الغرب الإسلامي، ولا سيما علماء الأندلس والمغرب الأقصى وشمال إفريقيا وكان المذهب المالكي هو المستند الأول لفقه النوازل مصدرا ومرجعا وموردا وتنزيلا^(٢)

المطلب الثالث: اعتناء المالكية بالنوازل الفقهية

الفرع الأول: المذهب المالكي

يطلق لفظ المذهب في اصطلاح المالكية:

على آراء مالك الاجتهادية وكذلك آراء من بعده، ويطلق عند المتأخرين على ما به الفتوى من باب إطلاق الشيء على جزئه

أما ابن الحاجب فإنه «يطلق المذهب حيث يكون ذلك الحكم منصوصا لمالك أو يكون هو مشهور المذهب، وقد يطلقه على التخريج» وعلق عليه ابن فرحون بقوله «وقد انتقد على المؤلف إطلاق المذهب على التخريج»: فلم يوافق على إطلاقه المذهب على التخريج^(٣)

إن المذهب المالكي يمتلك من المقومات والخصائص المنهجية ما جعله يتبوأ المكانة الرفيعة بين المذاهب بالأندلس، فهو يعتمد القرآن والسنة وإجماع السلف، ويشدد النكير على أهل البدع والضلالات بعيدا عن الإيغال في التعصب.

كما أنه يتميز عن غيره بمراعاته لجملة من الأصول والقواعد المرتبطة بالمقاصد والمصالح المرسلة وعمل أهل المدينة وقول الصحابي والاستحسان وسد الذرائع والاستصحاب والأخذ بالعادة والعرف وما

(١) محمد بن حسين الجيزاني، فقه النوازل دراسة تأصيلية تطبيقية، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ٢٠٠٦ الجزء الأول، الجزء الأول، الجزء الأول، الص ٢٥-٢٦

(٢) جميل حمداوي، فقه النوازل في الغرب الإسلامي، الص: ٩

(٣) مريم محمد صالح الظفيري، مصطلحات المذاهب الفقهية، دار ابن حزم، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: ٢٠٠٢

ص: ٢١٠



جرى به العمل وغيرها من الأصول التي جعلت المذهب يجمع بين المرونة والواقعية فيساير بذلك قضايا المجتمع ومشكلاته عبر العصور الممتدة

الفرع الثاني: خصائص النوازل الفقهية المالكية

نلخصها في النقاط التالية:

النوازل الفقهية المالكية عموما والمغربية خصوصا تتميز بأنها:

- ١- فتاوى مذهبية
- ٢- نوازل واقعية
- ٣- تنوع الموضوعات الفقهية والعقدية
- ٤- أسلوب دراسة النازلة يتم بنقل الفتاوى مباشرة أو بواسطة ثم مرحلة التعقيب عليها
- ٥- ذكر اسم النازلي الذي صدرت عنه الفتوى
- ٦- الاعتماد على أمهات الكتب في المذهب المالكي
- ٧- الرجوع إلى الفقهاء المبرزين في الفتوى مما يعطي للفتوى قيمة علمية^(١)

الفرع الثالث: كتب النوازل عند المالكية

يظهر اعتناء المالكية فقه النوازل من خلال كتبهم مترامية العدد متنوعة المسائل والقضايا من الأندلس إلى المغرب ومالكية شمال إفريقيا عامة ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

المطلب الرابع: نبذة عن جائحة كورونا

كورونا هو فيروس مستجد من عائلة فيروسية تسبب نزلات البرد العادية من نفس عائلة متلازمة الشرق الأوسط التنفسية ومتلازمة

(١) ماحي قندوز، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، رسالة ماجستير، ٢٠١٠-٢٠١١، ص: ٨٩-٩٠

التنفسية الحادة وهي من الأمراض الخطيرة نسبياً

فيروس كورونا المستجد ظهر في (ووهان) عام ٢٠١٩ وتمت تسميته من منظمة الصحة العالمية رسمياً بـ (COVID 19) غير أن الالتهاب الرئوي الناجم عن فيروس كورونا يكون نتيجة عدوى بالفيروس نفسه^(٢)

تسبب انتشار الفطير لهذا الوباء وانعدام علاجه إلى كثرة الوفيات والهلع والضغط النفسية والاجتماعية إضافة إلى فرض الحجر الصحي والمسافة الأمنية للتباعد الاجتماعي

غير أنه نجم عن استفحال انتشاره غلق المساجد وتعطيل صلوات الجماعة والجمعة وتابعات أخرى مست جوانب عدة من العبادات والمعاملات

فوجد المسائل التي أصابت الأمة الإسلامية زمن كورونا هي مسائل أصابت المكلفين في أنفسهم وأموالهم وفي اقتصادهم يعني مست العبادات والمعاملات بصفة عامة

فالحديث عن هذا الوباء عامة أو ما اصطلح عليه في الشريعة بنازلة كورونا هو الحديث عن فقه الضرورة وفقه الاستثناء فهذه النازلة بالذات تتعلق بالإفتاء الجماعي لأنها تمس شريحة كبيرة من المجتمع اذا لم نقل للأمة الإسلامية جمعاء حيث اجتهد فقهاء هذا العصر في الإجابة عن إشكاليات المكلفين ومسائلهم الفقهية خاصة المالكية منهم معتمدين على منهج محدد في الإفتاء وتخريج الأحكام وهذا ما سنعرض عليه في المبحث الثاني من هذه الورقة

المبحث الثاني: التأصيل الفقهي للنوازل عند المالكية

المطلب الأول: التصور الفقهي

(٢) انظر اللجنة الوطنية الصينية للصحة ومكتب الإدارة الوطنية، بيت الحكمة للاستشارات، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠



قاعدة الحكم على الشيء فرع عن تصوره قاعدة مهمة وتصلح في جوانب الحياة كلها العادة والعبادة منها وهي وسيلة من وسائل التي تساعد في الوصول الي نتائج صائبة بحيث تخضع للحقائق الواقعية والأدلة العقلية المنطقية بعيدا عن تحكيم العاطفة والأحاسيس لما في ذلك من انحراف عن الحق خاصة إن تم إعمالها في الفقه واستنباط الأحكام وتنزيلها وخاصة في فقه النوازل حيث مربط الفرس فعليه من أراد الحكم الصحيح على الشيء فلا بد من التصور الصحيح له بالعلم والإدراك معا، ففي فقه النوازل تصور النازلة مقدمة لا مناص عنها لمن أراد الاجتهاد في استخراج حكمها ومن هنا لا بد من ضبط عملية التصور في صورتين متكاملتين .

أولا: تصور النازلة في ذاتها أي فهم الواقعة في ذاتها

ثانيا: تصور ما يحيط بهذه النازلة من ملابسات وقرائن وأحوال أي فهم الواقع المحيط بالنازلة^(١)، حيث أنه إذا اعتمد النازلي على صورة دون الأخرى ساد الخلل والغموض ويقع النازلي في الخطأ حين إصدار الحكم وعليه فإن تصور أي نازلة لا بد من الخطوات التالية:

الاستقصاء والتحري عن الدراسات السابقة حول النازلة

النظر في جذور النازلة وتاريخ نشأتها

البحث عن ظروف النازلة وبيئتها والأحوال المحيطة بها

الرجوع إلى أهل الشأن والاختصاص في فقه النوازل والإفتاء

تحديث المعلومات بأساليب جديدة تتوافق مع زمن النازلة كون

الأساليب تختلف من عصر لآخر^(٢)

(١) محمد بن حسين الجيزاني، فقه النوازل دراسة تأصيلية تطبيقية، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ٢٠٠٦ الجزء الأول ، الجزء الأول ، الجزء الأول ، ص: ٤٢

(٢) محمد بن حسين الجيزاني، فقه النوازل دراسة تأصيلية تطبيقية، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ٢٠٠٦ الجزء الأول ، الجزء الأول ، ص: ٤٤

فإذا فمنهجية النوازل هنا تقوم على دراسة عميقة واقعية حيث يتصور كل ملابساتها وظروفها سواء مادية أو معنوية وحيثيات وقوعها بكل جوانبها الشكلية والموضوعية حيث بعد الإلمام بهذا الجانب تأتي مرحلة البحث عن العلل وتنقيحها وهذا ما سنخرج عليه باختصار.

المطلب الثاني: التنقيح

أي واقعة أو نازلة أو حادث طارئ استثنائي المراد دراستها، لا بد من النظر في نظائرها وفي عللها، وفي حكمها فهذا الجانب لا بد من استحضاره عند استنباط الحكم الشرعي، وعليه فإن النازلي لا بد له من التفريق بين المصطلحات الثلاث العلة والسبب والحكمة؛ حيث إن عدم إدراك الفوارق بينها له أثر في اختلال الحكم على الواقعة وتحديد المقاصد، والحكم الشرعية المترتبة عليها وكذا معرفة الفروق بين تحقيق المناط، وتنقيح المناط وتخريج المناط، وهذا من حيث إن الاجتهاد في المناط من أدق مباحث القياس الأصولي، ويشمل جميع الأحكام الشرعية فنخلص إلى أن: «الاجتهاد في المناط سبب من أسباب اختلاف المجتهدين، ولما كان الاجتهاد في المناط بهذه الأهمية كانت الحاجة ماسة إلى بيان الفرق بين أنواع الاجتهاد في العلة؛ لأن الوقائع والحوادث لا تكاد تنتهي وتختلف أحكامها بحسب اختلاف مناطاتها وهو ما يستوجب ضبط الاجتهاد في طلب أحكام تلك الوقائع؛ لأن عدم مراعاة ضوابط الاجتهاد في المناط يؤدي إلى الابتداع في الدين»^(٣)

المطلب الثالث: التكييف الفقهي

قلنا إن للنوازل فقها يسمى فقه النوازل يتناول نازلة سابقة قد يشابهها أو تلتقي معها نازلة أخرى في جزئية، أو جزئيات فهنا يتدخل علم التكييف الفقهي فعملية إلحاق النازلة اللاحقة بنازلة سابقة في

(٣) تهاني عبد العزيز المشعل، الفرق بين تنقيح المناط وتخريج المناط دراسة أصولية، ص ٢٨٧٩

جزئية أو ما شابه هو في الحقيقة الحاق للنازلة بابها الفقهي، في حين النازلة التي لم يسبق فيها نص أو اجتهاد هذا لا يعني مطلقاً أن الشريعة الإسلامية غير مكيفة، أو لا يمكنها ملاحقة العصر بمستجداته، بل نجد أنه بالتكليف الفقهي يتم إعطاء تلك النازلة حكماً مستقراً من كتاب الله أو سنة نبيه، أو عمل السلف الصالح، أو بالرجوع إلى مصدر من مصادر التشريع.

إذا فالتكليف الفقهي هو «تصنيف المسألة تحت ما يناسبها من النظر الفقهي أو رد المسألة إلى أصل من الأصول الشرعية»^(١)، وأن التكليف نوعان: «التكليف البسيط وهو الجلي وهو ما سهل فيه رد النازلة إلى أصل فقهي واضح، والتكليف المركب هو ما أشكل فيه رد النازلة إلى أصل فقهي معين بل يتجاذب النازلة أكثر من أصل»^(٢)

وهذا ما أشار إليه ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين: «ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم: أحدهما: فهم الواقع، والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات حتى يحيط به علماً.

والثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه، أو على لسان رسوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعد أجريناً أو أجراً فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله»^(٣)

ف نجد أن النوع الأول الذي أشار إليه ابن القيم هو ما أطلق عليه

(١) محمد بن حسين الجزائري، فقه النوازل دراسة تأصيلية تطبيقية، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ٢٠٠٦ الجزء الأول، ص: ٤٧

(٢) نفس المصدر، ص: ٤٩

(٣) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، طبعة ١٩٧٣، الجزء الأول، ص: ٨٧-٨٨

مصطلح التصور الفقهي للنازلة والتنقيح الجيد لها والنوع الثاني هو ذاته التكييف الفقهي لها بعد إلحاقها بابها واستنباط حكمها من أبواب الفقه ومسائله

فنستخلص من هذا كله أن تصنيف أي نازلة لا يقوم إلا بتحصيل هذين الأمرين

المطلب الرابع: الاستنباط :

تكييف أي نازلة من النوازل إنما يحصل بواحد من أربعة مسالك على الترتيب التالي:

النص أو الاجماع

التخريج على نازلة متقدمة

التخريج على قاعدة فقهية أو أصل شرعي أو فتوى إمام متقدم

الاستنباط^(٤)

وهذه المسالك واضحة غير مبهمة لصانعي الفتوى، والموقعين عن رب العالمين في استخراج الأحكام الشرعية، غير أننا نخرج على تعريف مصطلح الاستنباط لما له من أهمية ودور بالغ في عملية الفتوى وعليه فإن:

الاستنباط: هو استخراج الحكم أو العلة، إذا لم يكونا منصوصين ولا مجعما عليهما بنوع من الاجتهاد، وكثيرا ما يطلق الفقهاء والأصوليون على الاستنباط لفظ التخريج أي استخراج الحكم بالتفريع على نص الإمام في صورة مشابهة، أو على أصول إمام المذهب كالقواعد الكلية التي يأخذ بها أو الشرع، أو العقل، من غير أن يكون الحكم منصوصا عليه من الإمام، وعليه فإن ركائز الاستنباط ثلاث:

(٤) محمد بن حسين الجيزاني، فقه النوازل دراسة تأصيلية تطبيقية، دار ابن الجوزي، ط ٢، ٢٠٠٦م، ١/٥



١. ضرورة العناية بالأدلة الشرعية فقها وضبطا
٢. ضرورة المران والإدمان على النظر ودقة الملاحظة
٣. ضرورة العناية بتعليل الأحكام ومناقشة المسائل^(١)



المطلب الخامس: التنزيل أو التطبيق

التنزيل: «هو إيجاد حكم فقهي يتناسب مع النازلة أو الواقعة المعطاة» أو ما يصطلح عليه بلفظ التطبيق^(٢)

والتطبيق هو: «تنزيل الحكم الشرعي على المسألة النازلة»^(٣)

ففي مرحلة التطبيق أو التنزيل يعتمد النوازي أو المفتي على مبادئ المذهب المالكي، حيث إن النوازي انطلق من تصور النازلة نظريا ودرسها من جميع أحنائها بعمق، ودقة وجمع جوانبها الشكلية والمضمونية فإن أتم هذا توجه إلى البحث عن عللها، وتنقيح مناطها واستكشاف مقاصدها الظاهرة والخفية، ثم يقوم بتنزيل الحكم بعد تكييفها وإحاقها بابها، فإن كانت مستجدة فإنه يجتهد لإيجاد الحكم مراعي القواعد المقررة شرعا وعقلا وعرفا، بالمحافظة على مقاصد الشريعة ومراعاة القواعد الثلاث :

١. الموازنة بين المصالح والمفاسد في الحال والمآل
٢. تقدير حالات الاضطرار وعموم البلوى
٣. اعتبار الأعراف والعادات واختلاف الأحوال والظروف والمكان والزمان^(٤)

(١) أبي عبد الملك أحمد بن مسفر العتبي، القواعد التأصيلية دليل المتفقهين إلى ضبط المعارف الفقهية، دار ابن

حزم بيروت، الطبعة الأولى: ص: ١٢٠-١٢١

(٢) جميل حمداوي، فقه النوازل في الغرب الإسلامي، شبكة الألوكة، ص: ١٤

(٣) محمد بن حسين الجيزاني، فقه النوازل دراسة تأصيلية تطبيقية، ٥/١

(٤) نفس المصدر، ص: ٥٥-٥٦



ولنا أن نختتم منهجية استنباط الحكم الشرعي للنوازل بقول ابن عبد البر حيث قال: «ومن أشكل عليه شيء لزمه الوقوف، ولم يجز له أن يحيل على الله قولاً في دينه، لا نظير له من أصل، ولا في معنى أصل، وهذا الذي لا خلاف فيه بين أئمة الأمصار قديماً وحديثاً، فتدبره» (٥)

المبحث الثالث: تنزيل الفقهي في بعض مسائل الفقهية لجائحة

كورونا

اقتصرنا على باب الطهارة والصلاة وما ترتب عليه من مسائل

ننقل هنا السؤال عن إحدى النوازل زمن كورونا وبعدها فتوي النازلي أو الفقه وكيف استدل على الحكم الشرعي للنازلة.

السائل: الأطباء والمرضون العاجزون عن الطهارة للصلاة بسبب اللباس والمداومة

المفتي: الدكتور بلخير طاهري الإدريسي أستاذ الشريعة والقانون جامعة وهران = الجزائر.

النازلة: فهذا سؤال جاءني من عدة جهات يسألونني فيه عن كيفية الطهارة بالنسبة للأطباء والمرضين الذين هم في رباط مع المصابين بمرض الكورونا، عفانا الله وإياكم، والتي قد تصل مدة المداومة فيها إلى ١٢ ساعة.

فقلت وبالله التوفيق: الإجابة عن النازلة أو الفتوى

الحمد لله الذين يحي ويميت، وهو الشافي وهو على كل شيء قدير، كاشف الهم والغم، مفرج الكرب عن عباده المؤمنين، قال تعالى: {وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: ١٧]،

(٥) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، بيروت الجزء الثاني، ص: ٨٤٨

وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّأَكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠)} وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (٦٢) قُلْ مَنْ يُنَجِّيَكُم مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيَكُم مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٦٤) قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ { [الأنعام: ٦٠ - ٦٥].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَطَبْنَا - وَقَالَ مَرَّةً: خَطَبَ - رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ، حَتَّىٰ قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجَبَتْ، وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ، ثُمَّ قَالَ: ذُرُونِي مَا تَرَكَتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكٌ مِّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاحْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ». رواه أحمد، تحت رقم: ٩٧٧٩، و مسلم، تحت رقم: ٣٢٣٦

وفي الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا».

: و للإجابة عن هذا السؤال، ننظر إليه في صورتين،

الصورة الأولى: تتعلق باللباس وأحكام الطهارة، والصورة الثانية:

متعلقة بكيفية الصلاة.

الصورة الأولى: أحكام الطهارة .

وفيها حالتين، الأولى متعلقة باللباس، والثانية متعلقة بكيفية الطهارة.

الحالة الأولى: طهارة اللباس .

في هذا الظرف العصيب الذي يمر بها أطباؤنا ومساعدتهم - حفظهم الله- من كل وباء وبلاء، وقواهم الله على ما هم فيه وعليه، فإنهم مضطرون إلى اللباس الخاص المحكم والمعقم، الذي لا يترك سبيلا لوصول العدوى إلى أجسامهم، وهو من أخص أرجلهم إلى منبت شعرهم، لا تظهر فيه إلا أعينهم، حيث توضع مع اللباس المحكم القفازات والكمادات - القناع الطبي - وعليه أصبح الأطباء ومساعدوهم يجدون حرجا وعنتا في أن ينزعوا هذا اللباس من أجل إعادة الوضوء، بل حتى عدم القدرة على التيمم، خوفا من يتسرب الفيروس إلى أجسامهم

فما السبيل 'إلى تغيير الثياب إذا كانت تحمل بعض النجاسات من الدم أو غيره، مع عدم القدرة على تغيير تلك الثياب في هذا الظرف المعروف كما أسلفنا من اعتبارات؟

لقد نص فقهاؤنا - رحمهم الله- انطلاقا من نصوص الكتاب والسنة وعمل بسلف هذه الأمة، بوجوب طهارة اللباس المعد للصلاة بشرطين اثنين، أولهما: الذكر، وثانيهما: القدرة

فذهب المالكية إلى أن الصلاة في الثوب النجس، أو الذي يحمل نجاسة يصلي فيه، إلا أنهم قالوا يعيد في الوقت إذا تمكن من تطهيره أو حصل على غيره.

قال النفراوي: «وكذلك يعيد في الوقت من صلى فريضة بثوب نجس أو متنجس مع عدم القدرة على إزالتها واتساع الوقت وكانت تلك

النجاسة غير معفو عنها»

وهذا ما تعضده القواعد الشرعية التي أسس عليها الفقهاء كثيرا من الأحكام وهي قاعدة: المشقة تجلب التيسير، وقاعدة: الضرورات تبيح المحظورات، وقاعدة: الميسور لا يسقط بالمعسور، وبناء على هذا فمن تنجس ثوبه ولم يجد ما يطهر به ثيابه ولم يجد ثوبا طاهرا غيره، ويعلم أن الوقت لا يسعفه حتى الخروج. صحت صلاته بهذه الثياب على ما فيها.

قال الصاوي رحمه الله: «وَلَمَّا كَانَ بَعْضُ النَّجَاسَةِ يُعْفَى عَنْهُ لِلْمَشَقَّةِ نَبَّهَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: (وَعَنْفِي عَمَّا يَعْسُرُ كَسَلِسَ لِأَزِيمٍ) يُعْفَى عَنْ كُلِّ مَا يَعْسُرُ التَّحَرُّزُ عَنْهُ مِنَ النَّجَاسَاتِ بِالنَّسْبَةِ لِلصَّلَاةِ وَدُخُولِ الْمَسْجِدِ ... وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ .

وَلَمَّا كَانَ أَخَذَ الْجُزْئِيَّاتِ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْكُلِّيَّةِ قَدْ يُخْفَى عَلَى بَعْضِ الْأَذْهَانِ، صَرَّحَ بِبَعْضِ جُزْئِيَّاتِ لِإِلْيَاحِ بِقَوْلِهِ: (كَسَلِسَ إِخْ، وَثَوْبٌ كَمُرْضِعٍ تَجْتَهَدُ)، وَيُعْفَى عَنْ ثَوْبِ الْمُرْضِعَةِ أَوْ جَسَدِهَا يُصِيبُهُ بَوْلٌ أَوْ غَائِطٌ مِنَ الطِّفْلِ سَوَاءً كَانَتْ أُمَّا أَوْ غَيْرَهَا، إِذَا كَانَتْ تَجْتَهَدُ فِي دَرءِ النَّجَاسَةِ عَنْهَا حَالَ نُزُولِهَا، بِخِلَافِ الْمُفَرِّطَةِ .

وَدَخَلَ الْجُزَّارُ وَالْكَنَّافُ وَالطَّيِّبُ الَّذِي يُزَاوِلُ الْجُرُوحَ تَحْتَ الْكَافِ، وَنُدِبَ لَهَا وَلِمَنْ أَلْحَقَ بِهَا اسْتِعْدَادُ ثَوْبٍ لِلصَّلَاةِ»

قوله: وَالطَّيِّبُ الَّذِي يُزَاوِلُ الْجُرُوحَ تَحْتَ الْكَافِ: أي كاف التشبيه [كمريض] يلحق بها من يمتهن حرفة الطب، لما يصيبه من أذى من خلال مباشرته للمرضى، وقد يصيب بدنه أو ثيابه.

ومن هنا نقول: إنه لا حرج على الأطباء ومساعدتهم، ما يصيبهم من نجاسات في ألبستهم المهنية، إن عسر عليهم تغييرها بغيرها .

والواقع أنه كذلك لما وصلنا من أصحاب الميدان أنه يعسر عليهم

نزع هذه الثياب طيلة مدة المداومة، وكل ما شق فعنه يعفى، والدين ويسرا.

وهذا ما لخصه العلامة ابن بشار في متنه أسهل المسالك:
هل سنة إزالة النجاسة *** أو واجبٌ مع ذكرها والقدرة
في ساعة الوقت عن المصلي *** والثوب أو ما مسَّ من محلِّ
سقوطها على المصلي مبطلٌ *** كذكرها حال الصلاة جعلوا
في ريجها أو لونها إن عسرا *** عفوٌ وما في طعمها العفو يُرى
وكلُّ ما شقَّ فعنه يُعفى *** لعسره والدين يسراً لطفاً
كثوبٍ قصابٍ وثوبٍ المرضعه *** وبلل الباسور أو ما ضارعه
الحالة الثانية: كيفية الطهارة.

لقد تحدثنا فيما سبق عن شرطية الطهارة لصحة الصلاة وهذا لا خلاف فيه بين الفقهاء من حيث الأصل.

ولكن قد يعرض للمكلف عارض تستحيل معه الطهارة المائية والترايبية، وضرب علماءنا قديماً مثلاً عن الأسير المحكوم بوثاق يعسر فيه استعمال يديه بأي حال، أو العاجز عن الحركة كلية لمرض أقعده كالمشلول كلية، كيف يصنع إذا دخل وقت الصلاة. كيف يصنع وكان على غير طهارة؟

وعليه جاءت هذه النازلة المتعلقة بالأطباء ومساعدتهم، في عدم القدرة على نزع ثياب العمل طيلة الدوام الذي قد يمتد إلى اثني عشرة ساعة، أي نصف يوم.

فأقول: قد تحدث علماءنا عن هذه الحالة التي يفقد فيها الطهوران، وكان مذهب ساداتنا المالكية أكثر تفصيلاً وتفريعاً إلى أربعة

أقوال:

نظم أحد علماء المالكية في قوله:



ومن لم يجد ماء ولا متيمما*** فأربعة الأقوال يحكين مذهبا

يصلي يقضي عكس ما قال مالك*** وأصبغ يقضي والأداء لأشها

أولا: قال الإمام مالك [٥١٧٩هـ]: تسقط عنه الصلاة أداء وقضاء،

لقوله- صلى الله عليه وسلم-: «لا تقبل صلاة بغير طهور»؛ لأن الخطاب

لم يتوجه عليه لانعدام شرط الطهارة حتى يخرج وقتها. وأورد ابن قدامة

أن ابن عبد البر قال: «هذه رواية منكورة عن مالك».

ثانيا: وقال أشهب [٥٢٠٤هـ]: يؤديها بلا طهارة ولا يقضي لحديث

عائشة لما استعارت قلادة من أسماء فهلكت، فأرسل رسول الله - صلى

الله عليه وسلم- ناسا من أصحابه في طلبه فأدركتهم الصلاة، فصلوا

بغير وضوء فلما أتوا النبي - صلى الله عليه وسلم- شكوا ذلك إليه

فنزلت آية التيمم.

ثالثا: وقال أصبغ [٢٢٥هـ]: لا يؤديها ويقضيها إذا وجد الماء أو

الصعيد، لأنها عبادة لا تُسقط القضاء فلم تكن واجبة.

رابعا: وقال ابن القاسم [١٩١هـ]: يؤديها بلا طهارة ويقضيها

إذا وجد الماء أو الصعيد؛ لأن فاقد الطهورين، أو فاقد القدرة عليهما،

يصلي ليأتي بغاية ما يقدر عليه، ثم يعيدها إذا وجد الماء احتياطا؛ لأن

فقد الطهورين عذر نادر فلم يسقط الإعادة، وهو الصحيح في مذهب

الشافعية، وقول أبي يوسف من الحنفية. وإنما يعيد الصلاة احتياطا للدين،

ودراً للشبهات لقوله ﷺ: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه

ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام»

الترجيح في المسألة:



والقول الراجح الذي نميل إليه هو قول أشهب، أنه يصلي على حالته، وهو ما رجحه العلامة المواق عن غير واحد من علماء المالكية. قال المواق رحمه الله: «(وتسقط صلاة وقضاؤها بعدم ماء وصعيد) روى معن والمدنيون عن مالك فمن لم يجد ماء ولا ما يتيمم به، كمن تحت هدم أو مريض ولا يجد من يناوله ماء ولا تراباً، أنه لا يصلي ولا يقضي .

ابن القصار: وهو المذهب. قال ابن خويزمنداد: وهو الصحيح من مذهب مالك، قال أبو عمر: «لا أدري كيف أقدر على أن أجعل هذا الصحيح من مذهب مالك مع خلفه جمهور السلف وعامة الفقهاء وجماعة المالكيين، روى ابن سحنون عن أبيه: أنه يصلي ولا إعادة عليه، وكذا قال أشهب»

والسبب في ترجيح هذا القول الاعتبار التالي:

أولاً: وجود النص النبوي الثابت في المسألة الذي سقناه آنفاً

ثانياً: عدم خلو أيامه بلا عبادة طيلة وقته، خاصة إذا استغرق واقعه أياماً بل شهوراً

ثالثاً: إذا نظرنا إلى المسألة مقاصدياً، قلنا:

الطهارة سواء المائية أو الترابية هي من باب الوسائل، فالصلاة في وقتها من باب المقاصد وهي التوجه إلا الله، ولو سقطت لسقطت عن العاجز، وعن المجاهد أثناء القتال في المعركة ومنه قوله تعالى: {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ

وَحُدُّوا حُدْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٠٢) فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} [النساء: ١٠٢، ١٠٣]. فليس هناك حرج أكثر من هذا ولم تسقط فيه الصلاة، فما بالك فيما دونه.

وعليه تعارضت وسيلة مع مقصد، والقاعدة المقررة أصوليا و مقاصديا:

١. الوسائل له حكم المقاصد .
٢. شرف الوسيلة من شرف المقصد.
٣. يغتفر في الوسائل ما لا يغتفر في المقاصد.
٤. إذا عادة الوسيلة على الأصل بالإبطال، ألغيت الوسيلة -

والقاعدة الرابعة هي محل الشاهد في مسألتنا، فلما كانت الطهارة تكرر على المقصد وهو الصلاة بالإعدام، ألغيت هذه الوسيلة ويتوجه مباشر إلى تحقيق المقصد.

وواقعة الحال أمامنا في هذه النازلة المتعلقة بالأطباء، والمساعدين - حفظهم الله- في عدم إمكانية نزع ثيابهم للوضوء ولا للتيمم، سقطت عنهم الطهارة بالكلية بشرط على ما سنذكره في أحكام الصلاة بالنسبة لهؤلاء.

ملاحظة هامة: متى أمكن الطبيب أو مساعده من كشف وجهه وكفيه، مثلا عند ذهابه إلى الحمام أو المكتب، فإنه يتم ويصلي بهذا التيمم ما شاء من الصلوات، أخذا بقول خويزن منداد من المالكية، الذي يرى أن التيمم الواحد يجزئ لكم من صلاة مفروضة، كما هو مذهب الحنفية.

الصورة الثانية: كيفية صلاة الأطباء ومساعدتهم في حالتهم المذكورة.

بعد أن تحدثنا عن الأحكام المتعلقة بطهارة الثوب والخرج الذي هم فيه من نزعه، وإن حمل نجاسة، ثم تطرقنا إلى العجز عن استعمال الماء أو التيمم بسبب اللباس والقفازات والكمادات، بقي الآن أحكام تتعلق بالصلاة فأقول وبالله التوفيق:

فالمسألة لها شقان على وجه يرفع فيه الخرج وتتأذى به الأحكام على الحد الأدنى، انطلاقاً من نصوص الكتاب والسنة، وقواعد فقه هذه الأمة، ومن ذلك القاعدة القرآنية: « فاتقوا الله ما استطعتم » والقاعدة النبوية: « فاتوا به ما استطعتم » والقواعد الفقهية، قاعدة: « ما لا يدرك لا يترك » وقاعدة: الميسور لا يسقط بالمعسور، وقاعدة: ارتكاب أخف الضررين »

الشق الأول: مراعاة حرمة الأوقات.

إن فرض المسألة أنه لا يمكن للأطباء أن ينزع ثيابهم لمدة ما يقارب اثني عشر ساعة. ونحن لا ندري متى تبدأ ومتى تنتهي، ولكن نضع الاحتمالات ونترك التنزيل للمكلف الذي تلبس بالفرض.

الاحتمال الأول: إذا كان الوقت الذي يلبس فيه هذا اللباس، ويستغرق هذه المدة أو ما دونها أنه بعد انتهاء الدوام والخرج يكون هناك وقت للصلاة، ولو يسير في الوقت الضروري، فهنا وجب الوضوء، إلا إذا خشي خروج وقت الصلاة بالوضوء يعدل إلى التيمم، حفاظاً على حرمة الوقت المقدمة على الطهارة.

الاحتمال الثاني: وهو استغراق الوقت لمجموعة من الصلوات، وعدم امكانية الخروج بسبب الدوام، فإنه تصلى كل حاضرة في وقتها، على اعتبار أمل الخروج من الدوام قبل خروج وقت اللاحقة.

الشق الثاني: الجزم بعدم الخروج قبل الوقت المعلوم والمحدد.

إذا علم الأطباء ومساعدوهم أنه لا يمكن خروجهم قبل نهاية



الدوام المحدد فهم أمام حالتين.

الحالة الأولى: إذا علم الأطباء ومساعدوهم أن موعدهم سوف يكون مع بداية مشتركتي الوقت مثلا الظهر والعصر، أو المغرب والعشاء. فإن نقول لهم بجمع الصلاة من غير قصر أي تصلي الرباعية رباعية حفاظا على الصلاة بطهارتها، وإعمالا لحديث ابن عباس الذي رواه مسلم في صححه أنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة من غير مرض ولا سفر، قالوا: ماذا أراد بذلك يا بن عباس، قال: «أراد ألا يخرج أمته» وليس هناك حرج أكبر مما هو فيه هؤلاء الاطباء ومساعدوهم.

الحالة الثانية: إن علموا خروجهم ولا يخرج وقت الصلاة بمقدار خمس ركعات بالنسبة للصلاة النهارية، فإنهم ينون جمع تأخير لهما حتى يخرج ويصليهما، وإن علم أن جمع التقديم بهم الأولى والأرفق فعله. ولكن إن جزم بعدم خروجه في الأوقات المعلومة، فنقول له أن يصلي كل صلاة مع دخول وقتها، ولو من غير طهارة كاملة، سواء في لباسه أو في بدنه.

في الختام:

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم، أن يرفع الوباء والبلاء عن بلدنا وسائر بلاد المسلمين، بل على الإنسانية جمعاء. وأن يجعلنا ممن يحفظون حدوده، ويقىمون فرائضه، وينشرون الخير بين الناس .

ونسأل الله عز وجل بدعاء خاص لإخواننا بشكل خاص

إلى أهلنا في مدينة البليدة المحاصرة بهذا الوباء

وأن يعم هذا الدعاء إلى بقية أرجاء الوطن.

والحمد لله الذي تتم به الصالحات

حرر في وهران: ٠١ شعبان ١٤٤١ الموافق ٢٥/مارس ٢٠٢٠

الخاتمة:

اعتنى المذهب المالكي بالنوازل قديما وحديثا من خلال مناهج استنباط الاحكام الشرعية وتكييف النوازل والحاقها ببابها ولعل المذهب المالكي السباق لهذا الفقه

فكتب النوازل والرسائل التي جمعت عن أسئلة المستفتين، وإجابة الشيخ وما جمع في حياتهم، وما بعد مماتهم خاصة في المغرب العربي، وشمال أفريقيا كان بمثابة مرجع لكثير من المجتهدين في المذهب، فالمالكية ما تركوا نازلة إلا واجتهدوا في تنزيلها، وتوضيح حكمها الشرعي غير أن التوقف في حالة العجز عن إيجاد الحكم من أهم خصائص التأصيل لدى المالكية، أما جائحة كورونا فالفتاوى الناتجة عنها كثرت مسائلها التي تنوعت من الطهارة إلى الصلاة، إلى أحكام تتعلق بالزكاة، وأحكام الموتي، وبعض المعاملات المالية؛ فإنها جائحة مست جميع المكلفين ولو باختلاف المذاهب والمشارب، فالنتيجة واحدة فهي من عموم البلوى ونلخص في الأخير أن الأحكام الشرعية للنوازل اعتنى بها المالكية، ووقفوا في جمع مسائلها واستخراج حكمها. وربي الموفق لكل خير.





المصادر والمراجع:

- * أبي إسلام مصطفى بن محمد بن سلامة، التأسيس في أصول الفقه على ضوء الكتاب والسنة، مكتبة الحرمين للعلوم النافعة، الجزء الأول
- * أبي عبد الملك احمد بن مسفر العتيبي، القواعد التأصيلية دليل المتفهمين إلى ضبط المعارف الفقهية، دار ابن حزم بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م.



- * ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، طبعة ١٩٧٣، الجزء الأول
- * ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء الثاني
- * ابن منظور، لسان العرب، الجزء ١٤، مادة نزل حرف النون
- * ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، طبعة الكترونية
- * البدوي، مدخل الفقه الإسلامي وأصوله
- * تهاني عبد العزيز المشعل، الفرق بين تنقيح المناط وتخريج المناط دراسة أصولية.
- * جميل حمداوي، فقه النوازل في الغرب الإسلامي، شبكة الألوكة، نسخة الكترونية.
- * خالد تواتي، مصطلحات فقهية وأصولية.
- * خالد رمضان حسن، معجم أصول الفقه، دار الحرايشي، الطبعة الأولى ١٩٩٨
- * الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، الجزء الأول
- * سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، مير محمد كتب حانه
- * عادل يوسف العزازي (٢٧-٤-٢٠١٥)، «معنى الحكم وأقسامه»، www.alu-kah.net، اطلع عليه بتاريخ ١٣-٦-٢٠٢٠. بتصرف.
- * عبد الكريم نملة، الجامع لمسائل أصول الفقه للمذهب الراجح، مكتبة الرشد، الرياض، طبعة ٢٠٠٠،
- * الغني [/https://www.almaany.com/](https://www.almaany.com/)



- * فيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث القاهرة نسخة الكترونية
- * اللجنة الوطنية الصينية للصحة ومكتب الإدارة الوطنية ، بيت الحكمة للاستثمارات، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠
- * ماحي قندوز، الدرر المكنونة في نوازل مازونة رسالة دكتوراة ٢٠١٠-٢٠١١
- * مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المعجم الوسيط، دار الدعوة.
- * محمد إبراهيم الحفناوي، الفتح المبين في تعريف مصطلحات الفقهاء والأصوليين في المذاهب، دار السلام، الطبعة الثالثة: ٢٠٠٩
- * محمد بن حسين الجيزاني، فقه النوازل دراسة تأصيلية تطبيقية، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ٢٠٠٦ الجزء الأول
- * مريم محمد صالح الظفيري، مصطلحات المذاهب الفقهية، دار ابن حزم، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: ٢٠٠٢
- * مسفر بن علي بن محمد القحطاني ، منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة ، دار ابن حزم، الطبعة الثانية ٢٠١٠
- * ملتقى القيروان مركز علمي مالكي بين المشرق والمغرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة
- * المهذب في أصول الفقه المقارن، تحرير لمسائله ودراستها دراسة نظرية تطبيقية
- * وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، الجزء الأول، الطبعة الأولى ١٩٨٦-١٣٠٦
- * وهبة الزحيلي، سبل الاستفادة من النوازل والفتاوي والعمل الفقهي في التطبيقات المعاصرة، دار المكتبي، الطبعة الأولى ٢٠٠١



قراءة شعرية لفقه القيم الانسانية وانعكاسها على الحياة الواقعية

أ.د خميس فزاع عمير^(١)

جامعة الانبار-كلية التربية القائم

dr.km0246@gmail.com

بسم الله نبدأ والصلاة والسلام على من جاءنا بأحسن مبدأ:

إنّ القيم الإنسانيّة في كلّ مجتمع هي عنوان تقدّمه، وأساس حضارته، وقد حثّ عليها الدّين، ونادى بها المصلحون، وتغنّى بها الشعراء في قصائدهم فقدموا وصفاتهم الطيبة من أجل شفاء العالم من أوبئته: الجهل والجشع والظلم والعنف والعبودية فتغنوا بالشجاعة والكرم والاحترام والإيثار والمروءة والاحسان والجرأة والحلم والحكمة والتعاون-الخ.

ولقد وضعت أحداث جائحة كورونا العالم أمام قراءة فعلية لدور القيم في صناعة التغيير وإعادة هندسة الواقع، فغير الكثير من المفاهيم ونسج خيوط اتصال وتواصل جديدة عبرت عن التآلف الوجداني التي تحملها القيم في حياة الإنسانية لنقلها إلى مرحلة صدق الرغبة في تصحيح الممارسة منسجمة مع إنسانيتها، مستجيبة لمتطلبات نجاحها، متحديّة صعوبات التطبيق، من خلال صياغة فكر جديد ولحن متجدد للحياة في ظل هذه الأوضاع، موضوعي يعني توظيف تلك الصفات الادبية لإنشاء محطة لإعادة توجيه المسار ومنصة لاسترجاع الأنفاس ومساحة تتعايش في ظلها البشرية لتقرأ واقعها بعناية وتقيم ممارساتها بمصادقية، وتعيد

(١) أستاذ اللغة في جامعة الانبار - كلية التربية بالقائم، وعميد الكلية سابقا، وأستاذ اللغة العربية لغير الناطقين بها في قسم اللغة العربية، في كلية الالهيات جامعة ١٨ آذار تركيا جنقلة في ٢٠١٢ - ٢٠١٣م، ورئيس لجنة التريقات العلمية في الكلية حاليا



إنتاج واقعها في ظلال تلك القيم؛ فالأوضاع الناتجة عن كورونا وسعت العالم كله وأثرت على اقتصاده وأرهقت قدراته، لكنها في المقابل أوجدت محطات متجددة لإنتاج الحياة وصياغة لحنها المتجدد لتقرأ فيها القيم والأخلاقيات على أرض الواقع بما يحمله وجودها من خيرية وتفاؤلية وإيجابية للبشرية، وقد اخترت من هذا البحر العريض أن أكتب في القيم الإنسانية في الشعر وقد سمت بحثي باسم (قراءة شعرية لفقه القيم الإنسانية وانعكاساتها على الحياة الواقعية) وقد اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي في تتبع تلك القيم، من خلال تتبع ذلك عند شاعرنا (عروة ابن الورد) الذي سيكون ميدانا للتطبيق و«استأثرت الحكمة بجملة صالحة من شعر وهو مليء بالقيم الأخلاقية؛ كالجود والقرى، والشجاعة والمجد، وكالحياء وصحبة الأخيار، وكالصدق والحلم وحفظ الأسرار، تلك القيم الأخلاقية ميزات العرب التي ورثها آباؤه فورثوه إياها، وهو يوصي بها الجيل القادم، وهذه سلسلة ذهبية تتحلل بها البشرية جمعاء والتي نحتاجها في هذا الظرف العصيب الذي يمر به العالم وسوف أحاول أن أتبع بعضها باعتبارها الأصل الأول والجامع الكبير لمختلف السجيا العربية التي تفنن الشاعر العربي في وصفها، فمفهوم الكرم مثلا أصيل عند العربي، قديم قدم المواقف الاجتماعية التي تنزع إلى تشريف العصر الإنساني حتى عرف بكثرة سخائه ووفرة عطائه وقراه لضيفه كدليل على عاطفية علاقاته الاجتماعية والقبلية وسعيا إلى ربط أو اصر المحبة والألفة ونشرها بين القبائل العربية. وهكذا تحتم عليه أن يقدم يد العون لكل طارق أو عابر سبيل يقصده ليلا أو نهارا شتاء أو صيفا أو ربيعا أو خريفا، فالعطايا الروحية والمادية لا تحكمها الطبيعة.

ماهية القيم:

تعرف القيم لغة بأنها جمع لكلمة قيمة وهي الشيء ذو المقدار أو الثمن وتعرف اصطلاحا بأنها مجموعة الصفات الأخلاقية التي يتميز

بها البشر، وتقوم الحياة الاجتماعية عليها ويتم التعبير عنها بالأقوال والأفعال، كما تعرف بأنها مجموعة المبادئ والأخلاق التي تسود مجتمع من المجتمعات وتميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى وتشير إلى الأسس والطرق التي يتعامل وفقها أفراد المجتمع الواحد، وقد اختلفت تعريفات القيم لدى علماء النفس والتربية العرب والغربيين ومنها أنها تصورات معرفية مرتبطة بثلاث مستلزمات إنسانية وهي الحاجات العضوية والقواعد الاجتماعية للتفاعل بغرض التنسيق بين الأشخاص، والمطالب الاجتماعية المؤسساتية لمصلحة وتماسك الجماعة، هذه المستلزمات الثلاثة موجودة مسبقا قبل كل فرد، والنمو المعرفي في سن المراهقة هو الذي يجعل من الممكن تصورها شعوريا في شكل أهداف أو قيم^(١)، أو هي تلك الحالة من الدافعية التي تشير إلى المعايير الشخصية والثقافية أو هي التوجه الاختياري نحو التجربة، وتحوي الالتزام العميق أو الرفض الذي يؤثر في نظام الاختيار بين بدايات ممكنة الفعل^(٢) من خلال التعريفين السابقين نستطيع أن نقول بأن مفهوم القيم يمكن تلخيصه في أنه أحكام معيارية توجه السلوك الإنساني كما أنها تفضيلات أساسية لما هو مرغوب فيه وضرورية في حياة الفرد والجماعة، فهي تكاد تكون سمة عامة يتسم بها المجتمع الواحد فتطغى على تصرفات أفراده بعمومها وينتظم سلوكهم وفقها، وفي هذا يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام - **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ** -^(٣)، فهذا الحديث الشريف يدلنا على أن مفهوم القيم والأخلاق الإنسانية والاجتماعية كان موجودا ولكنه بحاجة لتعديل في بعضه، وهذا لا يعني أن المجتمع كان مثاليا أخلاقيا بمجمله ولكنه كان متنوعا وهذا دأب المجتمعات البشرية فالتنوع سمة ظاهرة فيها، ومنه فكما نجد الكريم الشريف نجد الخسيس الوضيع وكما نجد الوفي حافظ

(١) مرتضى الزبيدي، تاج العروس، مجلد ٩، بيروت، لبنان، دار صادر ١٩٦٦، ص ٣٥

(٢) محمد أحمد بيومي، علم اجتماع القيم، دار صادر، بيروت، لبنان، ص ٧٤

(٣) رواه أحمد



العهد نجد الخائن وكما نجد الكريم الشريف نجد البخيل الشحيح.

القيم الانسانية: اخترت بعض القيم الأخلاقية التي تميز الإنسان الواعي من غيره من خلال مشاهد شعرية تحمل قيما لو طبقت في زمن كورونا لصلح الحال وخفت الاحمال:

١. الكرم:

الكرم صفة أصيلة في النفس الإنسانية، وهي تختلف من شخص إلى آخر، وهي باب من أبواب الواجب بإحاطة الضيف بالتكريم والاحترام، وذلك يكون بالكلمة الطيبة والابتسام في وجه الضيف، أو بتقديم لهم الطعام والشرب؛ لأنها تعزز العلاقة بين الأفراد والجماعات، فنحن لا نتصور مجتمع تتطور فيه العلاقات وتنمو، وينتشر الحب والإخاء في غياب هذه القيمة ولاسيما في ظلال هذا الوباء (كرونا) وقد استطاع عروة بن الورد في أشعاره أن يصور لنا بصور رائعة ملامح جوده وعطاءه، وإكرام الضيف، فهي لا تخلو من هذه القيمة الإنسانية، يقول: [من الطويل]

إني امرؤ عافى إنائي شركة وأنت امرؤ عافى إنائك واحد
أتهزأ مني أن سمنت، وأن ترى بوجهي شحوب الحق، والحق جاهد
أقسّم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء، والماء بارد^(١)

فهو لا يستأثر بطعامه لنفسه بل يشارك الآخرين فيه، ويهزل هو ليسمن أضيافه، وقوله: (الحق جاهد)، فالحق الذي ذكره صلة الرحم وإعطاء السائل وذوي القربى، فمن فعل ذلك جهده، قال الحسن: إن الحق ليجهد الناس ولن يصبر عليه إلا من رجا ثوابه^(٢)، ولذلك قال عبد الملك بن مروان:

ما يسرني أن أحدا من العرب ولدني ممن لم يلدني إلا عروة بن

(١) ينظر: ديوان عروة، أسماء أبو بكر محمد، ص ٦١، والأغاني، ج ٣، ص ٥٢.

(٢) ينظر: شرح ديوان عروة لابن السكيت، ابن أبي شنب، ص ١٤٠.

الولد لقوله السابق^(٣) ونراه في موضع آخر يذمّ البخل، ويؤكد موقفه منه حال يسره وإعساره، يقول^(٤): [من الوافر]

وقد علمت سُلي أنّ رأيي ورأي البخل مختلف شتيت
وأني لا يُرني البخل رأيي سواء إن عطشت وإن رويت

ومن المعلوم أنّ الكرم صفة من صفات الله تعالى، كما أنّه من شيم الأنبياء وأخلاقهم، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يؤذ جاره»، وقد حثّ الإسلام ورغب على الكرم والإنفاق في سبيل الله، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، وقد ذمّ الله تعالى البخل وحثّنا منه، يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ٣٧]، وكان عليه الصلاة والسلام يتعوّذ من البخل، ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ...»^(٥).

٢. الإيثار:

عقيدة أخلاقيّة مفادها، أن يقدّم الإنسان غيره على نفسه في التّفعل له والدّفعل عنه، وهو النّهاية في الأخوة^(٦)، ويصوّر لنا عروة في شعره أروع النّماذج عن الإيثار، يقول^(٧): [من الوافر]

وربّت شعبة آثرت فيها يداً جاءت تغير لها هنيئاً

(٣) ينظر: الأغاني، ج ٣، ص ٥٢.

(٤) ينظر: ديوان عروة، أسماء أبو بكر محمّد، ص ٥٠.

(٥) - ينظر: صحيح البخاري، دار ابن كثير دمشق - بيروت، حديث رقم/٦٣٧١، ص ١٥٨٨.

(٦) - ينظر: معجم التعريفات للجرجاني، ص ٣٧.

(٧) - ينظر: ديوان عروة، أسماء أبو بكر محمّد، ص ٤٩، وشرح ديوانه لابن السكيت، ص ١٦٤.



يقول: الحقّ مطلبه جميل وقد طلبوا إليك، فلم يقيتوا فهو رغم فقره وجوعه، فقد أثر ذلك الشخص الجائع على نفسه، وأخو الشيع لا يعلم به، وفي موضع آخر نراه يؤثر الآخرين على نفسه بكلّ طعامه مع جوعه ومسغبته مكتفياً بشرب الماء البارد، على حين يعصف الشتاء بزهريره، يقول: [من الطويل]

أقسّم جسّمي في جسوم كثيرة
والماء بارد^(١) وأحسوقراح الماء،

والإيثار يرفع المجتمع إلى قمة الأمن، لأن أفراد ارتفعوا عن حظوظهم الدنيوية، وآثر بها كل منهم أخاه، فهو لا يفكر في أن يستوفي حقه ويعتبر من محاسن الأخلاق الإسلامية، فقد أثنى الله سبحانه على أصحابه، ومدح المتحلّين به، وبيّن أنّهم المفلحون في الدنيا والآخرة، قال تعالى في وصف الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] أي يقدمون المحاويع على حاجة أنفسهم، ويبدوون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك^(٢)، وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقال: يا رسول الله أيّ الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدّق وأنت صحيح صحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان»^(٣).

٣. الإحسان إلى الجار:

الإحسان إلى الجار خلق كريم، يهيئ القلوب إلى الخير، والجار

(١) - تمّت الإشارة سابقاً إلى موضع البيت.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير، ص ١٨٥١.

(٣) ينظر: صحيح البخاري، حديث/١٤١٩، ص ٣٤٤.

هو المؤشر الذي من خلاله تستطيع أن تعرف حقيقة نفسك من جهة الإحسان من عدمه، فقد كان العرب يفخرون بالإحسان إلى جيرانهم، وصيانة أعراضهم، وكثيرا ما نراهم قد تغتوا بذلك في أشعارهم، وابتعدوا عما يחדش مروءتهم وكرامتهم، وهذا ما نلمسه في شعر عروة، حيث نراه يرسم لنا صورة نموذجية عن حسن معاملة الجار، فهو يعتقد جازما أن طعامه الذي في بيته حرام عليه إن لم يكن لدى جاره مثله، يقول^(٤): [من الوافر]

أفِي نَابٍ مَنَحْنَاهَا فُقَيْرَا لَه بِطِنَابِنَا طَنَبُ مُصِيْتُ
وَفُضْلَةُ سَمْنَةٍ ذَهَبَتْ إِلَيْهِ وَأَكْثَرُ حَقِّهِ مَالَا يَفُوتُ
تَبِيْتُ عَلَى الْمَرَاغِقِ أَمْ وَهَبْتُ وَقَدْ نَامَ الْعَيُونَ، لَهَا كَتَيْتُ
فِيَنَّ حَمِيَّتِنَا أَبَدًا حَرَامٌ وَلَيْسَ لَجَارٍ مَنَزَلْنَا حَمِيَّتُ

وعندما تنشغل بالآخرين ومحاولة إيذائهم ومنع تطورهم وتقدمهم بدقيقة يسخر الله من حيث لا تعلم فيروس صغير يبتيك به ويشغلك بنفسك ليل نهار، ويجعلك في دوامة كيفية محاربتة والتخلص منه.

والإسلام بقدمه عزز هذه القيمة، ودعا إلى التخلق بها، كما عظم الإسلام حق الجار، وأعلى من قدره، وأوصى بالإحسان إليه، يقول تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال عليه الصلاة والسلام: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(٥)، وعند الطبراني والبخاري، وشرح ديوانه لابن السكيت، ص ١٦٤. إلى جنبه وهو يعلم به»، كما نهى الإسلام عن أذية الجار سواء بالفعل أو

(٤) ينظر: ديوان عروة، أسماء أبو بكر محمد، ص ٤٩، وشرح ديوانه لابن السكيت، ص ١٦٤.

(٥) ينظر: صحيح البخاري، حديث رقم/٦٠١٤-٦٠١٥، ص ١٥٠٨.



باللسان، أو حتى بالكبر والإهمال، قال عليه الصّلاة والسّلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذّ جارَه»^(١)، وقال أيضا: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»، قيل: «وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال:» الذي لا يأمن جاره بوائقه»^(٢). وليس الإحسان إلى الجار مقصورا على الجار المسلم فحسب، بل هو لجميع الفئات التي تشملها كلمة الجار، سواء المسلم أو الكافر، وسواء الجار في السكن أو في العمل أو في المزرعة أو في الدّراسة، وكثيرة هي الأحاديث التّبويّة التي تحضّ على الإحسان إلى الجار، وتنهى عن الإساءة إليه، وذلك لحرص الشّارع الحكيم على تحقيق المودّة في المجتمع، وتحقيق السّلام.

٤. الجرأة والشّجاعة:

الشّجاعة عماد الفضائل ومن فقد هالم تكمل فيه فضيلة^(٣)، وهي من أروع وأنبّل الصّفات التي تحلّى بها العرب في الجاهليّة والإسلام، ويبيّن لنا عروة جرّاته وشجاعته في مواضع كثيرة، فهو^(٤) لا يزال يطلّ على أعدائه، ويؤشرف عليهم فيظفر منهم بكلّ ما يريد، على الرّغم من صياحهم به، وزجرهم له، ولقد كان لشجاعة عروة وإقدامه في ساحة الوغى أثرها عليها، فهو يصوّر لنا في أروع صورة شعريّة ما خلفته عليه فقد شاب رأسه وليس ذلك سببه طول السّنين وإنّما لكثرة الوقائع التي خاضها، يقول^(٥): [من الطّويل]

فما شاب رأسي من سنين تتابعت طولاً، ولكن شيبته الوقائع
وهذه الخصلة هي ممّا أمر الله سبحانه المسلمين التّحلي بها، فقد أمرهم سبحانه بالقتال في سبيله، والثّبات عليه، والإقدام في الحروب، قال

(١) ينظر: المرجع السّابق، حديث/٦٠١٨، ص١٥٠٩.

(٢) ينظر: المرجع السّابق، حديث/٦٠١٦، ص١٥٠٩.

(٣) ينظر: المستطرف في كلّ فنّ مستطرف لأبي الفتح الأبيشي، ج١، ص٢١٦.

(٤) ينظر: تاريخ الأدب العربيّ ١ العصر الجاهلي، شوفي ضيف، ص٣٨٦.

(٥) ينظر: ديوان عروة، أسماء أبو بكر محمّد، ص٨٢، وشرح ديوانه لابن السّكيت، ص١٦٠.

تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]، كما أمر سبحانه بالثبات في الجهاد، يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]، ونهى سبحانه عن الفرار والتولي يوم الرِّحْف وجعل مصير من يفعل ذلك غضب الله عليه ودخول جهنم والعياذ بالله، قال سبحانه: ﴿ وَمَنْ يُؤَلِّهْمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٦]، وكان عليه الصلاة والسلام أشجع الناس، وكان يتعوذ من الجبن، يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ»^(٦)، وقد ضرب لنا الصحابة رضي الله عنهم بشجاعتهم أروع الأمثال، وبشجاعتهم فتحت البلدان وساد هذا الدين.

٥. الحلم والحكمة:

الحلم هو الصِّفْح والأناة والتَّعْقُل، والحكمة هي المعرفة ووضع الشيء في موضعه، وهما صفتان محمودتان، وبالاستقراء في ديوان عروة نلاحظ الحلم لديه في طريقة تعامله مع قبيلته، فلم يعاملها بمثل ما عاملته، ولم يحقد عليها، بل نراه متعصبا لها ويفتخر بها، وينتصر لها إذا تعرّضت للعدوان، وفي ذلك يقول^(٧): [من الطويل]

ونحن صبحنا عامرا، إذ تمرست علالة أرماح وضرباً مذكرا

بكل رفاق الشفرتين، مهند ولدن من الخطي قد طرّ أسمرا

عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم ومقتلهم تحت الوغى كان أعذرا

يشدّ الحليم منهم عقد حبله ألا إنّما يأتي الذي كان حدرا

كما يُلاحظ ولاءه لقبيلته من خلال مدحه لساداتها والإشادة بهم،

يقول: [من الطويل]

(٦) ينظر: صحيح البخاري، دار ابن كثير دمشق- بيروت، حديث رقم/٢٨٢٢، ص ٦٩٨، وحديث/٦٣٧١، ص ١٥٨٨.

(٧) ينظر: ديوان عروة، أسماء أبو بكر محمد، ص ٧٤، وشرح ديوانه لابن السكيت، ص ١٣٤.



لكل أناس سيّد يعرفونه وسيّدنا حتّى الممات ربيعُ
إذا أمرتني بالعقوق حليلتي فلم أعصها إنّي أذا المضيعُ



وقد رغب الإسلام بهذه الشّيمة والخلق، قال تعالى: ﴿ وَالْكَاطِمِينَ
الْعَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]،
أي لا يعملون غضبهم في الناس، بل يكفّون عنهم شرّهم، ويحتسبون
ذلك عند الله^(١)، وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة، أنّ النّبّي صلّى الله عليه
وسلّم، قال: «ليس الشّديد بالضّرعة، إنّما الشّديد الذي يملك نفسه عند
الغضب»^(٢).

كما جاءت الحكمة في شعر عروة على قدر كبير من التّضح العقلي،
منبعها الظّروف التّفسيّة وتجارب الدّهر وحوادثه، والتّظّرة الصّحيحة
الواقعية إلى الأشياء، وتتجلى حكمته في أبهى صورها في تسجيله لمشكلة
اجتماعيّة خطيرة، مشكلة الفقر والغنى، فالفقير في رأيه شرّ الناس،
وأحقرهم عندهم، وأهونهم عليهم مهما يكن لديه من فضل، يجافيه
أهله وتزديده امرأته، حتّى الصّغير يستطيع أن يذلّه، أمّا الغني مهما يفعل
يقبل منه، ومهما يخطئ يغفر له، فللغني ربّ يغفر الذنوب جميعاً^(٣)، ورغم
طموح عروة للغنى، وكثرة مغامراته والتي كانت غايته منها- بطبيعة
الحال- الوصول إلى الغنى ليشارك السّادة الأغنياء في البذل والكرم
واكتساب المفاخر والمحامد، نراه يشير إلى أنّ المرء بأفعاله وخلاله الحميدة
يسود في المجتمع وليس بكثرة المال، فقد بلغه عن رجل من بني كنانة
أنّه أبخلّ الناس وأكثرهم مالا، فبعث عليه عيوننا، فأتوه بخبره، فشدّ على
إبله فاستاقها ثمّ قسمها في قومه، فقال عند ذلك^(٤): [من الكامل]

ما بالثّراء يسود كلّ مُسوّدٍ مثيرٍ، ولكن بالفعال يسودُ

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، ص ٤٠١.

(٢) ينظر: صحيح البخاري، حديث رقم/٦١١٤، ص ١٥٢٩.

(٣) ينظر: الشعراء الصّعاليك، ص ٣٢٨.

(٤) ينظر: ديوان عروة، أسماء أبو بكر محمّد، ص ٥٧، وشرح ديوانه لابن السّكيت، ص ١٨١.

بل لا أكثر صاحبي في يُسرهِ وأصدُّ إذ في عيشه تصريدُ
وهذا الفيروس غير المرئي يمنحنا حكماً وعبراً تزيد لدى المتأمل في
حال العالم وانشغاله بمكافحته اليقين والإيمان العميق والرضا بالقضاء
والقدر، قد يهلك الله أُمَّماً وشعوباً بأوبئة وأمراض غير متوقعة تظهر
فجأة وتنتشر، وبدقائق تزول عروش وتنهار أمم، فالضعيف يصبح قوياً
والقوي يضعف وينتهي وبدقيقة واحدة أيضاً مخططات ومؤامرات قد
وضعت ودبرت لتنفيذها تنتهي ويصرف الله شرها ويزيحها عن درب
المسلمين بفيروس صغير غير مرئي فقيمة الإنسان إذاً بما يقدمه ويمنحه
لمجتمعه، وليس بما يملكه من مال وثروة، وديننا الحنيف يحثنا على البذل
والعطاء، وقد صور عروة بحكمته مشكلة الفقر والغنى في مجتمعه خير
تصوير، ومما هو معلوم أنّ الأنبياء جميعاً عليهم السلام عُرفوا بالحكمة
وسداد قولهم ورأيهم، واشتهر لقمان بالحكمة، فوعظ ابنه، وأمرنا سبحانه
أن تكون الحكمة هي السبيل إلى الدعوة إليه، فقال سبحانه: ﴿ اذْعُ إِلَى
سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [التحل: ١٢٥]، ومن حكمته
عليه الصلاة والسلام، قوله: « يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنتان: حب
المال، وطول العمر»^(٥)، وفي الحديث: « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها
فهو أحقُّ بها»^(٦).

٦. التعاون والدعوة الصريحة إلى العمل:

التعاون شكل من أشكال الإنسانية ونوع من أنواع التكافل
الاجتماعي، بل هو من أهم الصفات الحميدة التي يتحلّى بها الإنسان،
وبالاستقراء نرى أنّ عروة بن الورد يتخذ من صعلكته باباً من أبواب
المروءة والتعاون الاجتماعي بينه وبين فقراء قبيلته وضعفائها^(٧)، فقد ورد

(٥) ينظر: صحيح البخاري، حديث رقم/٦٤٢١، ص ١٦٠.

(٦) رواه الترمذي أبي هريرة، وقال عنه الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ينظر: الجامع الكبير للترمذي، ج ٤، حديث رقم/٢٦٨٧، ص ٤١٧..

(٧) ينظر: تاريخ الأدب العربي ١ العصر الجاهلي، شوقي ضيف، ص ٣٨٣.



في الأخبار أنّ عروة بن الورد كان إذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف، وكان عروة يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدة ثمّ يحفر لهم الأسراب ويكنف عليهم الكنف - أي حظائر يؤون إليها - ويكسبهم، ومن قوي منهم إمّا مريض يبرأ مرضه، أو ضعيف تثوب قوّته، خرج به معه فأغار، وجعل لأصحابه الباقين في ذلك نصيبا، حتّى إذا أخصب الناس وألبنوا وذهبت السنّة ألحق كلّ إنسان بأهله، وقسم له نصيب من غنيمة إن كانوا غنموها، فربّما أتى الإنسان منهم أهله وقد استغنى^(١)، يقول في ذلك^(٢): [من الطويل]

قلت لقوم في الكنيف ترّوحوا عشية بتنا عند ماوان رزّح
تناالوا الغنى أو تبلغوا بنفوسكم إلى مستراح من حمام مبرّح
ومن يك مثلي ذا عيالٍ ومقرا من المال يطرح نفسه كلّ مطرح

ومن هذا المجتمع الذي يستأثر فيه غنيّه بالمال عن فقيره، ويضنّ به عمّن يحتاجه، ولا يحسّ فيه الشّبعان والمتخّم بجائعه، جاءت صرخة ابن الورد في الدّعوة إلى العمل مدوية لتغير الوضع الاقتصادي والاجتماعي لهذه الفئة، ويظهر ذلك جليّا في قوله^(٣): [من الطويل]

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه شكا الفقر أو لام الصّديق فأكثر
وصار على الأدنين كلاً وأوشكت صلّات ذوي القربى له أن تنكرا
وما طالب الحاجات من كلّ وجهة من الناس إلا من أجدّ وشمّرا
فيسرّ في بلاد الله والتمس الغنى تعشّ ذا يسارٍ أو تموت فتعذرا
ويقول أيضا^(٤): [من الكامل]

(١) ينظر: الأغاني، ج٣، ص٥٥، وتاريخ الأدب العربي ١ العصر الجاهلي، شوقي ضيف، ص٣٨٣.

(٢) ينظر: ديوان عروة، أسماء أبو بكر محمّد، ص٥١، وشرح ديوانه لابن السّكيت، ص٩٧.

(٣) ينظر: ديوان عروة، أسماء أبو بكر محمّد، ص٧٧، وشرح ديوانه لابن السّكيت، ص١٩٠.

(٤) ينظر: ديوان عروة، أسماء أبو بكر محمّد، ص٥٤.

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة إنّ القعود مع العيال قبيح

وقد ألهمنا أن يد الله مع الجماعة وأن التعاون والاتحاد هو ما يمنع الضرر والشور من التسرب بيننا وأنا عندما نراعي المصلحة العامة فإن هذا يحفظنا أولاً قبل أن يحفظ الآخرين ويصب في مصلحتهم، وأنه كما لنا حقوق علينا مسؤوليات وواجبات، وأن مثل هذه المنعطفات هي المحك التي تظهر حقيقة الطبيعة البشرية، وقد ندب الله سبحانه تعالى في كتابه الكريم إلى التعاون ورغب به، وقرنه بالتقوى، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على التعاون، فقال: «ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة»^(٥)، وقال أيضاً: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه»^(٦)، وفي هذا دعوة من النبي عليه الصلاة والسلام إلى التعاون لشما للتعاون من أهميّة كبرى في بناء المجتمع، كما دعت آيات القرآن الكريم الناس إلى العمل الصالح وحفزتهم إلى كسبه والتسابق إليه، وأن خير ما يكتسبه الإنسان في حياته فإنه ذخره في آخرته وشرف له في دنياه، مؤكدة على ضرورة العمل لكي لا يكون المسلم عالة على المجتمع كما أشارت السنة النبوية إلى أهميّة العمل، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه»^(٧).

الخاتمة:

وفي نهاية المطاف لا بد لنا من الإشارة إلى بعض النتائج التي توصلت إليها الدراسة والتي يمكن إجمالها بالآتي:

١. للقيم دور في توجيه سلوك الفرد والجماعة، فهي تقوده إلى إصدار



(٥) ينظر: صحيح البخاري، حديث رقم/٢٤٤٢، ص ٥٩١.

(٦) المرجع السابق، حديث رقم/٢٤٤٦، ص ٥٩١.

(٧) المرجع السابق، حديث رقم/٢٠٧٤، ص ٤٩٩.

الأحكام على الممارسات العملية التي يقوم بها، وهي الأساس
السليم لبناء تربوي متميز.

٢. تعتبر القيم باعثاً على العمل في زمن الوباء، وبالتالي فهي تصنف
باعتبارها دوافع اجتماعية كما تحدد القيم للفرد أهدافه من
ميادين كثيرة.

٣. بين لنا الشعور القيمي ان تلك القيم تحقق للفرد الإحساس
بالأمان، فهو يستعين بها على مواجهة ضعف نفسه، والتحديات
التي تواجهه في حياته.

٤. إنها تحفظ تماسك المجتمع، فتحدّد له أهداف حياته، ومثله
العليا، ومبادئه الثابتة المستقرة التي تحفظ له هذا التماسك
والثبات اللازمين لممارسة حياة اجتماعية سليمة.

٥. إنها تساعد المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه
بتحديدها الاختيارات الصحيحة التي تُسهل على الناس حياتهم،
وتحفّظ للمجتمع استقراره وكيانه في إطار موحد.



المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم:

١- الاشتقاق لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ٢٢٣-٣٢١هـ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٢- الأصول الفتيّة للشّعر الجاهلي، تأليف الدكتور سعد اسماعيل شلبي، الطبعة الثانية: مزينة ومنقّحة، الناشر: مكتبة غريب.

٣- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تأليف السيّد محمود شكري الآلوسيّ البغداديّ، عُني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري، الجزء الأول، الطبعة الثانية.

٤- تاريخ الأدب العربيّ العصر الجاهليّ، دكتور شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الحادية عشرة.

٥- تاريخ العرب (مطوّل) بفلم الدكتور فيليب حتي والدكتور أدور جرجي والدكتور جبرائيل جبّور، الجزء الأوّل ١٩٤٩م، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع.

٦- تفسير القرآن العظيم للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ الدمشقيّ ٧٠١-٧٧٤هـ، طبعة جديدة منقّحة ومرتبّبة، دار ابن حزم بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م

٧- الجامع في تاريخ الأدب العربيّ- الدب القديم، حنا الفاخوري، دار الجيل بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٦.

٨- الجامع الكبير للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذيّ المتوفّي سنة ٢٧٩هـ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلاميّ- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦.

٩- ديوان عروة بن الورد أمير الصّعاليك، دراسة وشرح وتحقيق أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلميّة بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.



١٠- شرح ديوان عروة بن الورد العبسيّ لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السّكيت، ويليه جملة ممّا لم يذكر من شعره في هذا الشّرح، اعتنى بتصحيحه الشيخ ابن أبي شنب الأستاذ بكلية الأدب بالجزائر، خزانة الكتب العربيّة، مطبوعة على نفقة كلية الأدب بالجزائر بمطبعة جول كربونل الجزائر ١٩٢٦.

١١- الشّعر والشّعراء لابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، الناشر دار المعارف كورنيش التيل- القاهرة.

١٢- الشّعراء الصّعاليك في العصر الجاهلي، الدكتور يوسف خليف، الطّبعة الثالثة، الناشر دار المعارف كورنيش التيل- القاهرة.

١٣- شعر الصّعاليك منهجه وخصائصه، دكتور عبد الحلّيم حفي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ١٩٨٧.

١٤- صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ)، طبعة جديدة مضبوطة ومصححة ومفهرسة، دار ابن كثير دمشق- بيروت، الطّبعة الأولى ١٤٢٣-٢٠٠٢م.

١٥- طبقات فحول الشّعراء، تأليف محمد بن سلام الجمحيّ ١٣٩-٢٣١ هجرية، قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر، الناشر دار المدني بجدّة، السّفر الأوّل.

١٦- العرب في العصر الجاهلي، الدكتور ديزيره سقال، دار الصداقة العربيّة بيروت- لبنان، الطّبعة الأولى ١٩٩٥م.

١٧- كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني المتوفّي سنة ٣٥٦هـ-٩٧٦م، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، الدكتور إبراهيم السّعافين، الأستاذ بكر عبّاس، دار صادر بيروت.

١٨- لسان العرب لابن منظور، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلا كاملا ومذيلة بفهارس مفصلة، الجزء، دار المعارف، تحقيق نخبة من العاملين بدار المعارف هم الأساتذة: عبد الله علي الكبير- محمد أحمد حسب الله- هاشم محمد الشاذلي.

١٩- المستطرف في كل فن مستظرف، تأليف شهاب الدين محمد بن أحمد بن أبي الفتح الأبشيهي المحلي (٧٩٠-٨٥٠هـ)، الجزء الأول لتقي الدين أبي بكر بن علي بن محمد بن حجة الحموي القادري الحنفي، ويليه ذيلان لابن حجة الحموي ولمحمد بن إبراهيم الأحذب، الناشر مكتبة الجمهوريّة العربيّة لصاحبها عبد الفتاح عبد الحميد مراد- مصر.

٢٠- معجم التعريفات، للعلامة علي بن محمد السّيد الشّريف الجرجاني (٨١٦هـ -١٤١٣هـ)، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة.

٢١- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، تأليف الدكتور جواد علي، الجزء الأوّل، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢٢- نور اليقين في سيرة سيّد المرسلين، تأليف المرحوم الشّيخ محمد الخضري المتوفّي سنة ١٣٤٥هـ-١٩٢٧م، حققه وعلّق عليه علي الشّربجي، دار المعاجم - دمشق، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م.



الأدب في ظل كورونا



د: إبراهيم فضل الله^(١)

الجامعة اللبنانية - لبنان

يؤثر الأدب في حياة الفرد، وهو يلعب دوراً بارزاً في حياة الجماعة، لأنه يعمل على تربية أفكار الأفراد، وتكوين شخصياتهم، ويكتشف القارئ من خلال قراءة الروائع الأدبية الكثير من الطبائع الإنسانية المتنوعة، كما يتعرف من هذه الأعمال الأدبية إلى جوانب وظواهر مختلفة من الحياة وهذا يغني فكره ورؤيته إلى الحياة من حوله، ويجعله يمتلك قدرة اتخاذ الموقف المناسب من أي أمر خطير يهدد حياته خصوصاً في الزمن الذي تنفثى فيه الأوبئة التي تزيد الحياة قساوة وتوتراً، وهذا ما يجعل الفرد يعيش في أجواء من الريبة والشك وعدم اليقين، كما يعيش انسان اليوم في ظل تفشي ما عُرف بـ «وباء كورونا»، ومن أجل حماية النفس من الوقوع في حبائل هذا الوباء القاتل، يلجأ كثير منّا إلى قراءة الأعمال الأدبية التي تمثل خير رفيق يساعدنا على نسيان الواقع المرير الذي نعيشه، وتنقلنا هذه القراءة إلى واقع نشعر فيه باطمئنان أكثر. وهكذا تجعلنا القراءة نهرب من القلق والخوف، وتمكننا من تحمّل الضيق والضجر، والملل بسبب العزلة الاجتماعية، والحجر الذي نلتزمه خوفاً من العدوى بالوباء.

(١) رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة اللبنانية، عضو اتحاد الكتاب اللبنانيين، وعضو لجنة قبول المشاريع، وعضو مركز الأبحاث.



حفل الأدب العالمي بكثير من الأعمال الأدبية الخالدة التي عاجلت على صفحاتها قضايا الأوبئة، وعند مقارنة هذه الأعمال الأدبية مع بعضها منذ الأزمنة الغابرة الى زمننا الحاضر نجد أنها تقدم دليلاً قوياً على أن المشاعر الانسانية واحدة في مواجهتها لمخاطر الموت، فنحن عندما نقرأ - على سبيل المثال - بعض الأعمال الأدبية عن الطاعون الذي ضرب إيطاليا في القرن الرابع عشر، نشعر كأننا نقرأ عن مآسي الطاعون الذي ضرب لندن في القرن السابع عشر، أو عن ويلات وباء الكوليرا الذي ضرب القاهرة في بداية القرن العشرين، أو عن محنة كورونا التي نعيشها في عشرينيات القرن الواحد والعشرين، كما أن هذه الأعمال تقدم لنا معرفة بما نتعرض له لأنها تقدم وصفاً دقيقاً للوباء، وتطوره منذ ظهور أعراضه الأولى إلى بلوغه مرحلة الذروة،^(٢) ومن ثمّ تؤرخ لنا فترة تقلص تأثيره حتى العودة الى مرحلة الأوضاع الطبيعية قبل بداياته الأولى، وبذلك تدلنا هذه الأعمال على الوسائل التي استخدمتها الإنسانية في مكافحة الأوبئة، وكيف تخلّصت منها، ولكن المفارقة إننا نهرب من الواقع المرير الذي نعيشه إلى واقع أكثر سوداوية، في قراءة تلك الأنواع من الأعمال الأدبية، سواء كانت من الآداب العالمية أم من الأدب العربي سنقدم في بحثنا هذه نماذج عن الأدب العالمي التي عاجلت في مضامينها الأوبئة الشبيهة بكورونا، وبعدها، سنكتشف كيف عالج الأدب العربي الأوبئة، ومنها وباء كورونا، وكنا قد وضعنا فصلاً للشعر لكننا عدلنا عن ذلك لضيق المقام، وحصرننا بحثنا هذا بالنثر والسردي تحديداً، وسنبداً بالأدب العالمي ونتعرف على نماذج من النصوص السردية العالمية التي عاجلت الأوبئة.

أولاً- الأدب العالمي والطاعون في القرون الغابرة

(٢) لاحظنا من خلال دراستنا لكثير من الأعمال الأدبية، أن الوباء في أي زمان وأي مكان، ومهما كان نوعه (طاعون، كوليرا، كورونا...) يسير في انتشاره الخطوات نفسها، كما أن الناس تتعامل معه بالطريقة نفسها، والغريب في الأمر أن عوارضه قد تتشابه إلى حد بعيد



يحمل الأدب مهمة نشر الوعي، ويمثل منصّة لتوعية المجتمع من الأوبئة الفتّاقة، وخير دليل على ذلك الأعمال الأدبية التي سنتطرق إليها في هذه السطور، وهي على سبيل المثال لا الحصر، قصص الديكاميرون التي كتبت في القرن الرابع عشر، ورواية «دفتر أحوال عام الطاعون» التي عالجت قضايا الطاعون في القرن السابع عشر، ورواية «الطاعون» التي عالجت قضايا وباء الطاعون في القرن العشرين، وعلى الرّغم من العمر المديد لهذه الأعمال الأدبية إلا أنها لا تشيخ لأنها تكتسب قيمة ثقافية توعوية تبقى صالحة للحاضر، ولاستخلاص العبر في كيفية التعامل مع الأوبئة القاتلة. ونبدأ بقصص الديكاميرون

أ/ الديكاميرون:

تعالج قصص الديكاميرون وباء الطاعون الذي انتشر في أوروبا في القرن الرابع عشر، وقد بدأ مؤلفها الكاتب الإيطالي جيوفاني بوكاتشيو Boccaccio (١٣١٣ - ١٣٧٥)، كتابتها في عام ١٣٤٨، وانتهى بحلول العام ١٣٥٣، والديكاميرون أو «الأمير غالوتو»^(١) هي مجموعة قصص عالجت قضايا البهجة، واللوعة، والغواية، والامتناع، والعشق، والمجون، والمكر، والخديعة، والاغراء والسخرية، والتهكم، والمؤانسة، والهتك، والشعوذة، والتلبس، والوله، والحرية والاعتراف، والتصابي... الخ^(٢). وتألّفت هذه القصص من مئة حكاية تقصها مجموعة مؤلفة من عشرة أشخاص، وهم ثلاثة شبان وسبع شابات، يفرون من الموت الأسود إلى قصر فخم معزول عن السكان خارج مدينة فلورنسا^(٣)، تهرب مجموعة من الشبان من الوباء المتفشي في مدينتهم فلورنسا، إلى الريف، ويحتمون في قصر بعيد عن السكان ويستخدموا وسيلة سرد القصص ليستعينوا على الحجر الذاتي الذي وضعوا أنفسهم فيه،

(١) بوكاتشو، جيوفاني، الديكاميرون، تر، صالح علماني، ط١، ٢٠٠٦، دار المدى، دمشق - سوريا، ص: ٣٥

(٢) م، ن، ص ٧١٠

(٣) بوكاتشو، جيوفاني، الديكاميرون، تر، صالح علماني، ط١، ٢٠٠٦، دار المدى، دمشق - سوريا، م، ن، ص: ٢١

وهكذا نجدهم يستخدمون الأدب كوسيلة هروب يحاولون من خلالها أن يبعدوا عن أذهانهم ما عاشوه من أهوال المآسي التي اجتاحت إيطاليا تحديداً، وأوروبا بأسرها، بسبب تفشي الطاعون، ويصف بوكاتشيو بعض أهوال الطاعون التي عانى منها الناس بقوله:

« لم تكن تنفع في علاج هذا الداء نصيحة الأطباء، ولا فضائل أي دواء، إما لأن الداء لا تتأثر بالأدوية، أو بسبب جهل الأطباء، فأفلت منهم أصل الداء وأسلوب العلاج... واكتسب هذا الوباء قوة هائلة، فالمرضى ينقلونه إلى الأصحاء حين يتصلون بهم... وكذلك ملامسة ملابس المرضى، أو أي شيء استعمله المصابون أو لمسوه»⁽⁴⁾

يتابع عرض تداعيات الوباء على الناس فيقول:

« غادر كثير من الرجال والنساء مدينتهم، فهجروا بيوتهم، وأملاكهم، وأقرباءهم، باحثين في الريف عن ملاذ لهم، كما لو أن غضب الرب الذي يضرب جور البشر بذلك الوباء، لن يصل إليهم، وإنما سيضرب فقط من هم ضمن أسوار المدينة... ولا حاجة للقول إن كل مواطن يتحاشى الآخر، ولم يعد الجار يهتم بجار هولا القريب يزور قريبه إلا في حالات نادرة، لقد ملأ الرعب قلوب الرجال والنساء، فهجر الأخ أخاه، والعم ابن عمه، والأخت أخاه، وكثيراً ما كانت المرأة تهجر زوجها، وما هو أشدّ خطورة ولا يكاد يصدق، أن الآباء والأمهات هجروا أبناءهم، كما لو أنهم ليسوا أبناءهم، وصاروا يتجنبون زيارتهم أو رعايتهم، فكان من يمرضون، وهم أعداد كبيرة من الرجال والنساء لا يجدون من يلجؤون إليه»⁽⁵⁾

يتابع بوكاتشيو عرض مآسي الموت في فلورنسا فيقول:

« وبالنظر إلى تزايد أعداد الجثث التي كانت تنقل كل يوم، بل

(٤) بوكاتشيو، م، ن، صص: ٤٠ - ٤١

(٥) م، ن، ص ٤٣



كل ساعة إلى الكنائس، فإن المقابر لم تعد تكفي لدفنهم، فصار الموتي يوضعون في مقابر المعابد، وقد حفرت فيها قبور جماعية كبيرة جدًا لدفن مئات الموتي الذين يؤتى بهم، فتنضد الجثث فيها كما تنضد البضائع»^(١)

أرخت قصص الديكاميرون الحياة الإيطالية في زمن تفشي وباء الطاعون الذي حول أوروبا إلى مسرح اجتاحه الموت الرهيب الذي أودى بحياة ما قدر بخمسة وعشرين مليون شخص في أوروبا وحدها.^(٢) نبتعد أكثر فأكثر عن مآسي الطاعون مع توالي القصص من القصاصين الذين ينسون الموت الجماعي ويهربون منه إلى البهجة والاستمتاع بالوقت المتبقي لهم من الحياة قبل أن يخطفهم الموت المترصد بهم، وهكذا استخدم بوكاشيو القصة من أجل تجاهل الموت، بالتسلية، والاضحاك، من دون أية هموم أخلاقية ويلاحظ الناقد تأثر بوكاتشيو بأدب الشرق، وتحديدًا برواية ألف ليلة وليلة، فرواية القصص هي وسيلة لتجاهل الموت، تمامًا كما كانت قصص شهرزاد وسيلة لإبعاد سيف الجلاد عن رقبتها المتربص بها في صباح كل يوم. وهذا أمر سهل الاستدلال عليه، ولكنه ليس مجالنا هنا وإنما يحتاج إلى دراسة مستقلة قد نقوم بها في مستقبل الأيام

ب / دفتر أحوال عام الطاعون

نشعر عندما نقرأ نصوصًا في القرن الثامن عشر تعالج قضايا الطاعون كأننا نعيش في القرن الواحد والعشرين في ظل تفشي وباء كورونا، وخير دليل على ما نقول القصص التي عالجت قضايا الطاعون الذي اجتاح لندن في القرن السابع عشر، فهي تجعلنا نعيش المشاعر نفسها التي عاشتها الأجيال السابقة التي مرّت في التجربة ذاتها.

استطاع الأدب أن يضع النفس الإنسانية عارية أمام أهوال الوباء، وهو بذلك يذكرنا برعبنا الأولي في مواجهة الخطر القاتل،

(١) بوكاتشيو، م، ن، ص: ٤٥

(٢) م، ن، ص ٢٢

وهكذا يعيد الأدب نسخ المشاعر الإنسانية نفسها التي عاشتها البشرية مع ويلات الطاعون في القرون المنصرمة، لأننا عندما نقرأ النصوص التي عالجت قضايا وباء الطاعون نشعر كأننا نعيش مآسي كورونا القرن الواحد والعشرين، وخير مثال على ما نقول هو العمل الأدبي الخالد للكاتب الإنجليزي دانييل ديفو [Daniel Defoe] (A) [Journal of the Plague Year]، والذي أطلق عليه اسم «دفتر أحوال عام الطاعون» [A] هذا توثيقاً تفصيلياً للمآسي التي خلفها الطاعون الذي اجتاح لندن في العام ١٦٦٥ على الرُّغم من كونه قد كتبه في العام (3) ١٧٢٢

استخفَّ القائمون على المجتمع الإنكليزي بخطورة الوباء القادم إليهم، وهذا ما جعلهم غير مباليين اتجاهه، ولهذا أخذ بالتوسع والانتشار، وبدأ يحصد المزيد من الأرواح في لندن، وعموم بريطانيا. (4)

يكشف ديفو عن سبب تفشي الوباء الذي نجح في التكاثر والانتشار، وقد حصد الكثير من البشر، وخلت الدور من ساكنيها، وهرب معظم أهل المدينة خوفاً من الطاعون الذي نشر رائحة الموت في أرجاء المدينة قاطبة، وكل هذا حصل لأن هذا الوباء وجد بيئة غير مبالية له في بداية الأمر. (5)

أعادت البشرية استنساخ ما حصل من مآسي الطاعون في لندن في القرن السابع عشر، عندما عاشت الولايات نفسها التي حملها إليها وباء كورونا في القرن الواحد والعشرين حيث استخفَّت بعض الدول بالوباء القادم إليها، وتعاملت معه بعدم اكتراث، ولم تقدّر بشكل سليم الخطورة



A Journal of the Plague Year, Oxford, New York, 2010, 45, Daniel Defoe (٣)
ibid., 60-61- (٤)
ibid., 47 (٥)

التي يحملها هذا الوباء الى الانسانية جمعاء، وهذا ما جعل هذه المجتمعات فريسة سهلة لانتشار الوباء المميت، وهو ما ينطبق على البريطانيين، وغيرهم من المجتمعات الأوروبية في إيطاليا، واسبانيا، وفرنسا... الخ.

عالمج ديفو في عمله قضايا وباء الطاعون قبل اكتشاف الدواء، وتحدث عن الدجالين الذين كانوا يستغلون الناس الفقراء البسطاء، ويتهمونهم بقدرتهم على معالجتهم، وهم لا يفعلون شيئاً سوى ابتزاز الأموال منهم أو ما تيسر من أرزاقهم، ولكن في المقابل كانت تبذل الجهود من أجل إيجاد دواء للطاعون، ولكن كانت هذه الجهود تنتهي بالفشل، كما كان هناك أطباء ضحوا بحياتهم من أجل انقاذ المصابين، ولكن قوة الوباء كانت أكثر من قوتهم فاستمر الطاعون في فتك في عدد كبير من الناس⁽¹⁾

يعرض ديفو القضايا التي تختص بالطاعون فيشيد ببعض الأثرياء الذين تبرعوا لمساعدة الفقراء، وأن هذه المبالغ التي جمعت ساعدت كثيرا من الناس البسطاء الذي لا يجدون قوت يومهم، وأشاد بمثل هذه المساعدات التي قدمت خدمة للناس الفقراء⁽²⁾، ويتابع معالجة قضايا الطاعون، ومنها قضايا العزل المنزلي، والحجر الصحي، وتحدث عن كيفية بقاء المصاب في بيته، وكيف تُعَيَّن عليه الحراسة، وما يجب فعله في حاجيات المصاب وأغراضه، والتحذير من لمسها، وكيف يجب على المصاب التبليغ عن نفسه، وتحذير كل من يعرف بمصاب ولا يبلغ عنه.⁽³⁾

يتابع ديفو حديثه عن المصاب بالمرض من دون عوارض، وعن المدة التي يصاب فيها الانسان من دون أن يعلم أنه مصاب، ومع ذلك يكون قد نقل العدوى إلى من اختلط به، ويقرر أن الشباب أكثر قدرة

(١) - ibid., 77

(٢) - ibid., 249

(٣) - ibid., 83-85

على تحمل الوباء من كبار السن، ويتحدث عن هرب الناس من المدينة الى الريف، والتباعد وبين الناس ويعتقد أن أفضل وسيلة للتصدي للطاعون هو الهروب منه⁽⁴⁾، ويعالج قضايا انتقال العدوى عن لمس الأشياء، وهذا ما جعل التجارة في بريطانيا تتضرر، لأن أغلب الدول لم تعد متحمسة الى استقبال السفن التجارية البريطانية في موانئها، كما أنها لم تعد ترغب بشراء البضائع البريطانية مخافة انتقال العدوى الى مجتمعاتها.⁽⁵⁾

ج / الطاعون

نشرت رواية الطاعون لأول مرة في العام ١٩٤٧، للكاتب البير كامو (ت: ١٩٦٠).

عالجت الرواية قضايا الطاعون الذي تفشى في وهران وأدى إلى ويلات جمّة، وتحدد مكان أحداثها في مدينة وهران، المدينة العادية من مقاطعة فرنسية على الشاطئ الجزائري⁽⁶⁾.

تستعرض الرواية عدم اهتمام المسؤولين عن المدينة بمؤشرات الوباء التي ظهرت مع المصابين الذين بدأت أعدادهم تتزايد، مما كان ينذر بيوادر تفشي الوباء المميت، ومع ذلك فإنّ المسؤولين لم يكثرثون له⁽⁷⁾، وتتابع الرواية سردها مآسي الوباء:

« وجد مريضه منقلبًا خارج سريريه نصف انقلاب، وإحدى يديه على بطنه والأخرى حول العنق...وقد تقطعت أنفاسه، وكانت الحرارة قد بلغت تسعًا وثلاثين وخمسة خطوط، وكانت عُدد العنق والأعضاء قد انتفخت، وأخذت بقعتان مسودتان تنتشران على خاصرته، وها هو ذا يشكو من ألم داخلي...»⁽⁸⁾

(٤) ibid., 236-240

(٥) ibid., 250

(٦) كامو، البير، الطاعون، تر، سهيل ادريس، ط١، ١٩٨١، دار الآداب، بيروت - لبنان، ص: ٥

(٧) كامو، البير، الطاعون، م، ن، ص: ١٧

(٨) كامو، البير، الطاعون، تر، سهيل ادريس، ط١، ١٩٨١، دار الآداب، بيروت - لبنان، م، ن، ص: ٢٣



وتشرح الرواية تفاصيل المرض واعراضه: «الاجهاد المضني، والعيون الحمرة، والغم القذر، وصداع الرأس، والدمامل، والعطش المريع، والهذيان، والبُقع في الجسم، والتمزق الداخلي، ويصبح النبض ضعيفًا جدًا، ويحدث الموت لدي أية حركة تافهة»⁽¹⁾ ويتابع السرد شرح عوارض الوباء فيقول: «وكان ما رآه دمامل وبقعًا وحميات هاذية، تقتل في ثمان وأربعين ساعة.»⁽²⁾

تناقش الرواية الاجراءات التي يجب أن تتخذ من أجل وقف الوباء، وتسرد التدابير الوقائية الخطيرة التي ينص عليها القانون في حالات الكوارث، ولكن يجب في البداية الاعتراف رسميًا أنه الطاعون، كي تتخذ تلك التدابير الخطيرة المنصوص عليها للحيلولة دون قتل نصف المدينة⁽³⁾، ومن هذه الإجراءات التي يجب أن تتبع الطلب من الذين يصابون بالوباء التصريح عن إصابتهم، وقد صرح حوالي ثلاثين من المرضى عن أنفسهم⁽⁴⁾، وبعد التصريح عن الإصابة بالوباء تأتي مرحلة الحجر الصحي، وبذلك تعالج الرواية قضايا الحجر الصحي للمصابين، وعزلهم، واغلاق بيوتهم، وتطهيرها، وإقامة أقرباء المرضى في محجر صحي، وتنظيم عملية الدفن...⁽⁵⁾، وتتحدث الرواية بعد ذلك عن قلّة الإمكانيات الموجودة، والنقص في الأدوات الطبيّة، وامتلاء أسرة المستشفيات بالمرضى، وعدم قدرة مستشفيات المدينة على استيعاب الأعداد الكثيرة من المرضى مما اضطر السلطات الى تحويل بعض المدارس الى مستشفيات، لمعالجة المصابين والحد من انتشار الوباء، ومع ذلك كانت تتزايد باستمرار الأعداد التي تموت كل يوم من جرّاء هذا الوباء.

(١) كامو، البير، م، ن، ص: ٤٣

(٢) كامو، م، ن، ص: ٥٥

(٣) م، ن، ص: ٥٤

(٤) م، ن، ص: ٦٦

(٥) م، ن، ص: ٦٧

تدلنا هذه النصوص الأدبية التي عالجتها على أن معاناة البشرية مع المآسي هي معاناة واحدة، وإن اختلف الزمان والمكان. ونعتقد أن أي إنسان عندما يقرأ التفاصيل التي وردت في «دفتر أحوال عام الطاعون» من دون أن يعلم تاريخ هذه الكتابة، ومكانها، فلا بدّ أنه سيظن أن هذا النص يعالج قضايا وباء كورونا في القرن الواحد والعشرين، ولا يتحدث عن وباء الطاعون في القرن السابع عشر، لأنه يجد التفاصيل نفسها التي نستنسخها الحكومات اليوم وتصدرها إلى مواطنيها تعليمات يجب الالتزام بها من أجل الوقوف بوجه وباء كورونا، والحد من انتشاره.

ثانياً. الأدب العربي ووباء كورونا

يعكس الأدب قضايا المجتمع، ومن الطبيعي أن نجد قضايا العرب قد حجزت لنفسها مكاناً واسعاً في النص الأدبي العربي منذ العصر الجاهلي الذي عكس شعره حياة الصحراء وهمومها إلى العصور العربية المتنوعة التي عالجت الأدب قضاياها، ومن هنا نفهم كيف حجز الأدب العربي مقعداً متقدماً لويلات العرب والصعوبات التي مرت عليهم، ومنها الأوبئة التي تفشّت في المجتمعات العربية عبر العصور، وسنأخذ أمثلة في هذا المجال من الأعمال الأدبية العربية في القرن العشرين هو كتاب الأيام لطفه حسين، وآخر من القرن الواحد والعشرين هو رواية «كورونا بين انتفاضتين» لنزار دندش

أ / الأيام

يعالج كتاب الأيام في الصفحات من مئة إلى الصفحة مئة وعشرة قضايا وباء الكوليرا الذي ضرب مصر في العام ١٩٠٢. يقول طه حسين (ت: ١٩٧٣) في كتابه الأيام:

« كان هذا اليوم ١٢ أغسطس من سنة ١٩٠٢، وكان الصيف منكراً في هذه السنة، وكان وباء الكوليرا قد هبط إلى مصر ففتك بأهلها فتكاً ذريعاً:

دمر مدناً وقرى، ومحاً أسراً كاملة، وكانت المدارس والكتاتيب قد أقفلت، وكان الأطباء ورسول مصلحة الصحة قد انبثوا في الأرض ومعهم أدواتهم وخيامهم يحجزون فيها المرضى، وكان الهلع قد ملأ النفوس واستأثر بالقلوب، وكانت الحياة قد هانت على الناس^(١). يتابع طه حسين حديثه عن الكوليرا فيقول:

«وفي هذه الليلة زعم لأهل البيت جميعاً أن في أكل الثوم وقاية من الكوليرا، وأكل الثوم وأخذ كبار أخوته وصغارهم بالأكل منه...ولكن صيحة غريبة ملأت هذا الجو الهادئ... وكان مصدر هذا كله صوت هذا الفتى وهو يعالج القيء، وكان الفتى قد قضى ساعة أو ساعتين يخرج من الحجرة على أطراف

قدميه، ويمضي الى الخلاء مجتهداً ألا يوقظ أحداً»^(٢)

يصف طه حسين معاناة المصاب بالكوليرا بدقة متناهية، فيقول:

«ثم ألقى نفسه على السرير وعجز عن الحركة، وأخذ يئن أنيناً يخفت من حين إلى حين، وكان صوت هذا الأنين يبعد شيئاً فشيئاً، وإن الصبي لينسى كل شيء قبل أن ينسى هذه الأتة الأخيرة التي أرسلها الفتى نحيلة ضئيلة طويلة ثم سكت»^(٣)

ويعم الحزن في أسرة طه حسين، بعد أن تسببت الكوليرا بفقدان أحد أفراد العائلة:

«ومن ذلك اليوم استقر الحزن العميق في هذه الدار وأصبح إظهار الابتهاج أو بالسرور بأي حادث من الحوادث ينبغي أن يتجنبه الشبان والأطفال»^(٤)

(١) حسين، طه، الأيام، ط١، ١٩٩٢، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ص: ١٠٤

(٢) حسين، طه، م، ن، ص: ١٠٥

(٣) م، ن، ص: ١١٠

(٤) م، ن، ص ١١

نلاحظ أن الأيام تطرقت للقضايا نفسها التي عالجتها الأعمال الأدبية السابقة عليها، من عرض لبدائيات الوباء، وانتشاره، وعدم القدرة على انتاج الدواء، وقضايا الحجر الصحي، ومعاونة المريض، وأهله، وهذه الأمور سوف نجد لها نفسها تقريباً في الأعمال الأدبية التي أتت بعد الأيام. كما ورد في طيات رواية نزار دندش «كورونا بين انتفاضتين»

ب / كورونا بين انتفاضتين

تعالج رواية «كورونا بين انتفاضتين» قضايا أسرة فقيرة لفلاح من الريف مؤلفة من الأب والأم إضافة الى ثلاثة ذكور وبنتين، هم غسان وزاهي وهادي، وسارة وسناء⁽⁵⁾

تكافح الأسرة في مسيرتها الحياتية، فينهى غسان تعليمه ويحصل على شهادة الدكتوراة في علم الأحياء ويتوظف في الجامعة اللبنانية، وينجح زاهي في مباراة كلية الاقتصاد، ويدرس في الجامعة اللبنانية، ومن ثم يحصل على منحة ليتابع دراسته العليا في إحدى الجامعات الأمريكية، ويتفرغ للعمل في إحدى المؤسسات المالية في نيويورك، ويستقر هناك، وينتسب هادي الى أحد الأحزاب الحاكمة وينال وظيفة مدير مدرسة رسمية، أما سارة وسناء فيتزوجا من دون أن يستكملا الدراسة، ويسكنان في الضيقة بالقرب من والدهما.⁽⁶⁾

تمر السنون، ويتابع كل فرد حياته من دون أن تجتمع الأسرة الى ان يأتي العيد الستون لميلاد الأب، فيلتقي الأخوة ويدور النقاش بينهم حول الأوضاع في لبنان والخارج، وفي الليل تمتد السهرة بين الأهل والأصدقاء وتتنوع النقاشات التي تستعرض الوضع الصعب الذي يمر به البلد.⁽⁷⁾

يتابع في اليوم الثاني كل من غسان وزاهي نقاشهما الاقتصادي ويعتقد

(٥) دندش، نزار، كورونا بين انتفاضتين، ط١، ٢٠٢٠، دار ناريمان للنشر، بيروت - لبنان، ص:٧

(٦) دندش، م، ن، ص:٧-٨

(٧) دندش، م، ن، ص: ١٥



غسان الخبير المالي ان البلد مقبل على الإفلاس، لان الدول الأجنبية لن تماعد بلدا فيه الفساد في كل شيء، ولإصلاح الوضع الاقتصادي يجب محاسبة الفاسدين، والحل لا يكون الا بالثورة.⁽¹⁾

تؤرخ الرواية للأحداث التي جرت في لبنان منذ انطلاقة التظاهرات التي نادت بمحاربة الفساد إلى حين إسقاطه، وتشكيل حكومة جديدة.⁽²⁾

ترصد الرواية في سردها تطور وباء كورونا منذ ظهور بواده الأولى في الصين الى أن أصاب الهلع اللبنانيين عندما عاد بعض الزوار من المقامات المقدسة، وسرت أنباء أنهم حملوا معهم العدوى من إيران التي كانت تعاني من انتشار كورونا: «وصل فيروس كورونا الى لبنان فأصيب الجميع بالهلع، ونفذت الكمادات من الأسواق، وكادت تنفذ أنواع المعقمات، والمطهرات، وبعض أنواع الدواء من الصيدليات».⁽³⁾

تناقش الرواية قضايا الحجر الصحي، ومكان هذا الحجر في بيروت، لأول حالة وفاة بسبب كورونا في لبنان، وتعالج انتشار الوباء من الصين إلى إيطاليا وأوروبا وأمريكا، وتسجل الرواية الجدل الذي صار بين بعض اللبنانيين حول المسبب الأول لدخول كورونا الى لبنان فهل اتى من الشرق أو من الغرب.⁽⁴⁾

ترى الرواية أن وباء كورونا قرب الانسان من الايمان بالله، واعادت الناس الى جوهرها الإنساني، وتعرض الرواية للإجراءات المتخذة من الدولة اللبنانية، للحد من تفشي الوباء ومنها اقفال المطار، والمعابر البرية والبحرية، وتعطي الحق للدولة اللبنانية بإعادة مواطنيها الى وطنهم⁽⁵⁾

(١) دندش، م، ن، ص: ١٩

(٢) م، ن، صص: ٢٨ - ٣١

(٣) م، ن، ص: ٣٣

(٤) م، ن، صص: ٣٧ - ٤٣

(٥) م، ن، ص: ٤٥

تناقش الرواية القضايا الإنسانية التي استجدت مع كورونا، وتذكر قضية الأطباء في إيطاليا الذين كانوا يتركون كبار السن يموتون ويعالجون فئة الشباب»^(٦)

تتابع الرواية أخبار كثرة الإصابات في إيطاليا ودول أوروبا والهلع الذي عم العالم بسبب هذا الوباء، وتتطرق الى أسلوب الحياة الجديد أونلاين الذي دخل حياة الناس بسبب كورونا الأمر الذي اضطر المثقفين الى نقل نشاطاتهم من المقاهي وقاعات المهرجانات الى اجتماعات الـ « أونلاين»^(٧)

تعالج الرواية قضايا جهل الدوائر العلمية بطبيعة فيروس كورونا وبأنه ما يزال غير معروف للمعاهد الطبية ومع ذلك تشرح الرواية طريقة انتقال العدوى من مصاب الى آخر، وتحدث عن تضامن الدولة والشعب في لبنان في مواجهة كورونا، وعن كرم اللبنانيين في تبرعهم لوزارة الصحة لمساعدتها في مكافحة كورونا»^(٨)

تتداخل في الرواية قضايا التصدي لوباء كورونا في لبنان، إضافة الى معالجة قضايا الغلاء والافلاس، وتنتقد الرواية اعتماد اللبنانيين على الخادمت الأجنيات^(٩)

يصر غسان بطل الرواية على صنع الفرحة على الرغم من ظلمات الحزن والمآسي بسبب كورونا، ولهذا يطلب يد جيهان للزواج، ويتزوج بها وينتقلا للعيش معا في منزل الزوجية^(١٠)

تنتقد الرواية فتح بعض التجار لمحلاتهم التجارية في عملية تحايل على قرار فرض الحجر والاقفال، وتؤرخ لهجرة اللبنانيين من المدن الى

(٦) م، ن، ص: ٤٩

(٧) دندش، م، ن، صص: ٥٥ - ٥٦

(٨) م، ن، صص: ٧١ - ٧٢

(٩) دندش، م، ن، ص: ١٣١

(١٠) دندش، م، ن، ص: ١٣٤



الريف هرباً من كورونا، وتحدث عن المشعوذين الذين يستغلون الوباء ويوهمون البسطاء بأنهم يملكون العلاج، كما تتحدث الرواية عن الاعتقادات الشعبية بأن الثوم والبصل من الأدوية المفيدة في علاج كورونا^(١)

تؤرخ الرواية لمنع التجول في لبنان الذي يبدأ من السابعة مساءً.^(٢) وتناقش الرواية القيم الأخلاقية التي تخلت عنها بعض الدوا الأوروبية، بينما هذه القيم ماتزال محفورة في وجدان المجتمعات الشرقية^(٣) يصاب بطل الرواية بوباء كورونا ويعاني من الحجر المنزلي الذي يقيم فيه مع عائلته فيحبس نفسه في غرفة المكتب، ولا يسمح لزوجته بالدخول إليه^(٤)

تفصل الرواية عوارض كورونا من السعال الى الكحة الى جفاف الحلق وارتفاع درجة الحرارة الى ضيق التنفس، وتؤرخ معاناة الانسان المصاب بوباء كورونا من خلال عرضها للمراحل التي مرّ بها غسان بطل الرواية اثناء اصابته بوباء كورونا^(٥)، وتحدث عن السباق بين المختبرات العالمية من أجل انتاج لقاح يعالج وباء كورونا^(٦) وتنتقد عدم احترام الموت والازدراء بالموتى وعدم تكريمهم كما يستحقون^(٧)

يقوم غسان بطل الرواية وحببته جيهان على تشكيل مجموعة من الشبان يتطوعون من أجل مساعدة المسنين، ولهذا يقومون بجولة على دور العجزة والمسنين، ويجرون على حسابهم فحص كورونا لكل مسن مشتبّه بإصابته بوباء كورونا على أن تعمل المجموعة لتأمين الدعم من أجل تغطية مصاريف، وبدأوا حملتهم في مساعدة كبار السن، وعرفت

(١) م، ن، صص ١٢١ - ١٢٤

(٢) م، ن، ص: ٨٣

(٣) م، ن، ص: ٩٤

(٤) دندش، م، ن، صص: ١٧٠ - ١٧١

(٥) م، ن، صص: ١٧٧ - ١٧٩

(٦) دندش، م، ن، ص: ١٣٩

(٧) م، ن، صص: ١٤٨ - ١٤٩

حملتهم بـ « نصرمة المسنين» (8)

فرحت اليوم بتبرع شاب بجهاز التنفس الاصطناعي الى مسن،
والحمد لله لم يحتاج المسن له لأنهم وجدوا له غرفة مجهزة بالتنفس
الاصطناعي» (9)

تبين الرواية « كورونا بين انتفاضتين» الفرق في النظرة الى الانسان
بين الثقافة الغربية التي بموجبها كانوا في المستشفيات الأوروبية ينزعون
أجهزة التنفس الاصطناعي عن كبار السن ليضعوها على الشباب الاصغر
في العمر بينما في لبنان يفعلون العكس فالشباب يتبرع بالعلاج الى
الأكبر منه سناً، وهذا يدل على الإنسانية التي تميز الانسان عن غيره من
الكائنات، هكذا تناقش الرواية الفرق في النظرة إلى الإنسانية؛ يقوم بطلا
الرواية غسان وجيهان بتأليف جمعية الاعتناء بكبار السن، وهكذا
تقدم الرواية رؤية الشرقيين المستندة الى الاخلاق في التعامل بين الانسان
وأخيه الانسان، في مقابل الغربيين الذين ينظرون الى العلاقة بين الانسان
وأخيه الانسان على أساس النظرة المادية البحتة، وهذا ما يميّز الشرق
عن الغرب في علاقة الانسان بأخيه الانسان (10)

محصلات البحث

واجه الفن والأدب والابداع عموماً الأوبئة والأمراض على مرّ
التاريخ، مما مدّ الأمم بأسباب الصمود والمواجهة، ومكنها في النهاية من
الانتصار على محنها ومصائبها والويلات التي حلّت فيها. وهذا ما لاحظناه
من خلال عرضنا لهذه النصوص الأدبية التي عالجت قضايا الطاعون أو
الكوليرا... فنحن عندما نقرأ نصّاً أدبياً عن الطاعون الذي ضرب أوروبا
في القرن الرابع عشر، نشعر وكأننا نقرأ نصاً عن مآسي وباء كورونا في

(٨) م، ن، ص: ٩٩ - ١٠٠

(٩) م، ن، ص: ١٠٢

(١٠) را، دندش، م، ن، ص: ١٠٣ - ١٠٤



عشرينيات القرن الواحد والعشرين، وهذا خير دليل على أن الأدب يثبت لنا أن المشاعر الإنسانية هي واحدة، ولهذا نجد تشابها كبيرا بين المبدعين الذي واجهوا المصائب والويلات التي حلت بدولهم بأعمال إبداعية نشرها للتوعية بين الناس، وساهم الأدب في معركة التوعية هذه عبر الأعمال المبدعة إلى منحت المتلقي المقدرة على فهم مشاعره، بعد اطلاعه على مشاعر الآخرين من خلال معرفة مشاعر الأديب الذي يكشف عنها في أعماله الأدبية. فنحن نتعرف على مشاعرنا من خلال الاطلاع على مشاعر الآخرين، ومن المعلوم أننا نحن نقرأ أنفسنا في أعمال الآخرين، ولهذا لاقت رواجاً واسعاً روايات الروائيين التي تكشف عن الحالات الأليمة التي يمرّ بها الانسان في زمن المحن، وقد أدّت مساهمة الأدب في التوعية من الأمراض في مدّ الإنسانية بأسباب القوة التي مكنتها فيما بعد من التخلص من هذه الأوبئة، وخير دليل على ذلك هذه النماذج التي عالجنها في بحثنا هذا والتي هي جزء من أعمال خالدة كتبت منذ مئات السنين، وماتزال تتمتع بميزة الحضور الدائم، فنحن عندما نقرأ الديكاميرون، وغيرها من هذه الأعمال الأدبية نشعر كأننا نقرأ نصوصاً تتحدث عن قضايانا اليوم مع كورونا، بينما هي تبحث في قضايا مرّت منذ قرون مديدة، ولهذا بقيت هذه الأعمال خالده لأنها لامست عمق النفس الإنسانية، وفي المحن تظهر النفس الإنسانية الواحدة مهما تنوع اللون أو الجنس أو اللغة....

كورونا في الشعر العربي الحديث

أ.م.د. عبدالمنعم جبار عبيد^(١)
aladeeb1971@yahoo.com

جامعة بغداد - كلية التربية ابن رشد - قسم اللغة العربية

الباحثة إسرائ خلف اكريم

المقدمة:

يمثل الشعر - في احدى تعريفاته- انعكاساً للحياة يصور ما فيها من آلام وآمال وما يحل فيها من كوارث من خلال عدسة بشرية هي عين الشاعر وما يتكون لديه من رؤى وأفكار ومشاعر نتيجة ردة فعل لفعل معين في البيئة التي يتحيز فيها ذلك الشاعر؛ لأنه ابن بيئته التي لا ينفك يغرف منها وينهل من أحداثها التي تقدح شاعريته فيسجل موقفه شعراً من الكون والوجود وما يدور فيه مؤقتاً أو دائماً، فهو نافذة مهمة وخطيرة في قياس استجابة الانسان /الشاعر للأحداث المحيطة به كما أنه أفضل مقياس لمعرفة ردود أفعاله باتجاه كل مثير من شأنه ان يحرك فيه عاطفة أو إحساساً أو شعوراً معيناً، ولما كانت جائحة كورونا حدثاً عالمياً كبيراً هزّ الإنسان من أعماقه كان من الطبيعي أن نجد استجابات مختلفة لهذا الحدث الذي ابتدأ من نهايات عام ٢٠١٩ ومازال مستمراً بعد سبعة أشهر على

(١) أستاذ جامعي في كلية التربية ابن رشد جامعة بغداد، ناقد وشاعر وعضو في لجان تحكيمية وإعلامي سابق.



بدايته في مدينة ووهان، فحينما اجتاح (covid19) أرجاء واسعة من العالم امتداداً من الصين لبقية أجزاء المعمورة، وما رافقها من تغطية إعلامية نقلت دقائق الأمور، وصورت المأساة التي عانتها الشعوب، كان ضرورياً أن تصدح حناجر الشعراء العرب متخذين موقفاً معيناً من كل ما حصل ويحصل.

وينقسم البحث على مقدمة وستة مباحث يتناول أولها سبب تفشي كورونا، ويتناول ثانيها كنه كورونا، ويخصص ثالثها لآثار كورونا، ويقوم الرابع لتوظيف كورونا في الغزل والفكاهة، ويدرس الخامس المجازاة بكورونا، وخاتمة لأهم ما يتوصل اليه، وقائمة بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول: سبب كورونا

لم تقتصر قضية الحيرة والتردد والانقسام في تفسير سبب تفشي فايروس كورونا على العرب وحدهم؛ فقد وقف قسم من الغربيين أيضاً موقفاً مشابهاً لما يقفه شعراؤنا عندما عزا بعضهم القضية الى الانتقام الإلهي كالقس الذي وقف في نيويورك وهو يصرخ في شوارعها: توبي الى الله يا نيويورك، أو إلى نظرية المؤامرة، وقد انقسم الشعراء على مذهبين متناقضين في تفسير القضية وربما نتلمس رأياً ثالثاً، فذهب بعضهم الى ان كل ما حصل هو انذار من الله وعقوبة نتيجة أفعال الإنسان الخاطئة وانه يستحق ما أصابه وان هذا التحذير يستوجب الرجوع الى الله والتوبة وعمل الصالح، يقول خالد مصباح مظلوم:

الأرض أتتها عاقبةٌ وعقابٌ نشرنا التلعيناً^(١)

(١) شبكة بوابة الشعراء على الرابط <https://www.poetsgate.com/ViewPoem.aspx?id=210785>

210785.aspx?id

ويبدو انه مستوحى من المفهوم القرآني للعقاب نتيجة الأعمال غير المرضية، ويسايره في ذلك فواز اللعبون بقوله:

رسالةً هي من علياء موجدنا تأملوها وقولوا يا منجينا^(٢)

ويبقى بعضهم حائراً ليطلب المعرفة بالأمر فلا يستطيع الجزم به فيقول همدان الحيدري متسائلاً باحثاً عن إجابة لسؤال يتدلج في صدره فيقصد اهل العلم لسؤالهم:

هل غضب الله كورونا يا أهل العلم افتونا^(٣)

وتقول د عهود عبدالواحد في تأبين الشاعر السوري خالد جميل الذي كتب عن كورونا ومات بها:

وكورونا مصير كان حتماً على من قد أصيب به يقينا^(٤)
يقول لنا: أيا بشراً ضعيفاً تعبدُ لئلهِ وكنْ
رَزينَا

فقتلكَ هيَّ منْ دونِ شَـكِّ أَمَا تَدْرِي بِأَنَّكَ كُنْتَ
طِينَا

فتعود به لأصله الآدمي الذي خلق منه جده الأول، وتخرج على ضعف الانسان ومصيره المحتوم الجديد وهو كورونا، ويتبعهم الشاعر عبدالله العواضي بقوله^(٥):

وهنا نقول لكل لبَّ مشرقٍ: أفهمتَ من هذي الرسالة
أسطراً؟

(٢) موقع الفيس بوك على الرابط https://abualwr.com.facebook.com/2543771955838045?id_comment=2542587409289833/posts

(٣) موقع كبرترسكاى على الرابط <https://2113/cratersky.net/articles/>

(٤) قصيدة مخطوطة للشاعرة

(٥) شبكة الألوكة على الرابط https://www.alukah.net/literature_language/#/139424/0

ixzz6Rk90I4j9



وقرأت من وجه المصيبة عبرةً
منذرا؟

فيقف واعظاً مستعملاً أفعال الأمر المتتالية التي تستعمل في
الخطب أكثر منها في الشعر؛ لأنه ليس ميدانها الحقيقي بقوله:
يا أيها الناس ارجعوا عن غيِّكمُ ودعوا الضلالةَ والسلوكَ
المنكرا

واستقبلوا جهةَ المتاب ويمّموا بابَ الكريم لكي يتوبَ
ويغفرا

وتواضعوا لله لا تتكبروا تيتها بما صنع الحجا
وتظورا

وتذكروا غضبَ الحليم فإنه يُردى فيهلك من عصى
وتجبرا

ولتعلموا -والعلمُ ينفع أهله- أن الهدى أضحى الطريق
الأخضرا

ف نجد الأفعال (ارجعوا، دعوا، استقبلوا، تواضعوا، تذكروا، لتعلموا)،
لكنه يجيد انهاءها بالتفاؤل ولكن بفعل أمر ايضاً (تفاءلوا):

وتفاءلوا إن أشرقَت أرواحنا وامتدَّ فيها الخيرُ عذباً
كوثرا

فوباءُ كورونا سيرحلُ ليلاً فيُرى سطوعُ الفجرِ يُقبِلُ
مزهرا

بينما يرى الفريق الآخر أن كل ما حصل هو نوع من المؤامرة التي
تحاك لأهداف معينة لا يعرفها الشاعر، لكنه يظل مردداً الأمر بإحالة

يا الهي، أغضبة منك هذي أم تراها من فعل قوم عمينا

قد تبادوا في الموبقات فضلوا وأضلوا جماعة آخرينا

المبحث الثاني: كنه كورونا

انتقلت العدوى المعرفية من الأطباء والعلماء الذين حاروا وتأخروا في معرفة تركيبة (covid19) وعلاجه واللقاح المناسب له الى الشعراء الذين لم يجدوا طريقة واحدة للوصول الى كنهه، فذهبوا مذاهب شتى في وصفه وتصويره، وانطلق الخيال ليحلق في المجهول الذي لا يُعرف له غورٌ ولا قرارٌ، يقول فواز اللعبون:

يا للمهانة فينا اذ تهددنا جرثومة لا تراها عين رائنا

ويقول خالد جميل الصدقة:

وباء حاصر الدنيا جميعاً وفيروسٌ أذّل العالمينا^(١)

تغلغل في دماء الناس سرّاً فباتوا يائسين وعاجزين

ويرى بعضهم انه نغم ومناسبة للاستيحاء منه بعد أن حوّل العالم الى كون مأفون:

النغمُ الراقصُ كورونا صيرنا كونا مأفونا^(٢)

كورونا نغمٌ لغويٌّ منه استوحوا التلحين

ويقول خالد المشهداني واصفاً دقة حجمه وقوة فعله، ويعين مكان خروجه^(٣):

المجهرئي بعالم يتلاعـبُ ويقول من مثلي صغيرٌ

(١) موقع الفيس بوك على الرابط <https://www.facebook.com/khaledalsadaka/posts/4044036488986022>

(٢) موقع بوابة الشعراء على الرابط <https://www.poetsgate.com/ViewPoem.aspx?id=210785>

(٣) قناة يوتيوب باسم الشاعر

ير عب

من قلبِ ووهانٍ يشنُّ هجوماً هُ لا مشرقاً في مأمنٍ أو مغرباً
ثم ينتقل لطريقة خروجه من موطنه الى العالم الفسيح من دون ان
يحسَّ به أحد وكيف أذل الأسود المخيفة:

عبر الحدودَ وما رآه ناظراً والناسُ تسألُ أينَ منه المهربُ
دخلَ الحصونَ بدونِ إذنٍ ساخراً من جندها اذ لا دخولٌ يصعبُ
وترى الأسودَ هزيلةً في ساحه تلكَ التي من بأسها لا تُغلبُ
ويتناول عبد الباري الأنصاري دقة حجمه أيضا بقوله:

فهذا فيروُسٌ بالعينِ يخفي ولا يبدو لأقوى الناظرينا^(٤)

ويفصل (جاكيتي الشيخ سك) في الفيروس وما فعله بالناس^(٥):

ها قد بدا؛ لا يرى إلا وقد فتكت أسرارُهُ بأمانِ الروح
وانتسباً

فازاورَ الناسُ عن بعضٍ على مضيضٍ وكمموا كلَّ وجهٍ وانزروا
هراً

وصور عملية دخوله الى جسم الانسان:

لكنه لم يزد أن ظل مُتخذاً سبيله في حنايا الصدر
منسرباً

فاجتث من حُبنا ما اجتث فاقْتلِعْت من الشغاف وروءُ تُزهر
النسبا

فذا يتيمٌ وذو عَجِيمةٍ وذو ثكلي وذاك لطيمٌ



(٤) موقع المطيرفي على الرابط [24956/https://almoterfy.com/post/print](https://almoterfy.com/post/print)

(٥) (مراسلون) صحيفة موريتانية على الرابط [14240/https://mourassiloun.com/node](https://mourassiloun.com/node/14240)

خارَ فانتحبا

ثم يخاطبه مستعيناً بالله ان يغادهم:

ها قد بدا المنتشي فتكاً بشقوتنا أما كفاك من الأرواح ما
سُكبا!؟

أقلع بإذن الذي آتاك مقدره أو غرض كما غاض ماء
الفلك أو نضبا

ويراه (الدي ولد آدب) في قصيدته (كورونا السامري) غازياً صغيراً
بقوله^(١):

فيروس كورونا.. الحياة زهابٌ وجميع من فوق الترابِ
ثرابٌ

يا أيها الغازي الصغير.. الأقوياء تَضَعُوكَ.. والجبابرُ
ذابوا

وتنفرد د. رشيدة البربوشي باتخاذها كورونا قناعاً فنياً تتحدث
من خلاله في قصيدة (كورونا العاشقة)^(٢) التي مزجت فيها صوتها مع
صوت كورونا فتولد صوت ثالث هو القناع الذي ينجح اذا لم يعمل صوت
الشاعرة على صوت قناعها، وذلك ما أصابت فيه بقناعها بقولها:

عاشقةً انا من ريحٍ صرصرٍ/ ولدتُ من رحمٍ خفاشٍ بوهانٍ/ عاشقةً
انا للوجع حتى النخاع/ للحزنِ للألمِ في كلِّ مكانٍ/ صغيرةٌ مجهريةٌ دقيقةٌ
كافيةٌ

لتفجير الكون وسرقة الامان

المبحث الثالث: آثار كورونا

(١) وكالة الوثام الوطني للأنباء بموريتانيا على الرابط <https://www.alwiam.com/ar/info/9819>

(٢) (صوت العدالة) صحيفة على الرابط <http://www.sawtaladala.com>

تشمل آثار كورونا كل ما خلفته من مشاعر نتيجة الابتعاد عن المساجد التي رثاها الشعراء، وكذلك طريقة العلاج والنصح، وتطمين ووهان احياناً، فمن مساحة كبيرة في حيز الشعر الكوروني نجد قول خليل عرابة في قصيدة بعنوان (رثاء المساجد في زمن الكورونا):

يا عين سَجِي بالدموع وجودي قلبي تفتّظ من أسى المفقود^(٣)
لم أدري أني سوف أدرك يوماً ألقى المساجد كُبتت بقيود
ويتمنى ان تعود تلك الأيام:

ياليت شعري هل أعيش ليوم ألبج المساجد، لستُ بالمرود
وينتهي بالدعاء:

يا ربّ فاغفر واكْتُبْ لي مع الأحبة كلّ ذي المقصود
وارفع بلاءً من لُدُنْ «كورونا» فيروس سوءٍ ليس بالمحمود
ويضع عمر عناز حُسْنَ التعليل لخلوة البيت الحرام من الطائفين
بتركها للملائكة فكانها قد ضاقت بالبشر:

خلا من زائريه البيتُ قالوا فقلتُ: أراه مزدحمَ الفناء^(٤)
فسيحاً غادرتهُ الناسُ كيما تطوفُ به ملائكةُ السّماءِ

وتناول بعض الشعراء طريقة علاج كورونا واقحامها في الشعر فخرج به عن وظيفته الى وظيفة طابقت أو كادت أن تطابق النظم التعليمي؛ ولعل مردّ ذلك عائد إلى الشعور بالحاجة لتقديم أية معونة أو ارشاد ينفع الناس ويخفف عنهم آلامهم، وربما آمن الشاعر بما يطرحه

(٣) موقع الفيس بوك على الرابط <https://www.facebook.com/permalink/?fbid=2503148066601209&id=1824172954498727>

(٤) موقع تويتر على الرابط https://twitter.com/nirgal_iq/status/1236008861347254272

[lang=ar?](https://www.facebook.com/permalink/?fbid=2503148066601209&id=1824172954498727)



من كونه علاجاً ناجحاً، يقول خالد مصباح مظلوم:

شَجَرُ الليمون ونَسْمُثُه
تقتل قُدرتُها الكوروناً^(١)
فلئبُتْكروا منه لقاحاً
وأقْرُرْهُذا تدويناً
مَن يزرعُ بيته ليمونا
تهربُ منه الكورونا
مَن يأكل عسلاً أصلياً
لن يُبقيَ منها تكوينا
مَن ليس العسلُ بحوزتهِ
فبديلُه يشربُ يانسونا



ويظهر ان الغرض التوعوي قد جر الشاعر الى المعاني المكشوفة الواضحة التي تؤدي رسالة أكثر مما تثير وتبوح وتكشف وتقود وتضيء؛ لأن النصح يسير عليها وعلى غيرها كقول راشد عيسى في قصيدته (لا تصافح يدي)^(٢):

صديقي وجاري/ وزائر داري/ لأني أحبك أكثر من نحلة ترتجي
زهرة/ الياسمين/ فأجل يدك.. لا تصافح يدي / ودعها تؤمل في الموعد
ويذهب أكثر من ذلك بطلبه من شريكة قلبه أن تبعد عنه:

شريكة قلبي/ ووردة دربي/ لأني أحبك أكثر مما يريد الحنين/ فلا
بأس أن نلتقي في شرفات الخيال/ على مقعد في سماء الأمل/ وننسى القبل

(١) موقع بوابة الشعراء على الرابط <https://www.poetsgate.com/ViewPoem.210785.aspx?id>

(٢) الدستور (صحيفة تصدر في عُمان) على الرابط <https://www.addustour.com/articles/>



وينفرد الشاعر اليماني إبراهيم عبدالرحمن المقيم بتطمين مدينة
ووهان التي يدرس فيها ثم حل فيها الفيروس بقصيدته (الى ووهان
الحبيبة) بقوله^(٣):

قلبي عليكِ أيا حبيبةً يخفقُ ويكادُ من هولِ
الفجيرة ينطقُ

ويخيّمُ الصّجرُ المملُّ بمنزلي والموتُ من كلّ
الجهاتِ محدّقُ

وأراكِ يا قمرَ الزمانِ مليكةً قد قيدوها
بالحديدِ وأوثقوا

هل كانَ ذنبي يا مليحةً أنّني بهواكِ ذبتُ وفي عيونكِ
أغرقتُ؟

وتفءل لها ان البلاء سينتهي وتعود مشرقة:

جودي بدمعكِ إنّ دمعكِ وابلٌ عمّا قريبٍ في البقاع
سيورقُ

ووراءَ هذا الليلِ صبحكِ قادمٌ في كلّ أنحاءِ البلادِ
سيشرقُ

المبحث الرابع: توظيف كورونا

استغل بعض الشعراء الموقف الكوروني لغرض التعبير عن
مشاعر تنتابه يريد التعبير عنها، فكان الغزل والفكاهة من أهم فنون
توظيفه، يقول خالد:

أخبرتها همساً بأني عاشقٌ يخشى عليها من أذى



(٣) موقع سفارة الصين باليمن على الرابط <http://xwtd/ara/org.chineseembassy.ye//:http> htm.t1747097

جِـاعٌ

قَبْلِي فِي شَفَاهِكِ مَضُلُّ
انْقِشَاعٌ

كم له العلم من بحوثٍ ستُجرى عن دواءٍ... وثغرُكُ الاختراعُ
ويقول أيضاً:

صينية - في الشات - قالت « يا فتى أبكيت مِنِّي - في هواك -
عيونا(٤)

إيموشن الإعجابِ من عَهْدٍ مَضَى
و جنو ننا

فلتقبلنَّ ولا تَرُدِّ صباباً فُقيلتُها والفيِس ذاب
شجوننا

وهمتُ أرسلُ مثلها لكننني قد خفتُ عدوى فيرس
الكورونا

ويرى محمد صالح محمد العبدلي متكئاً على قصيدة عنتره العبسي
كما سيمر بنا ان فيروس كورونا له سر لقوته بعدم رؤيته، فيعلل للخوف
منه بأنه غير مذمم مخاطباً بذلك عبلته بقوله:

يا عبلُ لم أجبنُ ولم أتجمم فدعي ائهامك لي بما
لم تعلمي(٥)

فيروسُ كورونا عدوٌّ لا يرى والخوفُ من لُقياهُ غيرُ مُدَمِّمٍ
لو كان خصمي ظاهراً لمنحتُهُ مِنْ حَدِّ سِيفِي ضربةً لم ترحم



(٤) موقع بوابة الشعراء على الرابط <https://www.poetsgate.com/ViewPoem.aspx?id=210554>

(٥) موقع بوابة الشعراء على الرابط <https://www.poetsgate.com/ViewPoem.aspx?id=210796>

قومي ابليغي نسوان عبس ما جرى وضعي الكمامة فوق أنفك



ويقول هيثم الرصاص في قصيدته (حجر منزلي) متكئاً على قصيدة
قديمة مطلعها:

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلت بعاشقٍ متوددٍ
مازجا بين الحب والفكاهة من خلال وسائل الاتصال الحديثة بقوله:
قُلْ للمليحة في الوشاح المُخْمَلِي ماذا فعلتِ بشاعرٍ مُتَهَلِّهِلٍ^(١)
أسقيته كأس الهوى .. ومنعته إذ صارَ ملزوماً بـ «حجرٍ منزلي»
ومضيتِ مثل غمامةٍ مرّت على جرداءٍ لَكِن قطرها لم يهطلِ
وتركتِه والحزنُ يعصرُ قلبه ويصيبُه في طبعه المتعقلِ
فرعاً - يفرُّ من الفراش - وصارخاً في وجه «جائحة الزمان» أن
ارحلي

يامن لها نُسبُ الجمالِ تراجعِي عن ما عزمتِ من «التباعد»
واسألِي

ما هكذا العشاقُ يتركُ بعضُهُم بعضاً - إذا انتشرَ الوباءُ - بمعزلِ
لا ينقلُ «الجوال» «كورونا» ولا «حال الطوارئ» عائقٌ أن تُرسلِي
عدواهُ - لو لاحظتِ - حصرٌ في الوري لا تستقرُّ على «ملاك»
مُنزَلِ »

إنّ «اتصالاً» منك يشفي لوعتي ورسالةً تكفي لكبح تمللي
أخاف مثلك؟! والدواء بريقه من كل داء - في البرية - معضل

(١) موقع بوابة الشعراء على الرابط <https://www.poetsgate.com/ViewPoem.aspx?id=٢١٤١١٦>



أم أن «كورونا» وباءً عاجزاً!!! ستُسْهِلِينَ لهُ بهجرِكِ مَقْتَلِيَّ

وكتبت ريهام كمال الدين سليم قصيدتها (الحُبُّ في زمنِ الكورونا)^(٢)
جريباً على (الحب في زمن الكوليرا):

قامت لتسألهُ لما جعل الهوى يبكي جنونا

.

فأجابها مُتَلَجِّجاً لا تقذفي حالي ظنونا

يا مهجتي هذا اسمه: «الحُب في زمنِ الكُرونا»

المبحث الخامس: المجازاة بكورونا

أفاد بعض الشعراء من جائحة كورونا فيما طمح أن يجاريه من شعر فجاهته الفرصة سانحة بموضوع جديد لتلك المجازاة أو المعارضة، فنجد ثلاثة شعراء يمارسون مجاراتهم مع المعلقات الجاهلية لامرئ القيس وعمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد، فالأولى بعنوان (معلقة امرئ القيس في زمن الكورونا) لهاشم الفريجي الذي صرح بتوجه قصيدته من خلال عنوانه الرحمي الذي تناسل منه النص بقوله الذي يقلب المعاني من خلال تحررات كورونا^(٣):

بعيداً قفا فالأمر ليس بمهزلٍ ولا تقرباً تلك الديارِ بمجملِ
فتوضّح فالمقراة حلوا لقاءها ولكنّ كورونا غزت كلّ منزلِ
لبستُ بها الكمام والكف قبله على بعد أمتارٍ وبان تبهذلي
فسالت دموع العين مني صباباً فمزق كمامي وبلل محملي
ويومٍ عقرتُ للعذارى مطيتي هربن فكورونا غزت كل

جحفلي

(٢) (صدى الأمة صحيفة على الرابط <https://www.sadaelomma.com/archives/20200530>)

(٣) قصيدة مخطوطة للشاعر.



ويوم دخلتُ الخدرَ خدرَ عنيزةِ فقالت وقالت أنت والله

قاتلي

فقلت وأين الحبُّ؟ يا ابنة مالكٍ فقالت تركتُ الحب في دار

جلجل

ولما يئستُ بعد طولِ توسلٍ ذهبتُ الى أمِّ الربابِ بمأسلي

فلما دنا رحلي ترحلَ قومُها وفروا كأني مرعبٌ شبه طنطل

والثانية هي المعلقة الكورونية لخالد جميل الصدقة التي يجاري فيها
معلقة عمرو بن كلثوم وقد مات بكورونا بعد هذه القصيدة التي يقول
فيها^(١):

ألا هبِّي بكمامٍ يقينا رذاذَ العاطسينَ وعقمينا

فنحن اليومَ في قفصٍ كبيرٍ وكورونا يبثُّ الرعبَ فينا

إذا ما قد عطسنا دون قصدٍ تلاحقنا العيونُ وتزدرينا

وإن سعلَ الزميلُ ولو مُزاحاً تفرقنا شمالاً أو يمينا

وباءٌ حاصرَ الدنيا جميعاً وفيروسٌ أذلَّ العالمينا

تغلغلَ في دمائِ الناسِ سراً فباتوا يائسينَ

وعاجزينَا

يقاتلهمُ بلا سيفٍ ورمحٍ ويتركهم ضحايا

ميتينا

أيا كوفيدُ لا تعجلْ علينا وأمهلنا نخبرك

اليقينا

بأننا الخائفونَ إذا مرضنا وأنا الجازعونَ إذا

(١) صوت الخليج على الرابط <https://net.soutalkhaleej/>

ابثلينا

وأنا المبلسونَ إذا افتقرنا وأنا الجاحدونَ إذا
غَنِينَا

وأنا الباخلونَ إذا ملكنا وأنا الغادرونَ
بمن يلىنا

وأنا قد ظلمنا وافترينا وشوهنا وجوه الصالحينا

وأنا قد هجرنا كلَّ حقٍّ وصافحنا أكفَّ المجرمينا

وأنا ما شكرنا الله حقاً على نعمٍ أتتنا مُصبحينا

وهذي صفةً أولى لنصحوا ونخرج من حياة الغافلينا

وإلا فالمصائبُ مطبقاتٌ ونرجو الله دوماً أن

يقيننا

وظهرت لدينا مجارة لمجارة عمرو بن كلثوم من قبل د. عهود
عبدالواحد عبدالصاحب في مرثيتها التي تقول فيها^(٢):

لقد جاء الملائكُ لكم أميناً أجاب سؤال ربِّ العالمينا

إذا ما الموتُ خَطَّ على جبينٍ أتى يسعي حثيثاً مستبيناً

فكان كسارقٍ قد دقَّ جسماً بلا رجلٍ أتى ومضى إلينا

فلا كمامةً دفعت مصيراً ولا زيدتْ ثوانٍ تستعيننا

(وكورونا) مصيرٌ كان حتماً على مَنْ قد أصيبَ به يقيننا

يقول لنا: أيا بَشراً ضعيفاً تعبَّد للآلهِ وكنْ رزيننا

فقتلك هيِّنٌ من دون شكِّك أما تدري بأنك كنت

(٢) قصيدة مخطوطة للشاعرة.





وكان برحمة البارِي قَمِينَا
يَحْفُ بِهِمْ شِمَالًا أَوْ يَمِينَا
وكان الخَوْفُ من حَتْفِ مُبِينَا
عليكَ فَنُوحُهُ رَكَبَ السَّفِينَا
وحاذِرُ أن تَشِيَعَ الخَوْفُ فينا
الى علياءِ خالِقِنَا المتِينَا
وما (غَدَرَ الجَمِيعَ بَمَنْ يَلِينَا)
(أَشُوهُنَا وَجِوَةَ العَالَمِينَا؟!!!)

وخالدٌ واحدٌ مِنْ خَلْقِ رَبِّي
مع الشَهِداءِ والعُلَماءِ تَراهُ
فيا مَنْ مِتَّ في عِلَلٍ تَفَشَّشَتْ
لَكَ البَشَرى بيومِ الرُّوعِ هَلَّتْ
ونادى خالداً اركبْ سَتنَجُ
وَخَقِّفْ مِنْ صَنُوفِ اللُّومِ تَرَقُّ
فَمَا كُلُّ الأَنامِ مُضِيعٌ حَقُّ
أسأَلُ إِخوتِي في رِوضِ خَيْرِ
أَلَسْنَا راسِمِينَ بِكُلِّ فِجْجٍ
أَلَسْنَا الكاتِبِينَ مَقالَ نَقِـدِ

قارئنا

ونمُ قَرَبَ الجُمُوعِ الطيبِينَا
فَلو خَلَيْتُ فَهَلْ نَلَقَى مُعِينَا؟
ورحمتُهُ غَدَتْ حِصْناً حَـصِينَا
والمعلقة الثالثة التي تمت مجاراتها هي معلقة عنتره بن شداد
بقصيدة (عنتره اليميني في زمن كورونا)^(١) وسابقتها^(٢):

يا دارِ عِبلَةٍ في الفِئاءِ تَكَلِمِي
فاليومِ قَدِ مَنَعَ التَّجولِ
فاعلمِي
إِن البَقايا في البَيتِ أَصَبِحَ واجِبَا
لا تَخْرِجِي يا عِبلَتِي كِي

(١) اخبار العربية نيوز على الرابط <https://www.worldnewsarabia.net/view/2583>

(٢) ينظر ص ١١ من هذا البحث.

تسلمي

كوفيد لا يدري بأنك عبلة — وبأن عنتر فارس لم
يهزم

قد كنت قبل اليوم أهزم جحفلا — إن قيل عبلة في المخاطر
ترتمي

واليوم ها أنا ماكث في غرفتي — وبمفردي مثل البعير
الأجذم

أصحو فأطبخ وجبتي متثاقلا — ليس الطبخ على الفتى
بمحرم

ولقد ذكرتك والصحون مليئة — فولاً وكأس الشاي يسكب
في فمي

وودت تغسيل الصحون لأنها — لمعت كبارق ثغرك
المتبسم

لا تعجبي من حالتي ولتسألني — إن كنت جاهلة بما لم
تعلمي

هلا سألت الغرب يا ابنة مالك — كم مات منهم كم بغير
تكتم

فلكم أذاقهم كورونا ذللة — ويسومهم قتلا بغير
تكلّم

ويبدو ان مجارة المعلقات وغيرها-ربما- انما يهدف للإفادة مما في
القصائد من معان يقوم الشاعر بتحويلها بطريقة من الطرائق لغرض
اثارة المتلقي.



الخاتمة:



يظهر مما تقدم أن استجابة الشعراء للجائحة وما رافقها من أحداث قد كانت توازي الأحداث الجارية، وأنهم قد خاضوا فيما خاض فيه الناس من سبب وجود كروونا وانقسموا على قسمين رأى أولهما أنها عقاب من الله للبشر على سوء أفعالهم وإنذار لهم، ورأى آخرون أن هناك مؤامرة لوجوده، وقدم كل من الفريقين ما يؤمن به أو يظنه حقيقة، كما نظر الشعراء في كنه كورونا وصفاته ودقته وعظمة مصيبة العالم به، والتفتوا الى أشياء أحاطت بهم بوصفها آثاراً لوجود الفيروس فتناولوها شعراً.

ونستطيع القول: إن بعض الشعراء قد وظف كورونا في أغراض أخرى حاول ولوجها ومنها الغزل والفكاهة الذي بنيت معانيه على محاذير معروفة في المجتمع بسبب الوباء ومنها عدم الاختلاط والمصافحة والتقبيل وغيره.

وقد ظهرت في الشعر الكوروني ظاهرة مجازة المعلقة الجاهلية، فتناول الشعراء ثلاثة منها هي معلقة امرئ القيس وعنترة بن شداد وعمرو بن كلثوم، وظهر لدينا مجازة واحدة لمجازة شاعر - مات بكورونا- لقصيدة عمرو بن كلثوم تدور حول رثاء ذلك الشاعر.

وقد اختلطت العواطف الإنسانية من خوف ويأس وأمل ورجاء بشكل عشوائي نتيجة لما أصاب الإنسانية من مفاجأة، ولم تسر النصوص المختلفة على وتيرة واحدة؛ فلقد هبط قسم منها ولم يشكل عملاً شعرياً وانما ردة فعل فقط، فيما وجدت نصوص جيدة تليق بحجم القضية، وقد تخلل بعض القصائد الفاظ عامية.



المصادر:

* شبكة بوابة الشعراء على الرابط <https://www.poetsgate.com/210785=id?aspx.ViewPoem>

* موقع الفيس بوك على الرابط <https://www.facebook.com/comment?2542587409289833/posts/abualwr2543771955838045=id>

* موقع كيرتسكاي على الرابط <https://net.cratersky.com/2113/articles>

* قصيدة مخطوطة للشاعر.

* شبكة الألوكة على الرابط <https://www.alukah.net/literature/ixzz6Rk90l4j9#/139424/0/language>

* قناة يوتيوب باسم الشاعر.

* موقع العربية cgtن على الرابط <https://n.com.cgtn.arabic/html.index/DCCfAA/BIA-IA-BfJAA>

* (عدن الغد) صحيفة على الرابط <http://adengad.net/464531/news>

* لبنان شفقتنا على الرابط <https://lebanon.shafaqna.com/204815/news>

* موقع الفيس بوك على الرابط <https://www.facebook.com/4044036488986022/posts/khaledalsadaka>

* موقع بوابة الشعراء على الرابط <https://www.poetsgate.com/210785=ViewPoem.aspx?id>



* قناة يوتيوب باسم الشاعر

* موقع المطيرفي على الرابط <https://com.almoterfy/post/24956/print>

* (مراسلون) صحيفة موريتانية على الرابط <https://mourassiloun.com/14240/node>

* وكالة الوثام الوطني للأنباء بموريتانيا على الرابط <https://alwiam.info/9819/ar>

* (صوت العدالة) صحيفة على الرابط <http://sawtaladala.com>

* موقع الفيس بوك على الرابط https://www.facebook.com/182=id&2503148066601209=fbid_story?php_permalink=2503599693222713=id_comment&4172954498727

* موقع تويتر على الرابط https://com.twitter/status/iq_nirgal/ar=lang?1236008861347254272

* موقع بوابة الشعراء على الرابط <https://com.poetsgate.com/210785=id?aspx.ViewPoem>

* الدستور(صحيفة تصدر في عمان) على الرابط <https://www.addustour.com/articles>

* موقع سفارة الصين باليمن على الرابط <http://chineseembassy.ye/htm.t1747097/xwdt/ara/org>

* موقع الفيس بوك على الرابط <https://com.facebook.np-ne/photos/SUhaib993>

* موقع الجزيرة على الرابط <https://news.net.aljazeera.com>

[/3/4/2020/cultureandart](https://www.poetsgate.com/3/4/2020/cultureandart)

* موقع بوابة الشعراء على الرابط [/com.poetsgate.www//:https](https://www.poetsgate.com/3/4/2020/cultureandart)

[210794=id?aspx.ViewPoem](https://www.poetsgate.com/3/4/2020/cultureandart/210794.aspx.ViewPoem)

* موقع بوابة الشعراء على الرابط [/com.poetsgate.www//:https](https://www.poetsgate.com/3/4/2020/cultureandart)

[210554=id?aspx.ViewPoem](https://www.poetsgate.com/3/4/2020/cultureandart/210554.aspx.ViewPoem)

* موقع بوابة الشعراء على الرابط [/com.poetsgate.www//:https](https://www.poetsgate.com/3/4/2020/cultureandart)

[210796=id?aspx.ViewPoem](https://www.poetsgate.com/3/4/2020/cultureandart/210796.aspx.ViewPoem)

* موقع بوابة الشعراء على الرابط [/com.poetsgate//:https](https://www.poetsgate.com/3/4/2020/cultureandart)

[214116=id?aspx.ViewPoem](https://www.poetsgate.com/3/4/2020/cultureandart/214116.aspx.ViewPoem)

* (صدى الأمة صحيفة على الرابط [.sadaelomma.www//:https](https://www.sadaelomma.com/3/4/2020/cultureandart)

[258567/archives/com](https://www.sadaelomma.com/3/4/2020/cultureandart/258567/archives/com)

* قصيدة مخطوطة للشاعر.

* صوت الخليج على الرابط [/https://soutalkhaleej.net](https://soutalkhaleej.net)

* قصيدة مخطوطة للشاعرة.

* اخبار العربية نيوز على الرابط <https://worldnewsarabia.net/>

[3583/view](https://worldnewsarabia.net/3583/view)

* ينظر ص ١١ من هذا البحث.



٣٠-٣١ مايو ٢٠٢٠م

المؤتمر الدولي العالم في ظل أزمة كورونا: إشكاليات وحلول



المؤتمر الدولي العالم في ظل أزمة كورونا: إشكاليات وحلول ٣٠-٣١ مايو ٢٠٢٠م





دور الأدب في استشراف المستقبل: كورونا نموذجاً

د. هاني إسماعيل رمضان^(١)

جامعة جيرسون - تركيا

aft@giresun.edu.tr

الملخص:

يتسم الأدب بالحدس والتنبؤ واستشراف المستقبل، وذلك لما يملكه من استبصار لبواطن الأمور، ولما يتمتع به من حس مرهف، يتجاوز به حدود الزمان والمكان، ولعل الأدب هو البوتقة التي يجتمع فيها الخيال العلمي مع الخيال الأدبي، ويمتزج فيها عقل المفكر وروح المبدع، وفي الأدب يتساقط الخط الفاصل بين الرؤيا والرؤية.

ويتضح هذا في استشراف الأدب لجملة من الأحداث التي صدّقها الواقع والتاريخ، وذلك يعد خير شاهد على نظرة الأديب الثاقبة وقراءته الواعية لما يجري، وتوقعاته الملهمة لما سيكون، ويأتي وباء كورونا شاهداً آخر يؤكد ذلك، فقد استشرفت بعض الأعمال الأدبية وباء كورونا ووصفته وإن لم تسمه، بل تنبأت بأن يخرج من الصين، كما في قصة «عن الطيور نحكي» للكاتب أحمد خالد توفيق.

وعليه فإن هذا البحث يهدف إلى تقديم مقاربة تاريخية لوباء

(١) أستاذ اللغة العربية والبلاغة المساعد بجامعة جيرسون - تركيا، ومدير المنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي، له مؤلفات في النقد والأدب المقارن منها: نظرية الحدائث الشعرية بين صلاح عبد الصبور وت. س. إليوت، وأثر إدمان آلان بو في الأدب العربي الحديث، كما أنه أصدر العديد من الكتب والأبحاث في مجال تعليم العربية للناطقين بغيرها.



كورونا في الأدب، يكشف من خلاله عن دور الأدب في التنبؤ والتوعية من جهة، وفي التوصيف والتعبير عن الواقع من جهة أخرى، معتمداً في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسّم على النحو التالي:

* تمهيد: الاستشراف لغة واصطلاحاً

* الاستشراف في الأدب

* الأوبئة في الأدب: توصيفا وتوثيقاً

* استشراف كورونا في الأدب

* خاتمة بأهم النتائج والتوصيات.

تمهيد: الاستشراف لغة واصطلاحاً:

تؤيد الدلالة المعجمية للفظ (الاستشراف) البعد الاصطلاحي لها، والمقصد الفني منها، فالاستشراف لغة كما جاء في لسان العرب «أَنْ تَضَعَ يَدَكَ عَلَى حَاجِبِكَ وَتَنْظُرُ، وَأَصْلُهُ مِنَ الشَّرْفِ الْعُلُوُّ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَوْضِعٍ مُرْتَفِعٍ فَيَكُونُ أَكْثَرَ لِإِدْرَاكِهِ»^(٢) لذلك يطلق على أعلى الشيء الشُرْفَةُ، وكان الأديب ينظر من موضعٍ عالٍ ليكون أكثر إلماماً بالأمر، وأبصر به، فقد ورد أيضاً في المعجم «تَشَرَّفَ الشَّيْءُ وَاسْتَشْرَفَهُ: وَضَعَ يَدَهُ عَلَى حَاجِبِهِ، كَالَّذِي يَسْتَظِلُّ مِنَ الشَّمْسِ؛ حَتَّى يُبْصِرَهُ وَيَسْتَبِينَهُ»^(٣) وقد صرح المعجم - أيضاً - بأن الاستشراف هو «التَّشَرُّفُ لِلشَّيْءِ التَّطَلُّعُ وَالنَّظَرُ إِلَيْهِ وَحَدِيثُ النَّفْسِ وَتَوَقُّعُهُ»^(٤)

والاستشراف بهذا المعنى يتماهى مع ما يتغياه المدلول

(٢) لسان العرب: ابن منظور، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٧١/٩

(٣) لسان العرب ١٧١/٩

(٤) لسان العرب ١٧٢/٩



الاصطلاحية، فالاستشراف اصطلاحاً «فن وعلم التعرف على إمكانيات وأحداث المستقبل وتقييم هذه الأحداث»^(١) من خلال التنبؤ بها وفقاً لمعطيات مبنية على استقراء الواقع، واستلهام التاريخ.

ومما لا ريب فيه أن الحس الأدبي يؤهل الأديب بأن يدرك بواطن الأمور، وأن يبصر أبعادها، وأن يتوقع مجراها، ولا شك - أيضاً - أن مسئوليته الأدبية تحتم عليه أن ينذر ويبشر، وأن يفصح ولا يكتفم، فهو كالرائد لا يكذب قومه حديثاً.

تشير المصادر إلى فضل الأدب في تأصيل علم الاستشراف، ودراسة المستقبل، والتنيه إلى أهميته في صناعة المستقبل وتشكيله، «فعلى الصعيد العلمي ثمة إجماع بين مؤرخي المستقبلية على أن هيربرت جورج ويلز H. G. Wells - أشهر كتاب روايات الخيال العلمي - هو أول من صك مصطلح «علم المستقبل» وقدم إضافات عميقة في تأصيل الاهتمام العلمي بالدراسات المستقبلية»^(٢) بنى عليها المتخصصون مفردات هذا العلم الذي بات علماً مستقلاً ذا شأن في جميع المجالات.

الاستشراف في الأدب

من نافلة القول أن الأدب والحياة وجهان لعملة واحدة، فالأدب تعبير فني عن الحياة تنعكس على مرآته تاريخها وحاضرها ومستقبلها، وللکلمة دور فاعل في بناء المجتمعات، فتسهم في تغيير مصائر الأمم والنهوض بها، ولا ريب أن الكلمة الصادقة كاشفة، تكشف عن خبايا النفوس، وخلجات الصدور، تجسد الواقع وترسم وتستنصر الغد، لذا يقول الشاعر عبد الرحمن الشرقاوي:

(١) دور استشراف المستقبل في التخطيط الناجح للمنظمة - دراسة تحليلية نظرية: عواطف شاكر محمود، مجلة

تكريت للعلوم الإدارية والاقتصادية، ٦م، ١٩٤، ٢٠١٠م، ص ٦٦

(٢) توطین الدراسات المستقبلية في الثقافة العربية الأهمية، والصعوبات، والشروط: محمد إبراهيم منصور، مكتبة

الإسكندرية، ٢٠١٦م، ص ١٨

الكلمة فرقان ما بين نبي وبغي

وبالكلمة تنكشف الغمة

الكلمة نور

ودليل تتبعه الأمة^(٣)

إن الكلمة مسئولية، هذه المسئولية التي تجعل الحزن يخيم على المبدع، وتجعل القلق يكتنفه، فيحمل بين جوانحه شهوة إصلاح العالم على حد تعبير شيلي، يقول الشاعر صلاح عبد الصبور: «إن شهوة إصلاح العالم هي القوة الدافعة في حياة الفيلسوف والنبي والشاعر، لأن كلا منهم يرى النقص، فلا يحاول أن يخدع عنه نفسه، بل يجتهد في أن يرى وسيلة لإصلاحه، ويجعل دأبه أن يبشر بها»^(٤) من منطلق أمانة الكلمة ومسئوليتها يتولد عند الأديب إحساس بالمسئولية، وتصيبه مسحة من حزن دائم، يقرأ الأحداث الآنية، ويستشعر المستقبل، وينذر من الخطر المحقق، لذلك يضيف عبد الصبور قائلاً:

«الفنانون والفئران هم أكثر الكائنات استشعاراً للخطر، ولكن الفئران حين تستشعر الخطر تعدو لتلقي بنفسها في البحر هرباً من السفينة الغارقة، أما الفنانون فإنهم يظلون يقرعون الأجراس، ويصرخون بملء الفم حتى ينقذوا السفينة أو يغرقوا معها»^(٥)

من ثم فإن الأديب صاحب الكلمة الصادقة يملك رؤية ثابتة وبعُد نظر، يقرأ من بين السطور ما يقرأه الآخرون، وقد يشكل في نصه المغيب تشكيلاً دقيقاً، وثمة نصوص أدبية عديدة تصدق هذا

(٣) عبد الرحمن الشرقاوي: الحسين نائراً، دار الشروق، ص ٣١

(٤) حياقي في الشعر: صلاح عبد الصبور، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣م، ص ٩٦

(٥) السابق: ص ٧٤



الطرح، فما الاستشراف في الأدب إلا صورة من صور الاستشعار بالخطر، وإن كان الاستشراف لا ينحصر في قرع أجراس الخطر فحسب، بل يتجاوزها إلى دق نواقيس الأمل والاستبشار بغد أفضل، وحياة أسمى.

كما أن للأدب قصب السبق في التنبؤ بالمنجز العلمي والتقني، وهو أحد المصادر المهمة للعلماء للاختراع والابتكار، ويزخر الأدب العالمي بالعديد من روايات الخيال العلمي التي استشرفت المستقبل، وتنبأت بأحداثه تنبؤًا دقيقًا يثير العجب، مثل: رواية جول فيرن Jules Verne «من الأرض إلى القمر» المنشورة في ١٨٦٥م، التي تنبأ فيها بصعود الإنسان إلى سطح القمر، وتحققت نبوءته بعد قرن من الزمان تقريبا.

في تقرير لبي بي سي عن روايات الخيال العلمي التي تنبأت بالمستقبل بدقة عجيبة^(١) تستعرض هيفزيبه أندرسون Hephzibah Anderson رواية جون برانر John Brunner «الوقوف في زنجبار» Stand on Zanzibar المنشورة في ١٩٦٨م، التي صدق الواقع المعاصر معظم توقعاته، بالرغم أنها كانت تصف عالم المستقبل وصفا دقيقا وتسرد تفاصيله سردا مفصلا، حتى علق عليها رئيس مجلة «نيو ويرلدز» New Worlds عندما نشر مقتطف منها بالمجلة قائلا: إنها أول رواية تصف بأدق التفاصيل مجتمعا محتملا في المستقبل.

فقد استشرف برانر المستقبل ورسم صورة للمجتمع تكاد تتطابق مع الواقع الحالي، فقد تنبأ بوجود مؤسسة تشبه الاتحاد الأوربي، كما توقع أن تكون الصين هي المنافس الأكبر للولايات

Hephzibah Anderson. 10th May 2019. The 1968 sci-fi that spookily predicted (١) today. Available from: <https://www.bbc.com/culture/article/20190509-the-1968-sci-fi-that-spookily-predicted-today> [Accessed 5 August 2020]

المتحدة الأمريكية، وعلى صعيد التكنولوجيا، تنبأ بطابعات الليزر والهواتف الذكية التي ترتبط بموسوعة على غرار ويكيبيديا.

فهل هذا التنبؤ الدقيق ضرب من التنجيم أم رؤية استشرافية؟ لا سيما أن الفارق بين التنجيم وبين الاستشراف فارق دقيق، هو الفارق بين التنبؤ القائم على التخمين والحدس وربما الشعوذة والدجل، وبين التوقع المبني على معطيات العلم واستقراء التاريخ والواقع.

تجيب أندرسون على هذا السؤال المشروع، وتحديدًا على دقة توقعات برانر فتأكد أنه «عكف برانر نحو ثلاث سنوات على قراءة موضوعات عن دور العوامل الوراثية في الإصابة بالأمراض والعلاقة ما بين الانفجار السكاني والعنف في المدن»^(٢) بالإضافة إلى شغفه بالدوريات العلمية، واهتمامه بالقضايا الاجتماعية والسياسية.

وبالتالي فإن استشراف برانر ودقة توقعاته في رواية «الوقوف في زنجبار» جاءت نتيجة الاتكاء على العلم، والاطلاع بمستجداته، بالإضافة إلى رؤية فنية لمبدع متوقد الذهن، واسع الخيال.

الأوبئة في الأدب: توصيفا وتوثيقا

لم تقتصر علاقة الأدب بالأوبئة على الاستشراف فحسب، بل انطلقت في الأصل من توصيف أعراضها، وتوثيق آثارها، وتأريخ ما خلفته من كوارث، وتدوين انعكاساتها على المستوى الذاتي أو الجماعي، وترخر المكتبة الأدبية بالروايات التي اتخذت من الأوبئة تيمية رئيسية ينبثق السرد من رحمها.

فرواية «دفتر أحوال عام الطاعون A Journal of The Plague

Hephzibah Anderson. 10th May 2019. The 1968 sci-fi that spookily predicted (٢) today. Available from: <https://www.bbc.com/culture/article/20190509-the-1968-sci-fi-that-spookily-predicted-today> [Accessed 5 August 2020]

Year للكاتب دانيال ديفو Daniel Defoe الصادرة في ١٧٢٢م مثلاً توثق ما حدث للندن بعدما انتشر بها وباء الطاعون في عام ١٦٦٤م، وتؤرخ للنتائج الكارثية التي وقعت نتيجة الإهمال والتكاسل، وقلّة الوعي بين أفراد المجتمع، الذي يعتبره ديفو أكثر فتكاً من الوباء نفسه، حيث يقول: «لم يكن هناك ما هو أكثر فتكاً بسكان هذه المدينة، من إهمالهم السلبي النابع من أنفسهم»^(١)

وعلى مستوى الأدب العربي تعد قصيدة الكوليرا لنازك الملائكة نموذجاً للتوثيق والتوصيف للوباء، فقد ذكرت صراحة أن دافعها في نظمها هو «التعبير عن أرجل الخيل التي تجر عربات الموتى من ضحايا الوباء في ريف مصر»^(٢) وتصوير مشاعرها نحو ذلك، وكان وباء الكوليرا قد تفشى في مصر عام ١٩٤٧م وقد أدى إلى وفاة ٢٠ ألف تقريباً من ١٨ مليون نسمة هم عدد سكان مصر وقتئذ.

استشراف كورونا في الأدب:

ولو انتقلنا إلى دور الأدب في استشراف الأوبئة والتنبؤ بها فإن المكتبة العالمية والعربية زاخرة بالنماذج الأدبية في ذاك الحقل، ومن هذه النماذج التي تستحق الدراسة روايات الكاتب أحمد خالد توفيق، الملقب بالعراب، وذلك لسببين رئيسيين:

الأول منهما أن أحمد خالد توفيق طبيب قبل أن يكون روائي، فقد تخرج في كلية الطب وأصبح أستاذاً في طب المناطق الحارة بجامعة طنطا، وكان إلى جانب عمله مبدعاً قدم سلاسل متتالية من الأعمال في كل مجال أبدع فيه^(٣)

(١) Zed, George Routledge and Sons, Daniel Defoe: A Journal of The Plague Year (١) London, 1886, P102

(٢) قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة، مكتبة النهضة، ط٣، ١٩٦٧، ص ٢٣

(٣) أحمد خالد توفيق ترك بصمته على الجيل الجديد: مصطفى عبد الله، مجلة الشارقة الثقافية، ع ٢٠، يونيو ٢٠١٨،



كان عضو هيئة التدريس واستشاري قسم أمراض الباطنة المتوطنة في كلية الطب جامعة طنطا، ومن ثم فإن ما يقدمه من معلومات طبية يستند إلى أسس علمية مبنية على خبرته المهنية والأكاديمية، مما يؤكد ما ذكر سلفا بأن الاستشراق لا بد أن يبني على العلم قبل الحدس، والاطلاع قبل الخيال.

والثاني دقة تنبؤاته حول كورونا، ودقة وصفه لمصدرها، وأسبابها، فقد كادت تتطابق مع الواقع تطابقاً تاماً، وهو ما يعطي استشراقه بعداً علمياً بالإضافة إلى البعد الجمالي، ويلفت النظر إلى قيمة أدب الشباب والمغامرات، وروايات الجيب التي تواجه تهميشاً مقابل الأدب الكلاسيكي، «ولا تتمتع بوجاهة غيره من الكتب ولا باحترام النقاد أو القراء المحترفين»^(٤).

بيد أن روايات توفيق فرضت نفسها على الساحة الأدبية، وانتزعت مكانة جديرة بين القراء لا سيما الشباب منه، وباتت جزءاً من تاريخ الأدب العربي المعاصر، ونقطة فارقة بين جيلين، «فتردد اسمه بقوة على ألسنة جيل جديد من الكتاب الذين كانوا يشيرون لاسمه في المحافل الثقافية باعتباره الأستاذ والمعلم والعَرَّاب وصاحب الفضل والتأثير»^(٥)، ومن المعروف أن توفيق رائد أدب الرعب في الأدب العربي، وأكثر الكتاب العرب شهرة في أدب الشباب والفانتازيا والخيال العلمي.

كل هذا أهله أن تكون له الريادة في أدب الاستشراق على مستوى الأدب العربي، فاطلاعه الواسع، وخبرته المهنية، وخياله المتجدد، وغزارة إنتاجه؛ ساهمت في إثراء تجربته ونضجها.



(٤) أحمد خالد توفيق من هامش الجيب إلى متن القلوب: يحيى وجدى، مجلة مرايا، ع ٥٤، مايو ٢٠١٨، ص ١٢
(٥) السابق: ص ١٢

قدم توفيق ٦ سلاسل وصلت إلى ٢٣٦ رواية تقريبا، ما يرتبط منها بموضوع الدراسة سلسلة سافاري (١٩٩٦ - ٢٠١٨) التي يبلغ عددها بضعا وخمسين عدداً.

تدور أحداث السلسلة (سافاري) حول طبيب مصري انضم إلى وحدة دولية تعمل في أفريقيا مهمتها مكافحة الأمراض، أو بمعنى المؤلف اصطيادها، جاء في مقدمة السلسلة «وحدة سافاري التي نتكلم عنها هنا لا تصطاد الوحوش ولكنها تصطاد المرض في القارة السوداء، وسط اضطرابات سياسية لا تنتهي وأهالٍ متشككين وبيئة لا ترحم»^(١).

يرى بطل القصة أن العالم الذي نعيش فيه لم تنجح الحضارة في تبديل معالمه، وهو مليء بالفيروسات القاتلة، والسحرة والمجانين، أكلة لحوم البشر، والمرتزة الذين لا يمزحون، وسارقي الأعضاء البشرية، والعلماء المخاييل.

اهتمت السلسلة بالأوبئة، فثلاثة روايات من السلسلة اعتمدت الوباء تيمة رئيسية، بدءا من العدد الأول: الوباء، ومرورا بالعدد الأربعين: عن الطيور نحكي، وانتهاء بالعدد الثالث والخمسين: الموت الأصفر، أقربهم توصيفا واستشرافا لجائحة كورونا رواية عن الطيور نحكي.

تدور أحداث الرواية حول ظهور وباء قاتل من الإنفلونزا في الكاميرون، لم يستطع الأطباء السيطرة عليه، فأهلك قرى بأسرها، وحتى الطيور لم تنج من الإصابة منه، لذا يسعى البطل مع زملائه في وحدة سافاري إلى البحث عن أصل الوباء وأسبابه، فالوحدة لها فضل وسبق في استكشاف الأوبئة، فالوحدة يعرف فضلها أطباء طب

(١) أحمد خالد توفيق: الوباء، ص٤

المناطق الحارة، ويعرف العالم وباء (الناكالا نجا) و(الكافاموجورو) بفضل علماء هذه الوحدة^(٢)، هنا تبدو ملامح الاستشراق والتوصيف الأدبي، فالخيال العلمي يتوقع ظهور أوبئة جديدة يطلق عليها المؤلف (الناكالا نجا) و (الكافاموجورو).

تماهي الرواية مع الأسس العلمية للأوبئة والتاريخ المرضي لها، فالفيروس الذي يظهر مشابه لفيروس SARS سارس القاتل في أعراضه، بيد أن وجودهم في القارة السمراء جعل هذه الافتراضية لا تحظر على بالهم بادئ الأمر، حيث جاء على لسان إحدى شخصيات الرواية د. مايرز أنه قال:

«لم يخطر ببال أحدنا موضوع إنفلونزا الدجاج هذه، أنت تعرف أن هذه الأمراض لا تعتبر جزءا من ترسانة الأمراض التي تفتك بأفريقيا، لدينا كل شيء هنا فلا نتصور أن نضيف إنفلونزا الدجاج، أعتقد أن الطقس الحار يلعب دوراً في منع انتشار هذه الأمراض، لا بد من طيور مهاجرة وخنازير وهذه الأشياء لا تجدها هنا لكن تجدها بوفرة في جنوب شرقي آسيا»^(٣).

بهذا الاستقراء العلمي استشراف توفيق أن يكون موطن الفيروس الجديد (كورونا مثلاً) جنوب شرق آسيا، بل يحدد الصين على وجه التحديد فيقول إحدى شخصيات الرواية «يخفي كل فلاح صيني في حظيرته مختبراً خطيراً للتجارب البيولوجية وفي هذه الحظيرة تنشأ أنواع فيروسات فريدة لم نسمع عنها من قبل»^(٤).

أضف إلى ذلك أن فكرة ظهور فيروس جديد متعلق بأمراض الالتهاب الرئوي اللانمطي، يتحول إلى وباء ويثير الرعب في العالم؛

(٢) أحمد خالد توفيق: عن الطيور نحي، ص ١١

(٣) السابق: ص ٣٩-٤٠

(٤) السابق: ص ٦٠



فكرة استشرافية منبثقة من رؤية علمية، يعبر عنها توفيق على لسان د. تاوونجر إحدى الشخصيات في الراية، فيقول:

«الكابوس الذي يطارد علماء الفيروسات في العالم كله هو أن يعود وباء إنفلونزا عام ١٩١٨ الذي أطلقوا عليه اسم الوباء الأسباني إلى الظهور، لقد فتك هذا الوباء بثلاثين مليوناً من البشر أي أكثر من ضحايا الحرب العالمية الأولى، وعلمياً لم ينج إنسان على ظهر الكرة الأرضية من الإصابة به سواء كانت شديدة أو خفيفة، قاتلة أو غير قاتلة»^(١).

ويدشير توفيق في الهامش إلى أن شخصية تاوونجر شخصية حقيقية وأن كل ما يقوله دقيق وصحيح، بالتالي يوظف هذه الحقيقة العلمية ويستشرف منها انتشار فيروس وبائي من نوعية فيروسات الالتهاب الرئوي اللانمطية، وهو ما صدق مع وقوع جائحة كورونا. ولا تغيب الحكمة الدرامية عن الرواية فيظل أصل الفيروس وانتشاره في الكامبيرون بالرغم من الطقس الحار؛ سرّاً غامضاً لا يُكشف عنه إلا في نهاية الرواية، عندما يشاهد أعضاء الوحدة عامل النظافة مع صاحب المزرعة، ويربطون الأحداث فيتأكدون أن إحدى عينات فيروس H1N1 سقطت من عامل النظافة فأخفى الأمر عن الوحدة، وكعادته باع مخلفات الوحدة إلى صاحب المزرعة الذي بدوره يضيف المخلفات في تغذية الدواجن، ومن هنا ظهر الفيروس وانتشر الوباء.

بل إنه في نهاية الرواية يصرح بأن الوباء الحقيقي المرعب قادم لا شك فيه، ويؤكد على أن سيبدأ من مكان ما في الصين أو هونج كونج وساعتها لن يكون لنا أمل إلا في رحمة الله ثم البيولوجيا

(١) السابق: ص ٥٣

الجزئية وسرعة تركيب اللقاح^(٢).

هذه هي النهاية أو قل النبوءة التي يشاهدها العالم رأي العين، وكأنه يكتب الفصل الأخير من الرواية.

الخاتمة:

انطلقت الدراسة من فرضية أن للأدب القدرة على استقراء الواقع واستشراف المستقبل، لا سيما أن الاستشراف أضحى علما منضبطا له أصوله وضوابطه العلمية، وقد انتهت الدراسة إلى أن للأدب عامة، وأدب الخيال العلمي خاصة؛ دورًا بارزًا في ظهور هذا العلم وتأصيله.

وتطرقت الدراسة إلى أن الأديب ذو الخيال الواسع الذي يتكأ على قراءة الواقع مستعينا بأدواته الفنية، ومواهبه الأدبية؛ بإمكانه استشراف المستقبل وتصويره بدقة وبراعة.

ومما لا ريب فيه أن الأدب والإبداع عموما غايتيه الأولى ووظيفته الأساسي هي الجمال وليس التنبوء والحدس، فالأديب في الأول والآخر يهدف إلى المتعة الفنية، وإن كانت هذه المتعة لا تخلو من قيم حضارية، وإشارات علمية، وحمولات ثقافية واجتماعية، غير أنها ليست مقصودة في ذاتها، وإلا يفقد الأدب وظيفته الفنية وغايتيه الجمالية.

وعليه فإن الباحث يوصي جموع الباحثين بدراسة أدب الاستشراف سعيا لإماطة اللثام عن تقنياته الفنية، وخصوصيته الأدبية، ووصولاً إلى جمالياته التعبيرية.

ومن النتائج التي انتهت إليها الدراسة أنه بالرغم من أدب الشباب وروايات الجيب تلقى تهميشاً وتجاهلاً؛ فإنه تحتوى على عناصر متفردة من التجريب، وتشغل مساحة مغفول عنها في الأدب الكلاسيكي، هذه

(٢) السابق: ص ١١١



المساحة التي اقتحمها توفيق وتربع فيها دون منافس، يجدر بالباحثين الولوج إليها ودراستها دراسة نقدية وتحليلية تكشف عما فيه من قيم جمالية، وأسرار دلالية، وتقييمه تقييما موضوعيا بعيدا عن الآراء المسبقة. وعلى جانب آخر يوصي الباحث بمزيد من الدراسات حول أعمال الكاتب أحمد خالد توفيق بصفته رائدا في مجال أدب الشباب والمغامرات ومن جانب آخر لما تحفل به رواياته من استشراف أدبي.



المصادر

* Daniel Defoe: A Journal of The Plague Year, 2 ed, George Routledge and Sons, London, 1886.

* Hephzibah Anderson. ١٠th May ٢٠١٩. The ١٩٦٨ sci-fi that spookily predicted today. Available from: <https://www.bbc.com/culture/article/-٢٠١٩٠٥٠٩the-١٩٦٨-sci-fi-that-spookily-predicted-today> [Accessed ٥ August ٢٠٢٠].

* ابن منظور: لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة.

* أحمد خالد توفيق: الوباء، سلسلة سافاري ع١٤، المؤسسة العربية الحديثة، ١٩٩٦م.

* أحمد خالد توفيق: عن الطيور نحكي، سلسلة سافاري ع٤٠٤، المؤسسة العربية الحديثة.

* صلاح عبد الصبور: حياتي في الشعر، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣م.

* عبد الرحمن الشرقاوي: الحسين ثائرا، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣م.

* عواطف شاكر محمود: دور استشراف المستقبل في التخطيط الناجح للمنظمة - دراسة تحليلية نظرية، مجلة تكريت للعلوم الإدارية والاقتصادية ١٩/٦، ٢٠١٠.

* محمد إبراهيم منصور: توطين الدراسات المستقبلية في الثقافة العربية الأهمية، والصعوبات، والشروط، مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٦م.

* مصطفى عبد الله: «أحمد خالد توفيق ترك بصمته على الجيل الجديد»، مجلة



٣٠-٣١ مايو ٢٠٢٠م

المؤتمر الدولي العالم في ظل أزمة كورونا: إشكاليات وحلول

الشارقة الثقافية، ع ٢٠، يونيو ٢٠١٨م.

* نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، القاهرة، مكتبة النهضة، ط ٣، ١٩٦٧م.

* يحيى وجدى: «أحمد خالد توفيق من هامش الجيب إلى متن القلوب»، مجلة

مرايا، ع ٥، مايو ٢٠١٨م.



تعويدُ البقاء في أنشودة «الشبح الأمل» للشاعر «حبيب يونس»

د. رزق الله الياس قسطنطين^(١)

الجامعة اللبنانية - لبنان

rizkallah.constantin@ul.edu.lb

١. التعريف بالموضوع

يخرج الإبداع من رحم المعاناة الإنسانية، ليعالج ألم الذات وألم الآخر على حدّ سواء. وترى المبدع في كلّ مناسبة، سواء أكانت سعيدة أم حزينة يبادر ليخاطب القارئ فيفصح عن مكامن وعيه تارة، ولا وعيه طوراً، في ظلّ صراع يعيشه المبدع وعمله الإبداعيّ بين الواقع والمرتجى. وتحضرنا في هذا السياق قصيدة الكوليرا للشاعرة «نازك الملائكة» وهي من أشهر القصائد التي كان الوباء موضوعها.

وفي تلك اللحظة، لحظة كتابة قصيدة «الكوليرا» كثيرون هم الذين صرّحوا علناً بنوع شعريّ جديد ألا وهو «الشعر الحر» ما جعل شهرة هذه القصيدة تفوق قصيدة الشاعر المصريّ «علي الجارم» التي كتبها عندما ضربت الكوليرا مسقط رأسه (مدينة رشيد) بمصر.

وقصيدة «الشبح الأمل» للشاعر «حبيب يونس» تحضر في هذا الوقت لتحياكي الوطن الذي يعيش في محنة وباء «الكورونا - الشبح»، تعويداً لطرده الشرّ الكامن في ذاك الوباء الذي اجتاح العالم، ولم يوفّر الوطن لبنان من شرّه. والتعويد بحسب اللسان هو «الرُّقية يُرقي بها الإنسان من فزع أو

(١) أستاذ جامعيّ وشاعر، متخصصّ في النقد الحديث (Stylistique-Thématique) واللغة. يعمل أستاذاً محاضراً في الجامعة اللبنانية وفيالجامعة اللبنانية الأميركية - جبيل. تخرّج من الجامعة اللبنانية بإجازة تعليميّة في اللغة العربيّة وآدابها، ومن جامعة الروح القدس- الكسليك بشهادة دكتوراه بدرجة مشرف جداً Très honorable. لهعدّة مؤلّفات في الشعر والنقد والتربية، حاز عدّة جوائز من بينها جائزة مهرجان لسنديان الثقافي طرطوس ٢٠٠٩، وقد شارك في مهرجانات شعريّة ومؤتمرات أدبيّة ونقدية و علميّة في بلدان عربيّة متعدّدة.



جنون لأنّه يُعاذ بها»^(١) وكيف لا، فالخوف يلفّ العالم في ظلّ جائحة كورونا، ونبدو في أوقات تكتنفها الشكوك وتسودها أجواء غريبة من نوعها، نحتاج إلى تعويد، إلى رقية، تحمينا من الوباء. إنّها قصيدة «الشبح الأمل».

وفي هذا البحث، ندرس القصيدة في ضوء المنهج الأسلوبّي السيميائيّ (Smiostylistique) لنوضّح أدبيّتها، ونصل عبرها إلى رؤى الشاعر وعالم القصيدة ووقعها في المتلقّي؛ وإنّ هذا الأخير هو محور الدراسة، لأنّه «أي المتلقّي (Rcepteur) أو القارئ» هو الذي يصنع النص، وهو الذي يتوقّع صورته، وهو الذي يرسم طريقه في تداخل المعاني المحتملة»^(٢).

٢. في إشكاليّة البحث وفرضيّاته

البقاء فعل حياة وأمل ورجاء، شغل الإنسان والفكر البشريّ منذ القدم، وجعله يجسّد الأساطير والديانات، ويناقش فلسفات الإنسان الحيّاتيّة. فالبقاء فعل إيمان بالحاضر، وصورة واضحة عن الماضي، ومنطلق أكيد للمستقبل، فيكون هذا المصطلح (البقاء) تحقيقاً لصورة الزّمن الذي يحاول الإنسان أن يجيأ به.

والخطاب الأدبيّ قبل أيّ شيء منتج إبداعيّ يحاكي المجتمع ويتوجّه إلى متلقّ، والأدب ابن بيئته يعبر عنها ويتفاعل معها. ولما كان الأدب هو «بكلّ بساطة لغة مشحونة بالمعنى إلى أقصى درجات ممكنة»^(٣) فإنّه يدرس لغة الخطاب الأدبيّ، سواء أكان نثرًا أم شعرًا، في دلالاتها الإيقاعيّة والتركيبيّة والمعجميّة، تبعًا لحالة الشاعر الانفعاليّة، وصولاً إلى عالم المتلقّي الذي يحملها مخزونه الثّقافيّ لإظهار تلك الدلالات والمعاني.

(١) أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ٣٣٠/١.
(٢) Georges Molinié, et Alain Viala, Approches de la (reception), PUF, Paris, 1993, P 113
(٣) Georges Molinié, et Alain Viala, Approches de la (reception), PUF, Paris, 1993, P 113

وفي هذا الإطار يرى «جورج مولينييه» Georges Molinié أنه لا وجود لعمل أدبيّ *objet littéraire*، ولا حتى أدبيّة الأدب *littéraryité*؛ بل هناك فنّ صناعة الأدب *littéraryisation* (١) ، ويشير أيضًا في الوقت نفسه إلى ضرورة اللجوء إلى مجال آخر يكون غرضه الرئيس تحليل عمليات الإنتاج أو إظهار قيمة العلامات أو الرموز. لذلك يجب السّعي في النصّ الأدبيّ إلى تحديد خصائص أدبيّته. لنقرأ السّمات الأسلوبية التي ظهرت في القصيدة، فنبدأ بالإيقاع وما حمله من دلالات في أسلوب الشّاعر لنكمل في الإيقاع الداخليّ وما أحدثه من تنسيقات صوتية وهندسات موسيقية في إظهار المعنى الذي نكشف عنه من خلالها، فنصل إلى التّركيب ودلالاته الصّرفية والتّحوية وما جاء فيها من أبعاد أسلوبية في سيمياء النصّ الأدبيّ.

فنطرح في أدبيّة النصّ الأدبيّ *Littéraryité*، الأسئلة الثّالثة:

- * ما هي السّمات الخاصّة بأدبيّة النصّ الأدبيّ في ظلّ التعارض الحاصل في العنوان؟
- * كيف حقّق الإيقاع الخليلي (وزن القصيدة العروضيّ) معنى القصيدة المطروح؟
- * إلى أي حدّ بدت إيقاعات النصّ الداخليّة موافقة لشبح العالم وأمل الشاعر؟
- * ما هي الدّلالات التي أدّت المعاني الثّانية في تراكيب النصّ الصّرفية والتّحوية؟

٣. حدّ المنهج

تعدد المناهج الخاصّة بالدراسات الأدبيّة وتنوّع، وكلّ منهج

(1) Georges Molinié, Ibid., P150

ينضح بطريق جديد مكمل وعالم دراسي خاص به. وفي هذا البحث، سنعتمد منهجاً دراسياً مناسباً هو الأسلوبية السيميائية (-Sémio-stylistique) الذي يساعدنا في دراسة أدبية النصّ الخالصة، ضمن منظومة معيارية تفيد في تفكيك الأسلوب الشاعر «حبيب يونس» وفي اختزال رؤيته إلى عالم الإبداع الذي ينفرد به، كما يسمح لنا بدراسة الأسس الإيقاعية والتركيبية وربطها بسيمياء النصّ.

تهدف الأسلوبية السيميائية إلى دراسة أدبية الأدب، وجمع الأفكار الإبداعية والجمالية والفنية للعمل الأدبي، كما رُصد السمات الخاصة بالأشكال الأدبية، ودراسة البعد التواصلية السيميائية للفنّ والإبداع الأدبي. وبهذا تخرج الدراسة الأسلوبية، في هذا المنطق، عن محور دراسة أسلوب النصّ كما هو الأمر في الدراسات الأسلوبية، لأنها لا تنتمي إلى عالم الدراسات الألسنية، بل تستمدّ تركيبها من السيميائية وعلوم السيمياء^(١). فترصد السمات الأسلوبية التي تميز النصّ الأدبي، وتجمع هذا النصّ مع المتلقّي (Récepteur) في عالم خاصّ يبدعه هذا الأخير ويستجلي أدبية النصّ منه، فتحوّل الدراسة الأسلوبية إلى دراسة أسلوبية سيميائية نظرية وطريقة لمعرفة التصوص الأدبية، وبهذه الآلية هناك تفاعل ما بين «السيميائية» والأسلوبية، وذلك لتحليل أدبيّ أفضل^(٢).

إنّ نقطة الانطلاق في الدراسة الأسلوبية السيميائية، هي اعتبار النصّ الأدبيّ خطاباً موجهّاً إلى القارئ، ولكن إحدى المشاكل التي تواجه هذا المنحى، هي الفصل ما بين المرسل، والمُرسل إليه، فالأسلوبية السيميائية، هي سيميائية عمل، وتحليل. وبهذا يكون

(1) Georges Molinié, Sémiostylistique, Leffet de l'art, PUF, Paris, 1993, P4.

(2) GervaisMendoZe, Approchesstylistiques du textécritou oral, université du Yaounde, 2010.

المتلقّي ذاتًا فاعلة في القراءة الأسلوبية لذلك أفرد له «جورج مولينيه» كتابًا خاصًا به عنوانه «Approches de la réception»، فترصد الأسلوبية السيميائية مختلف السمات الأسلوبية والإيقاعية والتركيبية والمعجمية والانتقائية (بالعودة إلى المتلقّي) التي تظهر النصّ الأدبي وتجعله منفردًا ومتميزًا عن سواه من النصوص الأخرى. فتكون إذًا علاقة تأويلية تهتم بجميع أنواع التفسيرات التي يعبر عنها المتلقّي في أثناء التفاعل مع النصّ المدرّس لكتابته من جديد وتأليف ما اكتشف فيه من علاقات مترابطة.

تهتمّ الأسلوبية السيميائية بدراسة الخطاب الأدبي، كما تهتم بالعلاقة التي تربط عنصرَي الكتابة، أي الكاتب والمتلقّي. وهذا ما يدلّ على أنّ الدراسة السيميائية بارتباطها بالأسلوب استقت العديد من النظريات الجمالية التي تعوّل على القارئ الرائي والمكتشف الأسس الإبداعية، كما هو جليّ عند «رولان بارت (Roland Barthes)» ، و«ميشال ريفاتير» (Michael Riffaterre)، و«ميشال شارل» (Mi-chel Charles)، غير أنّ الأسلوبية السيميائية تبين أسلوب المبدع المتميّز، فتشركه مع القارئ في إظهار دلالة النصّ الكليّة، وتتجاوز التّصوّرات الأدبية لتؤكّد على حضور ذات المبدع، وعمله، والمتلقّي في الوقت نفسه، منطلقة من مظهر الأسلوب المعروفة في البنية الإيقاعية والتركيبية للنصّ الأدبي الموضوع تحت مجهر الدراسة.

تبني الأسلوبية السيميائية الأنموذجيات المجرّة للمعاني والدلالات وتوضّحها عبر تعديل المكونات اللفظية لأدبية النصّ الأدبي، فتجمع بينها، وتنتجها من جديد^(١). لذلك يكون الهدف الأساس من الدراسة الأسلوبية في علاقتها بالسيميائية التركيز على أدبية النصّ الأدبي (Littérarité)، كما تركّز

(١) Georges Molinié, Sémiostylistique : à propos de Proust, in Versants n (١) ١٨، ١٩٩٠، ٢٢٣.

على الأسلوب الذي ينتج من النصّ المدروس.

فالمهدف هنا غربله مجموعة الأفكار الجماليّة، ورصد دلالة الأشكال الأدبيّة والفنيّة والجماليّة؛ فالأسلوبية سطحيّة وجافّة من ناحية التأثير، والسؤال هنا دائماً على دلالة التراكيب اللفظيّة كمجموعات تتعلّق بالأفق الثّقافيّ. والبحث عن دلالة الأشكال الأدبيّة والفنيّة والجماليّة، تحت مسمّى سيميائيّة المستوى الثّاني التي تجمع بين وجهات النظر الجماليّة الأساسيّة.

٤. جديد الدراسة

تحتلّ هذه الدراسة موقعاً خاصّاً في الدّراسات الأسلوبية، وتتميّز بتقديمها عملاً أكاديمياً ملتزماً الأصول والمبادئ العلميّة الرّصينة، وتعرض لمنهج نقديّ هو المنهج الأسلوبيّ السيميائيّ، فتقدّم طرحاً جديداً في دراسة النّصوص الأدبيّة حيث تنطلق من أسلوب الكاتب إلى أدبيّة النّص الأدبيّ، فتتوقّف عند النّصّ بكونه خطاباً لغويّاً خاصّاً بالشاعر، وتصل إلى المتلقّي الذي هو فعل أساس في العمليّة الإبداعيّة، وهنا كنه التّظريّة الأسلوبية السيميائيّة.

كما تقدّم الدّراسة منذ عنوانها وفي إشكاليّتها وعرضها فكرة أنّ النّصّ الأدبيّ لا ينفصل عن الواقع الذي نعيشه، وأنّ المبدع ابن بيئته، منها يستمدّ نور كتابته، وإليها يعود الفضل في صورته الفنيّة.

والدراسات التطبيقية في هذا النوع من الأسلوبيات، وخصوصاً في عاملنا العربيّ، نادر، نظراً لدمجه بين الأسلوبية وعناصرها والسيميائيّة ومتشاكلاتها، في إطار عمليّ يخرج عن سابقاته من الدراسات الأسلوبية التي عملت على تطوير العمل الألسنيّ فيها. والمفارقة أننا سنخرج عن الإطار الألسنيّ إلى التّأويل والدراسات السيميائيّة.

ويُظهر البحث النَّصَّ الأدبي على أنه خطاب قبل أي شيء؛ حيث يمكن فهم هذا الخطاب استنادًا إلى ثلاثة مستويات. يتم تعريف كل من هذه المستويات من خلال علاقة أفقية وموجهة بين قطبين اثنين معروفين في عالم الأدب بالمرسل (E)، والمرسل إليه (R). إضافة إلى ذلك، تعمل هذه الدراسة على إظهار ما للمتلقي (Récepteur) من تمايز في إخراج الصور الفنيّة من النَّصِّ، لأنّه محور العمل الأدبيّة.

٥. البنية الدلالية الكبرى Macrostructure sémantique

يُعَدُّ النَّصُّ وحدة الخطاب الأدبي، بحيث تكون الفكرة الأكثر فاعلية، على ما يبدو، لبنية النَّصِّ الكبرى -Macrotex-te، ما يجعل من الممكن التفكير في تعيين الحدود مع الهندسة المتنوعة للكائن الذي تمّ أخذه بالاعتبار بشكل ملموس^(١). وبذلك يفرض المنهج الأسلوبي السيميائي علينا أن نبدأ بالبنية الدلالية الكبرى للنص، أي دلالة النَّصِّ الخارجيّة، فنحدد فكرته العامة، ونصوغ موضوعه المرجعي في علاقة بالمقصديّة الرئيسة، تمهيدًا للوصول إلى البنية الصغرى Microtexte أي الجزئيات الداخليّة التي يقرأها المتلقي فيؤوّل النص، ويبنيه من جديد وفق تفاعل ديناميكي، يرتكز في صورة أساسية على متعة القراءة، وثقافة القارئ المعرفيّة، وقدرته في استقراء الصور الإبداعية في النَّصِّ المدروس.

و«الشبح الأمل» قصيدة للشاعر اللبناني «حبيب يونس» نُسِجَت على وزن بحر الكامل. تتألف هذه القصيدة من ثلاثة عشر بيتًا شعريًا، كتبها الشاعر في ٢٢/آذار/٢٠٢٠، أي في زمن الحجر الصحيّ الذي فرضته الحكومة اللبنانيّة إثر إصابة العديد من المواطنين بـ«فيروس كورونا».

(١) Georges Molinié, Introduction à la sémiostylistique, Université de Paris IV P٤٠, ١٩٩٣



تُظهر القصيدة لبنان الوطن ضحية الوباء الذي أقعد جميع بنيه في المنازل، ولكن بفرح الحياة والأمل، فقد سلم أبناء الوطن وذلك لأته مجيهم من كل أذى. فيفضل الشاعر «يونس» كل تفصيل في الوطن ويدل إلى كيفية حمايته لأبنائه من الأذى.

٦. من النص إلى المتلقي: الهيكل الأساس لإجراء الاستقبال

عندما نتكلم على هيكل النص نبادر للتفكير في الإيقاع مباشرة. وهو الصورة السمعية البصرية للصوت الذي يخرج من كلماته. وتكتمل الحركة الإيقاعية (movement rythmique) وتتناسق في الشعر كثيراً، حيث تظهر إيقاعات خارجية (البحر والقافية والروي)، وإيقاعات داخلية (التكرار والتوازي والتنسيقات الصوتية) فتؤثر لدى المتلقي وتنقل النص من صورة الكلمة إلى صورة المضمون، وتبعث في نفسه الدلالات قبل الدخول إلى المعاني الموجودة في القصيدة.

٦.١. الإيقاع الخارجي وتعويذ القطع والاستئصال

أسلوب الكاتب هو الطريق الأول للدخول إلى عالمه، هو الهيكل الأساس لأدبية نصه. منه نتصل به، ونعود إليه فنبنو العالم الإبداعي للكاتب على حد قول «دينيز برتراند» (Denis Bertrand 9)، الطريق إلى العالم الذي أشار إليه سهم الأسلوب»^(١)

والإيقاع في الشعر العربي هو الفاتحة لدراسة الأسلوب، لأنه المدينة الفاضلة للمعنى. منه نعمل على إيجاد دلالات جديدة للنصوص التي ندرس الإيقاع في لغتها. فمن وجهة نظر أولية يبدأ إيقاع الشعر في اللغة العربية من العروض كعلم يختص بدراسة

(1) Denis Bertrand, "Style et semi-symbolisme", dans Eric Bordas, et Georges Molinié(dir.), Style, langue, société, (1)

الوزن والقافية والروي.

لُبْنَانُ أَضْحَى وَجْهَكَ الْفَرْحُ،

مُدَّ سَارِي فِي أَحْيَائِكَ الشَّبْحُ

وقصيدة «الشبح الأمل» مبنية على بحر هو الكامل (متفاعلن/ متفاعلن/متفاعلن) أمّا العروض والضرب فقد اعتمد الشاعر فيهما جوازًا هو (فَعْلُنُ //). هذا النوع يسمّى «الحذذ» وهو إسقاط الوتد المجموع من آخر تفعيلة (متفاعلن)^(١) وبحر الكامل يحتوي كما نعرف على ثلاثين حركة، لذلك فقد سُمّي بهذا الاسم، وليس في الشعر شيء له ثلاثون حركة غيره. ولعل الشاعر وجد في هذا البحر مرونة أكثر لنقل الأحاسيس والتجارب والمشاعر الداخلية، الأمر الذي يمكنه من التعبير عن خلجات نفسه بحرية، وتلقائية.

والحذذ في اللغة أي السرعة، وإذا قصدنا نطق الكلمة بسرعتها الدالة عليها، نطقناها بدمج حرفي (الدال) للحصول على الإدغام، فظهرت كلمة «الحذذ» وهي تعني القطع المستأصل.^(٢) وفي الحالتين، يبدو بحر الكامل بمعناه الدلالي، مؤثراً للسرعة في قطع دابر الوباء المستشري، فكأن الشاعر في أثناء الكتابة، وعلى الرغم من المضمون الدال على الطمأنينة، يبدو في حالة غير مستقرّة، ليصل وبسرعة ضمنية إلى استئصال خبث الداء الذي ضرب وطنه لبنان.

٦.٢. الإيقاع الداخلي وتعويد الشمولية والحياة

الإيقاع ((Rythme) كلمة مأخوذة من اليونانية (Ruthmos)، وهي تشتق من كلمة (Rheim) أي «سال». وبحسب «بنفينيست» تدل كلمة

(١) علاء الحمزاوي، محاضرات في العروض والقافية، دار التبشير للطباعة والنشر، ٢٠٠٢، ص ٢٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ج ٤، ص ٦٣.



إيقاع على «كل ما ليس ذا نظام صارم... إنّه شكل ارتجالي، آني، ومتغيّر»^(١) ويدلّ هذا الفعل «سال» على نشاطات غير منتظمة تتغيّر باستمرار فتأتي بإيقاعات مختلفة الصور لكنّها متناغمة في بعض أصواتها ونغماتها. وهذا «يوري لوتمان» يشير إلى الكلام ذاته عندما يجعل من الإيقاع مؤشراً «للانتظام والتناغم الزمني الذي يشكّل أيّ عمل منتظم»^(٢). وهكذا يتولّد التكرار، وتظهر التنسيقات الصوتيّة، وتنتشر التوازيات في النصوص الأدبيّة.

والتكرار من المظاهر الأسلوبية الأساسيّة لأنّه المظهر الأوضح في القراءة النصيّة. وهو، استناداً إلى ما جاء عند «جورج مولينيه» «واحد من أبرز المظاهر الإيقاعيّة، لذلك، يمكن أن ينطوي على غايات مثيرة للاهتمام للعالم بأسره»^(٣). فيكون إذًا المؤشّر الأوّل لدراسة سيميائية الإيقاع في نصّ الشاعر «يونس» واكتشاف دلالاته الإبداعية.

يبدو التكرار في قصيدة «الشبح الأمل» حاضرًا، عبر تعبير واضح للمتلقّي، أيّ متلقّ. فالقارئ الجيّد لا يستطيع إلّا الشعور بإيقاع تكرار فعل (تبقى) في القصيدة كلّها.

(تَبَقَى بَحْورًا فِي مَعَابِدِنَا / تَبَقَى الْعَصَافِيرُ، الصَّدَاحُ، عَلَى قِرْمِيدِنَا، / لُبْنَانُ... تَبَقَى لِلْحَيَاةِ يَدًا / تَبَقَى... لَنَا مُدْنًا، قُرَى، جَبَلًا، / تَبَقَى لِأَتَاكَ / فِي الدُّنَى أَبَدٌ)

الفعل (تبقى) هو الدالّ (Signifiant) ويُرْمز له بـ(Sa)، المكان. والمدلول (Signifié) ويُرْمز إليه بـ(S-) ^(٤)

(١) ١٧٤ P, ١٩٩٨, GoëlleGardeTamine, Dictionnaire de critique littéraire, Ceres edition, Tunis

(٢) يوري لوتمان، تحليل النصّ الشعريّ (بنية القصيدة)، تر. محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٧٠.

(٣) Georges Molinié, Problématique de la repetition, In: Langue française, n (٣) ١٠٢ P, ١٩٩٤, ١٠١°

(٤) راجع نظرية الدال والمدلول عند «جورج مولينيه».

وهو يدلّ على المكوث في المكان.

$$Sé1 = Sa1$$

ومع تكرّر الفعل خمس مرّات في القصيدة تصبح الترسّيمة هكذا:

$$Sa1+ Sa2+ Sa3+ Sa4+ Sa5 = Sé1$$

أي أن المتكرّرات الخمسة لها المدلول نفسه. لكنّ الحالة تتغيّر من واحد لآخر:

تبقى + بخوراً

تبقى + العصافير

تبقى + يدًا

تبقى + مدناً، قرى، جبلاً

تبقى + الدُّنى

وهكذا تبدّلت الحالة (Position) التي أخذها فعل البقاء من جملة لأخرى فتارة يطلب أن يبقى لبنان بخوراً، وطوراً عصافير، ومرة يدًا، وأخرى مدناً وقرى وجبلاً، وخامسة يكون دنى. وهي حالات خمس يأخذها البلد الذي ينبّجى الشاعر من موت محتم، لولا وجوده فيه .

والرقم خمسة هو رقم دائريّ الشكل يدلّ على التناغم والمثالية بحسب معجم الرموز^(١).

وهذه الحالات التي وردت في تكرار مدلول البقاء تدلّ على كمال الوطن ومثاليته في الدفاع عن مواطنيه بوجه الوباء الذي ضرب. فلا خوف لدى الشاعر، لأنّ لبنان هو المعبد الذي يصلّي فيه (البخور)

(١) P , 1982, Jean Chevalier et Alain Cheerbrant, Dictionnaire des Symboles, Edition Robert laffront S.A., Paris (1)

وهو العصفير التي تبعث الأمل والرجاء، وهو يد الله التي تنقذ من كل أذى، وهو المدن والقرى بما فيها من مظاهر مختلفة، وهو الدني كلها، وهذا ما يجعل من لبنان الصورة المثلى للخلاص من الوباء الأليم.

ولما كان مفهوم الشعريّة (Poétique) عند «رومان جاكوبسون» يقضي بأنّ «الوظيفة الشعريّة تسقط مبدأ التماثل لمحور الاختيار على محور التأليف»^(١)، ظهر مصطلح التّوازي (Parallélisme). وبما أنّ «جاكوبسون» قد وضّح الخصائص الخاصّة بالتّوازي في أنّها «عبارة عن تأليف ثنائيّ يقوم على أساس التماثل الذي لا يعني التطابق»^(٢)، فهذا قد يشكل القاعدة المثلى والمنطلق أساس لقراءة النصوص القادمة.

(١) رومان جاكوبسون، قضايا الشعريّة، تر. محمد الولي ومبارك حنون، سلسلة المعرفة الأدبيّة، الدار البيضاء، دار توبقال، ١٩٨١، ص ١٠٣.

(٢) الموضوع نفسه.



التوازي

تَبْقَى (أ) الْعَصَافِيرُ (ب)، الصُّنَاحُ، (عَلَى قَرْمِيدِنَا) (ج)،
 تَزْهُو (أ) السَّنَابِلُ (ب) (فِي السُّهُولِ) (ج)،
 يَنْفَتِحُ (أ) الْوَرْدُ (ب)، اصْطَفَاهُ عَدَّ عِطْرًا (عَلَى اسْمِ الشُّوقِ) (ج)
 تَزْهُو (أ) الْجَدَاوِلُ (ب)، (فِي الْحُقُولِ) (ج)،

التوازي

مَا طَالَ (أ) لَيْلُ (ب)
 وَانْزَوَى (أ) صَبِيحُ (ب)

جزوه

تَبْقَى لِأَنَّكَ (أ) فِي الدُّنَى أَبَدًا (ب)
 وَلِأَنَّكَ (أ) الشَّعْبُ (ب) الْأَثَلَى مُسِحُوا

والتوازي، تاريخياً يعيد الاعتبار لظواهر تتعلق بالمستوى الصّرفي-
 النّحوي، فهو «بمثابة متواليّتين متعاقبتين أو أكثر للنظام الصّرفي-النّحوي نفسه
 والمصاحب بتكرارات أو باختلافات إيقاعيّة وصوتيّة أو معجميّة-دلاليّة»^(١).

تبدو العلاقة بين هذه التوازيات دلاليّة مترادفة في الحركة الأولى
 لأنّ عناصر الطبيعة واردة بشكل متكامل (عصافير/سنابل/ورد/جداول)

(١) Jean Molinio et Joëlle Tamine, Introduction à l'analyse de la poésie, PUF, Paris (١) ٢٠٠٩ P, ١٩٨٢.

وفيهما دلالة على الحياة طبعًا خلافًا لمناسبة القصيدة الدال على الموت (الوباء). فالمتلقّي يُنتج صورته عند قراءة النصّ ويكون العالم الفرح عالم الطبيعة، ولا شكّ، فالشاعر ابن الطبيعة البكر، ابن المظاهر التي كوّنت شخصيته الأدبية الإبداعية.

لكنّ الحركة الثانية من حركات التوازي الثلاث فيها دلالة علائقية مبنية على حكمة تقابلية مضادة (ليل/صبح)، وهذا ما يمكن تسميته بإيراد النقيض أي عرض الأضداد، ولكن العلاقة هي علاقة تكامل «فالضدّ يظهر حسنه الضدّ» فلا ليل إلّا ويعقبه نهار، وبالعكس. فالتكامل سيّد الموقف في دراسة التوازي وفي إظهار الإيقاع الخفيّ في نصّ «يونس».

أمّا الحركة الثالث من حركات التوازي فتبني على أساس التناقض الحاصل بين الوطن والشعب، فالوطن أبديّ بنظر الشاعر، لا يفنى ولن تقدر عليه قوى الشهر، والشعب ممسوح أي محميّ ومصان من السوء والأذى.

يقول أرسطو «ما في الصوت هو علامة على آثار الروح، وما في الكتابة هو علامة ما في الصوت. وكما أن الحروف ليست هي نفسها لكل البشريّة، كذلك حتى إنجازات الصوت ليست هي نفسها...مع ذلك فإنّ تأثيرها واحد على البشريّة كلّها...» فالصوت الذي يخرج من الكتابة أو من تجاور المقاطع الصوتية يؤثّر في المتلقّي ويحمل هذا التأثير الوقع نفسه بحسب «أرسطو» في أيّ مكان فُرئ، لأنّ الدلالة التي تخرج من المقاطع الصوتية تحدث تأثيرات في المتلقّي حتمًا.

ولمّا كانت الحروف هي رموز للأصوات، ولمّا كانت الموسيقى الشعرية تتركز على بعض الأصوات، وإذا ما قبلنا بنيات المقاطع الصوتية كما وردت عند «اندره رومان» أدركنا عندها أنّ الشعر العربيّ يستطيع

استيعاب كل التنسيقات الصوتية والهندسات الموسيقية التي تنتج عنه. وقد ظهرت في قصيدة «الشبح الأمل» تنسيقات صوتية متعددة وهذا طبيعي كما أشرنا سابقًا. فجاءت على الشكل التالي:

تنسيق متصل في تكرير معجل ومؤجل

مَا هَمَّ؟ قَدْ سَلِمُوا... وَمَا انْجَرَحُوا.

مَ+أ مٌ+و مَ+ن

وِظَلَالٍ حَوْرٍ... دُونَهُ الرُّمْحُ

حَ+و حُ+و

تَبَقَى الْعَصَافِيرُ، الصَّدَاخُ

صَ+أ صُ+د

وَمَا فِي الخُبْزِ، مِنْهُ كِسْرَةٌ

مَ+أ مَ+ن

يَتَفَتَّحُ الوَرْدُ، اصْطَفَاهُ غَدٌّ

دَ+ص دُ+ن

يَتَفَتَّحُ الوَرْدُ، اصْطَفَاهُ غَدٌّ

فَ+ت فَ+أ

فِي الخُقُولِ، إِلَى إِرْوَاءِ حَلْقِي خَانَهُ قَدْحُ

قُ+و قِ+ن حُ+و

لُبْنَانُ... تَبَقَى لِلْحَيَاةِ يَدًا

لُ+ب لُ+ل

تَبَقَى لِلْحَيَاةِ يَدًا إِذْ تَكْتُبُ الأَيَّامَ



ت+بُ ت+كُ

بِالنُّورِ، بِالْأَحْلَامِ

بِ+نُ بِ+لُ

مَا ظَالَ لَيْلٌ

لِ+يُ لِ+نُ

أُمَّةٌ رَقَصَتْ، فِي سَاحِبِهَا، الْأَرْحَامُ وَالْفَرَحُ.

أُ+مُ أ+رُ

تنسيق منفصل في تكرير معجل ومؤجل

تَبَقَى بَجُورًا فِي مَعَابِدِنَا

بَ-خُ بَ-دِ

تَبَقَى الْعَصَافِيرُ، الصِّدَاحُ، عَلَيَّ

عَ-صُ عَ-لُ

السَّنَابِلُ فِي السُّهُولِ

سَ-نُ سَ-هُ

يَتَفَتَّحُ الْوَرْدُ،

تَ-فَ تَ-خُ

تَرْنُو الْجِدَاوِلُ، فِي الْحُقُولِ، إِلَى

لُ-فِ لُ-إِ

تَسْمُو النَّيْلُ تَضْرَعًا

تَ-لُ تَ-ضُ



إِذْ تَكْتُبُ الْأَيَّامَ، تَتَشَحُّ

ت-بُ ت-ش

تَبْقَى لِأَنَّكَ فِي الدُّنْيَا أَبَدٌ وَلِأَنَّ

ن-ك ن-ن

تنسيق مجموع في تكرير معجّل

إِلَى إِرْوَاءِ حَلْقٍ

إ-ل إ-ر

فِي الْخُقُولِ، إِلَى إِرْوَاءِ حَلْقٍ

ح-ق ح+ل

تَهْفُو الْعَجَائِبُ عَلَّ تُجْتَرَحُ

ع-ج ع+ل

حَسْبُ الْأَصَابِعِ لِلرُّؤْيَى فُسْحُ.

أ-ص و+ي

وَبِنَا سَتَعْدُو أُمَّةً رَقَصَتْ، فِي سَاحِهَا،

س-ت س+أ

فِي سَاحِهَا، الْأَرْحَامُ وَالْفَرْحُ.

ح-ه ح+أ

تنسيق مفروق في تكرير معجّل ومؤجّل

لُبَّتَانُ أَصْحَى

ن+أ ن-أ



أَحْيَايِكَ الشَّبْحُ،

أ+ح -إ-ك

وِظِلَالِ حَوْرٍ

ل+أ-ح

حَوْرٍ... دُونَهُ الرُّمْحُ

ر+ن -ر-م

عِظْرًا عَلَى اسْمِ الشَّوْقِ

ع+ط -ع-ل

حَلَقِي خَانَهُ قَدْحُ

ق+ن -ق-د

تَسْمُو التَّلَالُ

ت+س -ت-ل

عَلَّ تُجْتَرَحُ

ت+ج -ت-ر

تَسْمُو التَّلَالُ تَضْرَعًا

ل+أ-ت

تَتَشَحُّ

ت+ت -ت-ش

تَبَقَى... لَنَا مُدُنًا، قُرَى،

ق+ي -ق-ر



لِأَنَّكَ فِي الدُّنْيِ أَبَدٌ

أَنْ أ-بَ

فِي سَاحِهَا، الْأَرْحَامُ وَالْفَرْحُ.

فِي+ي فَ-رَ

تدعونا هذه التنسيقات إلى الكشف عن شمولية الإيقاع في القصيدة التي ندرسها، خصوصاً وأن الشاعر ينهل من طبيعة بلده وإيقاعاتها الحية، تعلّمه شهيقتها وزفيرها، فيغدو وإياها روحاً واحدة وقلباً نابضاً. وقد ظهرت التنسيقات المتصلة وعددها اثنا عشر تنسيقاً، والتنسيقات المنفصلة وعددها ثمانية، والتنسيقات المجموعة وعددها ستة، والتنسيقات المفروقة وعددها ثلاث عشرة تنسيقاً.

تنوّعت هذه التنسيقات الصوتية لتمنح الحياة للنص وبالتالي للمتلقّي، وهي تضبط الإيقاع التّفسي للكاتب، بإيقاعه متنوّع غير محصور بتركيب معين أو هندسة ثابتة. فتارة تبدو الدلالة الصوتية عنده ذات دلالة وظيفية مطّردة ذات بنية مضبوطة من القواعد المعروفة، وتعتمد على تنوع في موقع الفونيمات، فتستخدم الألفاظ بعلاقات استبدالية، فيتغيّر معنى اللفظة ومدلولها، حيث إنّ أيّ فونيم هو مقابل استبدالي لثانٍ. وهذا الاستبدال يمكن أن يطرأ على المقطع الصوتي أو الحركة في أي كلمة من النصّ. فحين يتغيّر أو يُستبدل سيُحدث تنوّعاً للمعنى الذي يؤدّيه. وطوراً تبدو هذه الدلالة الصوتية غير مطّردة، فلا قواعد تضبط صورها وتنظّم أصواتها الأساسية أو الثانوية، تلك التي يمكن تسميتها بالأصوات فوق التركيبية كالتنغيم أو النبر أو الحذف أو الوقف أو غيرها من الأصوات التي لا تساعد في تأليف بنية الكلمة الصوتية، إنّما تؤدّيها فقط لا غير.

ومن المقاطع الصوتية التي ظهرت بشدّة في تلك التنسيقات نرى الميم والتّاء واللام والحاء والقاف. وهي مقاطع تتمحور بين الهمس (التّاء

والحاء) والجهر (الميم واللام والقاف). ففي الهمس تضرّع وصلاة ونداء خفي إلى الله يأخذ طريقه إلى العمق النفسي للقارئ فيهزّ المشاعر، طلباً للرحمة والخير، فيستدعي العواطف الباطنية، ويتضرّع في ظلّ خطر هذا الوباء الذي فرض على الجميع نداء الخالق والإيمان المطلق مع اقترانه بالصلوات وطلب المغفرة والرحمة من الله تعالى.

وأما الجهر ففيه رجاء بنبرة الفخر والاعتزاز بالانتساب إلى لبنان الوطن / الدرع الحامي من مخاطر الوباء. فتظهر المقاطع الصوتية لتعلن عن ذات الشاعر والصّور الإيمانية التي لا تخفي على أحد والتي تؤثر في النفوس، وقد جاءت، للتعبير عن الذات المنصهرة في روح الجماعة، خصوصاً وأنّ الشاعر كان مشاركاً المجتمع همّة، مخاطباً الوطن وأبناءه بنبرات متعدّدة تشبه ألسن الحكماء الذين لا يميّزون بين العامة (أهلوك). الأمر الذي يؤكد طغيان الانفعال الشعوري، حيث يبلغ التعبير الانفعالي مداه من خلال الاتحاد الكامل بين ذات الشاعر ومشاعره والإيمانية، (تَبَقَى بَحُورًا فِي مَعَابِدِنَا/ تَضْرَعًا/ تَتَشَبَّحُ بِالنُّورِ/ مُسْحُوا). ذلك كّله عائد إلى هذه القدرة الشعورية التي فاضت من أبياته، فخراً وثقة، معلناً عن غلبة الموت بالحياة والرقص والفرح.

٧. نسقيّة الخطاب الأدبيّ وسيميائية التركيب

يحتل الخطاب بجميع أشكاله (قصص، حوارات، نصوص صحفية، إلخ) مكاناً مركزياً في البحث والنقاش في علوم اللغة. فالخطاب هو «استخدام اللغة في موقف عمليّ، ذات صلة بجميع الأفعال اللغوية الأخرى التي يُعدّ جزءاً منها»^(١) فالخطاب يُعنى باستخدام اللغة بين طرفين يفهمانها بناءً على معلومات لغوية مشتركة بينهما فـ« يكتب الأول رسالة

(١) Pierre Achard, La sociologie du langage, PUF (coll. Que Sais-je?), Paris (1) 1993, P. 10.

(مرسلة) ويفهمها و الآخر بناء على نظام لغويّ مشترك بينها^(١) لذلك ترانا لا نفرّق بين الكاتب والمتلقّي في الأهميّة، فحيث يتوجّه الكاتب بالنصّ إلى قارئ، عليه أن يكون جاهزاً للتلقّي، فمن غير الجهوزيّة تلك لن يستطيع فهم المنطوق وقراءة الإشارات النصّيّة المرسلّة إليه. لذلك نعول كثيراً على اللغة الحاضنة للخطاب الأدبيّ. والجميع يدرك أنّ اللغة تتغيّر من كاتب إلى آخر، وذلك تبعاً لمعطيات كثيرة (اجتماعيّة ونفسية وثقافية...) لذلك فهو يكتب بنسقيّة ينفرد بها عن غيره من الكتاب.

والنسقيّة في قصيدة «الشبح الأمل» تؤسّس لرؤيا الكاتب وهدفه من كتابة أبياتها، لأنّها تدلّنا على المفاتيح الحقيقيّة للقراءة الواضحة لها. والتركيّب الصرفيّ النحويّ لا يجيد عن هذه النسقيّة التي يحقّقها هو، ونعني بذلك التركيّب، لذا فالقراءة النحويّة الأولى للنصّ تدلّنا إلى الكثير من المظاهر الخاصة، والكثير من الانزياحات الحاصلة كتقديم الفاعل إلى موقع الابتداء مثلاً:

لُبْنَانُ أَضْحَى وَجَهَكَ الْفَرْحُ / أَهْلُوكَ، بَيْتُهُمْ انْزَوَى حَدْرًا /
لُبْنَانُ... تَبَقَى لِلْحَيَاةِ يَدًا...

أو الحذف الحاصل في القصيدة أيضاً مثلاً:

تَبَقَى بِحُورًا / وَظَلَالَ حَوْرٍ / تَكْتُبُ الْأَيَّامَ، / تَتَشِحُّ / تَحْضُنُنَا /
تَبَقَى... لَنَا مُدْنًا...

هذه الانزياحات التركيبيّة الحاصلة في القصيدة مهمّة لدراسة المستوى النحويّ فيها لكن كيف تحققت النسقيّة في الأبيات، وغالبية الجُمْل تحمل التركيّب الحقيقيّ غير المنزاح عن المؤلف؟

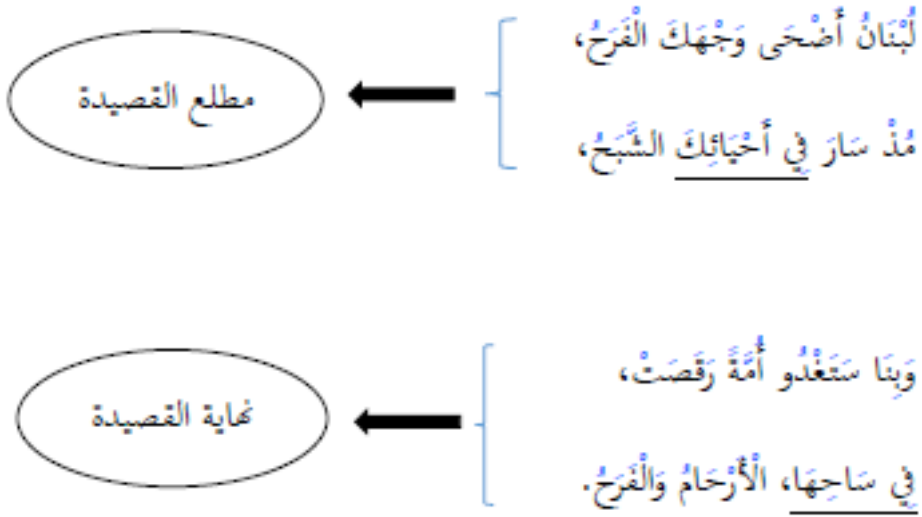
هذا الأمر يدعوا المتلقّي إلى التفكير في القراءة المتعدّدة للنصّ

(١) إميل يعقوب، المصطلحات اللغويّة والأدبيّة، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧، مادة خطب

الإبداعي، وذلك للعشور على مزية خاصة تلفته وتوقفه رغمًا عنه لأنها خاصة بالقصيدة/الشاعر وخاصة بالأسلوب «اليونسي» الذي ينفرد عن غيره من الأساليب التي تكتب الشعر في مجتمعاتنا.

فقرأنا القصيدة مرّات متعدّدة وسطرنا تحت ما لفت انتباهنا من تراكيب القصيدة النحويّة على غرار ما عبّر عنه («ليوسبيتزر Leo Spitzer») الذي يُعدُّ من أهمّ مصمّمي الأسلوبية التكوينية Génétique (Stylistique)، وهو الذي قام بإرساء نقد مبنيّ على السمات الأسلوبية للعمل، رافضًا التقسيم التقليديّ بين دراسة اللغة ودراسة الأدب. فقال: «حين قرأت الروايات الفرنسيّة الحديثة، اعتمدت أن أشير بخطّ إلى العبارات التي يستوقفني الانزياح الحاصل فيها بالنسبة إلى المعنى العام؛ وغالبًا ما تبدو المقاطع المشار إليها بخطّ متّحدة ومتماسكة. فتساءلت إذا كان من الممكن أن نعثر على قاسم مشترك بين هذه المختارات، أو إذا كان من الممكن أن نجد الأساس الروحي والجذر النفسي الخاصين بملامح الأسلوب المختلفة التي تطبع الشخصية الفرديّة لكاتب ما»^(١). فعثرنا على نسق تركيبّي تكرر في بداية النّصّ وفي نهايته، وهو يعلن عن انزياح لافت في لغة الشاعر الرصينة. هذا الانزياح يضرب بنية الجملة الفعلية ويفرّق بين المسند والمسند إليه. وإليكم الأنموذج:

(١) Leo Spitzer, Etudes de Style, Gallimard, Paris (١٩٧٠), P ٥٤



هذا المظهر الأسلوبى التركيبى لم يرد إلا في مطلع القصيدة وتكرّر في نهايتها، مع العلم أنّ القصيدة بغالبية جملها فعلية تؤسس لحركة ديناميكية، فيها من الزهو والتفتح والسموّ والكتابة والاحتضان... والكثير من ملاءمات النصّ الحركية. لكنّ اللافت يبقى هذا الفصل المقصود أو غير المقصود بين المسند (سار / رقص) والمسند إليه (الشبح / الفرحة). والفصل جاء بشبه جملة (جار ومجرور) (في أحيائك / في ساحها).

بين السير والرقص مساحة واسعة، وعمر الإنسان يحملهما معاً، فالسير يدلّ بطبيعة الحال على رتابة الحركة وتكرارها، أمّا الرقص فمؤشّر لحركة متعدّدة، فتارة صعوداً وطوراً هبوطاً وهاذئاً وكثيفاً. والسير يتقنه الإنسان، أيّ إنسان وكائن يعيش في حياته بشكل طبيعيّ، لأنّه الوسيلة الأولى التي يتنقل بها الإنسان من مكان إلى آخر. لكنّ الرقص فيتنقن بالمعرفة والقصد ويتعلّمه الإنسان للتعبير عن شعور يحركه ويدفعه إلى فعل الحركة.

أضف إلى ذلك، التعارض الحاصل بين المسند إليه في البداية مع

ورود كلمة (الشَّبح) وفي التَّهْيَاة مع ورود كلمة (الفرح). وهذا التَّعَارُض النقيضي يفتح القصيدة على مصيبة ووباء لا يمكن رؤيته بالعين المجردة لأنَّه مجهرِي «مرض كوفيد - ١٩ هو مرض معد يسببه فيروس كورونا المكتشف مؤخر ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس. وهذا المرض المستجد في مدينة يوهان الصينية في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٩»^(١). لكنَّ الشاعر يختم قصيدته بفرح يعمُّ الوطن وأبناءه؛ والفرح حالة تنتاب الإنسان وتشعره بجميل الحياة وهنائها.

أمَّا الجار والمجرور (في أحيائك / في ساحها) ففيه دلالة على المكان. فالحي هو المكان الحميمي للإنسان، مكان الولادة، حيث الذكريات التي تعطي للإنسان وجوده، والساحات هي المكان المفتوح الذي يجسّد الرؤيا ببعدها الواضح المعروف. لذلك جاء هذا التركيب ليؤكد على أنَّ الحرب التي شتَّها الوباء في عقر دار الشاعر/الإنسان قابلها الشاعر/المبدع بفرح العيد ومظهر البهجة التي تأثّر فيها وانطبعت في لاوعيه، فجسّدها حاضرًا يعيشه ويستمدّ منه القوة في المواجهة الدفاعية الأولى.

٨. خاتمة البحث

هذه دراسة أسلوبية سيميائية دخلت إلى الفضاء الشعري الكوروني، لتصل إلى المتلقّي الذي هو فعل أساس في العملية الإبداعية، وهنا كنه النظرية الأسلوبية السيميائية. كما أعلنت هذه الدراسة مع الشاعر «حبيب يونس» عن تعويد البقاء والفرح في خضمّ أزمة الوباء الذي ضرب العالم.

انطلقت الدراسة من النصّ الشعري إلى المتلقّي، لذلك تناولت في أجزاءها الكبرى نقطتين بارزتين هما الهيكل الأساس لإجراء الاستقبال، ونسقية الخطاب الأدبي وسيميائية التركيب. فكان العمل على مسح أبيات

(١) راجع كتيب فيروس كورونا المستجد، دليل توعوي صحّي شامل، منظمة الصحة العالمية، النسخة الأولى ٢٠٢٠/٣/٥

قصيدة «الشبح الأمل» للشاعر «حبيب يونس» ليس بهدف الدراسة الإحصائية فحسب، وليس بغية الدراسة الألسنية للنص الشعري كما سارت العادة في الدراسات الأسلوبية، بل بهدف الوصول إلى القراءة السيميائية التي تظهر كنه الأسلوب وتكشف صورته ورموزه.

لذلك انطلق البحث من النص الشعري وبنيت الدلالة الكبرى، وهو يشير إلى موضوع جائحة كورونا (Covid-19) التي ضربت العالم بعامّة ولبنان بشكل خاص، فحرّكت الإبداع في مخيلة الشاعر، وقدمها للمتلقّي. فوصل البحث إلى ذاك المتلقّي ففككنا الإيقاع بوجهيه الخارجي والداخلي، لنقرأ السمات الخاصة به، عبر دراسة شاملة له. فتبيّن أنّ الشاعر يبتّ وبشكل خفيّ وجهًا من وجوه الأمل والحياة، كما يجابهه في إيقاعاته جائحة الشرّ المستشري، ليستأصله ويقضي عليه.

وبما أنّ النصّ، مطلق أيّ نصّ، يتألّف من شكل ومضمون، وانطلاقًا من إيماننا بأنّ اللغة الحاضنة للنصوص تعبّر برموزها الصرفية والنحوية عمّا وراء تلك اللغة، كان لنا عرض مسهب للانزياحات الحاصلة في تراكيب القصيدة، وفي بنياتها التحويلية، فظهرت اللغة، على الرغم من جدّتها ورسانتها، وعلى كثرة الحركة المتأتية من تراصف الأفعال الحاملة لقضية الشاعر، تعويدًا تدافع عن الشاعر وأبناء الوطن.

وأخيرًا المسؤولية التي تُلقى على المبدع توجّه الأدب في حدود الحياة التي يعيشها، أمّا المسؤولية التي تلقى على المتلقّي فهي توجّه العالم إلى رؤى جديدة وعوالم لا حدود لها. إنّها للبقاء حتمًا.



المصادر والمراجع

المصادر

* يونس، حبيب، الشبح الأمل، ٢٢ - ٣ - ٢٠٢٠

المراجع العربية والمعربة

* ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط١، ٢٠٠٠.

* جاكوبسون، رومان، قضايا الشعرية، تر. محمد الولي ومبارك حنون، سلسلة المعرفة الأدبية، الدار البيضاء، دار توبقال، ١٩٨١.

* الحمزاوي، علاء، محاضرات في العروض والقافية، دار التيسير للطباعة والنشر، ٢٠٠٢.

* لوتمان، يوري، تحليل النص الشعري (بنية القصيدة)، تر. محمد فتوح أحمد، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٧.

* يعقوب، إميل، المصطلحات اللغوية والأدبية، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧.

المراجع الأجنبية

* Achard, Pierre, La sociologie du langage, PUF (coll. Que Sais-je?), Paris, 1993.

* Bertrand, Denis, "Style et semi-symbolisme", dans Eric Bordas, et Georges Molinié(dir.), Style, langue, société, Paris, Edition honoré champion, 2015.

* Chevalier, Jean et Cheerbrant, Alain, Dictionnaire des Symboles, Edition Robert laffront S.A., Paris, 1982.

* Garde Tamine, Goëlle, Dictionnaire de critique littéraire, Ceres edition, Tunis, 1998.

* Mendo Ze, Gervais, Approches stylistiques du texte écrit ou oral, université du Yaounde, 2010.

- * Molinié, Georges, et Alain Viala, Approches de la re-ception, PUF, Paris, 1993.
- * Molinié, Georges, Introduction à la sémiostylistique, Université de Paris IV, 1993.
- * Molinié, Georges, Problématique de la repetition, In: Langue française, n°101, 1994.
- * Molinié, Georges, Sémiostylistique: à propos de Proust, in Versants n.18, 1990.
- * Molinié, Georges, Sémiostylistique Leffet de l'art, PUF, Paris, 1993.
- * Molinio, Jean et Tamine, joëlle, Introduction à l'analyse de la poésie, PUF, Paris, 1982
- * Pound, Ezra, A.B.C. de la lecture, Gallimard, Paris, 1967.
- * Spitzer, Leo, Etudes de Style, Gallimard, Paris, 1970.





صدي جائحة كورونا في القصيدة الموريتانية: قراءة في الأسلوب والموسيقى الشعرية

عبد الوهاب الشيخ الحطاب الشيخ سعدبوه^(١)

جامعة عبد المالك السعدي - موريتانيا

hatap7080@gmail.com

مقدمة

انتشر خبر كورونا في العالم، فأصبح حديث الساعة، حيث دخل خبره كل بيت، بدوا وحضرا، وقد وجد الإنسان نفسه مذعورا يتوجس من هذا الداء القاتل لا يدري أيكون من المفلحين الناجين من بطش الوباء؟ أو من المصابين المصطلين بدخانه، ونظرا لقوة فتك كورونا بالبشر تعددت الأساليب في مواجهته بغية التخفيف من انتشاره، لذا وجدنا القنوات تتنوع، فهناك الحملات الإعلامية المتعددة القنوات، وهناك قوى الدولة، كما أن المجتمع لم يأل جهدا في مؤازرة الحكومات بشتى مواهبه الإبداعية، وهنا سيطر البحث على واجهة طالما تعلق بها الإنسان العربي وتغنى بها في مختلف حياته فرحا وترحا. قصدت بذلك الشعر.

اعتنى العربي بالشعر منذ أمد فكان صديقه في السلم، وأنسيه في الخلوات، وسلاحه في الحروب يذود به عن عرضه وقبيلته.

ولما انتقل العربي من صفيح البداوة إلى نعيم الحضارة لم ينفك عن الشعر ولم يسلمه، بل تعهده في كل أوقاته، وقد عرف ذلك على مر الحقب.

(١) محاضر مادة النحو في قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - موريتانيا، له بحوث علمية في علوم اللغة، والدراسات القرآنية، شارك في ندوات علمية ومؤتمرات دولية.

وخير دليل على ذلك تعاطي العربي مع أزمة كورونا، حيث شاهدنا الشعراء يؤازرون مجتمعاتهم مظهرين الولاء للأمة، ساعين إلى إنقاذها من براثن الوباء، فما من شاعر إلا نصح بلغته الجزلة، وبث كوامنه بشعر رقيق، فقدم أشعارا سائرة، تحسيسا بمخاطر داء كورونا. ونظرا لكثرة الشعراء اختص البحث بالنظر في أشعار موريتانيا.

إشكالية البحث

إن أي بحث تتوخى منه نتائج علمية لا بد أن ينطلق من سؤال جوهري يبعث على البحث والتنقيب عن أمر خفي، بغية تفسيره وإظهار رموزه الكاشفة له. وسؤال هذا البحث ينبثق من عدة أسئلة هي: كيف نظر الشعراء الموريتانيون إلى جائحة كورونا؟ ما حجم تفاعلهم معها؟ ما دورهم في تعبئة المجتمع من خطر الوباء؟ ما الأسلوب الذي اتبعوا في قرص الشعر؟ هل الشعر المعاصر/ الحر؟ أم الشعر القديم؟

منهج البحث

يتعاور البحث منهجان:

١- المنهج الوصفي حيث يسعى إلى وصف الظاهرة، وتحليلها، استنادا إلى معطيات متعددة.

٢- منهج الدراسة المصطلحية، إذ يعنى أساسا بتتبع المصطلح وإحصائه إحصاء تاما، سواء أكان مفردا، أو مصاحبا بضمائم، ومشتقات^(٢).

وكلا المنهجين يرى الباحث أنهما العدة المثلى في لّم شتات البحث، ودراسته دراسة علمية جادة، حيث يسند إلى المنهج الوصفي تحليل الظواهر اللغوية والفنية في القصيدة، في حين يقوم منهج الدراسة المصطلحية بالنظر في المفاهيم، ودراستها لغويا واصطلاحيا ليجلي حقيقة المفاهيم.

(٢) نظرات في المنهج والمصطلح، د. الشاهد البوشيخي بتصرف، مطبعة أنفو، فاس. ط. ٤، ٢٠٠٢م.



المبحث الأول: نماذج من قصائد كورونا

وهنا لا بد أن أشير إلى حقيقة لا مناص منها، وهي أن الدراسة ليست شاملة لجميع الأشعار الموريتانية التي قيلت في كورونا، لأن ذلك يتعذر لسببين:

١ أن الإنتاج الشعري يتجدد كل وقت، لأن الوباء ما زال منتشرًا، لهذا لا نعدم شعرا جديدا يولد مع كل فجر، بسبب فاجعة - موت أو إصابة بالمرض-، فالشاعر كلما أحس بضيق تنفس شعرا.

٢ كثرة الأشعار وتعدد الشعراء، لهذا يكون رصد جميعها وتناوله بالتحليل مطلب صعب المرام، خاصة إذا تعلق الأمر ببحث موجز، غايته تسليط الضوء على ظاهرة مخصوصة في زمن معين.

وإذا ساغ لي التجوز في العنوان «القصيدة الموريتانية» فحسبي أن أثبت بعض النماذج ليطلع عليها القارئ، حيث تمنحه تصورا عاما عن مواجهة الشعراء الموريتانيين لوباء كورونا المستجد.

وليس تخصيص هذه النماذج دليلا على تفوقها وفرادتها، فقد يكون المتروك أجمل وأبدع، غير أن عين الباحث لم تقع عليها أصلا لكثرة القصائد، أو وقعت عليه لكن لتقاطعها مع بعض النماذج في الأسلوب والموسيقى الشعرية جعلني أبعدها، لئلا يقع التكرار، ذلك أن النماذج المثبتة راعيت فيها ما أمكن اختلاف اللغة الشعرية والأسلوب، وهذا قد يبعث على الاكتفاء بها دون غيرها.

معجزة كورونا: محمد الحافظ ولد أحمدو

حتى إذا أخذت ذي الأرض زخرفها وظن ماردها العاتي أن اقتدرا
وازينت بتهاويل الغرور له حتى تناسى الجهول الغافل القدرا
وراد منتجع الأفلاك من زحل من بعد ما قد تخطى الأبلج القمرا
فقال سيد أبراج السماء أنا ليخضع الناس إن ينهي وإن أمرا

هناك أنزل رب العرش آيته مخوفاً بجلال القهر من فجرا
أمسوا مباهيت رغما عن تقدمهم يسائلون عن المقدور كيف جري
في لمحة الطرف عم العالمين وبا كورون كالعاصف الطوفان منفجرا
فالعالم اليوم مرعوب ومنخذل يخشي ذبابا بلحظ العين ليس يري
والسامدون غواة الأرض قد خشعوا يستنطقون هنا التاريخ والسيرا
أمسوا سواسية كالمشط في ذعر والكل أصبح جلس البيت منخدرا
لا يشهدون نديا من منازلهم كلا ولا سامر في حيه سمرا
حتى الأطباء ما ينفك يحصدهم هذا الوباء الذي فيه هم الأمرا
قد أظهر الله في كورونا معجزة تعيي العقول وتعيي خبرة الخبرا
سيان أغنى جميع العالمين بها في الهول من رعبه مع أفقر الفقرا
أعناق صعر الرقاب الغلب في خاضعة لكاهباعات الأرضين وانتشرا
أين الغلبة من أمريك كيف غدت كالطفل يمرث منه الودع منذعرا
لن يجدي الدول العظمي تقدمها فيه ولم يك عنها يدرأ الخطرا
أمسى الجميع لعز الله ذل ولم يعد أخو بطر يستشعر البطرا
ومنك لا ملجأ إلا إليك أيا مولاي فلتصرف الأوباء والغيرا
وبالكلاءة فاكنفنا بلطفك في أسوار حفظك بالمختار من مضرا
فقد تعذرت الأسباب من أمم كانت تعد لدينا السادة الكبرا
لم تشك مشتكيا إلا بوصفتها ليلزم المخدع الإنسان منحجرا
كالسامري تراهم لا مصافحة بين الأخلاء مهما تلتقي زمرا
شدت مناخرهم كلا كمائمهم والبعض في جورب كفيه قد شجرا
بك استجرنا إلهي يا مجير أجر من آمنوا بك يا من أنزل السورا
وبالرسول وبالكتب التي نزلت فخرتهم بين أشتات الورى خيرا
وصل خير صلاة منك دائمة علي الرسول الذي قد أكمل البشرا

خاتمة الجائحة: ناجي محمد الإمام

تدري الحروف التي علمتها الغيدا والفتح والضم والإدغام والمددا



أني بزلة هذا اليوم ذو خُبْرٍ أنه يوم جُرم القادة البُدا

من خارج الفكر والإيمان قد صنعوا مشروع يومٍ يببئ الكون

معتَمدا

القصيدة الكورنية: أحمد ولد الشيخ.

من الحُب أن تنأى وتهجر من تهوى وإلا تكن عرّضت حَبَّكَ

للأدوا

ومن صلة الأرحام ألا تزورهم فإن زرتهم قد تجلبب الضّرّ والبلوى

فلا تنشروا «فيروس كورونا» إنّه قد انتشرت عدواهُ فلتحدروا

العدوى

فيا أهل يا أحبائنا لا تصافحوا ولا تخرجوا-إلا اضطرارا- من

المثوى

أحمد سالم ولد عموه

خيّم الرعب بيننا وتجافى كل حِبّ عن حِبّه إذ خافا!

فترى منصفًا من الناس طورا وترى من لا يعرف الإنصافا

نغص العيش زائر لا نراه غير النهج وافترى وأضافا

وتمنى الورى الرجوع وراء ليت شعري هل بعده نتعافى؟

دانق عاث في البلاد فسادًا وأبادت سهامه الآلافا

أدي ولد آدب

رمضان.. صافح.. دون فُقاّر.. هنا مُستقبليكَ.. وُقُل: أنا البُشرى.. أنا

شهرُ السلام.. يفوح.. دون كِمامةٍ مَيّ شدا الرّحمات.. يعبئ.. في الدّنا

أنا هازمُ البلوى إذا الشكوى إلى الباري سرت مجوى.. تهّدج بالمنى

ملء التباريح.. التراويح.. السّما تحنو.. هنا: يا أرض.. قد كُشف الصّنا

يا أرض.. قد كُشف الصّنا.. يا أرض قد كُشف الصّنا.. يا أرض.. قد

كُشِفَ الضَّنَا

المختصر المفيد في نازلة كوفيد، التقي ولد الشيخ.
رَبِّ قِنَا بِحِصْنِكَ الْحَصِينَ مِمَّا بِهِ يَقْدِفُ سِوَرِ الصِّينِ
فَإِنَّهُ أَلْقَى الْبِرَايَا فِي سَقَرٍ كُوفِيْدُهَا عَلَيْهِ تِسْعَةَ عَشْرَ
وَالرُّومَ قَبْلَ بَدْءِ الْأَمْرِ كَانُوا عَنْهُ بِمَعْزِلِ وَالْأَمْرُ كَانِ
الْأَرْجُوزَةَ الْكُورُونِيَّةَ، أَحْمَدُ سَالِمُ مَقَامُ
حَمْدًا لِرَبِّي مُنْزِلِ الدَّوَاءِ لِكُلِّ دَاءٍ، كَاشِفِ اللَّأْوَاءِ
مُصَلِّيًا عَلَى الرَّسُولِ الْقَاضِي بِالْحَجْرِ، إِنْ يَنْزِلُ وَبَاءٌ قَاضٍ
مَا كَادَ يَمْضِي عَامٌ (تِسْعَةَ عَشْرَ حَتَّى سَرَى (كُوفِيْدُهُ) بَيْنَ الْبَشَرِ
وَلَا حَ فِي الصِّينِ لَهُ ابْتِدَاءٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْشُوَ مِنْهَا الدَّاءُ
وَكَانَ بُؤْرَةً لَهُ (وَوَهَانُ) وَحَارَ فِي تَشْخِيصِهِ الْأَذْهَانُ

إن الناظر إلى بعض عناوين النماذج يصاب برعب مخيف لتفاقم وباء كورونا في مخيلة الشعراء، لذا كل شاعر منح قصيدته عنوانا يفصح عن أحاسيسه تجاه الوباء، فقبل أن يلج المتلقي القارئ إلى عتبات النص الشعري، لا بد أن يمر بعنوان القصيدة متوقفا لدى إيجاءاتها الشعرية المكتنزة المعاني، لأن العنوان هو قنطرة القصيدة، ومفتاحها الذي تتجلى فيه ملكوت الباعث على القول، كما أنه رمز مهم في توصيف الغرض المتوخى من الشعر. ونظرا لتلك الأهمية نوميء بشكل سريع إلى قراءة عناوين القصائد لنرى شحنتها الدلالة، ومدى استجابتها مع حجم وباء كورونا.

معجزة كورونا يحيل عنوان إلى عجز الإنسان عن تصور أمر كورونا، فوقف حائرا لا حيلة لديه غير التسليم، فالأمر استفحل شأنه،

حتى أنفذ طاقات المخلوقات، وأظهر أنهم غير قادرين على الصمود، لأن الوباء رسالة قادمة من إله مطلق التصرف يمنح الآيات ليطلع المخلوقات على ضعفها، وحاجتها إليه، ومن ثم تأتي للشاعر أن يسمي قصيدته بمعجزة كورونا.

خاتمة الجائحة

انزاح ناجي عن اللقب الشائع «كورونا» مستعملاً بدله الجائحة، وليس المراد بجثم الجائحة سوى انتهاء الظلم المعتم على الشعوب من طرف الحاكمين، لذا كان التعبير بالجائحة أكثر بلاغة من كورونا، لأن الظلم ليس جديداً على أهل الأرض، بل أطبق العالم منذ أمد حتى اسودّ وجه الأرض، ولم يعد للحياة طعم، لهذا جاء وباء كورونا انتقاماً لأولئك الضعفاء من أباطرة الظلم، فالكل بجائحة كورونا أصبح في حيز جغرافي واحد، لا ميزة للغني على الفقير، كل خلف الآخر في المستشفيات، والجرعات الطبية، بعد أن كان الأباطرة في عليين لا يرون إلا من غرفهم الزجاجية.

القصيدة الكورونية وهذا العنوان ليست له خلفية خارجية، وإنما سلك صاحبه طريق التصريح، وتسمية الأشياء بألقابها، فالقصيدة لما كانت أحداثها تركز على وباء كورونا وسبل الوقاية منه سميت باسمه.

المختصر المفيد في نازلة كوفيد. نظم ينخرط في سلك النظم التعليمية التي يروم بها أصحابها تقديم مادة جاهزة للمتعلمين بغية حفظها والاستعانة بها على استظهار قواعد وأحكام العلم، فكأن كوفيد بحكم حدوثه صار مثل الأمر الجديد الذي يطلب من الفقيه إفراغ جهده ليبين للناس حكم الله في الطوارئ المستجدة، ولهذا نجد الشاعر يذكر اسم «النازلة»، مستلهما التراث الفقهي، حاثا المتلقين على الوقاية من فتك هذا الوباء، حيث يستدعي جهوداً مكثفة لتجنب أخطاره. ثم إن العنوان أشار إلى معادلة ربما يكون لها أثر جليل في مخيلة المتلقي

باستجماع قواه إلى قراءة مضمون المقول، ذلك أن العنوان مركب من شطرين لكل منها دلالة حجاجية تحدث أثرا إقناعيا في نفس المتلقي:

* المختصر المفيد

* في نازلة كوفيد

فالشطران متماثلان وزنا وحروفا، لذا أكسبا العنوان جزالة في اللفظ، وشاعرية في الدلالة.

الأرجوزة الكورونية، وهي تشي بالبحر الذي نظمت فيه ، وهو «الرجز»^(١)، كما تعلم القارئ بالغرض الباعث على نظمها.

نستخلص من عناوين القصائد أن كورونا أمر مدلم الخطب، فهو معجز للبشر، وجائحة تهد الجبال «الطغاة»، ونازلة تقتضي الفتيا، وألم يبعث على القول، وقاية للمجتمع من محالبه المهالك المحدقة به.

المبحث الثاني: المصطلحات الشائعة في زمن كورونا: دلالاتها اللغوية والتداولية في الشعر.

اللغة ملكة منحها الله لبني البشر ليتواصل بعضهم مع بعض، تحقيقا لمصالح اجتماعية، ومن خصائصها أنها تتجدد، تلبية لمتصورات الأشياء الطارئة، لذا لما عصفت وباء كورونا تدفق في الساحة جمع غفير من المصطلحات العلمية، ذات الدلالات المختلفة، تعبيرا عن الحالة الاجتماعية المطبقة على العالم. ونظرا لاختلاف مسارب كورونا تعددت المسميات والألقاب، تبعا لذلك. وإذا كان المصطلح هو مفتاح التواصل، وأساس التفاهم بين المجتمعات، فإن البحث تتبع القصائد الشعرية الموريتانية، بغية استكشاف المصطلحات الكورونية، حيث وقف على جملة من المفاهيم أمكن تصنيفها على النحو التالي:

(١) الرجز بحر من البحور الخليلية يتميز بكثرة الزحافات، ينظر، أهدي سبيل إلى علي الخليل، ص: ٤٨.



١- مصطلحات الوباء

نقصد بها المصطلحات التي أجريت على الوباء العالمي سواء المشهور منها السائر بين الناس، أو المظمور الذي لم يتداول إلا عند بعض الخاصة.

واعتمادا على تقنية الإحصاء، وأهميته في إبراز قيمة المصطلح من حيث دورانها في التداول الخاص تمخض عنه جمع كم من المصطلحات، وهي:

كورونا، الوباء، كوفيد١٩، البلاء، الذباب، الفيروس، البلوى، الآية، الخطر، سور الصين، فيروس كورونا، المارد الفظيع، صولة الفيروس، عضال الداء، الدانق، الكرب.

إن نظرة فاحصة على المصطلحات ندرك من خلالها جملة من المتصورات تبعث على الاعتناء بأمر المفاهيم، عناية علمية فائقة، إذ ضبط المصطلحات رأس الانطلاق المؤسس على التكامل المعرفي.

وتجلية لدراسة المصطلحات الكوفيدية يكون بإمكاننا تصنيفها تصنيفا علميا حسب المنجز التداولي، وذلك على النحو التالي:

أ - مصطلحات قديمة في التداول استحضرت تعبيرا عن استفحال المرض، نحو: البلوى، البلاء، الداء، الكرب، الخطر.

إذا رجعنا إلى دلالة الألفاظ الخمسة في المعجم ألفينا أنها تدور في فلك واحد، هو وقوع أمر غير مرغوب فيه، لا قدرة للمرء على دفعه، لأنه من المقدرات النازلة من الخالق عزت قدرته. من هنا نجد أن أكثر الشعراء عزى سبب وقوع كورونا إلى مخالفة الناس لأمر خالقهم، لذا عاقبهم بأن أرسل إليهم سلطانا لا قبل لهم به.

ب - مصطلحات استعارية: الذباء، المارد الفظيع.

الذباب هو في الأصل حيوان معروف^(١). غير أنه هنا ذهب به في الشعر إلى مرض كورونا لعلائق تنقح في ذهن الشعراء، أدى إليها محاولتهم لتوصيف الحالة الشعورية التي يجم بها العقل وقت نظم الشعر، حيث^(٢) يتميز الأدباء بقدرة عالية على اكتشاف العلاقات المنطقية بين الأشياء أو ابتكار هذه العلاقات إن لم تكن توجد^(٣).

وإنما عبر بالذباب تفضيحا لحالة المرض، فالأصل تشبيه كورونا بالذباب، لكن حذف المشبه وأداة التشبيه، انزياحا إلى أسلوب الاستعارة لما تضيفه على الخطاب، خرقا لأفق التلقي، وإسهاما في جلب الطلاوة للشعر، فالانزياح عن المألوف له أسرار جمالية في النص، حيث يظهر المعنى مطرزا في ثوب قشيب يبهر الأبصار، ويضطرب الأسماع، ولا شك أن ذاك مطلب شرعي يبذل الشاعر قصارى جهده لتحقيقه، إذ هو المعيار الأجدى في معرفة تجاوب الآخر مع مقصدية الرسالة.

المراد الفظيع

سمي كورونا بالمراد الفظيع، إشارة إلى خطره وما استباح من حمى البشر، وهذه الضميمة الوصفية لدى تفكيك بنيتها تلفى مركبة من معنيين يجسدها كورونا على الواقع المعيش.

فالمراد في اللغة: العاتي الشديد العتو، ج مرده^(٣). والفظيع من قولهم: أفضع الأمر وفضع: اشتد وعظم، واستفضعته وأفضعته وتفضعته: استعظمته ووجدته فظيعا^(٤). ولا شك أن كورونا عتا وأخضع العالم بجورته، كما اشتدت فظاعة وطأته فتكا بالمجتمع حتى قلبت موازين العالم، إذ أصبح جامدا مشلول الحركة، لذا استعظم أمره.

(١)

(٢) فاعلية الاستعارة في التركيب اللغوي للأدب، أكرم علي معل (رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، ٢٠٢٠م، جامعة البعث)، ص: ١٨١.

(٣) معجم متن اللغة (٢٧٣/٥)

(٤) المجموع المغيب في غريب القرآن والحديث (٦٢٧/٢)



وإنما عدل في التسميتين إلى الاستعارة تفخيماً لداء كورونا، وأخطاره المفجعة، التي خلفت كوراث جليلة على الإنسان، قتلاً، وتشريداً، فهو داء رغم مرور شهور عليه لم يكشف له دواء يقى البشرية من ناره المسعرة. فهو كما وصفه التقي ولد الشيخ، مفصحا عن قوته، وعدم طاقة الإنسان عليه: (١).

لكنَّ كوفيدَ بدا صعب المراس لم يقم منه احتراقٌ واحتراس
فقتل الشباب منهم ضاربا حدسهم وقتل الشَّهَارِبا

ج - مصطلحات جديدة: فيروس،^(٢) سور الصين^(٣)، كورونا، كوفيد تسعة عشر»^(٤) ١٩.

فكل هذه الألفاظ لا نجد لها ذكرا في المعاجم القديمة، بل مستحدثة في الحاضر، إيدانا بجواز استعارة الألفاظ من لغة إلى أخرى، فالعالم كتلة واحدة، وجسم واحد، غير خاضع للتجزئة الزمانية والنوعية لدى الأزمات، بل قد يفهم اتحاد اللغات في التسمية بناقوس الأخطار الناجمة عن كورونا، لهذا أجموا على ألقابه بمسميات لا تعزب عن أحد عند سماعها.

٢- المصطلحات الدالة على سبب الإصابة بكورونا وما نتاجه

إن كورونا شاع أمره، وذاع اسمه حتى غدا حديث الساعة، فالأبصار خاشعة، والقلوب واجفة لا يدري المرء أيسلم من مخالفه المضية؟ أم سيصطي من سموه الفاتكة؟ وتباعا لها جس الخوف لجأ الإنسان إلى اللغة متخذاً منها أداة وصفية سعياً منه في التحذير من لفحات كورونا، لهذا وجدنا مصطلحات هي:

(١) المختصر المفيد في نازلة كوفيد، البيت، ١٤.

(٢) فيروس: بالفتح كائنات دقيقة لا ترى بالمجهر العادي تنفذ من الراشحات البكتيرية، وتحدث بعض الأمراض، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة وهجاتها (ص: ١٦٠).

(٣) أضيف إلى الصين، لأنها أول دولة ظهر فيها.

(٤) نسبة إلى السنة التي تفشى فيها الداء، وهي سنة ٢٠١٩م.

، العدوى، البؤرة، المخالطة، العطاس، المصافحة، الاجتماع، الفتك،
والبطش. التعافي.

٣-المصطلحات الوقائية

وتلك جعلت سببا يمنع من انتشار كورونا بين أفراد المجتمع،
وهنا نقف على المفاهيم التالية:

الكمام، الكمامة، الجورب، غسل اليدين، مسافة المترين. الخطر،
الحجر، المكث في الدور، حلس البيت، التجوال، لزوم الفراش، لزوم
المنازل، تغطية المنخر، الطبيب، الزيارة، منع اليد، المشافي.

فهذه المفاهيم مع اختلاف ألفاظها ومدلولاتها إلا أنها تسعى إلى
شيء واحد، هو التخفيف من انتشار الوباء، دحراله، لينحسر فتكه.
والشعراء هنا استقوا معجمهم اللغوي من الساحة الاجتماعية، رغبة
منهم في مشاركة المجتمع في مآسيه، لأن الشعر له جمهوره الفذ، لذا عمد
الشعراء إلى توصيف الوباء لهم، ليأخذوا الوسائل الوقائية

المبحث الثالث: الأسلوب والموسيقى الشعرية

نظرا لكثرة الشعر الموريتاني المتناول قضية كورونا، واعتبارا
للشروط المدونة لمواصفات البحث من حيث الكم الورقي، سأقتصر في
دراستي الأسلوب والموسيقى على قصيدة محمد الحافظ معجزة كورونا،
وليس استبعاد غيرها إلا مخافة تجاوز الحد المطلوب، علما أن تلك
الأشعار تعيننا لحسنها وما اشتملت عليه من الجمال الإبداعي، لكن
نرجع دراستها إلى فرصة أخرى.

أولا: الأسلوب

تعتبر دراسة الأسلوب من الدراسات الحديثة التي ارتبطت
باللسانيات الحديثة منذ فجر القرن المنصرم، حيث استعان بها النقاد

إلى الكشف عن أغوار النص الأدبي، مظهرين مكامن جماله، ومبرزين الخصائص المميزة للعمل الإبداعي.

اختلف الدارسون في تعريف الأسلوب والأسلوبية، ورسم حدودها الجغرافية لتناول النص الأدبي، وذلك راجع إلى اختلافهم في المنطلقات والآليات المتخذة لدراسة النص. ولعل أجمع تعريف

مظاهر الأسلوب في القصيدة

نقصد بالعنوان دراسة بعض المظاهر الأسلوبية التي امتطها الشاعر في قصيدته ليعبر بها عن أحاسيسه وما يدور في نفسه تجاه وباء كورونا الذي أطبق العالم وشّل حركته. ولأن الشاعر مسكون بحب أمته وآهاتها المفجعة، وملقى على عاتقه المساهمة في توجيه المجتمع والأخذ به إلى ساحة الأمن والاستقرار، كان لزاما عليه أن يختار لقصيدته أساليب تتساقق والحالة الراهنة، ليلفت ألباب القراء إلى خطورة المرحلة، وضرورة الأخذ بالأسباب الناجحة المعينة على دحر الوباء، والانتصار عليه.

والقراءة الأسلوبية تفرض على المحلل الأسلوبي النظر في مجموعة من الآليات المساعدة على رصد جمالية النص، وتفسيره تفسيراً منضبطاً بعيداً عن الأوهام التي تشوه النصوص الشعرية وتجعلها قبيحة الخلقة بعد أن كانت نصوصاً إبداعية، لأن صاحب النص يسعى حسب طاقاته اللغوية والفكرية إلى تأليف نص يعبر فيه عن أمر ما.

ولكي نعبر إلى مضامين القصيدة، محللين لها تحليلاً أسلوبياً نفكك فيه بنيتها اللغوية إلى مستويات:

المستوى الأول: التركيبي

ليس النحو مجرد دراسة منطقية لعلائق الألفاظ في التركيب، ووضع اليد على محالها من الإعراب، بل يتجاوز ذلك إلى دراسة الوظائف التركيبية، والأسباب الباعثة على اختيار تركيب دون آخر، لغرض بلاغي،

أو التعبير عن شعور. وهنا سيقف البحث على بعض معالم النحوليين جوانب أسلوبية استعان بها الشاعر في وصف الحالة الكورونية.

١ = الجملة

درج النحوليون على تقسيم الجملة إلى قسمين: فعلية واسمية^(١) وهذا التقسيم ليس اعتباطيا، وإنما ينطلق من تصور شامل لعناصر تأليف الجملة الكلامية.

شملت معجزة كورونا الجملة الاسمية، والفعلية، حيث اتخذت كل جملة مساقا، محددة الموقع المناسب لها، الذي ينفذ فيه الشاعر إلى متصوراته الذهنية. وقد كانت للجملة الفعلية الغلبة على أختها الاسمية، وذلك انطلاقا من الحالة المضطربة المعتمة على مخيلة الشاعر، وعلى العالم الذي يعيش فيه.

ولعل الجدول التالي يوضح لنا الصورة المشرقة للجملتين، مصحوبا بالعدد والنسبة المئوية

الجملة	العدد	النسبة
الفعلية	٥١	
الاسمية	٨	
المجموع	٥٩	١٠٠

إن المتأمل للجدول يظهر له بجلاء استئثار الجملة الفعلية بالنص واستحواذها على فكر الشاعر، حيث وردت أضعاف الاسمية، ولا يظنّ ظان أن هذه الكثرة مجرد حشو للألفاظ، بل لها هواجس جاشت بها عواطف الشاعر، فالقصيدة تصف لحظة زمنية فارقة، لذا كانت لها

(١) المقدمة الجزولية، ص: ٩٠.

رمزيتها الخالدة، وألفاظها المناسبة لمضامينها، ذلك أن الجملة الفعلية لها تموج في الأزمنة، وما يصحبها من أحداث، ومن ثم تأتي للبلاغيين أن يصفوها بالتجدد الدلالي، ملاءمة مع الظرفية الخطاب، يقول الدسوقي: كونها فعلية للتجدد والحدوث والدلالة على أحد الأزمنة الثلاثة^(١). ولا شك أن الشاعر فطن لتلك الخاصة، لهذا كثف من استخدامها، تجريدا لحالة كورونا، وما أحدثته من انفصام وانفصال في البشر.

لقد قسم النحاة بنية الفعل إلى ثلاثة: ماض، ومضارع، وأمر^(٢)، ولكل منها دلالاتها الوظيفية. والحاذاق يختار لنصه اللفظ المناسب لفكرته المرسله إلى المتلقي، كي تحدث في نفسه تأثيرا وإقناعا. وتتبع للنص المدروس يلغى استخدام الشاعر لجميع أنواع الأفعال، غير أنها تتفاوت في النص، فتفاوتا ينبع من حاجيات النص. وفي الجدول التالي إحصاء لتلك الاستخدامات ونسبها المئوية.

الأفعال	العدد	النسبة
الماضي	٢٨	
المضارع	٢٠	
الأمر	٣	
المجموع	٥١	١٠٠

من خلال النظر في الجدول السابق يمكن ترتيب الأفعال على النحو التالي:

فالماضي في السلم الأعلى، والمضارع في الوسط، وفي الدرجة الأخيرة الأمر. ولعل الرجوع إلى النص يكشف لنا سر كثرة نوع، وقللة الآخر.

(١) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني (٢/١٣٨).
 (٢) المساعد على تسهيل الفوائد، ابن عقيل، (١/٥٠).

الماضي

وإنما عدل إلى الماضي، لأنه إذ الشاعر قصد وصف الحالة التي استبد بها الإنسان في عيشه قبل حدوث معجزة كورونا، من علو، وترف، وخلود إلى ملاذ، ولما كان هذا حاله قبل نزول الوباء لم يكن بد من امتطاء الصيغة اللغوية المناسبة لتلك الحالة، من هنا وجد الشاعر ضالته في الماضي، لأنه زمن انقضى أثر، فمن تلك الأفعال :

أخذت، ظن، اقتدر، ازينت، تناسى، تخطى، فجر، أمسوا،، انتشر، كان...الخ. فكل الأفعال تصب في قالب واحد، لأن الشاعر وظفها ليستكنه من خلالها صورة شفافة للهيئة التي كان عليها الإنسان، تلك الحالة الهمجية التي خلد فيها المرء إلى البطش واتباع المهلكات دون مراعاة ما استخلف فيه تعميرا للأرض وتوحيداً للخالق، وهنا يتراءى لنا البعد الإيماني الذي يسكن قلب الشاعر، فهو يرى أن الإنسان يسير بقدره الله وفضله، فعليه أن يشكره على النعم، وليحذر بطر الدنيا فإنها جالبة المهالك.

المضارع

تأتي صيغة المضارع من حيث الكم في النص بعد الماضي، حيث وظفها الشاعر؛ ليرهن على الحالة الناطقة التي عليها الإنسان في أزمة كورونا، فمن تلك الأفعال: يسائلون عن المقدور/يخشى ذبابا بلحظ العين ليس يري/ قد خشعوا يستنطقون/ لا يشهدون نديا من منازلهم/ لن يجدي الدول العظمي...الخ.

وكل الأفعال تشعرنا بأن الشاعر قصدها قصدا لينقل للمتلقي الهيئة المرعبة المحدقة على الناس، فهم حيارى من هول الموقف، وهنا يمنح الشاعر النص تسلسلا منطقيًا في نقل أحداثه، فأول شيء يصادفنا قوله: يسائلون عن المقدور» وفيها دلالة على بداية الحدث. ذلك أن

كورونا لما شاع أمره انتشر كأشعة النار يصطلي به كل من اقترب منه، لذا أحجم كورونا الناس، فبدأ كل يسائل الآخر، كيف جرى الوباء؟ ولما ذا جرى؟ وفي «يسائلون» دلالة على التشارك في فعل السؤال، لأن السائل يلقي السؤال كي يجد جوابا شافيا، غير أنه يقابل من طرف المخاطب بسؤال آخر، لأن المسؤول والسائل سيان في تحديد الإجابة، ولما لم يُجد السؤال نفعا خلد الجميع إلى الخوف، إذ هو مطية الخائف الذي لم يجد مأمنا يسكن روعه. «يخشى ذبابا... قد خشعوا» ثم يمضى الشاعر قدما مع الأحداث، فالناس رجعوا «يستنطقون التاريخ» لعلهم يجدون تفسيراً ينفعهم في معالجة الأزمة المتفاقمة، لأن الأزمات لها مع الإنسان مصاحبة طويلة، فكل وقت يتجرع مرارتها، غير أن الناس لما يئسوا من مخلص في التاريخ، ركنوا إلى التواري خلف الجدران «لا يشهدون نديا من منازلهم» وفي اختيار الصيغة «يشهدون» تفخيم وتهويل لتعاطي الناس مع أمر كورونا، فهم قبله كانوا يألفون الاجتماع والتواصل، بيد أن كورونا غص عليهم الحياة، فانقلبت الموازين، إذ أصبح الكل مدعورا من الآخر، يخشى أن ينقل إليه المرض الخبيث، فالقريب منحجر عن قرابته في بيته، والجار مجاف لجاره.

لا شك أن الشاعر وفق في اختياره لصيغة المضارع، حيث مكنته من وصف دقيق للمرحلة الحالية، معتمدا أسلوبا جليلا، يلتقي فيه طرفا الإبداع والإبلاغ. وهكذا يصلح الفعل للحدث الذي يتجدد لحظة بعد لحظة، أو لنقل التعبير عن الحد المتحرك في النفس، ويستطيع الشاعر أو الأديب إذا جاد استغلال الفعل المضارع في نظم عبارته أن يقل جو الحدث والمتصور المتجدد فيه“.

والمأمل للنص يجد الشاعر استغل المضارع ووظفه أحسن توظيف، محققا بذلك مآربه من النص، فالنص الشعري ليس إلا رسالة تواصلية تسعى إلى توصيف أمر ما.

صيغة الأمر

لم يشع استخدام صيغة الأمر في معجزة كورونا، عكس أخويه السابقين، ذلك أن الشاعر ينتقي من اللغة الألفاظ المناسبة للهدف الذي يصبو إلى تحقيقه من النص.

إذا رجعنا إلى القصيدة نجد أن صيغة الأمر وردت ثلاث مرات في سياق محدد، وتلك الصيغ: اكنفنا، أجر، صلّ.

استخدم الشاعر الأمر في سياق حديثه عن مزيل الأبواء والغير. ذلك أنه بعد أن وصف الرعب المخيم على العالم، وما أصاب الدول العظمى من الذعر والوهن، إذ لم يجد الإنسان المفزوع ضالته لديها رغم أنه كان ينظر إليها بعين الجلال والمقدرة، لكن وباء كورونا أظهر عجزها، فلم يعد الإنسان يثقف فيها كما كان.

وإذا كان الشاعر مؤمنا بقضايا أمته، فلن يدخر جهدا في إنقاذها، لذا أرشد الناس إلى سبيل الله مزجي النعم، ومزيل النقم، فالله هو مقدر الأشياء، ومزيل الهوم، فقد أنزل كورونا مخوفا من التمادي في الغي، وحاثا البشر إلى التعلق به لا بدول ولا بالتطور العلمي.

وفي هذا الجو المفزع المخيب لآمال الناس يلجأ الشاعر إلى الله، طالبا كنفه، إذ هو كاشف مدلهمات الأمور، سالكا طريق الدعاء والتضرع «فلتصرف الوباء والغير... وبالكلاءة فاكنفنا... بك استجرنا أيا مجير أجر»

وفي اختيار لفظي الكنف، والإجارة، وشحنهما في صيغة الأمر دليل على تحقق ذلك من المرجو، لأن الإنسان في زمن كورونا مفزوع القلب، متشتت الأفكار، لهذا لما وجد طلب الإنقاذ، والحفظ والسلامة.

٢- النداء

من الملامح التي يعتني بها المحلل الأسلوبي في النص أسلوب النداء،



ليدرك من خلاله أسباب استدعاء النص له، ذلك أن كل لفظة لغوية ترد في النص لها دلالة قصدية يوظفها الشاعر لتحقيق له غرضاً تداولياً في الخطاب.

والنداء هو: طلب المتكلم إقبال المخاطب حساً أو معنى^(١). وليس الطلب مجرد الإقبال بالجوارح، بل له أبعاد نفيسة يستدعيه النص لتسهم في تحقيق أغراض مختلفة يروم الشاعر تحقيقها.

انطلاقاً من القصيدة وقف الباحث على تكرار أسلوب النداء أربع مرات، هي قوله: بك استجرنا إلهي يا مجير أجزر/ يا من أنزل السور/ أيا مولاي فلتصرف الأوباء والغير

وأول شيء يبدو للقارئ من خلال أسلوب النداء، أن الشاعر صرفه وجه إلى جهة واحدة، فجعلها القادرة على تلبية نداءه، فلننادى في النص هو الله، وقد تعددت صفاته عند الشاعر، فهو: إلهي، يا مجير، يا من أنزلت السور، يا مولاي.

إن الشاعر لما رأى يأس الدول العظمى من تحقيق مآرب الناس في صرف الأوباء أرشدهم إلى الله رافع الغم، لذا أفصح قبل أن يناديه باسمه بأنه ملاذة قائلاً: ومنك لا ملجأ إلا إليك» ثم أرخى العنان لنفسه مستلذاً بصفات المنادى، مولاي، إلهي، يا مجير... الخ طلباً للنجدة. وهنا يظهر الشاعر مملوء القلب بحب الله، فهو مولاه، وولي أمره، لذا ناداه لدفع كل الشرور والأوبئة عن الأمة التائهة التي كانت تستنجد بقوة غيرها فلم تجد نفعاً منها.

وإضافة اسم الجلالة إلى ياء المتكلم «الشاعر» تشي بالضعف والانكسار، فالشاعر لتلهفه وبلوغ الموقف من نفسه يستعجل من مولاه النصر ورحمة الناس وكشف البلاء عنهم، لذا لم يبح باسمه، مخافة

(١) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني (٤٣٤/٢)

أن يطول الكلام، وقد لبي الضمير للشاعر غرضه، طيا للمساحة اللغوية، ذلك أن من خصائص الضمير اقترانه «بقوة التخيل وسعة المدلول»^(٢).

المستوى الصرفي

تعد دراسة التصريف في النص الشعري من ضمن ما يعتني به المحلل الأسلوبي في تناوله للظواهر اللغوية في النص، ذلك أن الشاعر ينسج نصه متوخيا صيغا صرفية متعددة، لكل منها وظائف يستطيع شحذها لتؤدي دورا في الخطاب. والمراد بالصرف هنا: هو أن تأتي إلى مثال من الحروف الأصول فتشتق منه بزيادة أو بنقص أمثلة مختلفة يدل كل مثال منها على معنى لا يدل عليه المثال الآخر»^(٣).

ونحن هنا سنتطرق لبعض جوانب الصرف التي كان لها أثر بارز في نسج خيوط النص، لنرى إفادة الشاعر منها.

١- الصيغة الاشتقاقية:

وجد الشاعر ضالته في الصيغ الاشتقاقية، لما لها من سمات دلالية مختلفة، حيث تمنح النص قوة السيرورة والاندفاع، وتضخ فيه الحركية، وذلك انطلاقا من تلوينات النص بمعان متعددة. فالنص الذي يحتوي صيغا صرفية سيكون أمتن أسلوب، وأكثر رونقا من النص الخالي منها. وردت في معجزة كورونا جملة من الصيغ الصرفية، هي:

السامر/ منحجرا، مشتكيا، مجير، خير، دائمة، مصافحة، المارد، العاتي، الجهول، الغافل، منتجع، الأبلج، أغنى، مخوفا، المقذور، العاصف، منفجرا، منخذل، مرعوب، السامدون، العالمون، منخدر، سامر، منذر، المختار، خاضعة.

وقد شكلت صيغة اسم الفاعل انفجارا شعريا في القصيدة، ملوحة

(٢) دراسة الأسلوب بين المعاصر والتراث، ١٦٤.

(٣) شرح التصريف للثمانيني (ص: ٢١١)



بالإحساس المرهف الذي اتكأ عليها الشاعر، معبرا عن انفعالاته، وما تنطوي عليه نفسه تجاه أزمة كورونا. وقد أبان لنا الشاعر جانبا من حياة الإنسان في ظل أزمة كورونا، فهو منخدل، مشتك، منفجر، سامد، وكلها هذه الأوصاف تدل على تفاقم الحالة الإنسانية و خروجها عن السيطرة. والنص الشعري حين يضم جملة من الصيغة الصرفية ذات المناحي المختلفة، فإنه يشدّ انتباه القارئ إلى ظاهرة معينة تقتضي التثبيت لكي يجد لها حولا مناسبة.

٢- صيغة جمع التكسير

ظفرت القصيدة بجملة من جموع التكسير لما لها من أثر في تكوين النص الأدبي، إذ يلجأ إليها الشاعر بغية تعميم الخطاب لأصناف مختلفة، حيث تغنيه صيغة التكسير عن توزيع الخطاب إلى وحدات مفردة، فبدل أن يقول: غاو، وغاو، وغاو، وغاو... الخ. وفي هذا تطويل وعدم بيان. يختار صيغة التكسير: غواة، ليقصد في اللغة، ويحافظ على رونق النص. وبالنظر إلى القصيدة نجد نوعين من جموع التكسير:

جمع الكثرة: تهاويل، مباهيت، غواة، السير، سواسية، منزهم، الأطباء، الأمراء، الفقراء، الخبراء، الرقاب، الغلبة، والغير، ار، السور، الزمر، الأخلاء، مناخرهم، كمائمهم، الكتب.

جموع القلة: الأفلاك، أبراج، الأعناق، الأوباء، أشتات، الأسوار.

لم يكن استجلاب جموع التكسير مجرد حشو القصيدة بالفاظ لغوية لا طائل منها، وإنما قصد منها الشاعر لمعان تجيش بها النفس، لتمنح النص ثراء لغويا.

المستوى البلاغي

نبحر في هذا المستوى لنقف على بعض جماليات النص، مظهرين براعة الشاعر في الإفادة من أنواع البلاغة التي من شأنها أن تعلي من

قيمة النص الإبداعية والإقناعية، وقد قال عبد القاهر الجرجاني عن بعض جوانب البلاغة، وتحديدًا التشبيه، والتمثيل، والاستعارة: فإن هذه أصول كبيرة، كأنَّ جَلَّ محاسن الكلام إن لم نقل: كلَّها، متفرّعة عنها، وراجعة إليها، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرّفاتِها، وأقطار تحيط بها من جهاتها^(١).

استنادًا إلى تعدد مستويات البلاغة في القصيدة سيقف عليها الباحث على النحو التالي:

— التشبيه

وللتشبيه دور أساسي في إضفاء الإقناع على النص، لأن الشاعر من خلاله يجعل ربطًا بين الشيء المتحدث عنه، ومتصورات خارجية، لها وشائج بالغرض المراد، «ليؤثر على المتلقي، ويجره نحو الجمال والبلاغة»^(٢).

وفي القصيدة نقف على استخدام التشبيه خمس مرات: وباء كورونا كالعاصف الطوفان

أمسوا سواسية كالمشط في ذعر/ الغلب خاضعة...لكالهباء عاث
الأرضين وانتشرا/ أين الغلبة من أمريك ..كالطفل يمرث منه الودع
منذعرا/ ليلزم المخدع الإنسان منحجرا كالسامري تراهم.

وبالنظر إلى النص نجد أن توظيف التشبيه كان التركيز فيه على أمرين:

كثرة انتشار الوباء

ضعف الإنسان أمام كورونا.

ففي الأول نقف على تشبيه كورونا بالطوفان العاصف، وما أدراك



(١) أسرار البلاغة في علم البيان (ص: ٢٩).

(٢) دراسة أسلوبية لقصيدة الحسين، جورجي، ص: ١٣٠.

ما الطوفان العاصف؟ وفي استخدام كلمة الطوفان تصريح بكثرة انتشار الوباء، وأنه بلغ ذروة الانتشار، فلا قدرة للإنسان على كبح جماحه إلا بعناية من الله. كما أننا نفهم من كلمة الطوفان أيضا ما ينتج عنه من خسائر مادية، حيث الموت الزؤام الذي حصل لأرواح ملايين البشر.

وفي الثاني حشد الشاعر تشبيهات متعددة ليعطي المتلقي صورة حية عن ضعف الإنسان ومدى خوفه من بطش كورونا. وهنا يلوح الشاعر بأن الناس صاروا متساوين «كالمشط» في الخوف لا شجاعة تتفاوت فيها الناس بعد أن كانت الشجاعة صفة محمودة، بل صاروا على مساحة واحدة، كل أحد مستتر وراء أكمته مخافة أن يمسه أذى كورونا. ولعل التشبيه الثاني (أين الغلبة من أمريك .. كالطفل يمرث منه الودع منذعرا) أكثر تصويرا للذعر الذي أحاط بالإنسان، ذلك أن الشاعر عمد إلى أعتى الدول وأقواها في تصور الإنسان المعاصر «أمريكا» فشبها بالطفل الرضيع الذي لا حول له ولا قوة. وهذا التشبيه رغم بلاغته البيانية، وما أنسج على النص من جمال وبهاء، خلا أن له تأثيرا في المتلقين، خاصة وأن المشهد الواقعي لأمريكا وغيرها من الدول العظمى يصدق النص، ويمنحه القبول، فالدول أضحت عاجزة عن دحر كورونا وصدته عنها، معلنة بذلك الانهزام والتسليم.

٢- الاقتباس

يعتبر الاقتباس فنا من فنون البلاغة الجميلة، وهو: أن يضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه^(١).

حينما نعود إلى معجزة كورونا أول شيء يدق أسماعنا ذاك الاقتباس الجميل، المنبئ عن تشيع الشاعر بمعاني القرآن. فالشاعر افتتح قصيدته بقوله:

(١) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم (١/ ١٢٥).

حتى إذا أخذت ذي الأرض زخرفها وظن ماردّها العاتي أن اقتدرا
وازينت بتهاويل الغرور له حتى تناسى الجهول الغافل القدرا
وراد منتجع الأفلاك من زحل من بعد ما قد تخطى الأبلج القمرا
فقال سيد أبراج السماء أنا ليخضع الناس إن ينهى وإن أمرا
هناك أنزل رب العرش آيته مخوفا بجلال القهر من فجرا

فهذا النص اقتباس جلي من قوله تعالى في سورة يونس

(حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ
عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ
كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)^(٢)

فالنص أحاط بجملة أفكار الآية، حيث انخداع الإنسان بالدينا،
والركون إلى شهواتها، دون إحساس بقدرة قادر، ولا مراعاة حمى، لهذا
فوجئ بتقلب الدنيا، وجعل العالي منها سافلا، ورد الزخف حصيدا. وإنما
استدعى الشاعر النص القرآني للتشابه بين الحالتين: الحالة التي يصفها
القرآن زمن تنزله، والحالة الحاضرة التي قصد إليه الشاعر من خلال
نصه. وقد أفاد الشاعر من الآية فأحسن رص الألفاظ، وربط المعاني،
منتقيا أوصافا تناسب حالة الإنسان المتلبس بالآثام المتسببة في جلب
المضار، والآهات، ولعل من تلك نازلة كورونا المقصودة في النص.

ثانيا: الموسيقى الشعرية

الموسيقى هي القانون المنظم للشعر، حيث تجعل ربطا تلقائيا بين
المنشد المتلقي للنص، لأن النفس جبلت على التوق إلى النغم الجميل،
إذ يمنح النشوة للحواس، فيتجاذب الشعور ويتفاعل مع النغم، وخاصة
حاسة السمع ليحدث ذلك تأثيرا في المخاطب، فحوى ذلك أن الرسالة
أدت مهمتها، وبلغت مضامينها.

(٢) سورة يونس، ٢٤.



والشعراء بغية إحداث التأثير في المجتمع اعتنوا بموسيقى الشعر، جاعلين منها البنية الأساس، لأنها صورة الشعر المؤثرة. فمجرد الألفاظ لا تأثير له، فلو أقيمت القصيدة دون نسق موسيقي لم تعد كلاما عاديا قد لا ينتبه له المرسل إليه، غاضا جوارحه عنه لعدم إثارته كوانه. من هنا كان أهم شيء في الشعر هو موسيقاه.

لقد قسم النقاد موسيقى الشعر إلى قسمين^(١): موسيقى خارجية، وموسيقى داخلية.

١- الموسيقى الخارجية

نعرض هنا لبعض مظاهر الموسيقى الخارجية، وما لها من جواهر في ترابط النص الشعر، وجعله وحدة منسجمة كالكلمة الواحدة، ذلك أن هذه العناصر الآتية استطاع الشاعر من خلالها نظم قصيدته على نمط معين التزمه من أول القصيدة حتى آخر بيت منها. وتلك العناصر هي:

١- الوزن والمراد به: النظام الذي يخضع له جميع الشعراء في نظم قصائدهم، وهو الإيقاع الحاصل من التفعيلات... وله أثر مهم في تأدية المعنى^(٢).

والشاعر في قصيدته قصد بحر البسيط، وهو بحر شائع في الشعر العربي، يمتاز بتفاعيل تتكرر من خلال مقاطع متوازية الشطرين. وهو في نظر عبد الطيب بإزاء بحر الطويل، إذ هما: أطولا ببحر الشعر العربي، وأعظمها أبهةً وجلالةً، وإليهما يعمد أصحاب الرصانة. وفيهما يفتضح أهل الركاكة والهجنة^(٣).

والبسيط الذي نظمت فيه القصيدة من جنس التام:

(١) الموسيقى في شعر عمرو بن قميئة، سعد خضير عباس، ص: ٤.

(٢) المعجم المفصل في علم العروض والقافية، إميل يعقوب، ص: ٤٥٨.

(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب (١/٤٤٣).

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن

فعلن

ولا شك أن محمد الحافظ ظهر من خلال قصيدته مقتدرا على النظم، ذا عارضة قوية في اللغة، حيث مزج بين الجزالة في اللفظ، وغزارة الماء، ودقة الوصف، الأمر الذي زاد من جمال قصيدته، لذا يكون وفق البسيط حقه، إذ ظهر في حلة قشبية على غرار القصيدة في عصرها الذهبي.

- القافية

وهي: الحروف التي تبدأ بمتحرك قبل أول ساكنين في آخر البيت الشعري وتكون القافية كلمة واحدة^(٤).

لقد التزم الشاعر في قصيدته بأسلوب القافية، فكررها في جميع أبيات قصيدته، حيث أحدثت صدى في انسجام معاني النص، وتسلسل أفكاره.

٣ الروي وله أثر جليل في القصيدة العمودية، فكلمة أعاده الشاعر آثار انتباه المتلقي عند ختم كل بيت. والروي الذي اختاره الشاعر لقصيدته هو حرف الراء، وله وقع خطير على النفس، لما اتصف به الجهارة والتكرير، فكأن الشاعر لتفاقم حالة كورونا يتنفس الصعداء لهول الموصوف، لذا كان الراء مناسباً لتلك الحالة الانفعالية والشعور المفع، فكلمة كرر الشاعر الراء مع كل بيت تجدد إحساسه، فانفجرت أهاته لهول الموصوف.

الموسيقى الداخلية

تعتبر الموسيقى الداخلية أو الإيقاع الداخلي كما يحلو لبعض النقاد، ركناً أساسياً للنص الشعري، إذ أن أسراراً جمّة لا يقف عليها القارئ إلا من تلقاء تفتيشه عن مكونات الموسيقى الداخلية التي تحدث شجنا في الجو

(٤) أهدي سبيل إلى علي الخليل (ص: ٩٠).



العام للنص، والشاعر الفذ هو الذي يخلق مساحة إبداعية من خلال مزاجته لأساليب متنوعة. وهنا نذكر بعض العناصر الموسيقية التي أظلت معجزة كورونا.

أ- الجناس

وهو تشابه يحصل بين اللفظ من حيث حروف بنية الكلمة^(١).

وظفت الشاعر الجناس ليفتن به المتلقي، أخذاً بتلايبه إلى ثراء اللغة وتنوع مهائرها، فمن الجناسات نقف على الكلمات التالية: خبرة الخبراء، أفقر الفقراء، استجر، أجر.

والملاحظ أن الشاعر قصد إلى الجناس الناقص، وكانت تلك الكلمات المجنسة لها أثر في النص، إذ أكسبته تناغماً موسيقياً بين الألفاظ، مما استرعى انتباه المتلقين.

ب- التكرار

والتكرار له تجليات متعددة وأساليب مختلفة، فمنها تكرار الحرف، والكلمة، والجملة، والمعنى. وكلها تتضافر لتعبر عما ينبجس في خاطر الشاعر ليحقق بنصه، تفاعلاً لدى جمهور المتلقين، كما أن التكرار «يعكس جانباً من الموقف الشعوري، والانفعالي^(٢) للشاعر.

وشاعرنا اعتمد أسلوب التكرار على جميع مستوياته، الحرف، والكلمة، والمعنى، فمن ذلك، الضمائر، وحروف الربط، والأسماء، والأفعال، وقد تضافرت جميعها لتشكّل نصاً موسيقياً، له قوة تتميز بالجمال وبراعة الإقناع.

خاتمة البحث

(١) ينظر، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم (١/ ١١٣)

(٢) ظاهرة التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبيّة، د. رابعه موسى، ص: ١٦٠

تفاعل الشعراء الموريتانيون مع أزمة كورونا تفاعلا إيجابيا، حيث أبدوا قدرتهم على توعية المجتمع من خلال إنتاجهم الشعري، لأن الشعر رسالة إبداعية، لها أسلوبها الخاص، وغرضها النبيل.

القصائد المعالجة لأزمة كورونا التزمت للبحور الخليلية، فلم تخرج إلى الشعر الحر، ولعل ذلك يشي بمدى إيمان جل الموريتانيين بضرورة الالتزام بالبحور الخليلية.

إن القصائد في إطارها العام كانت جميلة لا تخلو من الطرافة والإبداع، وقد شكلت اللغة الشعرية فيها ملامح إبداعية، والخاصية التي تجمع القصائد المنتقاة للدراسة تكمن في حسن التأليف، واختيار اللفظ الجليل دون إفراط في الغرابة، ولا سقوط في قاع الابتذال والركاكة، وإنما حسن السبك، ورونق الماء، وعذوبة المعنى.

كان الشاعر محمد الحافظ في قصيدته كورونا مبدعا، له أسلوب أسر، ولغة قوية، امتزج فيها اللفظ الغريب، والقريب، مشكلا كلا منهما دعامة في النص.

شحذت معجزة كورونا بكثير من الأساليب البيانية والموسيقية، فخرج نصها عبقا تفوح منه رائحة الإبداع، والإمتاع، حيث أحسن الشاعر في وصف كورونا وما أحدث في العالم من خلخلة، متخذا أسلوب النصح والتقريع، ثم ختم قصيدته بالتضرع إلى الله كاشف الهموم، ومؤنس القلوب.



مصادر البحث

القرآن الكريم.



* أهدى سبيل إلى علمي الخليل، الدكتور محمود مصطفى، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع
* الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

* أسرار البلاغة في علم البيان، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١ هـ)، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

* الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣ هـ)

* حقه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .

* الموسيقى في شعر عمرو بن قميئة، سعد خضير عباس، مجلة الفتح، العدد الثاني والعشرون، ٢٠٠٥م. جامعة ديالي، كلية التربية.

* المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله بن الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب، الناشر: دار الآثار الإسلامية - وزارة الإعلام الصفاة - الكويت، الطبعة: الثانية سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

* المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدين بن عقيل، تحقيق: د. محمد كامل بركات، الناشر: جامعة أم القرى (دار الفكر، دمشق - دار المدني، جدة)، الطبعة: الأولى، (١٤٠٠ - ١٤٠٥ هـ).

* المجموع المغيث في غربي القرآن والحديث، محمد بن عمر، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، الناشر: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، دار

المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

* المقدمة الجزولية في النحو، عيسى بن عبد العزيز، الجزولي (ت: ١٦٠٧هـ)، تحقيق: د. شعبان عبد الوهاب محمد، راجعه: د حامد أحمد نيل - د فتحي محمد أحمد جمعة، طبع ونشر: مطبعة أم القرى.

* حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، محمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

* دراسة الأسلوب بين المعاصر والتراث، د. درويش أحمد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

* شرح التصريف، أبو القاسم عمر بن ثابت الثماني (المتوفى: ٤٤٢هـ)، تحقيق: د. إبراهيم بن سليمان البعيمي، الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

* ظاهرة التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية، د. رابعه موسى، مؤتة للبحوث والدراسات، مجلد ٥، جامعة مؤتة، ١٩٩٠.

* معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، د. عبد الرحيم، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.

* فاعلية الاستعارة في التركيب اللغوي للأدب، أكرم علي معلى (رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، ٢٠، جامعة البعث)

* مجمع متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، الناشر: دار مكتبة الحياة - بيروت، عام النشر: [١٣٧٧ - ١٣٨٠ هـ].

* نظرات في المنهج والمصطلح، د. الشاهد البوشيخي بتصرف، مطبعة أنفو، فاس. ط ٤، ٢٠٠٢م





أثر التعلم عن بعد في مخرجات التعلم بالعصف الذهني

في ظروف فيروس كورونا.

أ.د. أحمد محمد خلف المومني

كلية الشريعة والقانون - جامعة عمان العربية - الأردن

الملخص

ظهر من البحث انه مع تطور وسائل التواصل الاجتماعي وامكانية تحقيق نسبة كبيرة من أهداف نقل المعلومة للطلاب، وامكانية استخدام البرامج الحديثة لتحقيق نسبة كبيرة من المشاركة بين المعلم والطالب عن بعد، فانه اصبح من الضروري اعتماد طريقة التعلم عن بعد احدي طرق التعلم الحديثة.

ولأن الاحوال والظروف تلزم الانسان للبحث عن حلول وخاصة في العملية التعليمية كما هو الحال في أزمة تفشي فيروس كورونا - كوفيد ١٩- واية ظروف مشابهة، وبالنظر إلى تخفيف الكلف الاقتصادية فإن التعلم عن بعد يحقق أهداف العملية التعليمية، وإن كان يحتاج الى بعض التطوير والتسهيل على نسبة من الطلبة ربما أنها لا تتجاوز ٢٥٪ من عدد الطلبة في معظم الدول، بتحقيق وصول شبكة التواصل أو

إحدى محطات فضائية لتحقيق التواصل والمشاركة وأسلوب التقييم، الذي يمكن تحقيقه بتطوير نمط الأسئلة كما هو الحال في امتحانات العديد من مستوى اللغات في العالم حيث إنها تتم برقم مشفر وتخرج النتائج على الفور.

لقد أصبح التعلم عن بعد مجد فعلى الدول اعتماد هذا الاسلوب في نظام التعلم عندها.

Summary

It emerged from the research that with the development of social media and the possibility of achieving a large proportion of the goals of transferring information to students, and the possibility of using modern programs to achieve a large proportion of participation between the teacher and the student from a distance

it has become necessary to adopt a method of distance learning one of the modern learning methods

And because conditions and circumstances obligate a person to search for solutions, especially in the educational process, as is the case in the Karuna virus outbreak - as a matter of 19 - and which conditions

Given the reduction of economic costs, distance learning achieves the goals of the educational process, and if it needs some development and facilitation on a percentage of students, it may not exceed 25% of the number of students.

In most countries, the arrival of the communica-



tion network or one of the satellite stations is achieved to achieve communication, participation and evaluation method, which can be achieved by developing a pattern of questions as is the case in many language level exams in the world where it is carried out with an encrypted number and the results are produced immediately.

Distance learning has become useful, so countries must adopt this method in their learning system.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان وجعل اهم وسائل تعلمه القلم والبيان، والصلاة السلام على معلم البشرية الخير، الذي علم اصحابه مستخدما كل وسائل ومناهج التعلم واصلى عليه وعلى اصحابه وسلم.

إن معظم الإنجازات العلمية والتقنية التي حققتها البشرية في القرون الأخيرة هي نتاجات أفكار إبداعية معتمدة على المزج بين العقل والنقل، وقد اصبح عالمنا اليوم يعيش في عالم سريع التغيير تحيطه تحديات محلية وعالمية من أهمها الانفجار المعرفي والتطور التقني، والانفتاح على العالم نتيجة سرعة الاتصالات والمواصلات حتى اصبح العالم كقرية صغيرة، وهذا يحتاج منا الى السرعة في تنمية عمليات التفكير والتعلم لحل ما يواجهنا من مشكلات.

وهذه مسؤوليات الدول والمتخصصين من الأفراد، وعلى رأس مؤسسات الدول المؤسسات التعليمية التي تساهم في تنمية التفكير والابداع لحل المشكلات لدى الطلاب.

والقدرات الابداعية موجودة عند كل فرد بنسب متفاوتة وتحتاج الى الايقاظ والتدرب لكي تعطي النتيجة المرجوة، فنحن اليوم في القرن الحادي والعشرين الميلادي بحاجة الى استراتجية تعلم وتعليم تعطينا افاق تعليمية واسعة ومتنوعة ومتقدمة تساعد طلابنا على تنمية مهاراتهم



العقلية المتنوعة وتدريبهم على الابداع والانتاج الجديد. وهنا الحاجة الى وجود المعلم المتخصص الذي يستطيع اثاره طلابه وتحفيزهم للتفكير لمعالجة اية مشكلة مطروحة.

إن انتاج افكار ابداعية مفيدة من الأفراد والمجموعات لحل مشكلة معينة، بوضع الذهن في جالة من الجاهزية والإثارة للتفكير في كل الاتجاهات لتوليد أكبر قدر ممكن من الأفكار حول المشكلة المطروحة مع اتاحة الفرد جوا من الحرية يسمح بظهور كل الاراء وهو ما يعرف بالعصف الذهني^(١)

فما هو مفهوم العصف الذهني؟ وما الأمور المؤثرة على التحصيل العلمي باستخدام اسلوب العصف الذهني؟ وما هي القواعد والمعايير لاستراتيجية العصف الذهني؟

وإلى أي مدى يمكن تحقق نتائج استراتيجية العصف الذهني بظروف استثنائية مثل أزمة فيروس كورونا في العملية التعليمية؟ وإلى أي مدى تتحقق مهارات التفكير عند الطلبة في مثل هذه الظروف التي اعتمدت التعلم عن بعد إحدى طرق التعليم في المملكة الاردنية الهاشمية بناء على أمر الدفاع رقم ٦ لعام ٢٠٢٠م. هذه الأمور وغيرها ما سنناقشه في هذه الورقة البحثية.

منهجية البحث:

نسلك المنهج الوصفي في بيان مفهوم استراتيجية العصف الذهني في التعليم وفي بيان قواعده ومهاره وألجأ الى المنهج الاستقرائي والمقارن عند الحاجة له.

وسيكون البحث في الأقسام التالية:

(١) ديفيز ١٩٨٦م، الابداه الذهني، ص٣٢. وانظر د. محمد المفتي، ٢٠٠٠م، ص١٦.



القسم الأول: مفهوم استراتيجية العصف الذهني

القسم الثاني: مدى تأثير الظروف في أزمة فيروس كورونا كوفيد ١٩

على استراتيجية العصف الذهني

القسم الثالث: تطوير أساليب وزارة التعليم الأردنية في طرق التعلم

في أزمة كورونا.

القسم الأول: مفهوم استراتيجية العصف الذهني وقواعده:

يعد التدريس أحد أنواع الفنون وذلك بما يتم اكتسابه وتطويره للمهارات لدى المعلمين عبر الزمن، فالتعليم بحاجة إلى تطوير حتى يتوافق ومتطلبات العصر، فهو يحتاج إلى مجموعة من المهارات التي ينبغي أن يكتسبها معلم المستقبل قبل شروعه في عملية التدريس، فهذه المهنة التعليمية هي أساس المهن الأخرى كالطب والهندسة والمحاماة والصيدلة وغيرها.

ولفظ الاستراتيجية أصلها يونانية قديمة تعرف بأنها استخدام الوسائل المتاحة لتحقيق الأهداف المنشودة^(١). وقيل إن أصلها يمانية وتعني القيادة، أما الاستراتيجية في التدريس فهي: مجموعة من الإجراءات التي يخططها القائم بالتدريس مسبقاً من أجل استخدامها أثناء عملية التدريس في ضوء الإمكانيات المتاحة^(٢).

فالعصف الذهني: هو استراتيجية تستخدم للاستفادة من عدد من الأفكار في موضوع معين أو للمساعدة في حل مشكلة معينة، وهذه الاستراتيجية موجودة في تراثنا الإسلامي، فلو نظرنا إلى القرآن الكريم

(١) انظر الاستاذ الدكتور أحمد محمد خلف المومني، الاستراتيجية الإسلامية السياسية والعسكرية، دار الفلاح، ١٩٩٤م، ص ٢٣.

(٢) انظر عبد الحميد شاهين ٢٠٠٧م، استراتيجية التدريس المتقدمة استراتيجية التعليم وأنماط التعلم، جامعة الاسكندرية، مصر، ص ٧.

لوجدنا الكثير من الالفاظ التي تبين أهمية التفكير وهو نهج من مناهج الحوار قد وردت في كتاب الله في عدة سور بمعنى: المراجعة والمناظرة والوكز للعقل لتنشيطه على التفكير وإبداء الرأي، ولقد طبق ذلك الأسلوب من التحوار الإمام الكبير أبو حذيفة بن النعمان الحنفي صاحب المذهب الفقهي الشهير، إذ كان أسلوبه مع تلامذته بإلقاء المعضلة والطلب من تلامذته- منهم أبو يوسف وأبي ليلي ومحمد بن الحسن وزفر وغيرهم- يطلب منهم إبداء الرأي ثم يقوم بتنقيح الاجابات والتحقق من أقربها إلى مفهوم النص دون تجريح أي من الآراء التي يبديها تلامذته، ولا يستثنونها إن اعتمدت على اجتهاد صحيح.

ولا زالت الآراء المخالفة إلى رأيه في الأحكام الفقهية مدونة حتى الآن في المذهب الحنفي فنقول رأي أبي حنيفة، أما رأي صاحبيه فهو كذا وكذا.^(٣)..

إلا أنه في العصر الحديث يعتبر أن هذا الأسلوب من التعلم ظهر بعد الحرب لعالمية الأولى أو الثانية عندما بين «اليكس فيكني أوزيورن» عندما بين في كتابه-التخيل التطبيقي في عام ١٩٣٢م^(٤).

فالعصف الذهني عبارة عن تقنية ابداعية جماعية تبذل من خلالها الجهود لايجاد حل لمشكلة معينة عن طريق جمع قائمة من الافكار بحرية واستقلال والتعبير عنها بلا احراج، وتصميم هذه التقنية اعتمادا على التفكير النقدي دون ابعاد للنقد السلبي.

القسم الثاني: مفهوم التعلم عن بعد سلبيات وإيجابيات

يعتبر التعليم عن بُعد وسيلة تعليمية حديثة النشأة، تعتمد في مضمونها على اختلاف المكان، وبُعد المسافة بين المُتعلّم والكتاب أو المعلم



(٣) الدكتور أحمد محمد المومني، الحوار في الاسلام اسلوب التعليم العالي، بحثا منشورا في مجلة الدراسات الاسلامية جامعة ال البيت، ٢٠٠٨م.

(٤) -22-12-2019-retrieved.com.study.

أو المجموعة الدراسية؛ وتكمن أهميتها في تقديم برنامج تعليمي من قلب الحرم التعليمي، ووضعه بين يدي المتعلم بالرغم من اختلاف المساحة الجغرافية؛ وذلك سعياً لاستقطاب الطلاب، وتحدي الظروف الصعبة التي تواجههم للانضمام إلى برنامج التعليم التقليدي في الجامعات. ظهرت فكرة التعليم عن بُعد في نهايات السبعينات من القرن العشرين ميلادي بواسطة الجامعات الأوروبية والأمريكية؛ حيث كانت ترسل البرنامج التعليمي للطلبة بواسطة البريد، وكانت تتمثل حينها بالكتب، وشرائط التسجيل، والفيديوهات؛ لتقدم شرحاً وافياً حول المناهج التعليمية، وكان الطلبة يندمجون مع هذا النمط التعليمي، ويلتزمون بما يوكل إليهم من فروض وواجبات، وكانت تشترط الجامعات على طلبتها القدوم إلى الحرم الجامعي في موعد الاختبارات النهائية.

١- سلبيات التعلم عن بعد:

وكان لهذا الأسلوب سلبيات في ذلك الوقت منها كارتفاع التكلفة المادية للانضمام له، عدم تقبل المجتمعات لهذا النوع من التعليم. سوء الظن بهذا النمط التعليمي من حيث قدرته على توفير فرص عمل، عدم اعتمادية بعض وزارات التعليم العالي في الدول العربية للتعليم عن بعد، ويمكن تلخيص هذه العيوب بما يلي:

أ. عدم وجود اتصال مباشر بين كل من الطالب والمُدرس أو المُحاضر، إلا أن بعض المؤسسات التعليمية تُقدّم الدعم الأكاديمي من خلال استخدام البريد الإلكتروني، أو الهاتف، أو المراسلات الفورية من وسائل التواصل الاجتماعي والتقنية الحديثة.

ب. عدم وجود تفاعل ما بين الطلاب، إلا أن البعض منهم يكون قادراً على التفاعل عن طريق -الشبكة الإنترنت-، أو يكون التفاعل من خلال تشكيل مجموعات دراسية خاصة. الحاجة إلى قدر كبير من

الانضباط الذاتي،

ج. ففي مُعظم الحالات لا يكون هناك شخص للتأكد من حصول الطلاب على التعليم في الوقت المُحدد، الا انه يمكن بواسطة التقنيات الحديثة التغلب على ذلك.

د. حاجة المدرسين إلى التدريب على عدة أمور منها، استخدام الإنترنت، بالإضافة للتدريب على استخدام برامج خاصة وذلك لنشر المحاضرات أو عمل الصفحات على الإنترنت، كما أنّ الطالب يحتاج للتدريب على استخدام الإنترنت، واستخدام البرامج التي تساعد على تبادل المعلومات مع المدرسين.

ه. وجوب توفّر بيئة تكنولوجية تحتية عن طريق الجامعة أو الجهة التي تُقدّم برنامج التعليم عن بُعد، وهي من النُظم الغير متوفرة لدى جميع الهيئات التعليمية.

و. وجود مشاكل في عرض موجة الإنترنت وسرعته، والتي يتم من خلالها تبادل المعلومات مع مزود الإنترنت، فمن الممكن أن يستخدم الطالب شبكة الإنترنت الخاصة بالهاتف المنزلي، والتي لا تتجاوز سرعتها ٣٣,٦ كيلوبايت، إلا أنّ الطالب يحتاج لسُرعة أكبر لمشاهدة المحاضرات على شاشة كاملة، ودون حدوث تقطيع بالصورة أو الصوت.

ز. إمكانية حدوث حالات من غش الطلاب خلال أداء الاختبارات الإلكترونية، فلا يضمن المُدرس ما إن كان الطالب هو من قدّم الاختبار أو أحد آخر، إلا أنّ هناك بعض الطرق لمنع الغش تتمثل في طلب الاسم والرقم السري من الطالب، لكن هذه الأمور غير كافية للحد من هذه الظاهرة.

٢- إيجابيات التعلم عن بعد:

وله إيجابيات منها: أنه يلعب التعليم عن بُعد دوراً فعالاً في رفع المستويات الثقافية، والعلمية، والاجتماعية بين الأفراد. يسد النقص

الكبير في الهيئات التدريسية والأيدي المدربة المؤهلة في مختلف المجالات. يخفف من ضعف الإمكانيات التي تعاني منها بعض الجامعات. يُقلل من الفروقات الفردية بين المُتدربين، وذلك من خلال وضع المصادر التعليمية المتنوعة بين يدي المُتعلّم، بالإضافة إلى تقديم الدعم الكامل للمؤسسات التدريبية بكل ما تحتاجه لتنتج تعليماً فعالاً من وسائل وتقنيات تعليم. فتح الآفاق في الارتقاء الوظيفي لمن فاته قطار التعليم المنتظم من الموظفين، حيث يمكنه ذلك من الدراسة والعمل في آن واحد، ويوفر الوقت والجهد، ويحفز المتعلم على اكتساب أكبر قدر من المهارات والتحصيل العلمي، نظراً لتركيز العملية التعليمية فقط على الفحوى الدراسي دون التطلع إلى أي جوانب أخرى. يساعد الفرد على الاعتماد على نفسه كلياً، وذلك من خلال اختيار المصادر التي يستوحي منها معلوماته بذاته دون تأثير من الغير.

إنه يناسب كافة الأفراد سواء كان محاضراً أو طالباً. ويتميز بالمرونة المتمثلة بإتاحة المجال والخيارات أمام المتعلم وفقاً لرغبته في المشاركة، ويمتاز بتركه تأثيراً وفاعلية أكثر من نظام التعليم التقليدي لدى المتعلم؛ وذلك بما يستخدمه من تقنيات.

ونبسط هذا بالنقاط التالية:

أ. تقديم البديل المرّن للطلبة، عوضاً عن التعليم التقليدي.
ب. منح الطلاب فرص أكبر في تحصيل العلم. تمكين الطلاب ذوي الإعاقة من الالتحاق بالصفوف الدراسية.

ج. توفير المال من خلال عدم اضطرار الطلاب للسفر من أجل تحصيل العلم. السماح للطلاب بالاختيار بين مجموعات مختلفة ومتنوعة من الدورات الدراسية.

د. المساعدة على تطوير مهارات الطلاب. المساعدة على تحسين

الانضباط الذاتي لدى الطلاب. تعزيز الشعور بالمسؤولية لدى الطلاب.

ه. تحسين مهارة إدارة الوقت لدى الطلاب.

و. تحسين المهارات الفكرية المستقلة لدى الطلاب.

ز. عدم الحاجة لوجود الطالب والمُدرس في المكان نفسه لتبادل المعلومات.

ح. مشاهدة الطالب المُحاضرة إلكترونياً أو بالصيغة النصية، أو المرئية، أو المسموعة، في أي وقت يناسبه، دون الحاجة للالتقاء بالأستاذ.

ط. إعادة الطالب مشاهدة جزء معين من المحاضرة، وهذا الأمر من الصعب تحقيقه في المحاضرات التقليدية.

ك. استخدام الحاسوب كوسيط من أجل استغلال سرعته وإمكانياته في عملية التعليم.

ل. المساعدة على توفير التعليم للأشخاص الذين لا يمتلكون الاستطاعة؛ لأنّ التعليم عن بُعد مفتوح للجميع باختلاف أعمارهم أو ارتباطاتهم.

م. التخفيف من الطاقة الاستيعابية للجامعات، حيث لا يتطلب هذا النوع من التعليم الحضور لموقع الجامعة من أجل تلقي العلم.

القسم الثالث: مدى تأثير الظروف في أزمة فيروس كورونا كوفيد ١٩ على استراتيجية العصف الذهني في الاردن:

تكمن أهمية جلسة العصف الذهني قبل بدء المعلم بشرح الموضوع بتوفير قدر كبير من المعلومات للطلاب. ومن مميزات اسلوب العصف الذهني انه لا يوجد هناك اجابات خاطئة، بل يتم الحصول على اكبر قدر من الافكار حول المشكلة المطروحة، ثم يتم فرزها بتثبيت ما يناسب الموضوع وابعاد الأفكار البعيدة عنه.

وفي كثير من الاحيان يعد العصف الذهني استراتيجية متميزة تستخدم في الفصل الدراسي الكامل والمتكامل للاستفادة من المعرفة السابقة، ولمنح جميع الطلاب فرصة التعبير عن أفكارهم وللقضاء على الخوف من الفشل، والقضاء على الخوف من المغامرة لابداء الرأي مع احترام الجميع لبعضهم البعض.

فالى أي مدى تتحقق اهداف استراتيجية العصف الذهني في حالة ظروف وقف الذهاب للمدارس والمؤسسات التعليمية في أزمة فيروس كورونا، وبعد تحول الدراسة المعتمدة في الاردن بموجب قرار الطوارئ رقم ٦ لاعتماد التعلم عن بعد وسيلة من وسائل التعلم في الاردن.

بالنظر إلى مدى تحقق قواعد الاستراتيجية للعصف الذهني نجد الأمور التالية:

من حيث القاعدة الأولى في تهيئة وتحديد الموضوع الذي يراد مناقشته فقد عمدت وزارة التعليم الاردنية الى الاعلان في اكثر من قناة فضائية - الاردنية، ونورسك، ودرسك وبعض القنوات الأخرى- وبالاعلان لفترة كافية لإيصال الأمر لمعظم الطلبة، وإن كان البعض لا يستطيع المتابعة نظرا لبعض الظروف المادية او لعدم وصول البث الى اماكن سكناهم، وهؤلاء ربما لا يشكلون ٣٠ بالمائة من الطلاب في الاردن. اذا هذه القاعدة الأولى متحققة في هذه الظروف التي يمنع فيها التجوال الا باستثناءات وطرق خاصة، فهو متحقق وبمساعات الأهل .

وإذا نظرنا الى القاعدة الثانية المتعلقة بجمع وتحليل جميع النقاط والافكار مع الابتعاد عن النقد السلبي، فذلك غير متحقق في الدروس التي تعطى على الوسائل الفضائية، الا أن بعض المراكز والأكاديميات مثل اكاديمية المستوى العالي واكاديمية الناجحون للغات وغيرها كثير يكون التواصل والتفاعل مع الطلاب محقق الى حد مرض اما بعقد رابط على

بعض المواقع مثل -زووم- الذي يسمح بتفاعل الطلبة مع معلمهم مباشرة، أو بتوزيع بعض البرامج الالكترونية التي تسمح بالمشاركة، فهذه القاعدة في استراتيجية العصف الذهني متحققة جزئياً ربما تصل الى ٢٥٪ تقريباً.

وبالنظر إلى القاعدة الثالثة بالبناء على الافكار الواصلة عبر وسائل الاتصال المتوفرة ثم تحليلها وابستثناء البعيد منها عن الموضوع، فذلك مبني على القاعدة السابقة ومع أن وزارة التربية والتعليم أجرت في ١٨ نيسان وعبر الفضائيات نوع من التقييم لطلابها عبر الوسائل الفضائية المعلن عنها إلا أن الأمر لا زال تجربة جديدة، ومع أنه أعلن أن أكثر من ٧٠٪ من الطلبة تفاعلوا في المشاركة إلا أن الأمر يبقى جزئياً وبجاجة إلى تطوير.

أما القاعدة الثالثة في معيار نجاح استراتيجية العصف الذهني بالاستفادة من وسائل التعلم من خرائط وروسومات و الفرز للافكار فذلك متاح عبر وسائل التواصل الاجتماعي المتوفرة.

مما سبق يظهر أن الاردن قد نجح وحقق بالتعلم عن بعد وعبر الوسائل المتاحة اكمال عملية التعلم في ظروف طارئة في هذه الأزمة انتشار فيروس كورونا كوفيد١٩.

لا شك أن العملية التعليمية كما بينا سابقا بحاجة إلى تطوير مستمر لتتوافق وحاجات العصر، خاصة بعد التطور الهائل في التقنية الحديثة.

كانت الاتجاهات السابقة في وزارة التعليم والتعليم العالي لغاية ٢٠١٧ لا تعتمد طريقة التعلم عن بعد، وفي السنين الأخيرة وضعت بعض الشروط التي تلزم الدارس عن بعد الاقامة في بلد المؤسسة التي يتعلم بها مدة من الاشهر في السنة.

إلا أن فرض حالة الطوارئ يانتشار فيروس كورونا في العالم وهذا الذهول أمام أعداد المصابين بهذا الفيروس القاتل، وسرعة انتشاره المذهلة

اضطرت الأردن كما هو معظم بلدان العالم بل كانت الأردن سبابة إلى إقرار نظام التباعد وفرض منع التجول الجزئي وإيقاف التجمعات على معظم المستويات في ١٥ آذار ٢٠٢٠م، مما جعل وزارة التعليم في الأردن تتجه إلى اعتماد الدراسة عن بعد طالما أنها توفر إلى حد كبير أسس التعلم مع تطور وسائل التواصل الاجتماعي، فعمدت إلى إنجاز برامج تفي إلى حد لا بأس به باستمرار الحياة التعليمية في الأردن، واعتمدت أن من طرق التعلم في الأردن التعلم عن بعد وتعمل على إيجاد برامج تحقق التشارك بين المعلم والمتلقي بما يحقق قدراً أكبر من الأهداف.



المراجع

١. السكندر روشيا، الابداع اعام والخاص، ترجمة غسان ابو حجر، الكويت، مكتبة عالم المعرفة، ١٩٨٩م.
٢. د. احمد محمد المومني، الاستراتيجية السياسية والعسكرية في الاسلام، دار الفلاح، ١٩٩٥م
٣. د. فتحي عبد الرحمن جروان، تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات، دار الكتاب الجامعي، ١٩٩٩م.
٤. د. عبد الحميد شاهين، استراتيجية التدريس المتقدمة، جامعة الاسكندرية، مصر ٢٠٠٧م.
٥. مراد وهبة، معنى ابوستة، اجاث ندوة الابداع وتطوير كليات التربية من ٦-٨ ايار ١٩٩٦م جامعة عين شمس.
6. Brainstorming.w.w. interaction-designen.org.
7. How to brainstorm in the classroom.www.thought.com
8. www.new.edu.com



السياسة الأدبية للعربية لغة ثانية إبان جائحة كورونا



الدكتورة أماني فرح الخليفة سليمان^(١)

جامعة سطاتم بن عبد العزيز - المملكة العربية السعودية

amanifarh@gmail.com

ملخص البحث

الأدب متن اللغة يشمل كافة علوم العربية ويمثل كل مستوياتها يعتبر مادة دسمة لتعليم العربية للناطقين بغيرها تتسم بالمرونة والتنوع ومواكبة الأحداث ومسايرتها.

والآن طرأت على البشرية جائحة اجتاحت العالم وأدت إلى إغلاق وإشكالات أثرت على تعليم العربية لمحدثيها والناطقين بغيرها فكانت فكرة البحث ضمن الحلول لإشكالات هذه الجائحة بدراسة تهدف لوضع سياسية مقترحة لتعليم الأدب للناطقين بغير العربية بموجهات فعالة بالاستفادة من معطيات واقع كورونا وبمنهجية تشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث الأول دور الأدب في تعليم العربية لغة ثانية قبل الجائحة والثاني تطوير طرق تدريس الأدب لغير الناطقين بالعربية بناء على معطيات كورونا والثالث السياسة الأدبية لتعليم العربية لغة ثانية إبان جائحة كورونا واختتم البحث بخاتمة وتوصيات عليها تنفيذ في مجال البحث والتطوير للباحث والقارئ مع ذكر للهوامش والمصادر المعتمدة في كتابة

(١) أستاذ الأدب والنقد المساعد في جامعة الأمير سطاتم بن عبد العزيز ١٤٤١-٢٠٢٠م رئيسة قسم اللغة العربية بكلية العلوم والدراسات الإنسانية ١٤٣٣-١٤٣٧هـ عضو الاتحاد الدولي للغة العربية ٢٠١٦م شاركت في مؤتمرات دولية وملتقيات بالأبحاث والحضور.

التمهيد

الأدب والوباء - جائحة كورونا وتعليم العربية لغة ثانية:

الأدب أحد أشكال التعبير الإنشائي عن مجمل عواطف الإنسان وهو اجسه بأرقى الأساليب الكتابية التي تتنوع من النثر إلى النثر المنظوم إلى الشعر الموزون لتفتح للإنسان أبواب القدرة للتعبير عنه بأسلوب آخر (١) يرادف لفظ الثقافة ومفهوم الأدب بمعناه الشامل يدرج جميع ما يكتب في اللغة من العلوم والأدب تحت مفهوم الأدب (٢) ويتميز الأدب بالمتعة والمعرفة والفن. وقد ظل ابن حاضرة فوقف معاونا للإنسان ومناصر له ضد الأوبئة التي تحتطفه في شتى أنواعها ونظر إلى الوباء من زاويته الفنية والجمالية وكان هو الفرع الأكثر مرونة ومسايرة للإحداث والنوازل ولم يكن الأدب قديما وحديثا متفرجا على الأزمات (٣)

والوباء قديم فقد كثرت الأوبئة قديما ومرت على العالم أزمات، وَصَوَّرَ الأدب بمعناه العام هذه الأزمات والأوبئة وسجل تاريخها وتفصيلها وترجم الأدباء أحوالها إلى فنون شملت أنواعه النثرية. والشعرية واختلفت أحوال الوباء أحيانا وذات حدته وعرف بالجائحة والجائحة وباء ينتشر بين البشر في مساحة كبرى مثل قارة مثلا وقد تتسع لتعم كافة أنحاء العالم (٤)

وقد استجابت الآداب للوبائيات ودونت حيثياتها وآثارها. ويتصف الأدب بالجنس البشري الذي ينتمي له مثل الأدب العربي أو الزمان أو الموضوع فالأدب الذي تناول الوباء الآن هو (أدب كورونا)

وينتظم العالم اليوم وباء بدأ في الصين وانتشر انتشارا واسعا محدثا جائحة خيمت بثقلها على العالم عرفها الجميع وأكتوي بناورها وآثارها. تلك هي جائحة فيروس كورونا أو كوفيد ١٩ وهي جائحة عالمية مستمرة

حالياً يسببها فيروس كورونا المرتبط بالمتلازمة النفسية الحادة الشديدة. وال جائحة مفرد والجمع جائحات وجوائح وهي داهية أو مصيبة تحل بالرجل في ماله فتجتاحه كله والجائحة هي وباء عالمي معد (٥)

والآن الجائحة مستمرة وقد قلبت العالم وأفرزت واقعا متعدد المشكلات بسبب الأنظمة التي اتخذها العالم للحد من الانتشار والتفشي، وتبني العالم سياسات جديدة، واقترح أنظمة للتعامل مع الأزمة عرفها الجميع، وأصبحت واقعا، ولما كانت اللغة هي مرآة عاكسة لكل النشاط الإنساني المتأثر بواقع الأزمة اليوم كان تعليمها متأثرا أيضا إذا كان لناطقها أو لغة ثانية.

وأثرت الجائحة على اللغات في العالم بأسره وانتجت مفردات جديدة تشمل مصطلحات متخصصة في مجالات علم الأوبئة والطب والمختصرات الجديدة والكلمات للتعبير عن الضروريات المجتمعية المفروضة كالعزلة والتباعد وغيرها. لأن الوباء لم يغير في لغة الخطابات العائلية فحسب بل وفر أيضا مساحة لتطور جديد حول التنوع اللغوي وأثره في السلوك الصحي كما أن تعلم لغة ثانية أو ثالثة له فوائده من الناحية الاجتماعية والمهنية (٦)

وتظهر آثار الجائحة بوضوح في اللغات في آدابها التي تعتبر الأداة لكل فن تواكب الاحداث وتستجيب للجوائح وبالنظر إلى حال أدينا العربي نجد القائمين على الأمر واكبوا بالأدب الجائحة وذلك بانتشار المقالات والشعر وإطلاق المبادرات؛ للاستفادة من ظروف الإغلاق التي فرضتها الجائحة، ومبادرات في استثمار الأدب وفنونه، ومبادرات في تعليم العربية لغة ثانية نذكر منها على سبيل المثال.

١/ مبادرة أدب العزلة (٧) وتهدف إلى استثمار فترة البقاء في المنزل للوقاية من فيروس كورونا المستجد لتحفيز ممارسة التدوين والكتابة

الأدبية.

٢/ مبادرة منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (بيت
الايسيكو الرقمي) (٨)

ويمثل البرنامج تعلم العربية وكن ماهرا بها في بيتك الذي أطلقه
مركز الايسيكو لتعليم اللغة العربية الناطقين بغيرها وذلك للحد عن
انعكاسات الإغلاق للتعليم بسبب الجائحة .

وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها الجزء المهم من التعليم حقق
نتائج وإنجازات في المراكز والمعاهد المنتشرة في العالم وحظي بالاهتمام
وال تطوير والدرس والبحث للتقدم به تأثر بالجائحة وتوقف معتمدا على
التقنية فقط مثل التعليم عامة واحتاج إلى بحث الطرق للخروج به إلى
بر الأمان إيان الجائحة.

فجاءت فكرة البحث مواكبة للواقع ومحاولة لتحويل آثار الجائحة
والبحث في الظروف المحيطة بها لوضع سياسة لتعليم الأدب وتعليم اللغة
بطريقة النص الأدبي للناطقين بغير العربية بموجهات ميسرة مستفيدا
من معطيات واقع كورونا .

المبحث الأول

دور الأدب في تعليم العربية لغة ثانية قبل جائحة كورونا

في الأدب تتجلى كل العلوم المرتبطة باللغة فهو النموذج الذي يضم
مفرداتها وتتضح فيه قواعدها وتطبيقات علومها المختلفة وهو يتسم
بمستويات تتفاوت بين البساطة والسهولة إلى العلو والفنية والتعقيد
كما يتسم بالوصف للواقع، والإضافة إليه؛ أي تجاوزه إلى تحليل القيمة
المضافة من خلال تقديمه نماذج من أليات التفكير سواء على الصعيد
الفردى أو المجتمعات(٩) فهو مرآة لكل حدث ومتجدد بتجدد الزمان
أي هو ماضي اللغة وحاضرها ومستقبلها ويظهر فيه تقدمها وتجدها

وما اكتسبته من مفردات جديدة وتراكيب وما افتقدته ومن هنا شكل الأدب دورا مهما في تعليم اللغة العربية بصورة عامة وتعليم العربية كلغة ثانية على وجه الخصوص. فالأدب يضيف نظرة شاملة عن حياة الشعوب و أنظمتها السياسية والاقتصادية والتربوية مما يجعل له مكانة هامة في تعليم اللغات الأجنبية فالأدب ليس مجرد الحقل الأول الذي تكمن دراسته ابتداءً في اللغة، بل هو الذي يمكن لمعرفته أن تسلط صوغا جديدا على خواص اللغة نفسها (١٠) وينبثق الدور الفاعل من كون الأدب وعاء ثقافيا وحضاريا مما يسهم في رفع القاعدتين اللغوية والثقافية للدراسين (١١)

وقد كان الأدب بميزاته في تعليم اللغات مدعاة لكثير من الباحثين في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها قبل الجائحة في البحث فيه وتناولته الدراسات من نواح عدة ونذكر ما تناولته هذه الدراسات في ما يخص موضوع الأدب وأهميته ودوره في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وقد تناولت هذه الدراسات مساهمة الأدب الكبيرة ودوره الفاعل في تعليم العربية لغة ثانية وذلك بوضع الرؤى والمناهج والأسس والمعايير التي تحقق للأدب أن يقوم بمهمته في تعليم العربية خير قيام ومن الدراسات:

١/ دراسة نحو رؤية منهجية في تدريس للنص الأدبي للناطقين بغير

العربية - د/ نزار مسند قبيلان و د/ فاطمة محمد العليان (١٢)

٢/ دراسة د/ عمر معطفي عبدالله بساطي - أسس ومعايير اختيار

النصوص الأدبية للناطقين بغير العربية - (١٣)

٣/ تحديات تدريس النص الأدب لغير الناطقين بالعربية - د/ محمود

العشيري (١٤)

٥/ رؤى لسانية في تدريس القصة القصيرة للناطقين بغير العربية

- د وليد العناتي (١٥)

كما تناول المهتمين بهذا الجانب تبسيط الأدب ليلائم مستوى

الناطقين بغيرها ومن ذلك.

المقال الذي كتبه د/ اسماعيل رمضان بعنوان تبسيط السرد القصصي للناطقين بغير العربية الوظائف - الاشكاليات - المعايير كما أجاب د/ خالد أبو عمشه في منتدى (١٦) مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية على السؤال الصريح - لماذا تدريس الأدب للناطقين بغير العربية فذكر أسباب وجيهة كثيرة لاستخدام الأدب في الفصول الدراسية للعربية لغة ثانية ومنها على سبيل المثال أن الأدب مادة حقيقية ونصوص أصلية وهو يشجع على التفاعل معها كما يوسع الوعي باللغة ويصقل الشخصية وهو تحفيز لأنه يحتل مكانة عالية في كثير من الثقافات كما أنه الأكثر إثارة للاهتمام من المناهج الأخرى.

وتوصلت الدراسات المذكورة لنتائج تخدم دور الأدب وتفعيله لتعليم العربية نوجزها فيما يلي:

- ١ في اختيار المحتوى يجب مراعاة الأسس النفسية والتربوية واللغوية. مع الصحة والارتباط بالأهداف والتوازن والتنوع
- ٢/ اختيار الأدب الحديث لأنه يخدم بشكل مباشر وقوى مستوى اللغة العربية المعاصرة
- ٣/ الرؤى المقدمة لاستثمار الأدب في تعليم اللغات الأجنبية تظل خاضعة للتطوير والتعديل في غرفة الدرس.
- ٤/ أهمية تبسيط النصوص الأدبية دون تجاوز المؤلف الأول وأسلوبه.
- ٤/ ضرورة إجراء بحوث ومناهج مبسطة لتدريس الأدب نظرا لقلّة الدراسات .

٥/ الحاجة الماسة إلى معجم عربي مع بداية التعامل مع النصوص

٦/ أهمية إعداد معلم صف الأدب



و جاء الدور الفاعل للأدب في تعليم العربية للناطقين بغيرها متمثلاً في شيوع استخدام طريقة النص الأدبي كطريقة هامة وفعالة في تعليم العربية لغة ثانية وطريقة النص الأدبي طريقة تجمع مزايا الطريقة القياسية والطريقة الاستنباطية وتشارك هذه الطريقة مع الطريقة لاستنباطية في استخراج الأمثلة من النص الأدبي وتعرف بأنها طريقة مبنية على النصوص الأدبية حيث يقوم المعلم بكتابة نص أدبي ويستخرج منه الأمثلة التي تشمل القاعدة النحوية ثم يميز المعلم الأمثلة ويناقش الطلاب لاستنباط القاعدة (١٧)

واستحسن الباحثون الطريقة لأنها لا تقع في محاذير الأمثلة كما في الطرق الأخرى. (١٨)

ومما سبق خلاصة القول أن الأدب وطريقته يمثل دوراً فاعلاً في تعليم العربية لغة ثانية حيث لم يقف عند التدريس والتعليم فقط بل كان الأدب تفاعلياً في الحاسوب ووجدت الدراسات لاستخدام الحاسوب في تعليم الأدب مثل دراسة بعنوان الأناشيد العربية للمبتدئين من الناطقين بغيرها باستخدام الحاسوب لدكتور محمد محي الدين أحمد وفردوس أحمد جاد (١٩) هدفت لاستفادة من الأناشيد العربية وتوظيفها في تعليم اللغة العربية للمبتدئين من الناطقين بغيرها.

المبحث الثاني

تطوير طرق تدريس الأدب لغير الناطقين بالعربية بناء على معطيات جائحة

كورونا

تعدد طرق تدريس اللغة العربية لغة ثانية في جميع فروع اللغة العربية ويتم التدريس بطرق كثيرة اشتهرت وحظيت بالدرس لها وبيان كفاءتها وتطبيقها والأسس والمعايير التي تقوم عليها ومناسبتها وسلبياتها

وايجابياتها. ومن الطرق المستخدمة (طريقة القواعد والترجمة الطريقة المباشرة، والطريقة السمعية والشفهية والطريقة التواصلية، والطريقة الانتقائية٢٠) وذكرت د. نادية العساف طرائق منها طريقة المحاضرة أو ما يطلق عليها الطرائق التقليدية، وطرائق تعتمد على جهد المعلم والمتعلم عرفت بطريقة المناقشة والحوار وطرائق قائمة على جهد المتعلم يطلق عليها طرائق التعلم الذاتي) (٢١)

وتعرف الطريقة بأنها إجراءات يتبعها المعلم لمساعدة تلاميذه على تحقيق الأهداف المحدودة في جهد يبذل من أجل غاية (٢٢)

والطرائق تختلف حسب طبيعة المادة والموضوع وما ذكرناه هو عبارة عن ذكر طرق تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها بصفة عامة أما ونحن نتحدث عن تعليم اللغة العربية عن طريق النص الأدبي أو تدريس فرع الأدب لأهميته السابقة فإننا نسعى إلى أي الطرق تناسب تدريس النص الأدبي أو تدريس الأدب للناطقين بغير العربية؟ علما بأن نجاح عملية تدريس اللغة الأجنبية وفعاليتها لن يتحقق بطريقة واحدة وإنما بعدة طرائق ينتقي فيها ما يناسب المتعلم لأنه لا توجد طريقة واحدة تناسب جميع الأهداف (٢٣)

أما الطرق التي ذكرها الباحثون لتدريس اللغة العربية لغة ثانية والتي تتصل بتدريس الأدب نذكر منها ما يلي:

١/ طريقة النحو والترجمة من أهم ملاحظها الغرض من تعلم اللغة الأجنبية هو قراءة النصوص الأدبية والاستفادة منها في التدريس العقلي وتنمية الملكات الذهنية (٢٤)

٢/ الطريقة المباشرة وهي أول محاولة لاستخدام الحوار والسرد القصصي كأساس لتعليم المهارات اللغوية المختلفة. (٢٥)

٣/ الطريقة السمعية الشفهية تقدم النصوص في شكل حوارات. (٢٦)



٤/ الطريقة الانتقائية التي تحاول الاستفادة من الطرائق الثلاث

(٢٧)

وبالإضافة للطرق ذكر الباحثون إجراءات تتبع وطرائق لتدريس الأدب يقول د/ محمود عشيري يجب أن تتاح للمتعلم فرصة تسمح له بتأمل النص الأدبي محل الدراسة وادخار الوقت الكافي للمناقشة يطرحها المعلم حول النص ويعمل الطلاب عليها ثم تكون إجابتها مادة لاستثمار النقاش حولها (٢٨)

أما د/ وليد العناتي فيرى في طريقة تدريس القصة بالإجراءات التالية تكون مناسبة ومخلص الإجراءات هي: أن يشتمل التدريس على مشهد تمثيلي وقراءة صامتة، وقراءة جهرية وقراءة تحليلية ثم التحدث والمناقشة والحوار الشفهي، وأخيراً الكتابة والتلخيص وإعادة الصياغة (٢٩)

وبعد ذكرنا للطرق نأتي للطريقة التي اختصت بالأدب وهي طريقة النص الأدبي وهي الجامعة لمزايا الطريقة القياسية والطريقة الاستنباطية وهي مبنية على النصوص الأدبية حيث يقوم المعلم بكتابة نص أدبي ويستخرج منه الأمثلة ويناقش الطلاب فيها ويوصل إلى استنباط القاعدة (٣٠)

والطريقة محببة لتدريس النحو العربي مما يؤكد أهمية ودور الأدب وطريقته في تعليم العربية لغة ثانية (فاناسب الطرق لتدريس النحو العربي للناطقين بغير العربية هي طريقة النص الأدبي لأنها تشتمل على مميزات معظم الطرق الأخرى ويجب أن نأخذ بعين الجدل النقد الذي وجهه بعض الباحثين لهذه الطريقة ونعمل على تجنبه لتطوير الطريقة لتكون مناسبة لمستوى الطلاب ٣١

وبعد استعراضنا الطرق يبقى السؤال كيف يمكن تطويرها

لتناسب زمن كورونا بالاستفادة من معطيات واقع كورونا؟

وقبل الإجابة نجيب عن السؤال ما هي معطيات واقع كورونا التي يمكن أن تساعد في إيجاد تطوير لطرق تدريس الأدب للعربية لغة ثانية؟ فيروس كورونا اخترق حاجز الزمان والمكان لذا وجب مواجهته بتعليم يتحدى الزمان والمكان (تعليم عن بعد) وقد أثرت الجائحة على اللغات في العالم بأسره فقد أصبح الناس يستخدمون مفردات ومصطلحات جديدة أو قليلة الاستخدام بكثافة غير معهودة الأسماء والمصطلحات الجديدة تشير إلى اسم العدو الجديد (Covid-19) الذي أصبح يعرف بكل اللغات في مختلف البلدان والثقافات وأول معطيات واقع كورونا لا يرتبط باللغة وهو .

١/ فترة الإغلاق: فقد دعت عدد من الجهات إلى الاستفادة من فترة الإغلاق لتعلم اللغات حيث يكون تعلم لغة جديدة خيارا جيدا لقضاء الوقت (٣٢)

و بقية المعطيات مرتبطة باللغة.

٢/ اللغة الجديدة: فقد أوجدت الجائحة لغة عالمية مشتركة تمكن من تعريف التهديد الذي واجه الجنس البشري وغيّرت نوع وطبيعة وأشكال الاستجابات التي قامت بها الإنسانية جمعاء لمجابهة هذا الخطر. (٣٣)

فقد أنتجت الجائحة مفردات جديدة تشمل مصطلحات متخصصة من مجالات علم الأوبئة والطب والمختصرات الجديدة والكلمات للتعبير عن الضروريات المجتمعية المفروضة كالعزلة والابتعاد.

٣/ المنظور الجديد حول التنوع اللغوي. أن الوباء لم يغير في لغة الخطابات العائلية وحسب بل وفر أيضا مساحة لمنظور جديد حول التنوع اللغوي وأثره في السلوك الصحي (٣٤)



٤/ التواصل المتعدد اللغات: أداء أساسية لتحسين الصحة العالمية

وتسهم هذه الاستراتيجية اللغوية من الوصول لوضع أفضل لمجابهة انتشار فيروس كورونا نتيجة لظهور المرض في الصين ووجود جنسيات كثيرة فيها فكان ضروريا تداول المعلومات الصحية بلغات متعددة وبدأت تظهر بعض المعلومات بلغات أجنبية منها العربية. (٣٥)

٦/ عودة أدب الأوبئة إلى النور إذ حققت رواية الطاعون لابيير كاموا مبيعا هائلا في الفترة الأخيرة وزادت الطلبات على الروايات التي تتناول موضوع الأوبئة كرواية كوليرا ٧٦ للروائي السوداني أمير تاج السر (٣٦)

٧/ وأهم المعطيات الانتشار الكبير للتطبيقات والألعاب الالكترونية لتعليم اللغات عن بعد حيث تعمل شركات التقنية بنشاط على تسويق منتجاتها كحلول للطلاب للتعليم اللغات الأجنبية وإثراء الإنترنت، وهي الحل الأمثل في زمن كورونا وأثنى خبراء تعلم اللغات على خطوة الشركات بتأمين موارد غير مقيمة للطلاب (٣٧) حيث يتيح أحدث تطبيقات زوزيتا ستون على آيفون لمستخدميه توجيه هواتفهم على شيء معين ليعطيهم اسمه باللغة التي يتعلمونها (٣٨)

٨/ تقبل الشباب للحاسوب والانترنت حيث يخلق الحاسوب بيئة

افتراضية يتعلم الدارس من خلالها مهارات اللغة العربية (٣٩)

والمعطيات تساعد بقدر محدد في تطوير طرق تدريس الأدب لغير الناطقين بالعربية ولكن يبقى الحل الأكيد في الاعتماد على التقنية في الوصول للطلاب في ظل الاغلاق الشامل.

ويمكن التطوير لطرق التدريس عن طريق تحديث أساليب تعليم وتوظيف التقنيات الحديثة في ذلك فتتطور الوسائل السمعية والبصرية ويصبح لها موقع في برامجنا وتعد برامج لتعليم العربية عبر القنوات الفضائية. (٤٠)

وتعد برامج التعليم الذاتي والاعتماد على التقنية هي الحل الأمثل للتعليم إبان الجائحة

ومن التطوير الالتجاء إلى الأدب التفاعلي، واستخدامه لتعليم العربية لغة ثانية وهو (مجموعة الإبداعات التي اتخذت مع الحاسوب صورة جديدة في الإنتاج و التلقى)٤١

وتحتم بأساس التطوير وهو إعداد المعلم الجيد الذي يتخذ الطريقة الانتقائية التي تشتمل على الطرق التي تستخدم في تدريس الأدب وطريقة النص الأدب ويضع برامج التعليم على التقنيات الحديثة ليتواصل مع طلابه عن طريق التعلم الإلكتروني.

المبحث الثالث

السياسة الأدبية للعربية لغة ثانية إبان جائحة كورونا

يسعى البحث لاقتراح سياسية لتدريس الطلاب الناطقين بغير العربية مستفيدا من بعض المحاولات لتيسير الأدب عبر الأسس والمعايير والرؤي واستحسان طريقة تدريس النص الأدبي من كثير من الباحثين في هذا الشأن لتعليم العربية للناطقين بغيرها ومن الطفرة العلمية من مجال التعليم وتعليم الكبار، ومن ثورة التكنولوجيا في العصر الحديث وظهور الأدب التفاعلي والاعتماد على التقنية وتفصيلها وتطويرها في زمن كورونا ونطمح من السياسة الاستفادة منها في زمن كورونا واستخدامها لاحقا في التعليم عن بعد الذي أصبح يخدم عدد كبير من الطلاب الذين لا يستطيعون الالتزام بالتعليم المنتظم

إن وضع سياسة أدبية للعربية لغة ثانية يحتاج جهدا ومدارسة وتقصي لما تمثله السياسة الآن من ضرورة لازمة

وبداية نقف على مصطلحين متقاربين هما السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي فالسياسة اللغوية ومنها الأدبية هي مجمع الخيارات

الواعدة المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية وبالتحديد بين اللغة والحياة في الوطن كاتخاذ قرار بتجريب التعليم في المرحلة الجامعية، بشكل خيارا في السياسة اللغوية أما احتمال وضعه موضع التنفيذ في البلد فيشكل تخطيطا لغويا (٤٢)

والسياسة اللغوية الحكيمة المتوازنة هي التي تخلق المناخ المناسب لتعليم اللغات (٤٣)

والعلاقة بين السياسة والتخطيط اللغوي تتضح في الآتي اتخاذ القرار بشكل خيار في السياسة اللغوية واحتمال وصفه موضع التنفيذ يشكل تخطيط لغوي. (٤٤)

ومن مجالات التخطيط اللغوي الاهتمام بمجال اكتساب اللغة أو إعادة اكتسابها أي تعلم اللغة كلغة ثانية ويهتم ينشر اللغة خارج حدودها والبحث عن زيادة عدد الناطقين بها (٤٤)

فافتراح نظام لتعليم الأدب مادة أو طريقة النص الأدبي يشكل خيار في السياسة اللغوية والسياسة الأدبية التي نسعى منها إلى السياسة اللغوية لا بد لها من أسس ومعالم تحدد هذه السياسة، علما بأن السياسة توضع في زمن له اشكالات وهو زمن كورونا الذي يتسم بالإغلاق والتباعد والعزلة فتكون السياسة معتمدة على التكنولوجيا والتقنيات الحديثة معتمدة على النص الرقمي.

وتحدد معالم السياسة في المحاور التي تعتمد عليها العملية التعليمية والتي يمكن أن تحدها فيما يلي:

١/ المنهج

٢/ المعلم

٣/ البيئة

المنهج: يجب تبسيط الأدب واختيار ما يقدم منه إلى الطلاب، وذلك بمراعاة المنهج والطالب وتطبيق القواعد العامة في التعليم التي تقوم على الانتقال من السهل إلى الصعب ومن القليل إلى الكثير وهكذا. ونظرا لسعة الأدب وكثرة مادته وأنواعه وأجناسه تتعذر الاحاطة به ولكن نذكر موجهات لتنفيذ منهجه ومقرراته لتعليمه للطلاب فنركز على التبسيط في كل ما يقدم للدارسين للعربية لغة ثانية ونقترح أن تكون هنالك مستويات لتدريس المادة يدرس فيه المنهج بطريقة النص الأدبي المعروفة ونهدف من ذلك تدريس الأدب خاصة واللغة العربية عامة دراسة تقوم على اتباع الطريقة الكلية لتعليم اللغة وفي كل مستوى تراعي مستوى الطلاب والفروق الفردية والعمر.

المستوى الأول: يدرس فيه الوان من النثر الادبي للطلاب الكبار تشمل القصة المقالة المسرحية الحكم والأمثال أما الصغار تقدم لهم نصوص نثرية تخضع لضوابط أدب الأطفال وذلك بمراعاة نموهم (٤٣)

المستوى الثاني: تدريس نصوص أدبية نثرية والاستفادة من المواد المشتركة إبان جائحة كورونا للكبار وتقديم نصوص تخضع لضوابط أدب الطفولة المتأخرة.

المستوى الثالث: تدريس نصوص أدبية شعرية ونثرية مع الاستفادة من أناشيد تحكي عن الوقاية من كورونا

المستوى الرابع: تدريس نصوص أدبية متقدمة للطلاب المتميزين فقط

ويمكننا التركيز في المنهج عامة على الأدب الحديث (٤٤) وارجاء الأدب القديم لاحقا كما نقترح أن يكون اختيار النصوص التي تتسم بالحوية والاستفادة القصوى من الأدب التفاعلي واستخدام طريقة التعليم بالصون المختلفة سواء الثابتة أو المتحركة (٤٥) والاستفادة من اللغة المشتركة إبان

المحور الثاني: المعلم



يقع عليه العبء الأكبر في تدريس النص الأدبي ويشارك في اختيار النصوص لأنه قائد العملية التعليمية يوجه الطالب حسب ما يريد ولا بد من تأهيله من ناحية الكم المعرفي والكيف الأدائي والدراية بمكنون اللغة وبالفروق الفردية بين الطلاب وبكل ما يؤثر في تحصيل المادة العلمية عموماً ونحن في زمن كورونا لا بد للمعلم من الوصول إلى الاحترافية في التعلم الإلكتروني والمتابعة لكل ما هو جديد من المعلومات التي تساعد في إجابة العملية التعليمية لذا نرى أن يتعاضد الدور الذي تقوم به المراكز التعليمية لتدريس معلم العربية للناطقين بغيرها وضرورة التأهيل اللازم.

وأهم الضوابط في المعلم هي:

- ١/ التأهيل الكامل للمعلم من الناحية التربوية والمهنية.
- ٢/ الاحترافية في التعليم الإلكتروني والمتابعة للجديد والاستفادة من البرامج المقدمة على الشبكات وإرشاد الطلاب لها.
- ٣/ المهارة في تطبيق طريقة النص الأدبي مع استخدام الطرق الأخر لتدريس الأدب بها.
- ٤/ التمكّن من الأدب والإبداع في تدريسيه مع المهارة والاستفادة من الأدب التفاعلي
- ٥/ المواكبة لمستجدات العصر والاستفادة من معطيات جائحة كورونا واللغة المشتركة التي أوجدتها في تعليم الطلاب واختيار النصوص الحية لهم

البيئة التعليمية

هي المكون التعليمي الأهم في العملية التعليمية وتكون فاعلة تجهز بما يلي:

١/ الالتزام من المعلمين في البيئة التعليمية بالتحديث بالفصحي فقط

٢/ توفير الزمن المناسب لتفاعل الطلاب مع ما درسه.

٣/ تحفيز الطلاب المتميزين وتشجيعهم على الاتقان.

٤/ توفير تواصل الطلاب بمتحدثي العربية من الطلاب العرب

المتقنين .

وفي زمن كورونا تحتاج البيئة التعليمية لتجهيز إضافي هو:

١/ التقنية فالاعتماد الكلي عليها في تقديم المادة العلمية وشرحها وتفاعلها وتقييمها لذا لا بد من الاعتماد على النص الرقمي لدوره الهام في تعليم اللغات والنص الرقمي هو كل نص ينشر نشرا الكترونيا سواء أكان على شبكة الانترنت أم على اقراص مدججة أو في كتاب الكتروني (٤٦)

ونخلص من ذلك إلى أن هذه المحاور الثلاثة والاهتمام بالتقنية تجعل سياسة تدريس الأدب محكومة بأنظمة معينة على تعليم العربية لغة ثانية في زمن كورونا وموجهات المنهج التي ذكرناها يمكن أن تعين على تدريس الأدب بطريقة فاعلة والمعلم الكفوء والبيئة الفاعلة والاستفادة التامة من التقنية يمكن أن تؤدي إلى جعل تعليم الأدب للمتعلمين مجال للمتعة والاستمتاع والتشويق كما يمكن أن تجعل عملية التعليم عملية ميسرة وكل هذه المكونات يمكن أن تجعل فترة الاغلاق في زمن كورونا فترة مثمرة من تعليم جاد ويخرج الطلاب بعد الأزمة وقد اكتسبوا تعليما ممتعا وتتبقى السياسة قابلة للتنفيذ بإذن الله تعالى للراغبين في التعليم عن بعد والحمد لله الواحد الأحد.



نختتم بنتائج البحث ونوجزها في:

١. الأدب وطريقته يمثل دورا فاعلا في تعليم العربية لغة ثانية.
٢. الدراسات للأدب ودوره في تعليم العربية أوجدت موجهاً مهمة في النص الأدبي لتعليم العربية لغة ثانية.
٣. معطيات وواقع كورونا يساعد بقدر محدود في تطوير طرق تدريس الأدب ولكن يبقى الحل الأمثل في الاتجاه للتقنية.
٤. أهم الطرق لتدريس الأدب في تعليم العربية لغة ثانية هي طريقة النحو والترجمة والطريقة المباشرة والطريقة السمعية والبصرية ويمكن اختصارها في الطريقة الانتقائية .
٥. التعليم الذاتي والاعتماد على التقنية هي الحل الأمثل للتعليم إبان جائحة كورونا.

الهوامش

١/ انظر <https://erm.wikipedia.ovgw>

٢/ انظر <https://com.mawdoo3>

٤/ د/ فهد البكر (أدب الأوبئة من وحي كورونا - الرياض جريدة - ٦/٤/٢٠٢٠م)

٥/ انظر arwikiradia.avg

٦/ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب القاهرة ٢٠٠٨ ص

١٢٣

٧/ انظر <https://net.mata>

٨/ د/ ضياء الكعبي كورونا بين أدب الأوبئة وأدب العزلة - موقع ٢٤ الأخباري -

١٤/٤/٢٠٢٠م

٩/ المصدر السابق

١٠/ انظر <https://com.e3arabi>

١١/ اللغة والأدب - مقال ضمن كتاب اللغة والخطاب الأدبي اختيار وترجمة سعيد

المركز الثقافي العزي - بيروت ١٩٩٣م ص ٤٤

١٢/ د/ هاني رمضان - تبسيط السرد القصص للناطقين بغير العربية مقال نشر في

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية الوظائف - الاشكاليات - المعايير - مجلة جيل للعلوم

الانسانية ص ٢٨

١٣/ د/ عمر مصطفى بساطي - أسس ومعايير اختيار النصوص الأدبية للناطقين بغير

العربية - مجلة العربية للناطقين بغيرها ع ٢٠ ٢٠١٦م

١٤/ د/ محمود العشري - تحديات تدريس النص الادبي بغير الناطقين بالعربية جامعة

قطر



١٥/ وليد العناتي - روى لسانية في تدريس القصة لغير الناطقين بالعربية - مجلة

جامعة النجاح م ٢٣ - ٢٠٠٩م

١٦/ د/ هاني اسماعيل رمضان - تبسيط السرد القصصي للناطقين بغير العربية ص ٢٨

١٧/ د/ خالد أبو عمشة - منتدى مجمع اللغة العربية الشبكة العالمية - مقال بتاريخ

٢٠١٧/٣/١م

١٨/ سعدون السامون - مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها دار وائل - الاردن -

ص ٢٢

١٩/ محمد اسماعيل ظافر - التدريس في اللغة العربية - دار المريخ السعودية ط ١ -

١٩٧٤ ص ٣٧٩

٢٠/ د/ محمد محي الدين احمد وفردوس احمد جاء تعليم الأناشيد العربية للمبتدئين

من الناطقين بغيرها باستخدام الحاسوب - ص ١ www.arabic.teacher.com

٢١/ عبدالرحمن الفوزان - إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها - الرياض

- ط ١ م ٢٠١١ ص ٨٥-٧٧

٢٢/ نادية العساف - طرائق تدريس مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها ص ٥٥ بين

النظرية والتطبيق - دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية م ٤٢ ع ١٥ ٢٠١٥م

٢٣/ المرجع السابق ص ١١٥٨

٢٤/ السامري / جواد انتصار، أساسيات طرق تدريس اللغة العربية واتجاهات

الحديثة ص ١٤ ط ١

٢٥/ د/ نصر الدين ادريس جوهر - طرق تدريس للناطقين بغيرها - المؤتمر الدولي

لغة العربية السابع دي - ٢٠١٨م

ص ١٣

٢٦/ المرجع السابق ص ١٧

٢٧/ المرجع السابق ص ١٧

٢٨/ عبدالرحمن الفوزان إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين ص ١١٧

٢٩/ د/ نادية العساف - طرائق تدريس منهاج تعليم العربية للناطقين بغيرها ص ١٦١

٣٠/ وليد العناتي - رؤي لسانية في تدريس القصة القصيرة للناطقين بغير العربية

ص ١٣٢

٣١/ علي حسن الديلمي - أساليب حديثة في تدريس اللغة العربية دار الشروق - الأردن

ط - ٢٠٠٤م ص ٩٣

٣٢/ د/ أحمد علي لقم - السياسة النحوية المقترحة للناطقين بغير العربية - مجلة

الاستواء ع ١٠- ٢٠١٨م دار الكتب المصرية ص ٣٣٦

٣٣/ انظر <https://arabic.cnn.com>

٣٤/ انظر <https://mata.net>

٣٥/ د/ صبري الريحان - اللغة في زمن كورونا ٥/٤/٢٠٢٠م انظر <https://alahad.com>

com

٣٦/ انظر الكورونا والتنوع اللغوي درس اخلاقي - انطونوس نادر منصة معنى

الثقافة - منصة معنى الالكترونية

٣٧/ انظر [newshttps://www.hbku.edu.qaa](https://www.hbku.edu.qaa)

٣٨/ Arabic.<https://www.bbc.com>

٣٩/ article.home=<https://aawsat.com>

٤٠/ انظر <https://www.al-fanarmedia.org>

٤١/ سالم ٢٠٠٤م - ص ١٩٥-٢١٧

٤٢/ د/ رشدي طعيمة - تعليم العربية للناطقين بغيرها في المجتمع المعاصر ص ٣٧

٤٣/ سعيد يقطين - من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع



٣٠-٣١ مايو ٢٠٢٠م

المؤتمر الدولي العالمي في ظل أزمة كورونا: إشكاليات وحلول

المركز الثقافي العربي - المغربي لبنان ٢٠٢٢م ص ٩

٤٤/ أيمن الطيب - التخطيط والسياسة اللغوية وأبرز عوائقها في الوطن العربي -

معهد الدوحة للدراسات - الجزائر - ٢٠١١م ص ٣٠٦

٤٥/ عبدالقادر الفاسي الفهري- السياسة اللغوية في البلاد العربية - بنغازي - دار

الكتاب ص ٥٣ ٢٨ مارس ٢٠١٣م

٤٦/ أيمن الطيب - التخطيط والسياسة اللغوية ص ٣٠٦

٤٧/ المرجع السابق ص ٣٠٥



المصادر والمراجع

- * أحمد علي لقم - السياسة النحوية المقترحة للناطقين بغير العربية - مجلة الاستواء ع ١٠ ٢٠١٨م /
- * أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة .عالم الكتب القاهرة ٢٠٠٨
- * أيمن الطيب / التخطيط والسياسة اللغوية وابرز عوائقها في الوطن العربي - معهد الدوحة للدراسات - الجزائر ٢٠١١م
- * خالد أبو عمشة / منتدى مجمع اللغوية العربية الشبكة العالمية - تعليم العربية لغير الناطقين المجتمع المعاصر ٢٠١٧
- * السامري / جواد انتصار ، أساسيات طرق تدريس اللغة العربية واتجاهاتها الحديثة ط ١
- * سعيد الحوري - ترجمة اللغة والأدب - مقال ضمن كتاب اللغة والخطاب الأدبي - المركز الثقافي العربي - بيروت الدار البيضاء ١٩٩٣
- * سعيد يقطين - من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي المركز العربي الثقافي - المغرب - لبنان ٢٠٠٢م
- * سعدون الساموك - مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها - دار وائل - الأردن
- * صبري الريحان - اللغة في زمن كورونا ٤/٥ ٢٠٢٠م
- * عبدالقادر الفاسي الفهري - السياسة اللغوية في البلاد العربية - بنغازي - دار الكتب
- * عبدالرحمن الفوزان - إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها - الرياض - ط ١ ٢٠١١م
- * علي حسن الديلمي - أساليب حديثة في تدريس اللغة العربية دار الشروق ،



الأردن ط ٢٠٠٤م

- * عمر بساطي أسس ومعايير اختيار والنصوص الأدبية للناطقين بغير العربية
- مجلة العربية للناطقين بغيرها ع ٢٠ ٢٠١٦م
- * محمد إسماعيل ظافر - التدريس في اللغة العربية دار المريخ - السعودية
- ط ١ ١٩٧٤م
- * محمد محي الدين أحمد، وفردوس أحمد جاد - تعليم الأناشيد العربية
للمبتدئين من الناطقين بغيرها باستخدام الحاسوب
- * محمود العشري - تحديات تدريس النص الأدبي بغير الناطقين بالعربية
جامعة قطر
- * نادية مصطفى العساف - طرائق تدريس منهاج تعليم العربية للناطقين
بغيرها بين النظرية والتطبيق دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، م ٤٢
ع ١ ٢٠١٥م
- * د/ نصر الدين إدريس جوهري - طرق تدريس العربية للناطقين بغيرها -
المؤتمر الدولي للغة العربية السابع دبي - ٢٠١٨م
- * د/ هاني رمضان - تبسيط السرد القصص للناطقين بغير العربية مقال نشر
في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية الوظائف - الإشكاليات - المعايير - مجلة
جيل للعلوم الإنسانية
- * وليد العناتي - رؤى لسانية في تدريس القصة القصيرة للناطقين بغير العربية
- مجلة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية م ٢٣ ٢٠٠٩م



تعليم الكورونا عن بعد في فترة الحجر الصحي

الدكتور محمد بسناسي

جامعة ليون تخصص الترجمة واللغات والألسنية - فرنسا

الملخص:

ستنهض الورقة البحثية بتدارس محور تعليمي دار رحاه حول وباء الكورونا ١٩ المستجد، قُدِّمَ لتلامذة فرنسيين عن بعد، وَخَصَّ مستوى التعليم المتوسط (middle school)، وستعرض الدراسة محتوى معالجة موضوع كورونا، بالتعريج على أهم ما تمّ التطرق له من محاور درس أساسية، وكيف كانت استجابة التلاميذ لهذا المحتوى التعليمي الذي يتصل اتصالا وثيقا بالراهن وما يجري من مستجدات بشأن الوباء العالمي، ومن المعلوم أنّ مختلف دول العالم لجأت إلى غلق المدارس ضمن جملة التدابير التي تبنتها الحكومات مكرهة تفاديا لتفاقم العدوى من جهة ومن أجل تعزيز الإجراءات الاحترازية الصحيّة من جهة أخرى. كما التجأت إلى مبدأ الشغل عن بُعد بوصفه حلاً قسريا، طال كذلك المدارس والمؤسسات التعليمية، إذ نشط التعليم عن بعد بل وفرض نفسه بوصفه بديلا إجرائيا لامناص منه لإتمام العام الدراسي بأخف الأضرار الممكنة ومرافقة التلاميذ حتى يواصلوا تحصيلهم التربوي دون إفراط أو تفريط.

كلمات مفتاحية:

التعلم عن بعد، كورونا، الوسائط التقنية الحديثة، منصات التعليم.



:Abstract



This study will deal with a part of a didactic unit taught to French students in the 19-related to the Covid middle school thanks to E-learning. So, we will explore some points of the studied unit by focusing on the reaction of students to a theme such as the coronavirus. We know that this topic is nowadays the current subject because it concerns the whole world. To face the pandemic, many countries closed schools among other measures. Most of the governments adopted some new ways to do things in order to limit the propagation of the disease on one hand, and to reinforce the health prevention on the other. Teleworking was an unavoidable option to maintain some services. This type of work was used in both schools and educational establishments. Therefore, E-learning was an appropriate alternative for learners to guarantee, as far as possible, the continuity of the school year.

:Keywords

.E-learning, teaching platform, Coronavirus, ICT

خطة البحث

* الملخص

* توطئة

- * الإشكالية، المدونة، المنهجية وأهمية الدراسة
- * في مفهوم التعليم
- * مفهوم التعليم عن بعد
- * المعالجة الفرنسية لمسألة التعليم في ظل أزمة الكورونا
- * من محاسن ونقائص التعليم عن بعد (التقليدي والالكتروني)
- * لماذا تدريس الكورونا؟
- * معالجة المدونة
- * نواتج البحث

توطئة:

ضربت جائحة كورونا الفاتكة بتلابيبها في العالم قاطبة، من شماله إلى جنوبه، ومن شرقه إلى غربه، وحصدت أرواح الناس حصادا مهولا، وكان انتشار العدوى من بلد إلى آخر كاشتعال النار في الهشيم، وأضحى الوباء موضوع الساعة، ومادة الحديث الدسمة، تبعا للغموض الذي يكتنف الفيروس من جهة، ولما انتهى إليه الوضع من خسائر بشرية جسيمة هنا وهناك من جهة ثانية، ولما أفضى إليه من تأثيرات خطيرة مسّت جميع قطاعات الحياة العادية من جهة ثالثة؛ فَشَلَّتْ النشاطات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والرياضية، وتمّ تعليق فتح الحدود بين الدول، وأغلقت دور العبادة والمدارس والمعاهد والجامعات، واتجهت الأنظار إلى فتح علمي قد يُشْرِقُ من بين يدي العلماء والباحثين، وعكفت المخابر البحثية في مسارعة مع الزمن من أجل تدارس سلوك الفيروس تدارسا عميقا، يحوّل إيجاد ترياق شاف أو لقاح كاف، لعل هذا أو ذاك يقي الناس شرور العدوى، وَيُحَيِّدُ مخاطرهما الجمة. وفجأة تُعَلِّقُ الإنسانية آمالها على البحث العلمي، ومكتشفاته، وَتَبَيِّنُ للقاصي والداني أن لا مناص



من البَحْث والتجريب والاختبار والدراسة العلميّة لبقاء التّوع البشريّ.

إِنَّ عام ٢٠٢٠م يمكن وصفه بعام الكورونا بامتياز، لما فرضه على الحكومات والساسة من اعتناق تخطيطات طارئة، غالباً ما كانت صارمة، وغير معهودة الجانب، تغيّات الحدّ من تفشّي الوباء، حفاظاً على سلامة الناس وأرواحهم ولو من باب الحيطة. وكان مِنْ أُمير السياسات المنتهجة تطبيقُ الحجر الصّبيّ، وغلقُ المرافق والساحات العموميّة، والتّعويل على مبدأ العمل عن بعد، ومنعُ التجمّعات والتظاهرات، والأسواق، وغلقُ المطارات والحدود، وتعليقُ السفر داخليّاً وخارجيّاً، واستتبع كلّ هذا تَبَدُّلُ نمط الحياة؛ بحيث تمّ تنظيم التّبضع، بفرض التباعدا الاجتماعي، وبُنِثت حملات التّحسيس الوقائيّة، وومضات توعويّة صحيّة. وما من شكّ أنّ قطاع التّربية، بشقّي مستوياته التّعليميّة، من مدارس وثانويات وجامعات ومعاهد، تعرّضت إلى الغلق احترازاً ووقاية لصحّة المتعلّمين والمدرّسين على حدّ سواء. لذا، فقد راحت الوزارات الوصيّة تُقرّ مبدأ التّعليم عن بعد بشقّيهِ التّقليدي والالكتروني، بوصفه حلاً بديلاً لا يُستغنى عنه في سياق سِمْتُهُ الطوارئ الصحيّة القاهرة.

إشكالية البَحْث:

ستتصدّى الدراسة إلى أهميّة تدريس الكورونا في ظل الحجر الصّبيّ في محاولة لرصد تجاوب التلاميذ مع حصص تدريسيّة عن هذا الموضوع قُدِّمَتْ من طريق التّعليم عن بعد، كما سنعرّج على خصائص التّعليم عن بعد بشقّيهِ الالكتروني والتّقليدي، بالتركيز على التجربة الفرنسيّة.

العينة المدروسة:

تمكّننا من التوصل بوحدة تعليميّة، عَنَت بتدريس سياق الكورونا وتبعاته، انتظمت في شكل حصص منفصلة، سلّطت الأضواء في جوانب تأثرت بالجائحة العالميّة، ولقد انطوت الوحدة التعليميّة على فصلين دراسيين

للسنة الخامسة من التعليم المتوسط، وكان التلاميذ يجدون الدروس في شكل بطاقات تدريسيّة مُفَصَّلة تُوضَعُ بين الفينة والأخرى في المحفظة الرقميّة، أو في شكل مطبوعات يستلمها أولياء الأمور من المؤسسات، أو أيضا في شكل دروس افتراضيّة يتلقاها التلميذ وهو في المنزل. وبلغ عدد تلاميذ الفصلين خمسين تلميذا، ذكورا وإناثا، تبلغ أعمارهم ما بين ١١ سنة و١٢ سنة، ينتمون إلى مدرسة عامة حكوميّة في الدائرة الإدارية الغامنة لمدينة ليون. وقد كان التلاميذ يقومون بواجباتهم ويرسلون أعمالهم إلى الأستاذ كي يقف على مدى استيعابهم لشتّى الدروس المقترحة من جهة، وحتىّ يصحّح ما يقعون فيه من أغلط أو سوء فهم من جهة أخرى. وتمّ الحصول على المدوّنة والأجابات في شهر أفريل للسنة الجارية (٢٠٢٠م).

منهجيّة البّحث:

فِيصّ لنا التوصل بالدروس التي قدّمت إلى التلاميذ، كما حصلنا على ما قدّمه التلاميذ من إجابات وردود على ما طُلبَ منهم إنجازها والاشتغال عليه. وقمنا بتخيّر وثيقتين للتدارس ههنا، وحلّلنا بذلك مدوّنة الإجابات وفق قاعدة بيانات، ولخصّنا ردود التلاميذ إلى أفكار عامة، وترجمنا تواتر الأفكار هذه حسب تكرارها إلى إحصائيات. وقمنا بإجراء قراءة تأويلية للبيانات المتوصّلة بها، وأجرينا تحليلا للنواتج وبواعثها وتتبعنا دلالاتها.

أهميّة الدراسة وأهدافها:

- * تسليط الضوء على تجربة التعليم تحت ظل الطوارئ الصحيّة
- * معرفة مدى تجاوب التلاميذ مع أستاذهم خلال فترة الحجر الصحي
- * إبرار مزايا ونقائص التعليم عن بعد/ التعليم الإلكتروني
- * رصد ردّات الفعل النفسيّة تجاه أزمة الكورونا



* تبيان مدى ضرورة ربط العملية التعليمية بالسياق الاجتماعي
وملاساته



١. في مفهوم التعليم:

يُعدُّ التَّعليم من أقدم النشاطات الانسانية الرامية إلى تقديم طائفة من المعارف والمهارات للمتعلم، لكي يطور كفاءاته الذاتية، والتعلم بذلك «هو مسار اكتساب [...] معارف وسلوكات جديدة تحت تأثير التفاعلات مع الوسط»^(١). وتثوي العملية التعليمية على أركان أربعة: القائم على التعليم وهو المشرف على تبليغ المتن المعرفي والقائم على تدليل سبيل طلبه، والمتعلم وهو من يتلقى المعارف متلقفا إيّاها شيئا فشيئا بغية تطوير مكتسباته المهاريّة، والمادة التعليمية وهي محتوى ما يُلقن من معارف ومجموع ما يشكّل عناصر التحصيل الأساسية والثانوية، وقد تخصّ حقلًا من الحقول المعرفية العامة، أو مادة موعلة في الاختصاص، تبعًا والمستوى المهاري المطلوب من لدن المتعلم. أما الركن الرابع فيتمثل في المنهجية، ويمكن تعريفها في كونها الطريقة الأليق بتقديم المعلومات والعناصر التعليمية على أوفق وجه ممكن، كما يبلغ المتعلم غايته من الاستيعاب والفهم والإدراك، وقبل ذلك وبعده حتى تتحقّق سلاسةً في التلقين، ومرونة في الشروح والتفهم. وترتكز المناهج التعليمية على طائفة من «التوجهات هي النظريات السلوكية، والنظريات المعرفية، ونظريات التعلم الاجتماعي»^(٢).

ومعلومٌ أنّ المناهج المتبعة تختلف باختلاف الزمان والمكان، وتعرف بين الفينة والأخرى طفرات؛ ذلك أنّ المقاربات التعليمية في تطوير وتحسين دائمين، تماشيًا ومقتضيات الزّاهن، وما يمليه من مستحدثات إجرائية، ومن نظريات تأخذ في الحسبان أنجع الطرائق البيداغوجية

(١) Le Petit Larousse Illustré, p. 94

(٢) إبراهيم بن سعد، أبونيان، صعوبات التعلم: طرق التدريس والاستراتيجيات المعرفية، ص ٤٦.

المتاحة، وأحدث الأدوات والوسائل التكنولوجية المصطنعة، من أجل إضفاء قسط وافر من الحيويّة على العملية التعليمية.

وفي الأزمنة الحديثة، شهدت مناهج التدريس ثورات نظريّة، تَوَخَّتِ الدَّفْعَ بِالنَّجَاحِ العملية التعليمية، والعمل على أن تجيئ فعالة وفاعلة قدر المستطاع، على مستويي النواتج والمبتغيات، وكلّ هذا من أجل النهوض بسقف التحصيل، وللرقيّ بالأداء التربويّ العام. ولا يتسنى لأهداف كهذه أن ترى التور، دون تبني آخر ما يمكن توظيفه من أدوات ووسائل تكنولوجية وتقنيّة مع ما يصاحبها من إستراتيجيات مدروسة.

وإنّ التعليم التقليديّ تقوم قائمته على تواجد فاعلي التعليم الأساسيين في حيز مشترك، بحيث يتسنى إنجاز التفاعل التعليميّ الحيّ في فضاء واحد، بين الباث والمتلقّي، وهذا ما يتجسّد فيزيائيًا في القسم الدراسيّ بصفة مباشرة، دون حائل أو واسطة، غير أنّ التطوّر المستمر لتقانات الاتصال والتواصل أدّى إلى التأثير في نمط التعليم التقليديّ المعروف، بل وأعادت المخترعات المستحدثة تعريف مفهوم التعليم من جديد، نظرا لولوج التقانات بوصفها وسائل عمل مستجدّة لا محيد عنها، وغدا التعليم يتكئ عليها، لما تنطوي عليه من إمكانيّة تحقيق التواصل بين طرفي العملية التعليمية، ولئن كانا على بعد مسافات طويلة. والملاحظ أنّ إتاحة التعليم أصبح الآن على نطاق واسع عبر الشابكة^(٣)، والتي أصبحت بمثابة الشريان الذي يمرّ من خلاله الاتصال والتواصل، بما في ذلك ما له علاقة بالخطاب التعليميّ.

٢. مفهوم التعليم عن بعد:

يقوم هذا التعليم على توصل المتعلّم بالمادة التعليمية مراسلة من مركز التعليم، أو من الجهة المسؤولة المخوّل لها تقديم الدروس عن بعد.

(٣) محمد، بسناسي، «اللغة العربية في العالم»، ص ٦١.

ويتم إيصال المنشورات التعليمية عن طريق البريد العادي، ولا بدّ من الإشارة إلى إنّ التعليم عن بعد ليس بالتعليم الجديد؛ فقد استعملته جامعات غربية وأمريكية في بداية النصف الثاني من القرن الماضي. وهذا الضرب من التعليم يوائم فئات معينة من المتعلّمين من أولئك الذين لا يقدرّون على مواولة دراستهم في مؤسسات ومراكز تعليمية، لبعدها المسافات، أو لعائق صحيّة قاهر، أو لتعدّد الحضور لارتباطات مهنية مانعة، أو لأنّ طبيعة جهة التعليم لا تقبلُ إلاّ بالمتعلّمين عن بعد. وهذا النوع من التعليم تطوّر لاحقاً ليستند إلى التعليم الحديث، ويُعوّل من جملة أدواته على الوسائط التقنيّة، لما تتيحه من إمكانيات التواصل المرئي والصّوتي، بالاستعانة بأجهزة الحاسوب، والكاميرا والميكروفون، على أن تتوافر الأجهزة المستخدمة على ربط بالشابكة. ومن أهداف التعليم عن بعد بشقّيه التقليدي والالكتروني «توفير التعليم لأي فرد من أفراد المجتمع من الذين لديهم الرغبة في التعليم، ويتمّ ذلك عن طريق التواصل من خلال الوسائط المتعددة للاتصال»^(١).

٣. المعالجة الفرنسية لمسألة التعليم في ظل أزمة كورونا:

أعلنت الحكومة الفرنسية إغلاق المدارس والمؤسسات التعليمية الخاصّة والحكوميّة ابتداء من ١٦ مارس ٢٠٢٠م وقد استمر إلى غاية ١٨ ماي من العام نفسه. ومن الجدير التّويه أن مختلف القرارات السياسية المتعلقة بجائحة كورونا، كانت بتوصيات مباشرة من المجلس العلمي، الذي كان يعقد جلساته مباشرة في قصر الإليزيه. واهتدت وزارة التعليم إلى ضرورة إقرار «التواصل التعليمي»، وهي خطة مفادها الاستمرار في التمدرس عن بعد باستعمال كلّ الوسائل المتاحة، لاسيما بالتوسل بالفضاء الرقمي للعمل (digital workspace)، الذي يتركّب من شبكة تفاعلية إلكترونية خاصة بالمؤسسة التعليمية، و«

(١) مالك، مهدي خالصان، قدرات التعليم الالكتروني في تعزيز التعليم الديني، ص ١٩.

من غاياته أنه يفسح مجال تقاربٍ أرحب بين الفاعلين في التربية من أساتذة، وتلاميذ وإداريين، وأولياء^(٢)، وقد استندت فعلا المدارس والثانويات إلى منصّات التبادل التعليميّة الخاصّة بالفضاء الرقمي، وأهمّها: «برونوت»، وتسمح للمُدّرّس بالتواصل مع أقسامه بتدوين الدّرس ونشره إلكترونيا في خانة كراس الدّرس، وتدوين الواجبات المنزليّة في خانة ما يجب إنجازه، وتعزيز الدّرس بالوثائق الضروريّة للفهم من ملحقات تفصيليّة، وصور وخرائط، وروابط للتوسل بالشابكة. كما يمكن للمُدّرّس أن يستعين بخانة المحفظة الرقميّة، والتي تحوّل له تخزين ملفات الدروس بالتفصيل، والتمارين، وكلّ الوثائق الخليقة بتدليل مهمّة المتعلّم؛ إذ يمكنه تحميل الملفات بيّسرٍ، ونسخ ما ينجزه من واجبات وفروض، أو يشتغل عليه مباشرة في صورته الرقمية، ثمّ يقوم بحفظ عمله فيُرسله من أجل التّصحیح والنظر. وإضافة إلى هذه المنصّة، سَخَرَت الوزارة المعنيّة تطبيقا كان مخصّصا من قبل لمن يتابعون دراستهم عن بعد، ووضعت تحت خدمة الأساتذة الذين يريدون إلقاء دروس افتراضية لتلاميذهم. بحيث يسجلّ المعلّم بياناته الشخصيّة، ليخلق حسابه الخاص، وبعد ذلك ما عليه سوى إخطار تلاميذه باليوم والساعة، بحيث يزودهم برابط الدّرس وما على التلميذ سوى الالتحاق، وتفعيل الرّابط، وتسوية وتدقيق سلامة الميكروفون، أما الكاميرا، فلم يكن استعمالها ضروريا. ومن مزايا تطبيق الدرس الافتراضي أنّه خاص بوزارة التّعليم، ومن ثمة هو خاضع لمعايير السلامة وغير قابل للاختراق اللّهُمَّ إلا إذا سلّم أحد التلاميذ الرّابط لشخص غريب، وعلى كلّ يمكن للمشرف على القسم الافتراضي أن يُقَصِّي مَنْ ليس من مجموعة تلاميذه. والمنصّة تتيح تشارِك الوثائق، وعرضها بغية تتبّع الشّرح في الآن ذاته، كما يمكن

Mohammed, Besnaci, « Pour une pédagogie performante : les TIC au service de (٢) la réussite scolaire», in : Revue El Tawassol, p. 273

للأستاذ أن يعطي الكلمة لأي تلميذ يريد المشاركة، أو طرح استفهام وما عليه سوى تشغيل الميكروفون والحديث، ويكون في تفاعل مع بقيّة زملائه. وهناك حيز للردشة يمكن للمتعلّم أن يكتب فيه تساؤلاته أو أن يُفصّح عن فكرة يريد المشاركة بها. ولقد عرّف تطبيق القسم الافتراضي إقبالا كبيرا من لدن الأساتذة، فقد سنع بالتفاعل مع التلاميذ، وتقديم الشروحات اللازمة لكل درس، والإجابة عن استفساراتهم. وناهيك بمنصّة التواصل وتطبيق الدرس الافتراضي، لجأت المؤسسات التربويّة إلى طبع الدروس والواجبات ورقيًا لأولئك التلاميذ الذين تعدّ عليهم استخدام الوسائل التقنيّة، أو لم يتوافر لديهم الرّبط بالشّابكة؛ فكان أولياؤهم يَسْتَلِمُون المطبوعات لأولادهم كلّ أسبوع. أمّا فئة من التلاميذ، فقد أعارتها المؤسسات التربويّة لويحات إلكترونية لكي توظّفها في الإنكباب على متابعة الدراسة، وللمشاركة في الأقسام الافتراضية. وعلى هذه الشاكلة كانت تجري حيثيات التواصل التّعليمي بين التلاميذ وأساتذتهم. وكانت الوزارة بين الفينة والأخرى تُصدِرُ توجيهات في كفيّة إدارة المرحلة، بما تحمله من تعقيدات وصعوبات. ولعلّ من أبرز التّوصيات التي أسدّتها، ضرورة عدم تكثيف المحتوى الدراسي، والتّخفيف من حجم الواجبات، والتّركيز على مواصلة ما تمّ الشروع فيه من وحدات تعليميّة في المؤسسات التّعليميّة، وكذا مراجعة مجمل ما تمّ تلقينه طيلة العام الدراسي، حتّى تترسخ المضامين البيداغوجيّة في الأذهان. ولعلّ من أبرز المشاكل التي اعترضت الأساتذة والمتعلمين، على حدّ سواء، ازدياد الضغط على تطبيق القسم الافتراضي، وتعرّض الرّبط إلى الانقطاع المتكرّر، لاسيما لما يُعرّف الإقبال على التّطبيق مرحلة الذروة، فهو تطبيق لم يُعدّ بالأساس لكي يتحمّل ضغطا على المستوى البلاد كلّها.

ولما شرعت البلاد في تخفيف الحجر الصحي، ورفع قيود الغلق العام، طفت المدارس والمؤسسات التعليمية في استقبال التلاميذ من جديد ابتداء من ١٨ ماي، لكن وفق بروتوكول خاص، تجلّى في أن لا يتعدى عدد التلاميذ عشر تلاميذ، وأن يجلس كل تلميذ وحده، محترماً مسافة الابتعاد الاجتماعي، وأن يرتدي الجميع أقنعة، مع التعقيم قبل وبعد الحصّة، وتمّ تخفيف الحجم الساعي في العمل والدراسة، بحيث يدرّس التلاميذ، إمّا في الفترة الصباحية أو المسائية فقط، وابتداء من ٢٢ جوان عدّل البروتوكول الصحي في المدارس، وحُفّف شيئاً ما، بالرفع من عدد التلاميذ في الفصل، وتقليص مسافات التباعد. وعلى أيّ حال، يتبيّن أنّ المعالجة الفرنسية مازجت بين التعليم الإلكتروني والتعليم التقليدي عن بعد، تبعاً للتفاوت الاجتماعي الحاصل بين الأسر.

٤. من محاسن التعليم عن بعد (التقليدي والإلكتروني):

يمكن التعويل على التعليم عن بعد التقليدي وكذا التعليم الإلكتروني في حالات الطوارئ الصحية، وفي أوقات استحيل توفير تعليم عادي، وبيّنت أزمة الكورونا دور الوسائط التقانية في ضمان تواصل تعليمي، وفي استمرارية العام الدراسي بأخف الأضرار الممكنة. ولقد اتكأ الأساتذة والمشرفون على التدريس على الوسائط التقانية، وغالبا ما كانت من خالص أجهزتهم التي يملكون، فلم يكن هناك تحضير مسبق يشي بغلق المؤسسات التعليمية، والمدارس والجامعات، بل نزلت قرارات الغلق فجأة وعلى عجل، فرصتها الظروف الصحية القاهرة. ومن ثمة فقد سمح التعليم عن بعد بشقيه بمدد يد العون للمتعلّمين ومواصلة فيما تبقى من مقرراتهم السنوية، وكفّل أسباب مرافقة التلاميذ والطلاب والأخذ بيدهم. وقد قادت الظروف إلى تكييف أساليب التعليم، وكذا تبني طرائق مبتكرة في التعامل مع المادة التعليمية كما وكيفا، ومن ذلك إرسال الدرس قبلها إلى التلاميذ كي يطلعوا عليه، ولما يجين موعد القسم

الافتراضي، يسهّل على المتعلّم تتبّع أطوار الدّرس، كما يعمد الأستاذ إلى التخفيف من حجم المحتوى التعليمي، والتركيز على ما هو مهمّ. ورمّت كلّ هذه الجهود المتضافرة إلى محاولة تذليل الصعاب أمام المتعلّم، وتسهيل سبل التحصيل له قدر ما أمكن. ولقد رأينا كيف أنّ التّعليم عن بعد - بشقيه الإلكتروني والتقليدي (من طريق تزويد التلاميذ بالمطبوعات) - قد أنقذ النظام التعليمي من شبح نهاية بيضاء للسنة الدراسية.

٥. من نقائص التّعليم عن بعد (التقليدي والإلكتروني):

مع ولوج الوسائط التقنية مجال التّعليم، راحت آراء كثيرة تبشّر بضرورة «التّعليم دون الحاجة إلى الذهاب إلى المدرسة أو الجامعة أو الكلية أو مركز التدريب المطلوب»^(١)، بيد أنّ غواية التقانات وحدها غير كافية لضمان سيرورة العملية التعليميّة على أتمّ وأكمل وجه؛ فلقد تكشّفت نقائص كثيرة بعد التّطبيق القسري للتّعليم عن بعد، وفقا لمقاربة التواصل التعليمي، ومنها أنّ هناك هوة رقمية بين التلاميذ؛ تبعا للتفاوت الاجتماعي بين العوائل، وعدم تساوي التلاميذ من ناحية امتلاك الوسائط الضرورية للتعلّم الإلكتروني. وهذا ما يخلق تفاوتاً في التحصيل التعليمي والمواصلة الدراسية بالنسبة المطلوب وبالشكل المرغوب، ولا يجعل التلاميذ إذّاك على قدم المساواة في اكتساب المهارات وتطوير القدرات. «ويؤدي عدم تعميم وسائط الاتصال والتواصل اختلالات في التّعليم، ويؤدي إلى غياب التوازن في استعمالها التربوي»^(٢). ولقد أبانت فترة التعلّم الإلكتروني بخاصّة في فترة الحجر الصحي جملة من العوائق التقنية، من انقطاع سير الرّبط عبر منصّات التّعليم؛ وذلك أنّ الضغط كان كثيفا عليها، فكانت بعض الأقسام الافتراضية لا تستوعب عدد تلاميذ القسم الدراسي الاعتيادي. كما أنّ التحكّم في التقنية ذاتها طرح الكثير من التحدّيات؛

(١) حسين، حسن موسى، استخدام الوسائط المتعددة في البحث العلمي، ص ٢١.

(٢) Mohammed, Besnaci, « Pour une pédagogie performante : les TIC au service de la réussite scolaire », in : *Revue El Tawassol*, p. 272

فالتلاميذ لم يكونوا مستعدين لمثل هذا الانقلاب المنهجي في التعليم، وكانوا ملزمين بالاعتماد على الذات في حلّ المشاكل التقنية التي تعترضهم، وهذا ما كان غالباً أمراً عسيراً. ثم إنّ التعلّم عن بعد بشقيه الإلكتروني وغير الإلكتروني نجم عنه تباين بين المتعلّمين فيما يتعلق قدرة التلاميذ على الاستيعاب، ودرجة الحافزيّة مقارنة بظروف تمدرس عاديّة. وليس من الغريب أنّ الكثير من التلاميذ فقدوا شيئاً فشيئاً الرّغبة في التعلّم، لاسيما أولئك الذين لم يجدوا سنداً كافياً من لدن أوليائهم. وتحيل هذه الفكرة أنّ تعميم التّعليم عن بعد على جميع التلاميذ، لا يؤثّر دائماً بنتائج طيّبة، بل قد يكون بالنسبة لمن تعودوا على الدراسة التقليديّة حجرة عثرة في مواصلة تحصيلهم التّعليمي، «إذ لا مندوحة من التلمذ بين يدي المدرّس، ولا مناص من الاختلاف إلى المؤسسة التعليميّة المتخصّصة، ولا بديل عن تداول حيّ ومباشر»^(٣)، لا سيما لمن يجدون صعوبات في التعلّم الذاتي، وفي الاعتماد على التّفنّس، ولصغار السن. أمّا من انتهجوا نمط التّعليم التقليدي عن بعد، بالاشتغال على المطبوعات، فلم يكن الأستاذ يطلّع دورياً على ما ينجزون، وبالتالي لم يكن له تواصل دائم مع فئة التلاميذ التي درست وفق هذه الشاكلة.

٦. لماذا تدريس الكورونا؟

تصبو المقاربات الحديثة إلى استمالة فضول المتعلّم بغية جذب انتباهه، واستلفات تتبّعه، حتّى يعكف على مضامين المقترحات التعليميّة بشغف، ويُقبَل على محاورها إقبال مُقتنِع، وراغب في تحصيل معرفي بنهم متزايد، ولا يتحقّق هذا الشرط بالقفز على مسألة تخبّر الموضوعات القابلة للتّعليم، وانتقاء المحاور التي من شأنها أن تشحذ همّة المتعلّم. وتفيد التجارب التعليميّة أنّه كلّما كانت الموضوعات المدروسة قريبة من اهتمامات وانشغالات التلاميذ، كلّما كان انخراطهم في الدرس والمشاركة

(٣) محمد، بسناسي، «مصنّفات تعليم العربية لناطقّي اللغة الفرنسيّة: دراسة وصفية تحليلية»، ص ٢٣٣.

بل وفي بناء مفاصل الوحدة التعليمية انخراطا حسنا، بحيث يغدو المتعلم فاعلا ونشيطا في تحصيله، ويتفاعل بما هو بصدد تعلمه بإيجابية طافحة؛ فيفضي به الأمر إلى التساؤل، والجواب، والرأي، والبحث، والمراجعة... والعكس لما لا يحسنُ المدرس تخير المواضيع؛ فإنّ التجاوب التفاعلي سوف يكون سلبيا، ولن يتحرك تبعا لذلك فضول التلميذ ونشاطه. وعليه، فاختيار الموضوع ليس بالأمر الثانوي ألبتة، ذلك أنّه يُفَعَّل من حافزية المتعلم، ويجعلها نابضة بالحوية والدينامية، وعلى العكس « لما تفتقد الحافزية، ولا تكون في الموعد، ينقلب المتعلم في موضع لا يحسد عليه، ولربما قد يرهن حظوظه في النجاح [الدراسي]»^(١).

إنّ فترة الحجر الصحي وما انطوت عليه من خصوصيات، دفعت بالكثير من الأساتذة إلى اغتنام الفرصة، بغية تقديمها في شكل تعليمي للتلاميذ، لكي يتم عقد علاقة وثيقة بين المحتوى الدراسي ومسألة التّحصيل، وربط هذا الأخير وواقع التلميذ المعيش. وهذا من صميم مبادئ المقاربات التواصلية التي تدعو إلى أن يكون فحوى ما يُدرّس على صلة بالواقع الثقافي والاجتماعي وهذا ما من شأنه أن يشدّ انتباه التلميذ. فالموضوعات الراهنة تتسم بالإثارة والجدة، والمتعلم يعايشها بكلّ جوارحه، وهي بعد ذلك حديث الساعة، ومثار النقاشات بين مختلف الأوساط العمريّة. ومن ثمة، إنّ المواضيع الآنيّة، ليست من جنس الموضوعات الغريبة المستعصية على الفهم. بل بالعكس، إنّ يُسر إدراكها، يؤدّي إلى التعمق في تدارسها وتحليلها من مختلف المناحي الممكنة، ذلك أنّ التلميذ يحسُّ بانعكاساتها المباشرة، ويشهد تأثيراتها في تغيير نمط الحياة الاجتماعية.

إنّ تدريس الكورونا في فترة الحجر الصحي محاولة من لدن الأساتذة

Mohammed, Besnaci, «Comment maintenir la motivation chez l'apprenant ? (١) », p. 460

من أجل التعريف الوباء الذي اجتاحت شتى أقطار المعمورة، ومسعى حثيث لتنوير التلاميذ بمعلومات تتصل بأسباب الجائحة، وبطرائق الوقاية منها، وكما يهدف تدريسها إلى تسيير زمن الحجر الصحي الذي يُعدُّ في حدِّ ذاته أمرا مستجداً غير معهود. وبما أنَّ الإشاعة والأخبار المغلوطة قد بلغت مبلغها خلال الفترة الأولى التي استتبعَت الغلق العام، فإنَّ تقديم دروس عن الكورونا كان بمثابة الفرصة السانحة للردِّ على ما رُوِّجَ من معلومات غير صائبة حول الفيروس التاجي. وبالمقابل، شكَّلت مثل هكذا دروس متنفساً حقيقياً للتلاميذ من أجل التَّعبير عن خدجاتهم، والبَّوح عمَّا في نفوسهم. ومن الناحية النفسية، وفي هذا الأمر الكثير من الإيجابية؛ ذلك أنَّ فترة الحجر كانت ثقيلة بوقعها على كاهل الأسر والتلاميذ، ومن ثمة فالتَّعبير عمَّا يشعر به الإنسان حول هذا الظرف الخاص، يجعله يتحرَّر ولو جزئياً من إكراهات الحجر وتبعاته، ويُفِضِي به، وإن قليلاً، إلى التَّخفيف من وطأة المكوث المستمر في المنزل.

٧. معالجة المدونة:

بداية، لقد تناولت الوحدة التعلیمیة التي دار قطب رحاها حول الكورونا محاور عديدة تناولت طبيعة الوباء، وتأثيرات الحجر على نمط التمدرس، وتنظيم العمل في المنزل، وطبيعة ممارسة التَّعليم عن بعد، كما تنوَّعت الوثائق المدروسة من فيديوهات، وصور، ونصوص، وتمارين تتعلق بمصطلحات الوباء وقطاع الصحة عموماً، ومخلَّفات ظاهرة الغلق العام. ومن بين الوثائق المدروسة لوحة الجوكوند لليوناردو ديفنتشي. (أنظر الوثيقة رقم ١)





الوثيقة الأولى: المونا ليزة وهي ترتدي كامامة

ولقد طُلبَ من التلاميذ تفسير سبب وجود الكمامة في مثل هذا العمل الفني المشهور. وينبغي الإقرار ههنا أنّ «الواجبات ليس هدفها بذاتها. هي أداة للتفكير والتعلّم والربط بين عناصر التعلّم»^(١)، وفي هذا السياق يجب إدراج مضمون ما أُرْجِي للتلاميذ من وثائق تعليميّة، بغية الدرس والتّحليل، ومن بين خمسين إجابة متوقعة، تحصّل الأستاذ على أربعين ردًّا. وعند فرز التعليقات وتصنيفها، نجد ما يلي:

النسبة المئوية	تبرير تواجد الكمامة في اللوحة الفنية
٤٩٪	بسبب الفيروس
١٦٪	الفيروس فتاك وينبغي الاحتياط منه بالكمامة
١٣٪	يسمح بالوقاية من التعرض للفيروس التاجي
١٢٪	للترويح عن الخاطر في قضية جادة نمر بها
١٠٪	تواجد الكمامة سببه نظام الحجر الصحي

الجدول رقم ١: تبريرات تواجد الكمامة

(١) ذوقان عبيدات، سهيلة أبو السميد، استراتيجيات التدريس في القرن الحادي والعشرين: دليل المعلم والمشرف التربوي، ص ٢٧٧.



١,٧- تعليق حول النتائج:

تتمحور نصف الإجابات المقترحة في كون الباعث الأساسي وراء ارتداء الكمامة يتمثل في انتشار فيروس كورونا المستجد في مختلف دول العالم، وهذا ما يدل على وعي التلاميذ بمدى خطورة الموقف، نظرا لضراوة الفيروس وفتكه بالمناطق التي حلّ بها. أمّا النصف المتبقي من الإجابات فيمكن إدراجه في خانة وظائف وغايات الكمامة في حدّ ذاتها، إذ حوالي (٣٠٪) يصرّحون بمدى أهميّة الوقاية، والحيطرة من التعرّض للعدوى، والكمامة تُعدُّ اليوم من أبرز ما يُعوّل عليه من وسائل الحماية الذاتية في ظلّ غياب لقاح أو ترياق، على الأقلّ لحد كتابة هذه الأوراق. وما يلفت الانتباه في جدول النتائج أنّ طائفة من التلاميذ ركزت على الجانب الهزلي في اللوحة الفنيّة (المعدّلة)، إذ تقول نسبة (١٢٪) إنّها لوحة تُروّج عن الخاطر في خضمّ أزمة شاملة تمرّ بها الانسانيّة، وهذا ما يُترجم حاجة التلاميذ بخاصّة إلى الترويح عن التّفنّس ولئن كانت الظروف تتّسم بالجدّ والخطورة. وبالتالي يمكن الميز بين تيّارين في الاجابات المعبر عنها؛ فهناك الجانب الواقعي الذي يسمّى الأشياء بمسمياتها، وينظر إلى الوثيقة (١) بالمباشرة والبراغماتيّة، وهناك تيار آخر يركّز على أهميّة العامل التّفنّسي في مثل هذه الأزمات الطارئة، التي تُخلّ بالسّير الطبيعيّ للحياة الاجتماعيّة. وفي سؤال آخر عام، تم طرحه حول الوثيقة السّابقة، طُلِبَ فيه من التلاميذ إبداء انطباع عام حول الوثيقة نفسها، ولقد كان المراد إتاحة المجال للتلاميذ لكي يبوحوا بما يجول بخواطرهم من خلال إعطائهم مجالا أرحب للتعبير عن مشاعرهم، وبَعْدَ معالجة ردودهم، صُنِّفَتْ أبرزُ الأفكار المتحصّل عليها في الجدول رقم (٢):



النسبة المئوية	انطباعات عامة
٢٧٪	يهدف العمل إلى السخرية والتهكم من وباء الكورونا
٢١٪	ينبغي ارتداء الكمامة لتجنب الإصابة أو عدوى الآخرين
١٥٪	الموناليزة معروفة بابتسامتها والكمامة تخفي هذه الابتسامة
١٢٪	في وقت الموناليزة لم تكن هناك كمامات
١٠٪	العمل الفني لم يحترم وكل من هب ودب يضيف شيئاً من تلقاء نفسه
٨٪	ليست المرأة التي رسمت وعرفناها من خلال اللوحة
٤٪	هذا العمل انجز بواسطة الفوتوشوب
٣٪	يصورّ حالنا وكيف سنكون في المستقبل القريب

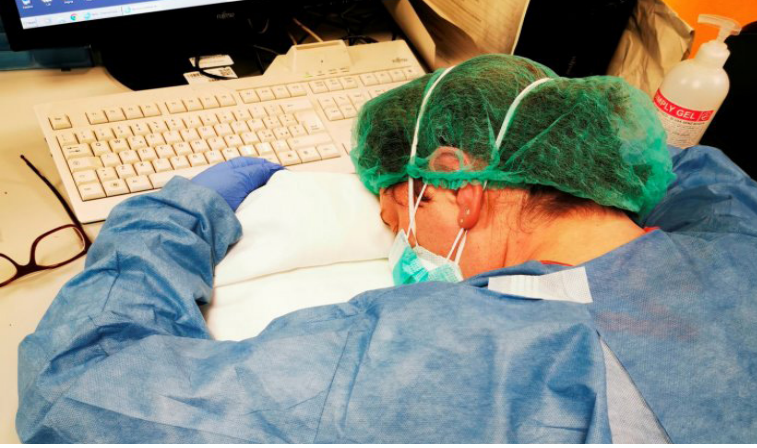
الجدول رقم ٢: انطباعات عامة حول الوثيقة رقم (١)

بما أنّ ما طُلبَ من التلاميذ تحريره، يتّسم بعموميّة أكبر هذه المرّة؛ فقد جاءت أفكارٌ عديدة، تلتفت بتفحص بائن إلى العمل الفنيّ في حدّ ذاته، وتروم ربطه بالسياق العالمي، وما يعايشه البشر من مدهامة شاملة للوباء، وما أفضى إليه من تغيير لملامح البشر والمجتمع. فالفكرة الأولى (٢٧٪) تتمحور حول الغاية من العمل الفني، والمتمثلة في بلوغ مبلغ السخرية والتهكّم من الوباء الجبّار.

فالتنكيث، كما نعرف ينشط بشكل غير عادي في أوقات الأزمات والكوارث؛ ذلك أنه وسيلة يتكئ عليها الإنسان لتجاوز العسر، وللترويح عن النفس. وهذا ما حدث على المستوى العالمي، وما تبادله وسائل التواصل الاجتماعي من فيديوهات مسلية، تتخذ من وباء الكورونا مادة تنكيثها، بغرض تشتيت بواعث الملل عن النفوس. وتؤكد الأفكار المعبر عنها مدى إيلاء التلاميذ قسطا غير هين من الأهمية لمسألة التفاصيل الدقيقة. وآية ذلك الإشارة إلى إن الموناليزة مشهورة بابتسامتها السحرية وما يكتنفها من غموض، ولما توضع الكمامة على محيّاها ولكأنتها تلغي باعث ألقها الأول، وسبب توهجها المثير. ولكأنّ لسان التلاميذ يُدلي بمسكوت عنه مفاده احتجاج الابتسامة في زمن الكورونا من جهة، وضرورة المحافظة على المعنويات المرحة من طريق المزاح من جهة أخرى. وجزء لا بأس به من التلاميذ، لا يكاد يبرح فكرة ارتداء الكمامة، على إنها ضرورة حتمية، فرضها سياق جارف بفيروس فاتفك. وهناك من وجّه نظره إلى زمن اللوحة التاريخي، الذي لم يعرف آنئذ استعمال الكمامات، وبصيغة أخرى يثير هذا الضرب من التفكير مسألة المفارقة الزمنية (anachronism) على أنّ الأوبئة قديمة قدم الإنسان.

وهناك من هاله أمر العبث بالعمل الفني، ولا سيما لوحة الموناليزة، إذ غالبا ما تُواكب - مُرغمة - ما يحدث بين الفينة والأخرى من أحداث ونوازل، وتُضأف إليها تفاصيل تقود إلى سياق آني خاص، ونلغي تقريبا الفكرة ذاتها، قد سيقت من خلال التصريح بأن المرأة المرتدية الكمامة غير المرأة المعهودة في اللوحة الأصلية، ولكأن التلاميذ يتعجبون من تغيير العمل الأصلي وتشويبه المقصود. وبشيء من التشاؤم تُلوّح آخر فكرة بأن اللوحة ترسّم خارطة طريق لما لاتنا في المستقبل القريب، وضرورة تعاطينا مع مثل هذه الأوبئة بحكمة واحترار بالغين. وعظفاً على ما قيل، سنلقي

الضوء، فيما سيأتي، على الوثيقة الثانية التي عالجت موضوعاً متصلاً بسياق الوباء، يعالج تفاني الطواقم الطبيّة، وتبرز تضحياتها الجمة في التصدي لكورونا. أنظر الوثيقة (٢).



الوثيقة الثانية: حال الطواقم الطبية في زمن الكورونا

تبدو الوثيقة الثانية مُعبّرة في فحواها فيما يخضّ مجابهة الطواقم الطبيّة وحجم تضحياتها المستميتة وهي في الخطوط الأولى تواجه الخطر المحدق بالعدوى، وغير خاف أنّ عدداً من الأطباء والمسعفين رجلاً ونساءً، قد سقطوا ضحايا تفانيهم المهنيّ، وكانت هذه الصورة ترجماناً لجهود المسعفين والأطباء، وتنويهاً بروحهم القتاليّة عبر شتّى أنحاء العالم. وَظَلِبَ من التلاميذ أن يُفصِّحُوا عن ردّات فعلهم إزاء الوثيقة، فجاءت كما يلي:

انطباعات عامة	النسبة المئوية
يتجشم المشتغلون بالصحة الصعاب	٪ ١٩
دون رأي	٪ ١٤
أشعر بالأسى والحزن	٪ ١٢
التعاطف مع الطاقم الطبي والشعور بالامتنان	٪ ١١
لا ندرك حجم تفانيهم في العمل لإنقاذ الأرواح	٪ ١٠
أرى من الغريب أن تنام بهذه الطريقة، وهذا ليس عاديا	٪ ٩
أتفهم هذه الحالة فالأطباء يشتغلون لساعات طويلة	٪ ٩
ليس هناك الكثير من الأطباء لذلك هم منهكون	٪ ٨
تحلت الطواقم الطبيّة بالشجاعة لمواجهة الفيروس	٪ ٨

الجدول رقم ٣: انطباعات عامة حول الوثيقة رقم (٢)

٢,٧- تعليق على النتائج:

إنّ مثل هذه الوثائق تُحَفِّزُ التلميذ للتجاوب مع الدّرس، وتثير فضوله وتواصله الدراسي ولو عن بعد؛ ذلك إنّ الوثيقة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالظروف الرّاهنة، والتلميذ يعيش أحداث الجائحة ومخلفاتها المترامية، ومن ثمّة فمادة الدّرس تنبع مباشرة من سياق حيّ ديناميّ لأتّها وليدة واقعه اليوميّ. ينضاف إلى هذا أنّ المطلوب فعله من خلال التّبصّر

في الوثيقة، يكاد يكون ذريعة لكي يُتَّاح المجال إلى التلميذ؛ فَيُعَبَّرَ عن دخيلة نفسه، ويقاسم شعوره مع الأستاذ، ولئن بطريقة غير مباشرة. ولا غرو إذًا أن مثل هذه الوثائق، تدفع بالمتعلم إلى الاجتهاد أكثر، وتزجُّ به إلى الانخراط الجاد والإيجابي في تحصيل خصيل بل ومثمر كذلك...

وبعد تصفيف الأفكار العامة المعبر عنها، جاءت في المرتبة الأولى فكرة جملة المشاق التي تعترى المجتدين في قطاع الخدمات الصحيّة، وما يتجشّمونه من عناء ومكابدة في سبيل علاج المرضى والسهر على تعافيتهم وسلامتهم، مع ما يستتبع هذا من مخاطر لا تحفي عن نابه. فالمرأة المنهكة، بعد أن حارت قواها، نتيجة المجهودات غير المحدودة، غشيها النعاس وهي في مكتبها، وفي هذا دليل على أن المرحلة حرجة، لتزايد الضغط، وتواصل ساعات العمل. وحلّت في المرتبة الثانية وجهة نظر لم تُدَلِّ بأيّ فكرة مُعيّنة، وفي هذا أيضاً أكثر من قراء ودلالة. ربما بعض التلاميذ لم يستطيعوا أن يعبروا عن المشاعر التي تنتابهم، تبعاً لإكراهات الحجر ومخلفاته، وربما لفقْدان القدرة على ترجمة تلك الأحاسيس إلى لغة واضحة ومباشرة. وهذا ما يجبر إلى ضرورة التكفل بالتلاميذ نفسياً بعد انتهاء فترة الحجر؛ فصغار السن لم يألفوا إغلاقاً عاماً شاملاً، وقد تكون للحجر تأثيرات جانبية سلبية ينبغي التعامل معها بجدية كبيرة. ثم تتوالى في الترتيب أفكار تُفصِّحُ عن أحاسيس مثل الشعور بالأسى والحزن لحال الطواقم الطبيّة، وبالاعتراف والامتنان لتضحياتهم الجسام، ولحجم الخدمات الجبارة التي لا يمكن تخيلها في سبيل إنقاذ الأرواح من مخالب الفيروس الضاري.

وقد استغربت مجموعة من التلاميذ نوم الممرضة أو الطبيبة، وطغى على فكرتهم منطق المباشرة في الحُكْم، بحيث لم ينتبهوا إلى السياق الزمني، والتحدّيات العظام التي رفعها المسعفون، وهم يقدمون ما يقدرّون عليه وأكثر. أمّا فئة أخرى من التلاميذ فقد فكّرت في إن سبب الإنهاك يعود

إلى الساعات الطوال التي يقضيها الأطباء والمرضون في علاج المصابين، دون أخذ قسط وافر من الراحة. وهناك من أرجع هذا الإنهاك إلى نقص في التعداد البشري الطبي، ما يجعل العاملين في الصحة عرضة للتعب والإجهاد. وآخر فكرة تَضَمَّنَتْ التَّنويه بشجاعة الأطباء ومدى استبسالهم في تقديم يد العون للمرضى والمصابين. وكان ذلك أحيانا على حساب صحتهم الشخصية.

والحال، كل ما قد سيق من آراء ينم عن تأثير التلاميذ بمخلفات أزمة الكورونا، ويشير إلى تفاعلهم مع الظرف الراهن ومقتضياته، فمنهم من تَمَكَّنَ من إيجاد توصيف لما يشعر به، ومنهم من لم يجد الكلمات المناسبة، ولربما قد تكون أساليب تعبير أخرى خليقة بالإعراب عمّا يجول في قرارة هؤلاء، من قبيل الرسم مثلا.

نواحي البحث:

لقد حَلَّتْ جائحة كورونا في أرجاء العالم قاطبة، على حين غفلة، ودون أن تستأذن أحداً، واضطرت الحكومات إلى انتهاج الغلق العام، وتبني مقاربات التعليم عن بعد والتعليم الإلكتروني. وبيّنت هذه التجربة الاستثنائية مدى قدرة الاساتذة والمتعلمين على التأقلم مع الظروف القاهرة، لاسيما لما تتوافر لديهم الإمكانيات المادية الأساسية، ومنصات وتطبيقات تعلم إلكتروني. ومن دون هذه الوسائل يتعدّر تقديم تعليم فاعل وفعال في الآن ذاته، وهذا ما يقود إلى الحديث عن ضرورة تطوير التقانات والمنصات المخصصة للتعليم وتعميمها وتدريب المتعلمين عليها، حتى يرتقي أداؤها إلى أحسن ما هو عليه الآن.

وكان من محاسن التعليم عن بعد ضمان استمرارية العام الدراسي، ومرافقة المتعلمين في تحصيلهم بالتفنن في خلق مقاربات مستحدثة غرّص الرّفْع من حافزية التلاميذ. وكانت الأقسام الافتراضية من أهم



الآليات التي توَسَّلَ بها الأساتذة، لتعويض الدروس التقليدية. وتضاعف حجمُ التواصل بين المتعلمين والمُشرفين على التَّحصيل العلمي، فكانت الإرشادات والتوجيهات بواسطة الهاتف، والرسائل النصيَّة، والبريد الإلكتروني، ومنصات التَّعليم الخاصَّة، وتطبيقات التواصل من شاكَّة «واتساب»، ومن طريق ما تطبَّعه المؤسسات التَّعليميَّة، وتَضَعُهُ تحت تصرف الأُولىاء والتلاميذ من دروس وواجبات منزليَّة مُرسَلَة مِنْ لَدُن الأساتذة. مما وَطَّدَ العلائق أكثر بين الفاعلين في الوسط التَّعليمي من أُولياء، وتلاميذ، وأساتذة، وإداريين، وكلَّ اجتهد بإسهامه، حسب الطاقة، في إنجاح سيرورة التَّعليم. وَتَبَيَّنَ أَنَّ التَّعليم عن بعد وكذا الإلكتروني، يتَّسمان بسمات مغايرة عن التَّعليم التَّقليدي، بحيث ينبغي أن يصطبغا بالمرونة والسلاسة، وبالتخفيف من الحصص، والاكتفاء بالمهم من محتوى البرامج والمقررات، وبالصبر الوفير في مرافقة التلاميذ ودعمهم.

ومع ذلك، فقد فضح الحجر الصحي التفاضل الرقمي بين المتعلمين، نظرا لاختلاف المستوى الاجتماعي بين الأسر. فنسبة غير هنيئة من التلاميذ لاقت صعوبات جمَّة في مواصلة التَّعليم الإلكتروني بسبب غياب الوسائط التقنيَّة، وعدم توافر الرِّبط بالشابكة، مما جعلها تعتمد على طلب المطبوعات من المدارس والثانويات. وهذه الفئة من التلاميذ لم تستفد من الأقسام والدروس الافتراضيَّة، أضف إنَّ نسبة لا بأس بها من التلاميذ تحبَّطت في صعوبات إتقان التعامل مع البرمجيات المختلفة، وبرمجيات معالجة النصوص، وتاهت بين استقبال وتحميل وتخزين وإرسال الملفات، وكذا تجاوزتها الأحداث في شأن تهيئة الوسائط التقنيَّة لمتابعة الدروس الافتراضيَّة. ونجم عن هذا وذاك أن طائفة من التلاميذ فقدت الرِّغبة في التعلُّم، وسارت ضدَّ التَّيار، وأشهرت قطيعة تامَّة مع كلِّ ما له علاقة بالتمدرس. ومثل هذه الحالات تستدعي ضرورة النظر بل وإعادة التفكير في تعديل مناهج التَّعليم، وفي استدراك تداعيات الهوَّة الرقميَّة

بين التلاميذ؛ فمعظمهم لا يملكون حظًا وافرا من مهارات التعامل مع الوسائط التقنيّة، ويبدو أنّه من الضرورة القصوى تحضير التلاميذ منهجيا كي يُحسِنوا التعامل مع مسألة التّعلم في حالات الطوارئ.

ومن جهة أخرى، اتّضح من الدراسة هذه أنّ المحتوى التّعليمي المرتبط بواقع التلميذ وسياقه الاجتماعي يمثّل خيارا رؤيويًا ذكيًا في حثّ المتعلّم على الانخراط الجاد في العمليّة التّعليميّة، وينمي لديه قسطا رحبا من الحافزية؛ ومبعث ذلك أنّ التلميذ شغوف بأن ينطوي التّعليم على معنى ما، وأن لا تكون المادّة المدروسة جاذبة نظرية وتنظيرية محضة، بحيث لا تُتمت إلى حياته اليوميّة بصلة. ولقد رأينا أن أساتذة في مختلف الأطوار التّعليميّة، اغتنموا الفرصة لتدريس ما يتعلّق بالكورونا من قريب أو بعيد، من أجل شحذ همّة التلميذ، وجعله فاعلا في تحصيله المعرفي.

ولقد أوضحت ردود العيّنة المدروسة إزاء ما أحدثته أزمة كورونا، أنّ التلاميذ تفاعلوا إيجابا مع موضوع ساخن أثّر في حياة الناس أجمعين، وترجموا مخاوفهم المشروعة، ووعيهم بخطورة السياق العالمي العام، وكانت الدروس المتعلّقة بالوباء المشؤوم مناسبة لهم لإبداء آرائهم حول ما يحدث، وللتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم. كما أنّ التّعليم عن بعد نمّى لديهم قدرات التعلّم الذاتي، والاعتماد على النفس، بل «والاستقلال الذاتي الفكري»^(١)، وبالمقابل كانت مثل هذه الدروس فرصة للأساتذة، من أجل بثّ الطمأنينة بين المتعلّمين، والتجاوب الرزين مع مختلف تساؤلاتهم، لاسيّما وأنّ الإشاعة سرت كالنّار في الهشيم طيلة فترة الحجر الصّحي، وتفشت الآراء الكاذبة والمغلوطة التي هوّلت من شأن الفيروس المستجد. ومن ثمة، فربط المحتوى التّعليمي بواقع المتعلّم الحقيقي، يُسهّم بقدر لا يُستهان به في جذب انتباه التلميذ، وفي استثارة حافزية انخراطه

(١) جابر عبد الرحمن جابر، استراتيجيات التدريس والتعلم، ص ٢٥٤.

في التحصيل المعرفي. وينبغي التنويه أخيراً أن فترة الكورونا تركت أثراً عميقاً في نفسية التلاميذ، ولذا من الحكمة معالجة مخلفاتها الجانبية لديهم، بمنحهم مجالاً رحباً للبحث عما يجول بدواخلهم باستعمال مختلف أشكال التعبير الممكنة اللغوية منها وغير اللغوية.



مكتبة البّحث

١/ بالعربية:

* أبونيان، إبراهيم بن سعد، صعوبات التعلم: طرق التدريس والاستراتيجيات المعرفية، الناشر الدولي، السعودية، ٢٠١٥.

* بسناسي، محمد، «اللغة العربية في العالم»، في: قيمة اللغة العربية، كتاب جماعي تحت إشراف: سعود سليمان اليوسف، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، ط١، الرياض، ٢٠١٧، صص (٣٥-٧٠)

* بسناسي، محمد، «مصنفات تعليم العربية لناطقى اللغة الفرنسية: دراسة وصفية تحليلية»، في: المنهج التعليمي وإعداد مواد تعليم العربية للناطقين بغيرها، مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ٢٠١٧، صص (٢٢٩-٢٥٠)

* جابر، عبد الرحمن جابر، استراتيجيات التدريس والتعلم، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة، ١٩٩٩.

* حسن موسى، حسين، استخدام الوسائط المتعددة في البحث العلمي، دار الكتاب الحديث، مصر، ٢٠٠٩.

* عبيدات ذوقان، أبو السميد سهيلة، استراتيجيات التدريس في القرن الحادي والعشرين: دليل المعلم والمشرف التربوي، دار الفكر، ط١، الأردن، ٢٠٠٧.

* مهدي خلسان، مالك، قدرات التعليم الإلكتروني في تعزيز التعليم الديني، لولوة للطباعة والنشر، ٢٠١٧.





- * Besnaci, Mohammed, « Pour une pédagogie performante : les TIC au service de la réussite scolaire », : *Revue El Tawassol Sciences humaines et sociales*, Université Badji Mokhtar Annaba, Département langue et littérature arabes, n° 49, année : 2017, pp. (270-281).
- * Besnaci, Mohammed, «Comment maintenir la motivation chez l'apprenant ? », in : *L'enseignement à distance entre théorie et pratique*, Publications du laboratoire des pratiques linguistiques en Algérie, Université Tizi Ouzou, Facultés des lettres et langues, Département langue et littérature arabes, tome 3, année : 2017, pp. (459-474).
- * *Le Petit Larousse Illustré*, Editions Larousse, Paris. 2018.

العالم بعد فايروس كورونا - كوفيد ١٩

رؤية اجتماعية

١. م. د. حمدان رمضان محمد^(١)

قسم الاجتماع : جامعة الموصل- كلية الآداب- العراق

hamdan1966@yahoo.com

د. م هيفاء يونس حسين^(٢)

قسم الكيمياء: جامعة الموصل- كلية العلوم- العراق

الملخص .

يسعى هذا البحث إلى التعرف على تداعيات جائحة كورونا-أو مايسمى بالإرها بالبيولوجي - التي اكتسحت العالم على وفق خريطة الساحة السياسية الدولية، وما أحدثته من تغييرات في طبيعة العلاقات بالأنظمة السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والصحية في بلدان العالم، فضلا عن ذلك فإنها سلطت الضوء على مستقيل النظام العالمي مابعد مرض كورونا، وما سوف نجده من احتمالات ، ومستجدات تطرأ على هذا النظام الدولي ؛ لذا تتجلى اهمية هذا البحث من حيث العناية الاعلامية ، والاجتماعية ، والنفسية التي تولتها الدول لمسألة وباء كورونا

(١) أستاذ مساعد في جامعة الموصل، حاصل على شهادة ما بعد دكتوراة من جامعة بنجاب في الهند، حاصل على شهادة دكتوراة من جامعة بغداد في اختصاص علم الاجتماع، لديه عشرات كتب الشكر والتقدير من الجامعات العراقية والعالمية، شارك في عشرات المؤتمرات الدولية والمحلية، لديه عشرات البحوث المنشورة في المجلات العالمية والمحلية، عمل مع المنظمات العالمية وخاصة منظمة العالمية لحقوق الإنسان. أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه.

(٢) قسم الكيمياء: جامعة الموصل- كلية العلوم- العراق



وبرامج معالجته، والحد من انتشاره، والقضاء عليه. بالإضافة الى ذلك تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي في عرض الموضوع منطلقين من فريضة البحث. ولقد توصل الباحثان إلى استنتاجات عدة أهمها:

١- إنّ مؤشرات تأثير جائحة كورونا كانت متباينة بين مختلف الدول العالم.

٢- إنّ مفهوم فايروس كورونا يختلف في انعكاساته عن باقي الفيروسات الأخرى، كالسار على سبيل المثال لا الحصر.

٣- إنتداعيات هذا المرض الوبائي كانت خطيرة جدا، وتدميرية إلى درجة ازداد حالات الخوف، والهلع بحيث أنها عطلت كل مرافق الحياة العامة في معظم بلدان العالم.

الكلمات المفتاحية:

العالم، أزمة، كورونا، المرض، الوقاية، المعالجة.

.Abstract

This research seeks to identify the repercussions of the Corona pandemic or the so-called biological terrorism that swept the world on the map of the international political scene, and the changes it brought about in the nature of relations with political, economic, social and health systems in the countries of the world, as well as highlighting the resignation of the global system after the Corona disease And what we will find from the possibilities and developments

praising the international system. Therefore, the importance of this research is evident from its media, social and psychological importance that states attach to the issue of the epidemic of Corona and its treatment, reduction and elimination programs. In addition, a descriptive analytical approach was adopted in presenting the topic based on the research duty. The researcher reached several conclusions, the most important of which are

1- The indicators of the impact of the Corona pandemic were varied among different countries of the world

2- The concept of corona virus differs in its implications from other viruses, such as the virus, to name a few

3- The repercussions of this epidemic disease were so dangerous and destructive that the instances of fear and panic increased so that all facilities disrupted public life in most countries of the world

:Keywords

world, crisis, corona, disease, prevention, treatment



المقدمة.

فيروس كورونا، أصبح مثار عناية عالمية شغل كل العالم، ونظرا لتفاعلنا نحن المختصين ومتابعة ومشاهدة اثار هذه الجائحة من خلال وسائل الاعلام المختلفة، فإننا نجد أن أغلب ما يثار وينشر حوله يتعلق بالجانب السوسيوولوجيا أكثر بكثير من المنظور العلاجي الطبي، وربما يعود ذلك إلى طبيعة هذا الفيروس الجديد الذي لم تتمكن العلوم الطبية من اكتشاف علاجه حتى هذه اللحظة، الأمر الذي عمل على أن يتم تركيز جهد الأفراد والمؤسسات والدول حول عملية الوقاية منه، ولعل أهمها تلك الوقاية المتمثلة بالحجر والعزلة، وهي شأنا اجتماعيا خالصا) الربيعي، ٢٠٢٠:٢٠٠ ص(١).

بالإضافة إلى ذلك لا يخفى على الجميع ما اصاب المجتمعات البشرية كافة من جراء انتشار هذا الفيروس، وتفشييه بين اغلب الدول المتقدمة ناهيك عن الدول النامية، التي عجزت في الحد الأدنى من انتقال عدوى هذا المرض والعمل على تحجيم آثاره الضارة، وانعكاساته على الامن الاجتماعي والنفسي، والصحي، والذي اخذ يهدد حياة الملايين من الناس في الوقت الراهن. فضلا عن ذلك فإننا نجد أن تأثيرات جائحة كورونا متعددة ومتنوعة، ولم يسلم منها جانب معين من جوانب الحياة، إذ انعكست تداعياته على واقع الحياة الاجتماعية، وفعاليتها، وقطاعاتها المتنوعة الصحية، والاجتماعية، والنفسية، والاقتصادية، وحتى السياسية التي اصابها نوعا من الشلل الذي مارس دورا كبيرا في تلوؤها وتعطيلها عن أداء ادوارها ومهامها، فقد خضعت طوعا أو كرها للتدابير الاحترازية والوقائية من المرض، وتأثيراته على الحياة بكافة مفاصلها، وعلى واقع المجتمعات البشرية جميعا التي أصابها الذعر، والهلع، والخوف من جراء انتشار فايروس كورونا، وتفشييه في كافة الاوساط الاجتماعية في الدول العالم (حسين، ٢٠٢٠:٢٠٠ ص(١).

ولقد عرفت البشرية عبر تاريخها وجود العديد من الكوارث والمخاطر الناتجة عن الحروب، أو عن طريق انتشار الأمراض والأوبئة التي أودت بحياة الملايين، كما يحدث الان مع فيروس "كورونا"، فقد تبين أنه لا يعرف الحدود الجغرافية، القوميات، الأديان، المذاهب، الطوائف، الموالاتة أو المعارضة، على المستوى العالمي أو على مستوى الدولة الواحدة (راغب، ٢٠٠٢: ص ٣٣١-٣٣٦) (المصطفى، ٢٠٢٠: ص ١). بالإضافة الى ذلك فإن الحجر والمكوث في المنازل قد غير كثيرا في نمط السلوك والتفكير عند الناس، خلا لهذه الفترة القصيرة، إذ صب اهتمام كثيرا من الناس في متابعة وتبادل الأخبار التي تحمل النصائح الوقائية المتعددة. وكذلك النكات، والشعر، والمقاطع الفنية، والرسوم المتحركة، والصور الكاريكاتيرية التي تعجبها وسائل التواصل الاجتماعي، وهي تتحدث عن هذه الجائحة، وتصور حياة الناس في زمن الكورونا، فربما تمثل هذه الحالات ميكانيزمات دفاعية يلجأ لها الناس بوصفها تعبير ساخر لاسيما في زمن الأزمات لتلترفيه عن النفس، وتقلل من الفزع، والخوف الذي أحدثته جائحة كورونا، أو بسبب ما يتعرض له الانسان من ضغوطات نفسية، فضلا عن تدمير وتضييع وقت الفراغ الطويل الذي يعيشه الناس في محاجر منازلهم أو زنازاناتهم المنزلية (الريبيعي، مصدر سابق: ص ١)، وعليه يمكن تحديد محاور البحث على النحو التالي:

• إشكالية البحث.

يمكن تحديد مشكلة البحث في أن كل الاعمال، والامكانيات والبرامج التي يتم العمل بها للحد من وباء كورونا والقضاء عليه كانت دون مستوى الطموح، ولم تقلل من هواجس الخوف، والهلع لدى الدول، والافراد، ولم تحقق النتائج المرجوة من حد من المخاطرة، أو التقليل من الخسائر المادية بشكل عام والبشرية، والأرواح بشكل خاص من جراء انتشار هذا المرض بسرعة فائقة في كثير من دول العالم، وهي المشكلة الأكثر تعقيدا والتي توصف بالمستعصية على الحل في المدى المنظور حسب رأي

رؤساء الدول العظمى والمهتمين بهذا الشأن اللبائي كمنظمة الصحة العالمية وعلية حولنا دراسة الموضوع من وجهة نظر علم الاجتماع السياسي.

• تساؤلات البحث.

ينطلق البحث من تساؤلات عدة ل طرح اشكالية البحث، منها:

١- هل يمكن حل مشكلة فيروس كورونا لكي نستطيع العودة إلى عالمنا وحياتنا الطبيعية؟.

٢- هل سوف تستمر مسيرتنا في اطار الهياكل السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية الحالية أم سوف يتغير بشكل تلقائي؟.

٣- كيف جرت كل هذا الاحداث بلحظة معينة بالعالم؟ وكيف وصلنا الى هذه المرحلة أو الدرجة من الخطورة؟ واين السر، أو الخطاء، أو التقصير في ذلك؟

٤- ماهي الرؤية المستقبلية لعالم ما بعد كورونا من الناحية السياسية، والامنية، والاجتماعية، والاقتصادية، وحتى الروحية البديلة التي سوف تقودنا إلى صيرورة واتجاهات اكثر انسانية ومسؤولية وامنا؟

٥- هل سيخلق هذه الاثار العميقة لفيروس كورونا مراجعة شاملة لمجمل مساراتنا في عالمنا الراهن على ضوء الافتراضات والمسلمات الكبرى التي احدثتها في حياتنا وخاصة من ناحية الوعي الجمعي السياسي، والبحثي.

• أهمية البحث.

ليست هناك اهمية اعلامية، واجتماعية، ونفسية اكثر اهمية من أن تتأطر الاجندات الصحية، والسياسية، والاقتصادية وتقديم الدعم لبرامج الصحية على مستوى العالم المختلف كالأهمية التي تولى مسألة جائحة كورونا وبرامج الحد منه والقضاء عليه.

• هدف البحث.

يسعى هذا البحث في الإشارة إلى تحقيق اهداف عدة منها:

- ١- معرفة خطورة جائحة كورونا ومؤثراتها الدولية وطرق معالجتها.
 - ٢- التعرف على بعض ملامح مرض كورونا وتداعياته أو آثاره المستجدة في المجتمع.
 - ٣- تشخيص ما احده انتشار كورونا من تغييرات جديدة في النظام الدولي.
 - ٤- تحديد الاطر المستقبلية للنظام العالمي لمابعد جائحة كورونا من منظور سوسيولوجي.
 - ٥- الإشارة إلى حجم ودرجة ومستوى وكثافة انتشار هذا المرض الوبائي في العالم.
- فرضية البحث.

بناءً على ماتقدم يمكن صياغة فرضية البحث على النحو الاتي:

إنّ برامج الحد من وباء كورونا والقضاء عليه تحتاج إلى اعادة النظر بآليات المكافحة، والمعالجة على وفق برامج واقعية حقيقية يتم تطبيقها بشكل شفاف بعيدا عن الاجندات السياسية، والاقتصادية، والطموحات غير الواقعية لبعض الدول من خلال التركيز على معالجة هذه الظاهرة (الجائحة كورونا) والحد منها من خلال تكثيف الجهود المحلية والدولية والعالمية من اجل ذلك.

• منهج البحث.

تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي في عرض الموضوع، وفي وصف آليات وطرق معالجته، ونشر وباء ومرض كورونا المستجد، وتداعياته، وانعكاساته على الواقع الاجتماعي، والصحي والاقتصادي

والسياسي في دول العالم للوصول إلى حالة يمكن به معالجة الظاهرة التي بدأت تورق الانسان، وتهدد البشرية بالانقراض.

• التعريف بمفهوم كورونا وتسميته.

يُشتق اسم "عربيًا: فيروس كورونا. اختصارًا من (باللاتينية) وهو باليونانية: (")، وتعني إكليل زهور أو الإكليل)، كما تعني التاج أو الهالة. ويُشير الاسم إلى المظهر الشكلي المُعدي للفيروس المميز للفيروسات والذي يظهر عبر المجهر الإلكتروني، حيث تمتلك حُملاً/زغبات من البروزات السطحية البصلية الكبيرة، مما يُظهرها على شكل تاج الملك أو الهالة الشمسية. (وفي اللغة العربية، يعدّ تسمية فيروس كورونا أكثر شيوعًا من باقي التسميات الأخرى، ولكن التسميات الأخرى أكثر دقة في الوصف، حيث يُسمى: الفيروس التاجي، فيروس الهالة، الفيروس المُكَلَّة، أو الفيروس المكلل) الحُمّة التاجيّة، الحُمّة الإكليلية، الحمة التاجية المكللة) (الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، ..).

وتعرف منظمة الصحة العالمية: "مرض كورونا/ كوفيد-١٩" بأنه (فصيله من فيروسات واسعة الانتشار، حيوانية المنشأ، يعرف أنها تسبب امراضا تتراوح ما بين نزلات البرد الشائعة إلى الامراض الاشد حدة)، أو هو مرض معد يسببه فيروس كورونا المُكتشف مؤخرًا. ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس وهذا المرض المستجد قبل اندلاع الفاشية في مدينة يوهان الصينية في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٩. (منظمة الصحة العالمية، ٢٠٢٠).

فيروسات كورونا هي مجموعة من الفيروسات التي يمكنها أن تسبب أمراضًا مثل الزكام والالتهاب التنفسي الحاد الوخيم (السارز) ومتلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرز). تم اكتشاف نوعا جديدا من فيروسات كورونا بعد أن تم التعرف عليه بوصفه مسببا لانتشار أحد الأمراض

التي بدأت في الصين في ٢٠١٩. وكذلك يُعرف الفيروس الآن باسم فيروس المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة كورونا ٢ (سارز كوف ٢). ويسمى المرض الناتج عنه مرض فيروس كورونا ٢٠١٩ (كوفيد ١٩). في مارس/آذار ٢٠٢٠، أعلنت منظمة الصحة العالمية أنها صنفت مرض فيروس كورونا ٢٠١٩ (كوفيد ١٩) كجائحة. تقوم المجموعات المختصة بالصحة العامة، مثل مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها في الولايات المتحدة () ومنظمة الصحة العالمية ()، بمراقبة الجائحة ونشر التحديثات على مواقعها على الإنترنت. كما أصدرت هذه المجموعات توصيات حول الوقاية من المرض وعلاجه (موقع. ٢٠٢٠).

العالم بعد فيروس كورونا.

يمكن ان نقرء رؤية واقع العالم بعد فيروس كورونا في عدة جوانب أو ابعاد رئيسة منها:

اولا: البعد الديني.

يبرز هذا الجانب في ظل المحن الكونية التي تهدد حياة الناس ويلجأ إليه الناس بكثرة في هذا الأوقات، لكن مرحلة ما بعد كورونا ستقدم الجانب الدين على المنظومات الأخرى، ولاسيما المادية والوضعية والمنظومات المناهضة للدين كالعلمانية الملحدة، وهذا الرأي يؤيده دعوات رجال الدولة والدين في اغلب البلدان ومنها الولايات المتحدة، وإيطاليا (شبيب، ٢٠٢٠: ص ٥).

ثانيا: البعد الاقتصادي.

إن من الامور شبه المؤكدة أن العالم بعد هذا الوباء لن يكون كما هو عليه اليوم، فالاقتصاد العالمي من أكبر المتضررين من الوباء، وقد يدفع إلى الانهيار الاقتصادي في لحظة ما، والى تصاعد حجم العنف الدولي الى درجة اندلاع الحروب الكبيرة. ومن جهة أخرى هناك التأثيرات

الاقتصادية المحلية، لاسيما في الدول النامية، ستكون كارثية الى درجة تصاعد معدلات البطالة، والجريمة، والتطرف، والعنف، فضلا عن تنامي الإرهاب وتنظيماته، بسبب توافر الظروف المغذية، ولن يتمكن الاقتصاد العالمي من تجاوز تأثيرات كورونا السلبية سريعا(العداوي، ص:١).

ثالثا: البعد الصحي.

أعتقد على المستوى الصحي، فإن كورونا يمثل صدمة للبشرية ولغرورها التكنولوجي، لذا ستعيد جميع دول العالم النظر في حساباتها، وتطور أنظمتها الصحية لجعلها أكثر استعدادا واستجابة لحالات مستقبلية شبيهة بكورونا أو فيروسات أشد فتكا منه(العداوي، ٢٠٢٠: ص٢). فيما تبقى الشركات العابرة للحدود المسيطرة على الشركات العلاجية والمختبرية تتاجر بأرواح البشر من اجل الكسب المادي بعد اختراع العلاجات، بل إن الولايات المتحدة تحاول في هذه الأوقات أن تحتكر اختراع علاج كورونا كمحاولة اغراء ورشوة الالمان التي اعلنت عنها المستشارة ميركل(شبيب، ص:٢).

رابعا: البعد السياسي.

أعتقد أن العالم لن يتغير من حيث جوهر العلاقة بين الدول والقائمة على استغلال الأقوياء للضعفاء. ولكن يجب رصد التطورات الراهنة في العالم فقد تحمل ما يمهد لتغيير مهم في المستقبل. فضلا عن ذلك أعتقد ان أغلبية الدول ستبقى في علاقاتها على أساس المصالح، والقلة من الدول ستتجه إلى الانكفاء بدون أن تنجح في ذلك، فوسائل الاتصال وغيرها ستبطل محاولات الانكفاء، والالمانية ستكون الغالبة ويستمر الوضع الدولي قائم على الاحتراب والتقاتل.بالإضافة إلى ذلك لن يحصل تغيير في طبيعة النظام العالمي الا اذا تم القضاء على النظام الرأسمالي المالي

وتكثيف الرأسمال الصناعي مع مطالب الديمقراطية وسعادة الشعوب، هذه الشعوب التي تريد تطبيق نظام ديمقراطي بدون تلوث رأسمالي. وهذا غير متوقع الا برحمة إلهية وبمحصول تغيرات طبيعية وغيرها (الشكرجي، ٢٠٢٠: ص٤).

وبناء على ماسبق حيث رأينا تقاعسا عجيبا غربيا حصل للتصدي بالمرحلة الأولى للوباء في أرقى دول العالم. ففهمنا من ذلك بأن العامل المادي يعمي العيون ويشل الأفكار حتى يصبح الثمن غاليا يدفعه الأبرياء في أوروبا التي تفاعلت بشكل خاطئ جدا أمام الوباء في التعامل الصحيح أمام ما يجب أن يحصل في المراحل الأولى للتصدي للوباء فاستشرى بها الداء وتفاعلت بعد فوات الأوان وهذا خطأ لا يبرره تبرير (الحسيني، ٢٠٢٠: ص٣).

خامسا: البعد الاجتماعي (الانساني).

بعد أن ضرب الفيروس كل دول العالم ووصفته بعد ذلك منظمة الصحة العالمية بأنه أسوء وباء عالمي، سيقدم العالم بشكل عام والشعبي على وجه الخصوص على التفكير جديا بتقديم خيارات الجانب الإنساني على الجوانب الأخرى لاسيما المادية منها التي فرضت نفسها في العقود الاخيرة على كل مجريات الحياة، ومنها الصحي البشري (شبيب، ٢٠٢٠: ص٤).

لكن ذلك لن يعني قطيعة عالمية بين البشر، بل سيتولد إدراك جديد أن البشر أكثر تقاربا من بعضهم، وأنهم بحاجة إلى تضامن وتعاون أكثر لمواجهة التهديدات التي تواجه الجنس البشري، نعم قد يحصل تقاطع بين سياسات الهيمنة للحكومات ومشاعر التضامن بين الشعوب في هذه المرحلة الا إن النتيجة ستكون أن العالم بحاجة إلى نظام عالمي يكون أكثر اهتماما بحاجات البشر الأساسية وأكثر استجابة للحفاظ على سلامة الكرة الأرضية لتستمر بالعطاء لمصلحة سكانها (العداوي،



يبدو أن ما نحن مقبلين عليه يتطلب إعادة النظر في الخطاب السياسي والديني العالمي؛ ليكون أكثر إنسانية، وأكثر واقعية، إلا أن الصعوبات الاقتصادية والحياتية قد تخلق ظروفًا تجعل الصراع والعنف أقرب الحلول لدعاة الهيمنة والعداء مع الآخر. معادلة صعبة حقا، ستزداد تعقيداتها مع قدوم كوارث جديدة تجعل الناس أكثر حاجة إلى أنبياء جدد أو مصليين عالميين لديهم القدرة على مساعدة البشرية في المستقبل المجهول الذي هي مقبلة عليه (المصدر نفسه:ص٤).

سادسا: البعد الثقافي والتعليمي.

سيشهد النظام التعليمي عبر العالم إعادة نظر فيه ليكون أكثر استجابة للتهديدات غير المتوقعة وستبدأ الأنظمة التعليمية عبر العالم بتطوير أدواتها، بما يجعل التعليم عن بعد أكثر كفاءة وتطورا، هي اليوم في بداية استجابتها لهذا الأسلوب، ولكن قطعاً ستبدأ كل دول العالم بالاستعداد لحالات مشابهة، ولكن هذا الأمر لا يخلو من المخاطر، فهو يعتمد على استمرار شبكات الانترنت والطاقة الكهربائية، ولكن ما الحل وماهي مصير التعلم عن بعد لو تعرضت هذه الى الانقطاع والتدمير، أو التعطيل ثقافيا ستعيد كورونا نظر الشعوب بثقافات وتقاليد السائدة، وسنرى عادات وتقاليد تختفي وتولد غيرها تكون أكثر تحفظا من الآخر أو أكثر وقاية من مخاطر الغير، وهذا أمر جديد ربما لم تألفه البشرية من قبل، كما ستعرض بعض الطقوس إلى إعادة تقييم لجذواها، أو استجابتها لمقتضيات العلم والحاجات البشرية (العوادي، ٢٠٢٠:ص١).

لذا فإن تأثيرات جائحة كورونا في العالم سوف يخلق أو يخلق أنماطا وجوانبا ثقافية وتعليمية جديدة غير مألوفة في السابق بالعالم بحكم إجراءاته المكلفة التي تتطلبه الوضع العالمي الجديد أو الراهن بعد

أزمة كورونا في النظام الدولي، والتي سوف تكون لأثارها وتغييراتها وانعكاساتها بعدا متغيرا عما كانت عليه في السابق، وترك اثرا على مجمل الحياة العامة بشكل عام، وعلى الجوانب الثقافية والتعليمية بشكل خاص؛ لأنها تتعلق بسلوك وعلاقات وافعال الناس على استقبال وضع آخر مستجد تتطلبه الظروف الحالي، وهذا الوضع الجديد بالعالم في المدى البعيد والقريب سوف يكون نتائجه حتمية بمدى نجاحه أو فشله في امكانية قبوله ورفضه للتعليم بالشكله الجديد على انماط ثقافة الشعوب بسبب تحكم التكنولوجيا الحديثة واستخداماتها بالشعوب العالم.

مؤشرات اعرض الاصابة بفيروس كوفيد ١٩.

لوباء كوفيد-١٩ الناجم عن فيروس كورونا المستجد، أعراض رئيسية شائعة حددتها منظمة الصحة العالمية هي الحمى ، والسعال ، وضيق التنفس، بعضها قد يبدو عاديا مثل الرشح، والتهاب الحلق، ومن الأعراض الأخرى التي تم رصدها سابقا مع كوفيد-١٩ الإسهال وفقدان حاستي الذوق والشم، ولا يستبعد أن تضم القائمة مزيدا من الأعراض، فيما يتكشف الأطباء خبايا الفيروس الجديد، وهي أعراض طبيعية كون المرض يصيب الجهاز التنفسي بشكل أساسي. ولكن بما أن الفيروس المسبب لهجديد، يلاحظ الأطباء بين حين والأخرى أعراضا جديدة للمرض، (قناة، ٢٠٢٠)، لكن بعضهم الآخر يبدو غير تقليدي ومنها:

”-١-كوفيد تو“.

أبلغ المرضى في العديد من البلدان عن ظهور طفح جلدي على أصابع قدميهم، يشبه البثور، لم يلحظ من قبل في الأمراض المتعلقة بالفيروسات التاجية. وفي كثير من الحالات يظهر الطفح غير مصحوبا بأي من الأعراض المعتادة للفيروس. وقد أطلق على الحالة اسم .



رغم أنه نادر، لكن تم رصد هذا النوع من الأعراض في حالات من كوفيد-١٩ مع وجود الفيروس في الدموع.

٣- النخر أو التزرق.

النخر هو موت أنسجة الجسم بسبب نقص إمدادات الدم، فيما التزرق““، وهو تغير لون الجلد بسبب تقلصات، أو تشوهات في الأوعية الدموية القريبة من الجلد.

٤- دوار وصداع.

وجدت دراسة أجريت على ٢١٤ مريضا في الصين، نُشرت في جاما لأمراض الأعصاب الشهر الماضي، أن ما يزيد قليلا عن الثلث (٣٦,٤ في المئة) قد عانوا من أعراض عصبية مثل الدوار، أو الصداع، وقد ارتفعت النسبة إلى ٤٥,٥ في المئة في المصابين بعدوى شديدة.

٥- الإحساس بالوخز.

شعور غير طبيعي بالبدن (يشبه الشعور بالحرق أو الوخز بالإبر) وغالبا ما يحدث في الذراعين والساقين (قناة الحرة، ٢٠٢٠).

مؤشرات انتشار وباء كورونا - كوفيد / ١٩ في العالم موثقته.

انتشر الوباء بكل دول العالم تقريبا بشكل متسارع، وبلغت الخسائر الاقتصادية الأولية بحدود (٤-٥) تريليون دولار، وقد ترتفع أكثر، في ضوء عدم وجود توقعات زمنية لاحتواء الفيروس فليس هناك ادلة علمية قاطعة لكيفية مواجهة الفيروس وكيفية انحساره، مع ذلك فإن هنالك إجراءات في الصين للحد منه وتقليص ضحاياه وسجلت نتائج إيجابية، إلا أنه لا يزال من الصعب القياس عليها، خاصة الانتشار السريع في إيران، وكوريا الجنوبية، وإيطاليا، وإسبانيا، وفرنسا، وألمانيا،



والولايات المتحدة الأمريكية، والبرازيل، وفي مصر، والعراق، ودول الخليج وبالإضافة الى قارة افريقيا ومناطق أخرى متفرقة بالعالم، وأن هذا القلق والتحوّط ادى وسيؤدي إلى إلغاء الكثير من الفعاليات الاقتصادية والسياحية والرياضية وحتى السياسية والفنية، مما سينعكس على الأنشطة الدولية والمحلية وحتى الفردية، مما سيشكل انعكاسات اقتصادية تؤثر إلى ظهور تغييرات قسرية ومفاجئة وداهمه على الحياة العامة (المالي، ٢٠٢٠ ص : ٩)

وان التعرف على آليات العمل وخفض مستويات المرض والقضاء عليه نهائيا لا بد أن ينطلق من ربط استراتيجيات القضاء على الوباء المنتشر وبشكل متدرج وهادي ببرامج المنظمة الصحة العالمية وتوجهاته وجهوده، فضلا عن الجهود الدولية وبرامجه الوقائية في كافة الدول الكبرى من خلال التعاون وتبادل الخبرات في هذا المجال لمعالجة فايروس لكي لا يتفاقم بشكل اكثر تعقيدا. والمخطط التالي يوضح حالات الاصابة والوفيات والشفاء بالعالم (اخر احصائيات الفأ، ٢٠٢٠).

مؤشرات احصائية لفيروس كورونا لغاية ٩ / ٥ / ٢٠٢٠

حول العالم

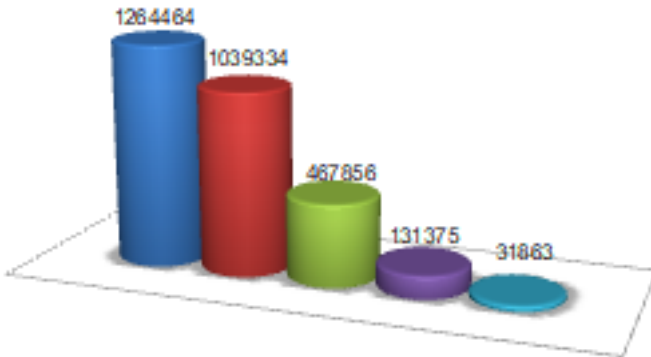


نسبة انتشاره.

من المبكر الحديث عن عالم ما بعد كورونا، لأن ذلك غير ممكن إدراكه بشكل كامل الآن ويتوقف بصورة مباشرة على مدة بقاء الوباء ومقدار الخسائر البشرية المترتبة عليه، ومدى انتشاره (العداوي، مصدر سابق: ص ٢)، وتشير احصائيات القارات إلى ذلك منها، قارة أوروبا حيث احتل المرتبة الأولى في نسبة انتشار هذا الفيروس ب(١,٢٦٤,٤٦٤) حالة إصابة، وقارة أمريكا الشمالية بالمرتبة الثانية بنسبة قدرها (١,٠٣٩,٣٣٤) حالة إصابة، بينما جاءت قارة أمريكا الجنوبية بنسبة (١٣١,٣٧٥) حالة إصابة، في حين جاءت قارة آسيا بالمرتبة الرابعة بنسبة قدرها (٤٦٧,٨٥٦) حالة إصابة، وأخيرا جاءت قارة أفريقيا بالمرتبة الخامسة بنسبة قدرها (٣١,٨٦٣) حالة إصابة، في حين وصل حالات الشفاء في كل القارات العالم الى نسبة (٨٣٥,٠٢٧) حالة، بينما وصل حالات الوفاة في كل القارات إلى نسبة (٢٠٣,٨٠٦) حالة و وفاة، لحد كتابة هذا البحث بتاريخ ٢٠٢٠/٥/٩. والمخطط التالي يوضح حالات الإصابة بالفيروس حسب كل قارة (موازين نيوز، ٢٠٢٠)

عدد الإصابات بفيروس كورونا حسب القارات

أفريقيا | أمريكا الجنوبية | آسيا | أمريكا الشمالية | أوروبا



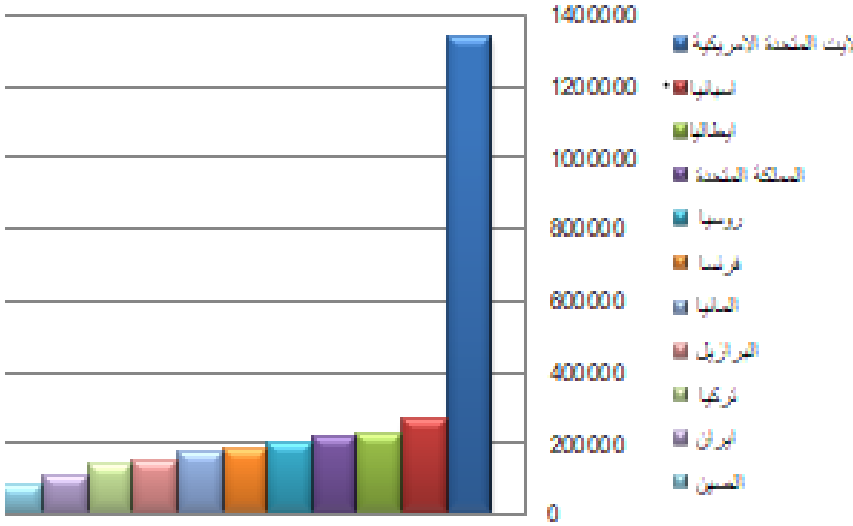
كثافة انتشاره.

الفايروس وانتشاره لا يمثل توجهها معيناً، أو وجهة محددة مسبقاً، بل هو فايروس يمكن وصفه بأنه عابر للحدود القومية للدول، وعابر للطوائف والقوميات والاعراف، ولم يستثن احداً، وهو ما مؤثر الى تداعياته الخطيرة على صعيد النظام العالمي من خلال انهيار وتراجع دول على حساب أخرى، من ناحية، ويؤثر كذلك لحظة ضعف بشري بامتياز لمواجهته، اذ وقفت امكانيات البشرية على الرغم من التطور والتقدم والتكنولوجي من التصدي له مجتمعة أو منفردة، وأن خاصية فايروس كورونا كونه عابراً للحدود، جعلت منه تهديداً حقيقياً وخطيراً لا يستثنى منه احداً، وهو ما يعني بروز تداعيات لاحقة لهذا التهديد في العالم (كاطع، ٢٠٢٠: ص ٨).

لذا تشير التقديرات إلى أن نسبة انتشار هذا المرض بين الدول مختلفة لحد تاريخ ٢٠٢٠/٥/٩ ومنها الولايات المتحدة الأمريكية بنسبة (١,٣٣٣,٢٣٠) حالة اصابة، واسبانيا بنسبة قدرها (٢٦٢,٧٨٣) حالة اصابة، وإيطاليا بنسبة (٢١٨,٢٦٨) حالة اصابة، بينما وصلت حالات الاصابة في المملكة المتحدة الى نسبة قدرها (٢١٥,٢٦٠) حالة اصابة، في حين وصل في روسيا عدد الاصابات الى نسبة (١٩٨,٦٧٦) اصابة أما في فرنسا وصل عدد الحالات إلى نسبة قدرها (٧٦,٠٧٩) بحالة اصابة، في حين نسبة الاصابات وصلت في المانيا إلى نسبة قدرها (١٧١,٠٢١) حاله، وفي البرازيل لقد وصل عدد الحالات إلى (١٤٨,٦٧٠) اصابة، وفي تركيا بلغ عدد حالات الاصابة ب (١٣٧,١١٥) حالة، بينما وصل عدد حالات الاصابة في ايران إلى نسبة (١٠٦,٢٢٠) حالة، واخيراً في الصين وصل عدد حالات الاصابة بنسبة قدرها (٨٢,٨٨٧) حالة وهناك حالات متفرقة من النسب في بقية دول العالم، في حين وصل عدد حالات المؤكدة من الاصابات المذكور حتى التاريخ ٢٠٢٠/٥/٩ إلى (٤,٠٦٧,٠٨٨) حالة، وإلى (٢٧٨,٤٤٥) حالة وفاة، بينما (٢,٣٧٣,٣١٠) تحت العناية، في حين

وصل الحالات الشفاء الى نسبة (١,٤١٥,٣٣٣) حالة. والمخطط التالي يوضح ذلك (قناة الجزيرة، ٢٠٢٠) (قناة).

احصائيات انتشار فيروس كورونا في الدول الاكثر كثافة



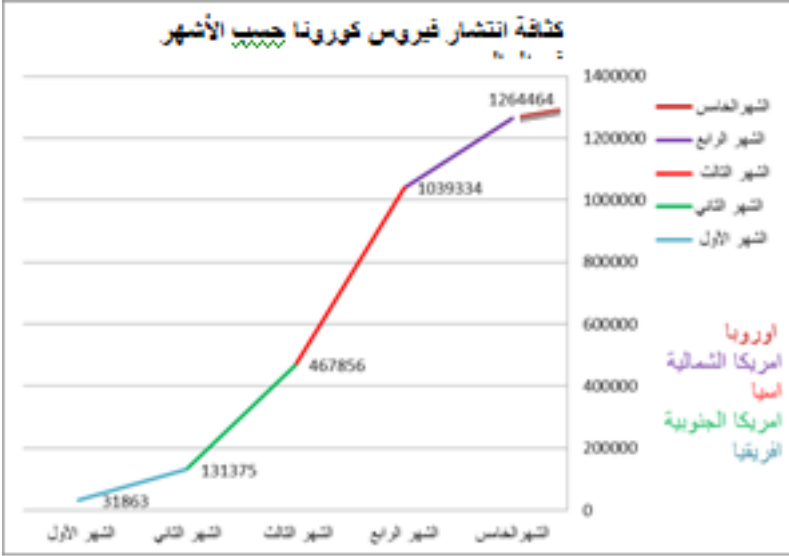
شدة المرض.

وباء كورونا الجديد هو وباء مجتمعي يمتاز ينقله المجتمع وينشره الجهل ويقضى عليه بالوعي، حينما ينهض العالم من أزمته ستراجع البشرية حالتها وتفهم حقيقتها وتدرك هشاشة وجودها وضعف كيانها (الحسيني، مصدر سابق: ص ٦)، لذا يعد مرض فيروس كورونا ٢٠١٩ (كوفيد-١٩). في ديسمبر ٢٠١٩، أُبلغ عن تفشي ذات الرئة في ووهان بالصين، في (٣١ / ديسمبر / ٢٠١٩)، أُعزي التفشي إلى سلالة جديدة من فيروسات كورونا، وسُميت رسمياً بواسطة منظمة الصحة العالمية (٢٠١٩) بحلول (٦ مارس ٢٠٢٠)، أُبلغ عن (٣,٣٨٣) حالة وفاة مؤكدة وأكثر من (٩٨,٣٧٢) إصابة مؤكدة. عُرِفَت سلالة ووهان على أنها سلالة جديدة من

فيروس كورونا بيتا من المجموعة (٢) مع تماثل وراثي يبلغ (٧٠٪) مع فيروس سارس. اعتقد أن أصل الفيروس كان من الثعابين، لكن العديد من الباحثين البارزين يختلفون مع هذا الاعتقاد. يُشبه الفيروس بنسبة (٩٦٪) فيروسات كورونا الخفافيش، لذلك يُعتقد بشكلٍ واسعٍ أنها من أصل خفاشي. لكن توسع بعد ذلك هذا المرض ليشمل أكثر دول العالم وخاصة أوروبا.

وهناك العديد من التقارير والإحصائيات التي تنتشر يومياً على شاشات التلفاز، والأرقام المخيفة التي تزداد عبر موجات الراديو، فضلاً عن وسائل ومنصات التواصل الاجتماعي المتنوعة، وتتفاوت هذه الأرقام والإحصائيات بحسب المصادر والمرجعيات، فقد اقترب عدد المصابين بفيروس كورونا في العالم من (١,٧) مليون شخص، حتى صباح يوم (٢٠٢٠/٥/٩) حسب بياناتٍ نشرها موقع جامعة جونز هوبكنز، الذي يجمع إحصاءاتٍ حول الضحايا. وبلغ عدد المصابين (٤,٠٦٧,٠٨٨) شخصاً في (١٨٤) دولةٍ حول العالم، وتوفي من بينهم أكثر من (٢٧٨,٤٤٥) ألف شخص، وتم شفاء أكثر من (١,٤١٥,٣٣٣) ألف شخص. والمخطط التالي يوضح الخط البياني لذلك الكثافة بالانتشار في العالم (إحصائيات الصعيد العالمي، ٢٠٢٠) (موقع نبض، ٢٠٢٠).



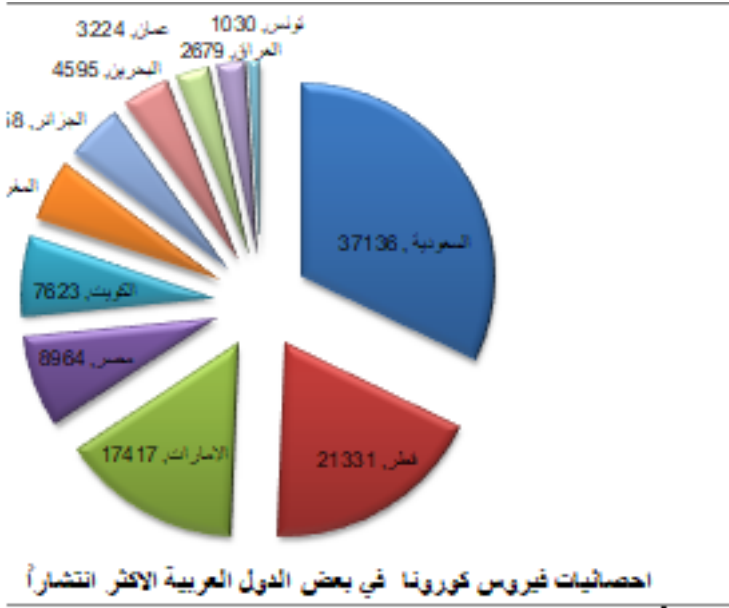


بعض مؤشرات الإحصائية والأرقام عن فيروس كورونا في بعض الدول العربية.

إن أحدث إحصائيات الدول العربية حول الفيروس كورونا حتى صباح (٩/ أبريل/ ٢٠٢٠)، أوضحت أن حصيلة المصابين بفيروس كورونا في الوطن العربي وصلت إلى ما يقارب

(٣٦٢,٦٦٤) حالة، ويرتفع عدد الحالات المتعافية إلى (٢٠٧,٩٣٢)، أما مجموع الوفيات ب(١٢٣١٠) حتى صباح التاريخ المذكور، فقد احتلت المملكة العربية السعودية قائمة أعداد المصابين بفيروس كورونا في الدول العربية بمجموع (٣٧١٣٦) حالة إصابة، يليها قطر في المركز الثاني ب(٢١٣٣١) حالة، وجاءت الامارات في المركز الثالث بإجمالي (١٧٤١٧) حالة، ويليهما مصر في المركز الرابع ب(٨٩٦٤) حالة، وأما في المركز الخامس تواجدت بالكويت ب(٧٦٢٣) حالة إصابة. واما في المركز السادس المغرب ب(٥٩١٠) حالة، بينما احتلت الجزائر المركز السابع ب(٥٥٥٨) حالة، في حين جات البحرين بالمركز الثامن ب(٤٥٩٥) حالة، اما عمان فجاءت بالمركز

التاسع ب(٣٢٢٤) حالة، بينما جاء العراق في المرتبة العاشرة ب(٢٦٧٩) حالة، واخيرا جاءت تونس في المرتبة الحادي عشر ب(١٠٣٠) حالة، فضلا عن وجود هناك حالات متفاوتة ومتفرقة من الارقام بين بقية الدول العربية الاخرى، والمخطط التالي يوضح ذلك (احصائيات قناة العالم، ٢٠٢٠).



مستقبل العالم بعد مشهد فيروس كورونا المستجد بين الدول.

لا نستطيع الجزم بطبيعة النظام العالمي الجديد بعد انتهاء جائحة كورونا حيث لا يزال مصدر العالم مجهول مع فيروس كورونا ومصير العالم غير معروف ونتيجتها غير واضحة، وتتوقف على المدى الزمني الخاص بانتشار الوباء والتعامل معه (البستاني والآخرين، ٢٠٢٠: ص ١٥).

لكن يمكن طرح سؤال، كيف سيكون العالم بعد كورونا؟

سؤال يتم تداوله كثيرا لدى ملايين الاحياء في كوكب الارض ويسمح لدخول مئات التفسيرات بأصنافها الخيالية والواقعية، وما بينهما من

الدرجات اللونية. إلا ان قراءة المستقبل القريب خرجت من دائرة التكهنات إلى دائرة التخطيط المبني على وفق الحسابات والتصورات المتعددة الاحتمالات، ويبقى السؤال الاكثر اهمية هنا: هل سيكون العالم اجمل ام اسوأ بعد جائحة كورونا؟. والجواب وفقا للمعطيات اعلاه محسوم للاسوء رغم أن هذه الحقيقة لا تعجب الكثيرين ممن يؤمنوا بالنهايات السعيدة لأفلام هوليود التي مهدت عبر سنوات طوال إلى هذه الفترة بكل تفاصيلها المروعة (السوداني، ٢٠٢٠: ص ٨-١٠).

بالإضافة إلى ذلك سوف تفرز لنا المرحلة المقبلة اذا ما استطعت المحاور الدولية ذات القوى الاقتصادية والتنموية الناهضة كالصين من هزيمة الفايروس قبل غيرها وحرف انتشار المرض في بلدانهم، اذا إن الصين على سبيل المثال اول دولة ضربها الفايروس بصورة مريعة والعالم كان يتوقع سقوط بنيتها الاقتصادية والصحية، لكن المعجزة الصينية التي حققتها الصين لغاية الآن بمدة قصيرة جدا في السيطرة على الفايروس يثبت مدى قوتها التنظيمية مؤسستيا. وبذلك فإن السيطرة على الفايروس سوف لا يعزز نموها داخليا فقط وانما تحاول الصين تصدير ذلك النجاح بصورته الشمولية إلى دول العالم الأخرى والاخص تلك التي تصنف على المحور الغربي (شبيب، مصدر سابق: ص ٦).

وتأكيدا على ذلك ”على دول العالم أن تكون اكثر تضامنا لمواجهة فايروس كورونا“، بهذه العبارة افتتحت الامم المتحدة خطابها تجاه الدول في ظل مواجهة فايروس كورونا الذي وضع ملايين الناس تحت الحجر الصحي، ووصل الفايروس إلى مقرات الحكومات، وبدأ يشكل حالة فريدة يشهدها النظام العالمي، وانكشفت فيها الأنظمة الصحية وعدم إمكانيتها في مواجهة المرض حتى في الدول المتقدمة. أرى أن التضامن سيكون سمة النظام العالمي بعد فايروس كورونا ”التضامن استعدادا لازمات متوقعة“، ومع تأكيد (بومبيو) في مؤتمره الصحفي في اطار خلية

الازمة التي شكلتها الادارة الاميركية من "ان الولايات المتحدة ستبقى على دورها العالمي" (السرطان، ٢٠٢٠:ص١٤).

ويمكن أن نرى بأهم عبرة مستنتجة من هذا الوباء هو في حقيقة التناقض في الأولويات وعدم التمييز بين الواجب والمستحب. وتركمسؤول الواجب والتمسك بالمستحب وهكذا أقول: بادئ ذي بدء، ستسأل الشعوب حكامها: أنتم المتقهقرون أمام عدو بأئس غير منظور، يا من صنعتم عابرات القارات وغواصات البحر وناطحات السحابو حصنتم بعضكم ضد بعض فأخذتكم مجسات العظمة وغزاكم شبق الجبروت، وأنتم قادرون أن تتعايشوا مع بعضكم بروابط المودة والمحبة والإخاء! لكنكم فشلتم بالتصدي لأصغر مخلوق على الأرض فلم تنفعكم تقنياتكم التي وجهتموها على غير ما يجب ويكون (الحسيني، مصدر سابق:ص٦).

نعم بلا شك ستعلن ساعة الحقيقة وستطلب الشعوب إجابات مسؤوليها الذين كذبوا حينما تهاونوا أمام عدو حقيقي مارق أمامهم فولوا ظهورهم للحقيقة واتجهوا صوب الضلالة والوهم، الحقائق أظهرت بأن جل اهتمام أكثر حكومات الغرب منصب على المادة والاقتصاد حتى انقلب السحر على الساحر ففقدوا أضعافا مضاعفة مقابل الحيلة والحذر. بلدان تصنع الطائرات لكن أطباؤها لا يملكون الكمادات الوقائية أمام الوباء بلدان تبيع المدافع والراجمات لكنها أخفقت أن تصنع محاليل الكشف والتشخيص عن الوباء بلدان أبحرت في البحث في الفضاء فوصلت المريخ لكنها تقاعست عن أن تبحث عن لقاح جاهز لعدو جديد محتمل نعم سيكون لهذا الوباء دروس ومعاني وعبر وستتم مراجعة النفس ومحكمة المسؤول وكشف الحقائق وحينما ستعي الشعوب ستفهم كيف تختار ممثليها. كما سيتعرض بعض رموزها الى الاستهداف بشكل او آخر(المصدر نفسه:ص٧).

لكن ذلك لن يعني قطيعة عالمية بين البشر، بل سيتولد إدراك



جديد أن البشر أكثر تقارباً من بعضهم، وأنهم بحاجة إلى تضامن وتعاون أكثر لمواجهة التهديدات التي تواجه الجنس البشري، نعم قد يحصل تقاطع بين سياسات الهيمنة للحكومات ومشاعر التضامن بين الشعوب في هذه المرحلة إلا أن النتيجة ستكون أن العالم بحاجة إلى نظام عالمي يكون أكثر اهتماماً بحاجات البشر الأساسية وأكثر استجابة للحفاظ على سلامة الكرة الأرضية لتستمر بالعتاء لمصلحة سكانها (العداوي، مصدر سابق: ص ٣).

وهناك أمر آخر وهو الأهم من وراء هذه الظاهرة وهو التمهد للربح الأكبر الذي يجعل الأفراد والمجتمعات منحصرة عن المواجهة وهنا ينكشف حجم المؤامرة الصحية العامة. ومن المستغرب العلمي أن كافة الجامعات العالمية ومختبرات الفحص الطبي تشير إلى العجز العلمي عن إيجاد عقار مناسب له، وهذا أمر يتناقض ومنتوجاتها العلمية والتطويرية التي نعرفها عنه مما يزيد شكنا النفسي والاجتماعي في تدبير هذه المخططات العالمية (اليعقوبي، ٢٠٢٠: ص ١١).

الاستنتاجات.

- ١- إن مؤشرات تأثير جائحة كورونا كانت متباينة بين الدول العالم.
- ٢- إن بروز أزمة فيروس كورونا وانتشاره عالمياً شكل انقلاباً على المفاهيم والمنظومة الأخلاقية، والسياسية، والاقتصادية والاجتماعية التي جاءت بها العولمة.
- ٣- إن مفهوم فيروس كورونا يختلف عن باقي فيروسات الأخرى كالسار على سبيل المثال لا الحصر.
- ٤- إنتداعيات هذا الوباء كانت خطيرة وتدميرية إلى درجة ازدياد حالات الخوف والهلع بحيث عطلت كل المرافق الحياة العامة في أغلب دول العالم.



٥- لا يمكن استبعاد إمكانية إعادة النظر في النظام الاقتصادي العالمي والسياسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المتبعة والتي ارتكزت على اعتبارات مصلحة نفعية بعيدة كل البعد عن الاعتبارات الإنسانية.

٦- تزايد انتشار هذا المرض بشكل مخيف وبسرعة كبيرة مما أدى إلى أن يصيب الشلل كل مرافق الحياة، وتعطل بعض الجهود الدولية عن تقديم المعالجة بشكل كافي لجميع الافراد وخاصة في المستشفيات بسبب كثرة اعداد المرضى مما أدى إلى عجز امام هذا الكم الهائل من الاصابات والتوقف عن امكانية معالجة اغلب الحالات وتقديم المساعدة لهم.

٧- إن انغلاق الدول نحو الداخل، وغلق حدودها مع الآخرين يؤثر في المستقبل إمكانية إحلال وعودة المكانة المفقودة والاعتبار للإنتاج الوطني المحلي بدلا عن الإنتاج العالمي الذي أصبح عامل قلق وعدم ثقة من قبل الجميع.

٨- تبين عدم وجود استراتيجية دولية أو عالمية من قبل منظمة الصحة العالمية أو الدول العظمى لمواجهة الازمات، والكوارث في العالم، أو وضع معالجات خاصة يتناسب وحجم الازمات المفاجئة.

٩- كشف انتشار الفايروس مدى الضعف، والقصور لدى المؤسسات الدولية في مواجهة الحالات الطارئة ولاسيما الصحية منها.

١٠- اظهرت المرحلة الأولى من انتشار فيروس كورونا أن معظم دول العالم غير مهياً لمواجهة هذه الحرب الصحية كما أسماها الرئيس الفرنسي (ماكرون) في خطابه للفرنسين عشية الدعوة للحجر الصحي في المنازل.



التوصيات.

١- اقامة دورات وورش العمل وتدريب العاملين في المجال الصحي لغرض توعية الافراد بمخاطر الامراض والابوئة وامكانية مواجهة الازمات والكوارث المفاجئة.

٢- التوسع في توفير كافة المستلزمات والأجهزة الطبية والصحية الازمة والبنى التحتية افقيا وعموديا لمواجهة اي حالات طواري تحدث في العالم.

٣- زيادة التعاون والجهود على كافة المستويات العلمية، والمادية، والانسانية بين الدول وخاصة العظمى لمواجهة اي طارئ تحدث مستقبلا بعيدا عن السجلات السياسية والصراعات الدولية.

٤- انشاء مركز ادارة الازمات عالمي تحت رعاية دولية وعالمية لتقديم المشورة، والمساعدات للدول التي تحدث فيها كوارث طبيعية، أو ابوئة قبل تفاقمها أو تفشيها بالعالم.

٥- تشجيع واهتمام بالمراكز البحثية العالمية لاكتشاف علاجات لأغلب الامراض المعدية المنتشرة بالعالم.

٦- معالجة الفقر وايلاء البنى الارتكازية(التحية) في الدول الفقيرة واعطائها الاولوية في خطط التنمية الاقتصادية الاجتماعية، والصحية في العالم عن طرق المنظمات الدولية، وبرامج الامم المتحدة.

المصادر والمراجع.

* آخر احصائيات انتشار فيروس كورونا على الصعيد العالمي، بتاريخ ٢٠٢٠/٥/٩، متاح على موقع / ..

* البستاني، جاد مصطفى ومصطفى، محمد نيوى ومحمد، محمد السيد (٢٠٢٠)، مستقبل النموذج الليبرالي في عالم ما بعد كورونا، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، برلين، ألمانيا.

* تقرير عن احصائيات انتشار فيروس كورونا، بتاريخ ٢٠٢٠/٥/٩، متاح على موقع / ..

* حسين، د. خليل محمد حسين (٢٠٢٠)، الابعاد النفسية والاجتماعية لجائحة كورونا، بتاريخ ٢٠٢٠/٤/٧، متاح على موقع / ..

* الحسيني، د. محمد مسلم (٢٠٢٠)، عالم ما بعد كورونا كيف سيكون، شبكة النبأ، بتاريخ ٢٠٢٠/٣/٢٥، متاح على موقع //:.

* حنين، ماهر (٢٠٢٠)، سوسيولوجيا الهامش في زمن الكورونا- الخوف الهشاشة- الانتظارات، المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، تونس.

* راغب، دنيل (٢٠٠٢)، موسوعة قواعد اللعبة السياسية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.

* الربيعي، د فضل (٢٠٢٠)، سوسيولوجيا الكورونا، مقالة منشور بتاريخ، ٢٠٢٠/٤/٤، متاح على موقع / ..

* الربيعي، د. فضل (٢٠٢٠)، سوسيولوجية كورونا، مقالة منشور في مركز مدار للدراسات، بتاريخ ٢٠٢٠/٣/٣١، عدن، اليمن، متاح على الموقع /-://:

* السرحان، د. حسين احمد (٢٠٢٠)، عالم ما بعد كورونا كيف سيكون، شبكة النبأ، بتاريخ ٢٠٢٠/٣/٢٥، متاح على موقع //:.



شبكة



- * السوداني، د. حسن (٢٠٢٠)، عالم ما بعد كورونا كيف سيكون، شبكة النبأ، بتاريخ ٢٠٢٠/٣/٢٥، متاح على موقع://:
- * شبيب، د. اسعد كاظم، وقائع كورونا، شبكة النبأ، بتاريخ ٢٠٢٠/٣/٢٥. متاح على موقع://:
- * الشكرجي، د. محمد سعيد (٢٠٢٠)، عالم ما بعد كورونا كيف سيكون، شبكة النبأ، بتاريخ ٢٠٢٠/٣/٢٥، متاح على موقع://:
- * العرداوي، خالد، عالم ما بعد كورونا كيف سيكون، شبكة النبأ، بتاريخ ٢٠٢٠/٣/٢٥، متاح على موقع://:
- * قناة الجزيرة (٢٠٢٠)، كورونا اخر الارقام حول العالم، بتاريخ ٢٠٢٠/٥/٩، متاح على موقع/..
- * قناة الحرة (٢٠٢٠)، كوفيد تو مؤشرات غير تقليدية للإصابة بكورونا، بتاريخ ٢٠٢٠/٥/٦، متاح على موقع /..
- * قناة العالم (٢٠٢٠)، احصائيات انتشار كورونا في العالم العربي، بتاريخ ٢٠٢٠/٥/٩، متاح على موقع/..
- * قناة (٢٠٢٠)، فيروس كورونا: خريطة انتشار الوباء واحداث الارقام المسجلة، بتاريخ ٢٠٢٠/٥/٩، متاح على موقع/..
- * قناة (٢٠٢٠)، منظمة الصحة العالمية، فيروس كورونا: ماهي اعراض الإصابة به وكيف تقي نفسك منه. بتاريخ ٢٠٢٠/٥/٧، متاح على موقع/..
- * كاطع، د. سليم (٢٠٢٠)، عالم ما بعد كورونا كيف سيكون، شبكة النبأ، بتاريخ ٢٠٢٠/٣/٢٥، متاح على موقع://:
- * مرض فيروس كورونا--١٩، بتاريخ ٢٠٢٠/٣/١٥، متاح على موقع/..



- * ملكاوي، د. اسماء حسين (٢٠٢٠)، أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية، مركز ابن خلدون للعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قطر، قطر.
- * منظمة الصحة العالمية (٢٠٢٠)، تعريف مبسط عن فيروس كورونا وسبل الوقاية منه، بتاريخ ١٤/٤/٢٠٢٠، متاح على موقع /..
- * موازين نيوز (٢٠٢٠)، اخر مستجدات فيروس كورونا حول العالم، بتاريخ ٩/٥/٢٠٢٠، متاح على موقع /..
- * الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، فايروس كورونا- جائحة فيروس كورونا/٢٠١٩-٢٠٢٠، متاح على موقع /...
- * موقع نبض (٢٠٢٠)، احصائيات انتشار كورونا في العالم، بتاريخ ٩/٥/٢٠٢٠، متاح على موقع /..
- * الميالي، د. احمد عدنان (٢٠٢٠)، عالم ما بعد كورونا كيف سيكون، شبكة النبا، بتاريخ ٢٥/٣/٢٠٢٠، متاح على موقع.//:
- * العيوقوي، د. حيدر (٢٠٢٠)، عالم ما بعد كورونا كيف سيكون، شبكة النبا، بتاريخ ٢٥/٣/٢٠٢٠، متاح على موقع.//:





أهمية التكافل الاجتماعي في ظل أزمة كورونا

د / سعد المغازي عبد المعطي محمود^(١)

الكلية الجامعية الإسلامية ببهانج « السلطان أحمد شاه » - ماليزيا

saadelmaghazy@gmail.com

ملخص البحث

فالإسلام بتشريعاته ومبادئه السامية وأنظمتها المحكمة حقق للمجتمع المسلم أسمى صور التكافل بمعناه الشامل، فالإسلام يربي في الفرد المسلم الشعور بالمسئولية تجاه إخوانه، ليس في الدين فقط وإنما مد ظلاله لكل إنسان، ولما لا أليس الإنسان هو محور التكريم الإلهي قال سبحانه: «ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً».

فالإسلام عني بالتكافل الاجتماعي؛ ليكون نظاماً لتربية روح الفرد وضميره وسلوكه الاجتماعي؛ وليكون نظاماً للعلاقات الاجتماعية، فمدلولات البر والإحسان والصدقة تتضاءل أمام هذا المدلول الشامل للتكافل الاجتماعي كما عناه الإسلام، وكما طبقه في واقع الحياة

الهدف من هذا البحث: إبراز بعض الحقائق في أن التعاون والتكافل

(١) دكتوراه في الفقه المقارن من جامعة الأزهر ويعمل محاضراً بالكلية الجامعية الإسلامية ببهانج (السلطان أحمد شاه) ماليزيا

من كUIPSAS بحوثها المنشورة:

المقاصد الشرعية للزكاة - دور السنة في فهم مقاصد الشريعة - الأغذية المحورة - المراهجة المصرفية - الوقف مقاصده وطرق استثماره -

الجيلاتين الخنزيري - استعمال مياه المجاري المعالجة بوسائل التقنية الحديثة.



والتآزر سمة من سمات هذا الدين، ودائماً ما يدعو أفراد المجتمع إليه، ومد يد العون لكل محتاج، لا سيما في ظل الظروف الراهنة، وهذا الوفاء الذي يجتاح العالم، وخيم عليه من مشرقه لمغربيه.

فالإنسان الذي كرمه الله سبحانه في قرآنه، وجعله محور الرسالة الخاتمة، ودلّل له الأرض؛ لينتفع من خيراتها، ما كان ليستطيع أن ينهض بمهمته في الحياة إلا بتكاتفه مع الآخرين.

منهج البحث: سلكت في هذا البحث منهج الاستقراء لبعض نصوص الشريعة، ورؤية بعض العلماء لمفهوم التكافل.

النتائج المتوقعة لهذا البحث، إبراز كيف كان الإسلام سباقاً علي غيره من الأنظمة والتشريعات الوضعية في تقريره لهذا الجانب المشرق (التكافل)، وحث أفراد علي هذا الأمر، بل إيجاب ذلك عليهم وقت الأزمات.

وخطة البحث تتكون من ملخص وثلاثة مطالب:

ملخص البحث بينت فيه عناية الإسلام بالتكافل، لا سيما في ظل الأزمات، ومنهج البحث، وثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في ماهية التكافل في الإسلام وأهميته.

المطلب الثاني: التكافل ومبادئ الإسلام.

المطلب الثالث: التكافل بين المعنوي والمادي.

وخاتمة فيها نتائج البحث، وتوصياته، وقائمة المصادر.

المطلب الأول: ماهية التكافل في الإسلام وأهميته

يقصد بالتكافل: أن يكون آحاد الناس في كفالة جماعتهم، وأن يكون كل قادر، أو ذي سلطان كفيلاً في مجتمعه، يمدّه بالخير، وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح

الأفراد ودفع الأضرار^(١)

فالتكافل التزام أفراد المجتمع، أي مجتمع وتضامنهم، وتعاونهم لإعانة المحتاج، ومساعدة المضطر.

قال تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...»^(٢).

فالإنسان في التصور الاسلامي لا يعيش منعزلاً بنفسه، مستقلاً بمجالاته، وإنما يتبادل مع الآخرين من أعضاء المجتمع المنافع التي تعود عليهم بالخير، وبما تعنيه من التساند والتكافل في أمور الحياة.

والعالم الآن يعيش ظروفاً استثنائية، فرضها انتشار هذا الوباء (فيروس كورونا COVID 19)، وما ارتبط به من التزامات اجتماعية وصحية، اقتضتها الظروف الراهنة، فالتباعد الاجتماعي، وتوقف العمل في معظم النشاطات الاقتصادية، إن لم يكن كلها، فرض علي حياة الناس واقعاً أليماً، فانتشر العوز والحرمان؛ نتيجة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي صاحبت هذا الوباء، وهنا تبرز أهمية التكافل الاجتماعي، الذي يعد سمةً من سمات المجتمع المسلم القوي المتماسك، ويُترجم علي أرض الواقع بقيام الموسرين بمساعدة المحتاجين؛ فالبر ليس أداء الفرائض والنوافل، وإغماض العين عن احتياجات الآخرين، فهذا لا يقره الإسلام؛ قال تعالي مُنوهاً عن هذه الحقيقة «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»^(٣).

(١) الإمام الشيخ/ محمد أبوزهرة: التكافل الاجتماعي في الإسلام- ٧- دار الفكر العربي القاهرة- ١٩٩١م.

(٢) سورة التوبة، الآية ٧١.

(٣) سورة البقرة، الآية رقم (١٧٧).

أهمية التكافل:

تبدو أهمية التكافل فيما يلي:

أ- الشعور بالمسئولية المجتمعية تجاه الآخرين: فالتكافل مؤداه أن يشعر كل إنسان في المجتمع بأن عليه واجبات يجب عليه أدائها للمجتمع، وأن له حقوقا يجب على القوامين عليه أن يعطوا كل ذى حق حقه من غير تقصير^(٤).

قال تعالى في وصف المجتمع المسلم «وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(٥).

وفي الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصْرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ»^(٦).

ب- المساواة في الحقوق والواجبات: فالتكافل يعنى أن يكون كل الناس متساوين في أصل الحقوق والواجبات، ويوجب أن تكون نتائج الأعمال بمقدارها، فأصحاب الكفاءات العالية لهم من الثمرات بمقدار كفايتهم، وذوو الكفاءات المحدودة يكون لهم بمقدارها من غير تجاوز للحد ولا شطط^(٧).

(٤) الشيخ/ محمد أبو زهرة: التكافل الاجتماعي في الإسلام- ص٧.

(٥) سورة الحشر الآية ٩.

(٦) صحيح مسلم- باب استحباب المواسة بفضول المال.

(٧) الإمام / محمد أبو زهرة: التكافل الاجتماعي في الإسلام- ص٧.



فالتكافل في حقيقته سد حاجة المحتاجين ، ممن لا يستطيعون النهوض بأي عمل، كما أنه يسد عجز العاجزين، ويهيئ العمل للقادر عليه، ويرعى النشء ويربيه^(١).

وقد بين صاحب الرسالة الخاتمة هذا الأمر، ووضح مسؤولية المجتمع عن كل فرد من أفرادهِ، عن ابن عَبَّاسٍ، يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ»^(٢).

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «مَا أَمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبَعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ»^(٣).

ج-المحافظة علي الكرامة الإنسانية: فالإسلام يوفر للإنسان الكرامة الاجتماعية، ويجعل التكافل المادي والأدبي هو الرباط الذي يجمع بين شتاتها، ويركز قواها؛ فلا تكون النعمة احتكارا لطائفة، ويكون الحرمان نصيب أخرى^(٤).

فالمجتمع المسلم يجب أن يكفل لكل فرد فيه المستوى الواجب لمعيشته، بل على المجتمع أن ينظم أموره تنظيماً يؤدي إلى هذه النتيجة التي لا مفر منها، وإلا كان مجتمعا لا دين له^(٥).

فالله كرم الإنسان وفضله علي سائر خلقه؛ قال تعالي: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا»^(٦).

فلا كرامة لإنسان دون الاهتمام بحاجاته المادية والنفسية، والجماعة هي التي تتكفل له بتحقيق تلك الكرامة من العيش الكريم، ولنا أن

(١) أبو أبوزهرة: لمرجع السابق- ص٧

(٢) البيهقي - السنن الكبرى- ج٣/١٠٥، المستدرک - ج١٥/٢.

(٣) الطبرانی: المعجم الكبير، ج١/٢٥٩.

(٤) الشيخ/ محمد الغزالي- الإسلام والأوضاع الاقتصادية، ص٧٥- الطبعة الثالثة - دار نهضة مصر- ٢٠٠٥م.

(٥) الشيخ/ محمد الغزالي- المصدر السابق- ص ١١١.

(٦) سورة الإسراء، الآية رقم (٧٠).

نتخيل خطورة وتداعيات تخلي المجتمع عن دوره التكافلي، وإهماله من يحتاج إلى العون والمساعدة، فالوعيد النبوي جاء مُحذِراً من ذلك فعن ابنِ عَمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ: «...أَيُّمَا أَهْلٍ عَرَضَتْ فِيهِمْ أَمْرٌ جَائِعٌ، فَقَدْ بَرِئْتُ مِنْهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ تَعَالَى» (٧).

د- التكافل من الأسس التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي: فالمجتمع في الإسلام كيان متواصل، متراحم، متكاتف، والإنسان ينبغي أن يعيش فيه حياة كريمة تليق بإنسانيته، وكرامته الإنسانية، فلا يشعر بالحاجة والعوز، ولا يقاسي آلام الحرمان، وذل الحاجة، بينما الآخرون يرفلون في النعيم، ورغد العيش، وفي الحديث عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى (٨).

والتكافل في المجتمع المسلم يحول دون انهياره، وتفككه، فيبقي مجتمعاً متماسكاً قوياً، لا تؤثر فيه ما يعرض له من أزمات ومشاكل، وما يقابله من صعوبات وعقبات وأزمات، وما أحوج المجتمع المسلم لهذا المسلك الطيب في الأوقات الراهنة، وما يمر به بسبب هذا الوباء اللعين، الذي يلف العالم من أقصاه إلى أقصاه، ويقف العالم بأسره عاجزاً عن مواجهة هذا العدو المتربص به.

ه- الحيلولة دون الانهيار الأخلاقي: فالتكافل يجعل المجتمع المسلم يحيا حياة مترابطة، حياة قوية، يجعله مجتمعاً يشد من أزر بعضه، فيه يعطف الكبير على الصغير، ويوقر فيه الصغير الكبير، ويحنو فيه القوي على الضعيف، ومجتمع هكذا يتحقق فيه الاستقرار النفسي، والرضا والانسجام مع الآخرين، بل من شأن التكافل وقت الأزمات أن يصل بالإنسان المسلم إلى درجة النفس مطمئنة، التي أقسم الله بها في كتابه،

(٧) المستدرک، ج٢/١٤، مسند أحمد، ج٤/٤٣٧.

(٨) صحيح مسلم، باب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ.



المؤتمر الدولي العالمي في ظل أزمة كورونا: إشكاليات وجلول
٣٠-٣١ مايو ٢٠٢٠م
قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ» (١)

و-القضاء علي المشكلات التي تعترض المجتمع المسلم: أدى انتشار هذا الوباء إلي انتشار البطالة، وكثرة الاحتياجات لقطاع عريض من المجتمع، وشيوع الضغوط النفسية، وتراكم مشكلات الحياة، ومن شأن التكافل في ظل هذه الظروف إن لم يقض عليها تماماً أن يخفف من حدتها، فيشيع الاستقرار النفسي؛ حين يشعر الإنسان ويطمئن أنه ليس وحيداً في مجتمعه، تتقاذفه أمواجه العاتية حتي يخر صريعاً.

ومن شأن التكافل الاجتماعي أن يعالج الخلل الواقع في المجتمع بين الأغنياء والفقراء، فالمال مال الله سبحانه وتعالى، والإنسان مستخلف فيه، وحين يساعد القادر المحتاج فإن ذلك ليس منةً منه، بل يعطيه حقه الذي شرعه الله سبحانه وتعالى.

فالتكافل الاجتماعي سمة من سمات المجتمع الراقي المتحضر، المتشرب لقيم الإسلام ومبادئه؛ لأنه يتوقف عليه سعادة المجتمع المسلم، وهنائه.

ز-تربية الضمير في الإنسان المسلم، وتحقيق الرقابة الذاتية، التي تنبعث من داخل الإنسان المسلم، فيتحرك من تلقاء نفسه لنجدة الآخرين، ويهب لمساعدتهم وقت الأزمات.

وقد حرص الإسلام علي تنمية هذا الشعور الطيب في نفوس أتباعه، وغرس الرقابة الذاتية، والشعور باحتياجات الآخرين، فعن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ جُلُوسًا فِي صَدْرِ النَّهَارِ فَجَاءَ قَوْمٌ حُفَاءُ عُرَاهُ مُجْتَابِي النَّمَارِ عَلَيْهِمُ الْعَبَاءُ أَوْ قَالَ: مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَرَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ يَتَغَيَّرُ؛ لَمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِأَلَا فَأَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ فَخَطَبَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا

(١) سورة الفجر، الآية رقم (٢٧).

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا»^(٢)، ثُمَّ قَالَ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }^(٣)، تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهِمِهِ مِنْ تَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ» حَتَّى قَالَ: «وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ قَدْ كَادَتْ كَفُّهُ أَنْ تَعْجِرَ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ عَنْهَا فَدَفَعَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، تَتَابَعَ النَّاسُ فِي الصَّدَقَاتِ فَرَأَيْتُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، وَجَعَلَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ وَقَالَ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا»^(٤).

(٢) سورة النساء، الآية رقم (١).

(٣) سورة الحشر، الآية رقم (١٨).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحثِّ على الصدقة ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ.



المطلب الثاني: التكافل ومبادئ الإسلام



من البديهيات القول أنه لا يوجد دين حض على التعاون والتآزر والتكافل كالإسلام؛ وأي القرآن الكريم واضحة في هذا المضمار، ولو أحصينا ما قاله صاحب الرسالة في هذا المجال لأعيانا البحث والإحاطة بما قاله، ونكفي أن نشير إلى طرف من هذه النقول.

ففي القرآن الكريم دعا سبحانه - وتعالى - إلى التعاون، والتكافل، وحض على عمل الخير فقال سبحانه: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (١).

وقال سبحانه (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ) (٢)، وقال سبحانه (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (٣).

وفي السنة: عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى (٤).

وعن أبي هريرة - أن رسول الله قال: «من وسع على مكروب كربة في الدنيا وسع الله عليه كربة في الآخرة، ومن ستر عورة المسلم في الدنيا ستر الله عورته في الآخرة، ومن نفس عن مكروب كربة في الدنيا نفس الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، والله في عون المرء ما كان المرء في عون أخيه» (٥).

(١) سورة المائدة من الآية رقم ٢.

(٢) سورة التوبة من الآية ٧١.

(٣) سورة الحجرات من الآية ١.

(٤) سبق تخرجه.

(٥) كنز العمال ٤٤٩/٦، مسند أحمد ٣/٣٧٤.



فالتكافل في حقيقته ما هو إلا تقديم يد العون والمساعدة للآخرين الذين هم في أمس الحاجة لمن يمد لهم يد العون فيؤازرهم وقت الحاجة والأزمات، وهذا يستلزم تضافر الجهود وتكاتفها بين أفراد المجتمع لتحقيق هذا الأمر.

فالتكافل تضافر جهود مجموعة من الناس للتعاون والتآلف والتكاتف حين يلم بهم أو بأحدهم خَطْبٌ من الخطوب، لكن ذلك يتم غالباً في شكل منظم، وليس بطريقة عفوية فرضتها حادثة وقعت أو ظروف ألت بشخص ما، وهذا الالتزام غايته رأب ما تصدع من بنيان المجتمع، والمجتمع ما هو إلا لبنات عمادها الفرد والأسرة، ومن هذه اللبنة يتكون المجموع.

عن أبي موسى الأشعري قال - أن النبي قال - أن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموا بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم»^(٦).

فهل هناك صورة في دنيا الواقع في مثاليتها وسُمُوها كالصورة التي صورها الحديث الشريف، فهذا المثال الذي صوره الحديث هو ما يدعونا إليه الإسلام دوماً وأبداً، ورغم أن بلوغ المثال من الصعب نواله، وكلما اقترب الإنسان من المثال نأى عنه؛ ليتطلع الإنسان دوماً إليه؛ فلا يركن إلى ما بلغه من خطوات في طريق الوصول إليه.

فالحديث كما صور أن الأشعريين تتفاوت أنصبتهم في المساهمة وقت حلول الخطوب، فقد يكون لدى بعضهم الكثير، ويملك البعض القليل والآخر أقل القليل، لكنهم لا ينظرون إلى ذلك، فهم يقسمون ما جمعوه بالسوية، وهذا هو الإيثار الذي علمه الإسلام إياهم.

فهذا التكافل الأشعري يدل غاية الدلالة على أنه يتوافق تماماً

(٦) صحيح البخاري باب الشركة في الطعام، صحيح مسلم باب من فضائل الأشعريين.

مع الهدى النبوي؛ ولما لا فقد كان أول ما فعله الحبيب حين نزل يثرب (المدينة) التي استنارت بمقدمه هو تضامن المهاجرين والأنصار.

ففي صحيح مسلم (لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة، وليس بأيديهم شيء وكان الأنصار أهل الأرض والعقار فقاسموهم) (١).

فالمؤاخاة كانت على الحق والمواساة، وعلى أن يتوارثوا بينهم بعد الممات، بحيث يكون أثر الأخوة الإسلامية في ذلك أقوى من أثر قرابة الرحم (٢).

شيوخ روح التعاون، وتلاشي الأنانية وحب الذات

فالرسول أقام التكافل على الإخاء الكامل، وهو الإخاء الذي تنمحي فيه الأنوية، والذاتية، ويتحرك المرء بروح المجموع والمصلحة؛ بغية تحقيق آمالها، فلا يرى الإنسان لنفسه كياناً منفرداً عن الجماعة وإنما امتداداً لها (٣).

ولم يكن هذا الالتزام بين المهاجرين والأنصار عقداً أديباً أو معنوياً يمكن التحلل منه؛ وإنما جعله الرسول عقداً نافذاً ملزماً ارتبط بالدماء والأموال، وليس كلاماً مرسللاً تلوكه الألسن ولا يمتد أثره للمجتمع.

فالأخوة قامت على أسس مادية قوامها التكافل بين أفراد المجتمع المسلم بشقيه المهاجر الذي ترك الديار والأموال، ولم يعد يملك من حطام الدنيا شيئاً، والشق الآخر الأنصاري الذي يملك ما يكفيه شر العوز والاحتياج، ورغم أن الهجرة (هجرة المهاجرين) إلى المدينة أحدثت بعضاً من ضيق العيش في المدينة، لكن المهاجرين لم يرتضوا أن يعيشوا عالية على إخوانهم، فمنهم من عمل بالتجارة حتى أصبح في مدة قصيرة

(١) صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب رد المهاجرين إلى الأنصار منأئهم من الشجر والتمر حين استغنوا.

(٢) د/ محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة النبوية ١٤٦.

(٣) الشيخ/ محمد الغزالي - فقه السيرة / ٢١١.

من الأغنياء، حتى قيل عن بعضهم من شدة درايته بسوق التجارة أنه يحول بالتجارة رمل الصحراء ذهباً، أما من لم تكن له دراية بالتجارة ولا فنونها فاتجه إلى ما يحسنه كالزراعة، وكان هذا صنيع أبو بكر وعمر وعلى^(٤).

ورغم ما لاقاه المهاجرون من بأساء الحياة وشدتها لكنهم أبو أن يعيشوا كلا على غيرهم، فارتضوا الكد والتعب وبذل الشاق من العمل؛ حتى يشعروا بلذة الطمأنينة لأنفسهم وعقيدتهم، هذا الإخاء والتكافل لا يمكن أن يُزرع في بيئات شاع فيها الجهل والمرض والنفاق والجشع والبخل، فبيئات كهذه لا يمكن أن يصح فيها تعاون وإخاء أو تكافل، أو تنمو فيها محبة، فالغاية السامية التي التقى عليها المسلمون، وأسوتهم الحسنة متمثلة في شخصية الرسول، هي التي قادتهم إلى هذا التكافل.

ولمّا العجب في ذلك فإن الشخصية التي قادتهم اجتمعت فيها ما تشتهت في عالم الإنسان من خصال حميدة، ومواهب مجيدة، فلم يكن بدّعا أن يكون صورة للكمال لا يمكن أن يبلغها بشر، فلا غرو إذا كان صحابته الذين قبسوا من نور نبوته وداروا حوله كما يدور الفلك الدوار في مدارته رجالاً على هذا الشكل، فأى مجتمع لا يمكن له أن ينهض إلا على أساس من التكافل والتعاون والتساند، الذي يقويه ويشد دعائمه المحبة والمؤاخاة المتبادلة، وإذا تلاشت تلك الخصال من المحبة وغيرها في أي جماعة فلا سبيل لها إلى الالتفاف حول مبدأ ما^(٥).

عن جابر بن عبد الله - قال: أن رسول الله بعث بعثاً قبل الساحل فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح - رضى الله عن - وهم ثلاثمائة وأنا فيهم - فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فنى الزاد فأمر أبو عبيدة



(٤) د/ محمد حسين هيكل: حياة محمد ٢٣٧، دار المعارف، الطبعة الرابعة عشرة.

(٥) الشيخ/ محمد الغزالي / فقه السيرة الموضوع نفسه ، د/ محمد سعيد رمضان البوطي: الموضوع نفسه، د/ محمد حسين هيكل - حياة محمد / ٢٣٧.

بأزواد ذلك الجيش فجمع ذلك كله، فكان مزودي تمر فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فنى، فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة فقال محدثه، وما تعنى تمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدنا حين فنيتم قال: ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوت مثل الطرب فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلعه فنصبا ثم أمر براحلة فرحلت ثم مرت تحتها فلم تصبهما^(١).

وهذه القسمة موضوعة بالمعروف، فأبو عبيدة جمع بقية أزواد الناس، ثم أشركهم فيها بأن قسم لكل واحد منهم، وقد كان فيهم من لم يكن له بقية طعام، وقد أعطى بعضهم أقل مما كان بقى له ولآخر أكثر^(٢).

والنهي هو إخراج القوم نفقاتهم على قدر عدد الرفقة، ويكون في السفر وغيره، وقد تتفق رفقة فيضعونه في الحضر كم فعل الأشعريون، وأنه لا يتقيد بالتسوية إلا في القسمة، وأما في الأكل فلا تسوية لاختلاف حال الآكلين^(٣).

فالغرض الأساسي من هذا الاشتراك هو محض التكافل والتآزر الذي يحقق الضرورات ويوفرها للمجموع، وهذا التكافل يتحقق بين المجموعة سواء اشتركوا فيما بينهم بأسهم متساوية أو كان هناك تفاوت بينهم، ورغم هذا التباين في الإسهام يمكن أن يتساووا فيما بينهم في الأخذ؛ كما بين حديث الأشعريين وحديث جابر السابق الإشارة إليهما.

يقول الإمام أبو زهرة^(٤) (وهكذا نرى أن واجب المؤمنين أن يتضافروا في إيجاد مجتمع فاضل، ولا يسكت مؤمن منهم عن الدعوة إلى الحق، بل إن

(١) ابن بطال الركني على صحيح البخاري ٧/٥ الناشر مكتبة الرشد / السعودية / الرياض - ١٤٢٣هـ الطبعة الثانية.

(٢) ابن بطال: شرح صحيح البخاري - ٤٩٢/٤.

(٣) ابن حجر العسقلاني/ فتح الباري شرح صحيح البخاري / ١٢٩/٥ دار المعرفة بيروت ٣٧٩١هـ العيني/ عمدة

القاري ٣٦١/٥ - ١٤٢٧هـ.

(٤) الإمام/محمد أبو زهرة: التكافل الاجتماعي في الإسلام، ص١٠.

التكافل الاجتماعي الخلقى يوجب عليه أن يسهم في بناء المجتمع الفاضل، فيمنع شره، ويدفعه إلى الخير؛ ولقد نهى النبي المؤمن أن يقف على الحياد في معركة الخير والشر، بل عليه أن يكون عنصراً إيجابياً؛ عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا»^(٥).

المطلب الثالث

التكافل بين المعنوي والمادي

أولاً: التكافل المعنوي: وهو التضامن الأدبي والشعور النفسي مع الآخرين في المجتمع المسلم، فيشاركهم أفراحهم، وأتراحهم، وآلامهم. فهو شعور متبادل بين أفراد المجتمع المسلم، يحب الإنسان فيه الخير لغيره كما يحبه لنفسه.

لا غرو إذا قلنا أن تشريع التكافل من شأنه أن يرأب الصدع في كثير من العلاقات الاجتماعية بين الناس، وخصوصاً وقت الأزمات. فالشريعة الغراء بمبادئها السامية وقيمها الخالدة ومثلها الرفيعة جديدة بأن تحقق للإنسان كل ما يرنو إليه من عزة ورفاهية وسعادة، وأحكامها وتشريعاتها تهدف دائماً إلى تحقيق مصالح الناس ورفع العنت والمشقة عنهم.

فأحكامها مبنية على المصلحة، غايتها دفع المفسدة، وهذا يبدو جلياً لمن يتأمل مرامي وأهداف الشريعة الغراء، ويجول بفكره وعقله في مبادئها وما أتت به من أحكام.

فشريعة كهذه من شأنها أن تحوط المجتمع بسياج من المودة والرحمة

(٥) سنن الترمذي، ج٤/٣٦٤، وقال فيه « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ »، كنز العمال، ج١٥/٧٧٢.



والتآلف، وتغرس في أعماق النفوس بذور المحبة والإخاء، وتبث في أرجائه كل المعاني الطيبة من التكامل والإخاء والبر، لجديرة بأن تكون النبراس الذي نهتدى به في جوانب حياتنا، فالتكافل هو تضامن مشترك بين أفراد المجتمع، بحيث يشعر الفرد بمسئوليته عن غيره في كافة نواحي الحياة المادية والمعنوية.

والإنسان لا يستطيع العيش بمعزل عن الآخرين؛ وإنما دائماً في حاجة إلى غيره، وهو ما يعبر عنه بالاجتماع والتعاون، فهو ضرورة للنوع الإنساني حتى يكتمل وجوده، وتتحقق إرادة الله في إعمار العالم، الذي يتحقق باستخلاف الإنسان في الأرض.

(ضروري للنوع الإنساني وإلا لم يكمل وجودهم وما أراد الله من اعمار العالم بهم واستخلافه إياهم) ^(١)، الأفراد في المجتمع الإسلامي يؤلفون قوة متماسكة متعاونة، بل إن الإسلام يوجب على من يعيش في ظلاله وتحت رايته أن يكون آحاد الناس في كفالة جماعتهم في كل مناحي الحياة المادية والمعنوية.

فالتكافل المعنوي فريضة واجبة لله وللرسول ولأمرأء المسلمين وعامتهم؛ ففي الحديث عن تميم الداري أن النبي، قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» ^(٢)

فالنصيحة هي عماد الدين وقوامه، وهي لله تعنى الإيمان به، ونفى الشرك عنه والقيام بطاعته واجتناب معاصيه، والنصيحة للكتاب الإيمان بأنه كلام الله تعالى، وتحليل ما حله وتحريم ما حرم والاهتداء بما فيه، والنصيحة للرسول تصديق بما جاء به، واتباعه فيما أمر به ونهى عنه، وتعظيم حقه وتوقيره حياً وميتاً، والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به وتذكيرهم بجوانح العباد، ونصحهم بالرفق

(١) المقدمة لابن خلدون ج٥/٥.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة.

والعدل، والنصيحة لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم في دنياهم وأخراهم، وكف الأذى عنهم، وتعليمهم ما جهلوه، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر ونحو ذلك^(٣).

وشأن المجتمع المتكافل أن يحمل على عاتقه الأخذ بيد كل فرد إلى ما يحسن، وأن يدفعه إلى تركية نفسه قدر ما يستطيع، فهو مجتمع إنساني بأقصى ما تحمله هذه الكلمة من معان وإيجاءات^(٤).

ولقد أولى الإسلام التكافل المعنوي اهتمامه إلى جانب التكافل المادي؛ فالتكافل يغرس في النفس الإنسانية الشعور بالمسئولية؛ وأن مجتمع هذا شأنه حقيق برعاية الله؛ لأنه سبحانه وتعالى يرضى المتضامنين المتكافلين؛ قال تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)^(٥).

فالمجتمع المتضامن جدير بمن الله وكرمه ورعايته؛ لأنه مجتمع المؤمنين المتعاونين المتحابين وفي الحديث (عن أبي موسى، عن النبي قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه»)^(٦).

والتكافل المعنوي ينأى بالإنسان عن مشاعر السلبية والفردية والأثرة، والانكفاء على الذات والأنانية المقوتة، ويحيل علاقته بغيره مقياساً لإيمانه، ومعياراً لمدى استقامته، ففي الحديث عن أنس عن النبي قال: «لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٧).

وحين يكون التكافل على هذه الصورة والشاكلة تتلاشى كل صور

(٣) سبل السلام ج٤/٢١١ - الطبعة الرابعة - مصطفى الباني الحلبي - ١٣٧٩ هـ، المناوي / التيسير بشرح الجامع الصغير ٥٦٨/١ - الطبعة الثالثة - مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٤) د. مصطفى عبد الواحد / المجتمع الإسلامي / ص٧ - ط٢ دار الجيل بيروت - ١٩٧٤ م.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٥٧.

(٦) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والأداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

(٧) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم.



الصراع والتظالم، وتسود قيم المحبة والتعاون والود، وهذه الصورة الحسنة هي أساس تمايز الإسلام عن غيره في تأسيسه للمجتمع وتنسيق علاقات أبنائه؛ فالقرآن يقدم هذه الصورة جلية وكأنها تتبدى لك أمام ناظريك في وصفه لمجتمع المسلمين الأول.

قال تعالى (وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (١).

وتتجلى من وراء تلك النصوص طبيعة هذه الأمة المسلمة وصورتها الوضيئة في هذا الوجود، تتجلى الآصرة القوية الوثيقة التي تربط أول هذه الأمة بآخرها، وآخرها بأولها، في تضامن وتكافل وتواد وتعاطف، وشعور بوشيجة القربي العميقة التي تتخطى الزمان والمكان والجنس والنسب؛ وتتفرد وحدها في القلوب، تحرك المشاعر خلال القرون الطويلة، فيذكر المؤمن أخاه المؤمن بعد القرون المتطاولة، كما يذكر أخاه الحي أو أشد، في إعزاز وكرامة وحب، ويحسب السلف حساب الخلف، ويمضي الخلف على آثار السلف صفاءً واحداً وكتيبة واحدة على مدار الزمان واختلاف الأوطان، تحت راية الله تُعَدُّ السير صعوداً إلى الأفق الكريم، متطلعة إلى ربها الواحد الرؤوف الرحيم» (٢).

ثانياً: التكافل المادي: وهو بذل المال، والوقت لمساعدة الآخرين وإعانتهم وقت الحاجة؛ للتغلب على ما يقابلهم من عقبات وظروف؛ بُغية تحسين أحوالهم.

والتكافل بنوعيه نابع من الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وهذا الإيمان

(١) سورة الحشر، الآيات رقم (٩، ١٠).

(٢) سيد قطب: الظلال، ج٧/ ١٦٥.

أعظم ضمانة لاستمرار التكافل وديمومته؛ فالمسلم حين يشعر وهو يتعاون مع غيره وقت الأزمات بأنه يفعل ذلك حباً للمولي سبحانه وتعالى، وتقرباً له لا ينقطع عن فعل الخير، ومساعدة الآخرين، وأن ذلك استجابة لقول الحق سبحانه وتعالى: «وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ»^(٣).

وقال سبحانه: «مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(٤).
وقال عز وجل: «وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ»^(٥).

وقال عز من قائل: «وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(٦)، ويقول سبحانه: «مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ»^(٧).
ويقول عز وجل: «مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ»^(٨).

وهذا التكافل الملموس والمحسوس نابع من التكافل الأدبي، بل إن التكافل الأدبي هو المؤسس له حين تترى النفس على قيم الإسلام وهديه، وتشرق فيها شمس الإيمان تدفعها إلى الإيثار والمحبة والتراحم، فتندفع بكل قواها إلى بذل الخير ونشر بذور المحبة، فتساهم بكل قواها الجسدية والمادية في سد الخلل في جسد المجتمع المسلم.

فالحياة لا تستقيم بالتكافل المعنوي وحده، وإنما بالتكافل المادي الذي يشمل كل ضروريات الحياة، بما يوفر للإنسان معيشة كريمة لاثقة

(٣) سورة البقرة، من الآية رقم (٢٧٢).

(٤) سورة النحل، الآية رقم (٩٧).

(٥) سورة الروم الآية رقم (٤٤).

(٦) سورة غافر، الآية رقم (٤٠).

(٧) سورة فصلت، الآية رقم (٤٦).

(٨) سورة الجاثية، الآية رقم (١٥).



يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت (وأن التكافل المادي يشمل ضروريات الحياة والعيش الكريم في ظل الجماعة المؤتلفة، إذا لا يستقيم أمر الحياة إلا بالتكافل المادي بين الأفراد على أن التكافل المادي في الشريعة الإسلامية بحكم تعاليمها السماوية لا يمثل إلا جانبا من التكافل الاجتماعي العام في الإسلام، ولا يقتصر على سد حاجة الأفراد أو المجتمع ماديا من حيث الغذاء والكساء والسكن من كل ما هو ضروري لقيام الحياة في صورتها المادية، بل يتناول مقومات الفرد الأساسية في الحياة من حفظ دينه ونفسه وماله ونسله وعقله)^(١).

هذا التكافل المادي النابع من التكافل المعنوي إن لم يتحقق على أرض الواقع بدافع داخلي، نابع من كيان الإنسان وبصورة تلقائية تحدهو إلى الخير وفعله، كان لولى الأمر بما تخوله له سلطته أن يقسر الإنسان على تنفيذه بقوة السلطان.

والإنسان كفرد له كيانه المستقل به، إلا أن ذلك لا يعنى الإخلال بواجباته نحو مجتمعه؛ فارتباط الفرد بالمجتمع في نظر الإسلام ارتباط وثيق؛ لكون الإنسان جزءاً من هذا المجتمع، يشاركه الأفراح والأفراح، يتعاقد مع مجتمعه لإقامة صروح الحق والعدل والخير المشترك الذى يحقق مصلحة المجموع، وهذا هو التوجيه القرآني للمسلمين جميعاً (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)^(٢).

والبر كلمة جامعة لكل ضروب الخير في كل جوانب الحياة بشقيها المادي الملموس والمعنوي، وقد تكررت هذه الكلمة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، ولهذا التكرار غرضه الذى يرتجيه الإسلام، ولعل من أهداف هذا التكرار هو بناء الشخصية الإيجابية التي تنزع إلى الخير

(١) الشيخ / محمود شلتوت / التكافل الاجتماعي في الإسلام / ٣٣ - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة.

(٢) سورة المائدة من الآية رقم (٢).

وتتسابق إليه في فعله والحث عليه إن قصرت اليد عن البذل والعطاء.

قال تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالصَّالِحِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ((٣)).

والإنسان لن يلامس الخير إلا بالتعود على البذل والمنح والإعطاء (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) ^(٤)، وقال سبحانه: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) ^(٥).

فأحكام الشريعة الغراء تقوم على أساس القاعدة التكافلية التي قررتها الآية السابقة كأساس لبناء المجتمع المسلم القائم على التكافل بشقيه الإيجابي والسلبي، وبوجهيه المادي والأدبي، فالآية الكريمة أصل عظيم من أصول التكافل بين المسلمين، جاء في الموافقات «أنه لا يجوز التعاون على الإثم والعدوان بإطلاق» ^(٦).

التكافل الأسري في ظل أزمة كورونا

خلفت أزمة كورونا بعض المظاهر السلبية بين الآباء والأبناء، فرأينا الجحود من الأبناء لوالديهم، آباء وأمّهات يستجدون عطف أبنائهم عليهم، يتمنون نظرة قبل مفارقتهم الحياة (نظرة وداع)، وتقريراً للحقيقة ليس كل الأبناء علي هذه الشاكلة من الجحود والنكران للوالدين، فرأينا صورا مشرقة، لأبناء يكادون يموتون

(٣) سورة البقرة من الآية ١٧٧.

(٤) سورة آل عمران من الآية ٩٣.

(٥) سورة المائدة من الآية ٢.

(٦) الشاطبي: الموافقات ج٥/١٨٥ - الناشر دار عفتان - الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.



كمدًا وحُزنًا؛ لأن أحد والديهم قد أصيب بهذا الوباء اللعين (فيروس كورونا COVID 19)، ورغم ذلك لا يفارقونهم، يبحثون لهم عن العلاج في كل مكان، فما موقف الإسلام من هذا وذاك؟

مما لا شك فيه أن بناء أي مجتمع متماسك، متكافل ينطلق من الأسرة، فالأسرة هي ركيزة المجتمع، وهي اللبنة الأولى للتربية الرشيدة، والتزكية الحميدة، ومن هذا المحض تتأصل الأخوة، ووشائج القربي، وصلة الرحم، ولذا كانت تنشئة الطفل علي قيم التكافل من الأمور المهمة؛ التي تشكل وعيه في المستقبل، وتحكم علاقاته بوالديه، وأقاربه، ومجتمعه، هذا التكافل حين يتربي في وعي الفرد منذ صغره يصبح منهج حياة، لا يجيد عنه، ولا يتكفه، بل يمارسه بعفوية، ويبادر في أدائه؛ امتثالاً لأوامر دينه، وتعليماته.

فالتكافل بين أفراد الأسرة مظهر حضاري إسلامي، مظهر من مظاهر الكرامة الإنسانية، والإسلام شدد وهو بصدد إقامته لصروح البناء الأسري، شدد علي روح التكافل التي تجمع بين أفراد الأسرة، فأسس ذلك علي المودة والمحبة، وعَدَّ ذلك مقصداً عظيماً ينبغي أن تنشأ عليه الأسرة؛ قال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»^(١).

فالمودة والرحمة هي التي ينبغي أن تسود بين أفراد الأسرة، تجعل كل فردٍ فيها في خدمة الآخر ورعايته، ومساندته في أوقات الشدة والرخاء، فهذه الروح ينبغي أن تكون حاضرة داخل نطاق كل أسرة، وإذا تلاشت تلك الروح غاض الحب، وتلاشت المودة والتكافل، وهل يوجد تعاون وإيثار في غياب روح التكافل؟

(١) سورة الروم، الآية رقم (٢١).

فالتكافل داخل الأسرة، سواء أكان تكافلاً مادياً، أم معنوياً (عاطفياً) لا سيما مع الوالدين أمر في غاية الأهمية؛ ليتحقق الدفء الأسري، والترابط بين أفراد الأسرة في جوٍّ من المحبة والوئام والسلام.

فما نشاهده من مظاهر انحراف في علاقة الأبناء بالآباء في ظل هذه الأزمة وتداعياتها، وشذوذ عن هذا النهج الذي رسمه الإسلام، كل هذا وقف الإسلام منه موقفاً حاسماً، فرفضه، وشدد النكران عليه؛ لأن العلاقات الأسرية ينبغي أن تكون قوية ومتينة، لا تؤثر فيها الأزمات، فالعلاقة بين أفراد الأسرة أساسها التراحم، وأي تراحمٍ حين يترك الابن أحد والديه وهو مريض، ولا يلتفت لمناشدته إياه، ويتلهف لرؤيته قبل أن يطويه الموت بجناحيه، والأبناء لا يكثرثون بذلك؟

فالتراحم بين أفراد الأسرة يقتضي العطف والحنو علي من كان في ضائقته، فعطف الآباء علي الأبناء فطرة جُبل الإنسان عليها، وقد أمر الله سبحانه في كتابه بالبر بالوالدين والإحسان إليهما، لا سيما وقت ضعفهما، واحتياجهما للرعاية، والعناية، فقال تعالى: «وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا»^(٢).

وتوعد الإسلام كل من قام بعملٍ يؤدي إلي هدم علاقات صلة الرحم، وجعل قبول الأعمال مرهون بصلة الرحم، والإحسان إلي الأقارب؛ عن عائشة قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ^(٣).

فوجود التراحم داخل الأسرة يؤدي لا محالة إلي التكافل، والتراحم في الأوقات الصعبة، والتراحم يدفع الإنسان إلي المسارعة لنفع الآخرين،

(٢) سورة الإسراء، الآيات رقم (٢٣، ٢٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأداب، باب صلة الرحم وتخريم قطيعتها.

وإيجاد الحلول لمشاكلهم، وإيصال النفع لهم.

وتربية النشء وتنشئته علي قيم التراحم، يجعل العلاقات الأسرية متينة صلبة، لا تززعها الأزمات، ولا تؤثر فيها العضلات، فيسود التكافل بكل أنواعه.

ولنا أن نتوجه بالسؤال لمن سولت لهم أنفسهم، بقطع صلة الرحم، وترك الوالدين يصارعان الموت، دون سؤال عنهما، أو عناية بهما، كيف تعيش حياتك؟ هل لا تشعر بوخز الضمير يؤلمك؟ وبماذا تجيب يوم أن تقف بين يدي أعدل الحاكمين؟

نفقة الآباء كنوع من التكافل الاجتماعي في ظل أزمة كورونا عند فقهاء المذاهب

فنفقة الوالدين واجبة بالأمر الإلهي بالإحسان إلي الوالدين، والإنفاق عليهما حال فقرهما من أحسن الإحسان، والشكر للوالدين هو المكافأة لهما، بالمجازاة ببعض ما كان منهما من التربية والبر والعطف عليه والوقاية من كل شر ومكروه، وذلك عند عجزهما عن القيام بأمر أنفسهما، وإدراك النفقة عليهما حال عجزهما، وحاجتهما من باب شكر النعمة^(١).

فنفقة الأبناء علي الوالدين واجبة من غير توقفٍ علي حكم حاكم^(٢).

وفي الحاوي «نَفَقَةُ الْوَالِدِ وَاجِبَةٌ عَلَى وَالدِهِ، بِسَبَبِ الْفَقْرِ، أَوْ الْعِجْزِ عَنِ التَّكْسِبِ، لِكِبَرِ السِّنِّ، أَوْ لِكُونِهِ مَجْنُونًا، أَوْ لِكُونِهِ مَرِيضًا»^(٣).

وعند السادة الحنابلة لا يشترط في وجوب نفقة الوالدين والمولودين

(١) دائع الصنائع، ج٤/٣٠.

(٢) النفراوي: الفواكه الدواني: ج٢/٧١.

(٣) الماوردي: الحاوي، ج١١/١١٠٣، وما بعدها.

نقص الحلقة (المريض) ولا نقص الأحكام (المجنون) في ظاهر المذهب^(٤).

ونفقة الأولاد علي الوالدين في حالة العجز عن التكسب، أو لكونهم فقراء من المسائل المجمع عليها عند الفقهاء^(٥).

وفي المحلي لا بن حزم «وَفُرِضَ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ مِنْ أَهْلِ كُلِّ بَلَدٍ أَنْ يَقُومُوا بِفُقَرَائِهِمْ، وَيُجِيرُهُمُ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ، إِنْ لَمْ تَقُمْ الزُّكُوتُ بِهِمْ، وَلَا فِي سَائِرِ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَيُقَامُ لَهُمْ بِمَا يَأْكُلُونَ مِنَ الْقُوتِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ، وَمِنَ اللَّبَاسِ لِلشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَبِمَسْكِنٍ يَكْتُمُهُمْ مِنَ الْمَطَرِ، وَالصَّيْفِ وَالشَّمْسِ، وَعُيُونِ الْمَارَةِ»^(٦).

نتائج البحث وتوصياته

- يقوم التكافل بدور كبير، عند حدوث الأزمات، كالأوبئة (وباء كورونا كمثال)، فيسد ما تعجز الدول والحكومات عن القيام به.

- التكافل تآزر وتعاون بين أفراد المجتمع، يقوي من أواصر العلاقات الاجتماعية، ويشدها برباط وثيق من المحبة والود.

- التكافل منظومة تربوية وأخلاقية؛ تربي في الفرد الشعور بالمسئولية تجاه الآخرين، فلا يعيش منعزلاً عن مشاكل الآخرين وآلامهم.

- التكافل سمة من سمات المجتمع المسلم علي مدار تاريخه، منذ ولادته علي يد صاحب الرسالة الخاتمة، وحتى يومنا هذا.

- يمكن أن يقوم التكافل بدور كبير في ظل الأزمة الراهنة، وهذا الوباء الذي يخيم بظلاله الكئيبة علي العالم، مع انتشار البطالة، واتساع دائرة المحتاجين.

- تقرير الإسلام للتكافل، بل وإلزام أتباعه بذلك، وسبقه للأنظمة

(٤) المغني، ج٩/٢٥٨.

(٥) المغني، ج٩/٢٥٨، الفواكه الدواني: ج٢/٧١.

(٦) ابن حزم: المحلي: ج٦/١٥٦، مسألة (٧٢٥).



والتشريعات الوضعية في ذلك.

-علي كل فرد مسؤولية تجاه مجتمعه؛ لكونه جزء من هذا المجتمع؛
يعيش أفراحه وأتراحه.



المصادر (١)

- * البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري- بيروت- الطبعة الثالثة- ١٤٠٧-١٩٨٧م.
- * -البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي: السنن الكبرى- مجلس دائرة المعارف النظامية- الهند: الطبعة: الأولى - ١٣٤٤ هـ.
- * البوطي: د/ محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة النبوية - دار السلام للطباعة والنشر سنة ١٤٢٨هـ.
- * الترمذي: محمد بن عيسى بن سَورَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي (ت ٢٧٩هـ) سنن الترمذي، ت، أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، مصطفى البايي الحلبي - مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.
- * ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المسند، ت: شعيب الأرنؤوط-مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية - ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
- * ابن حزم: المحلي: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ): دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
- * ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، فتح الباري شرح صحيح البخاري دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ-١٩٧٣هـ.
- * ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، الطبعة الرابعة دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان.
- * الزيلعي: تبيين الحقائق: فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، دار الكتاب الإسلامي، ١٣١٣هـ، القاهرة.

(١) رُتبت المراجع أبجدياً بعد تجريد الكلمة من (ال، وابن).



* أبوزهرة: الإمام الشيخ/ محمد أبوزهرة: التكافل الاجتماعي في الإسلام- دار الفكر العربي القاهرة-١٩٩١م.

* الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي - الموافقات، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٧م.

* شلتوت: محمود شلتوت: التكافل الاجتماعي في الإسلام - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة.

* الصاوي: بلغة السالك، أحمد بن محمد الصاوي المالكي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي: ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م

* الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) المعجم الكبير، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

* عبد الواحد: د. مصطفى عبد الواحد: المجتمع الإسلامي - ط ٢ دار الجليل بيروت - ١٩٧٤م.

* الغزالي: الشيخ/ محمد الغزالي - الإسلام والأوضاع الاقتصادية، الطبعة الثالثة - دار نهضة مصر - ٢٠٠٥م.

* الغزالي: الشيخ/ محمد الغزالي - فقه السيرة - الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

* ابن قدامة: المغني: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد: دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

* الكاساني: بدائع الصنائع، دائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني (ت ٥٨٧هـ)، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م، بيروت

* مسلم - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري - صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ت - محمد فؤاد عبد الباقي.

* الماوردي: الحاوي الكبير، العلامة أبو الحسن الماوردي/ دار الفكر - بيروت

* النيسابوري: المستدرک علی الصحیحین - محمد بن عبد الله أبو عبد الله

المؤتمر الدولي العالم في ظل أزمة كورونا: إشكاليات وحلول
الحاكم النيسابوري - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

* النفراوي: الفواكه الدواني: أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب

الدين النفراوي الأزهري المالكي (ت ١١٢٦هـ): دار الفكر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

* هيكل: د/محمد حسين هيكل: حياة محمد/دار المعارف، الطبعة الرابعة عشرة.



فعالية شبكات التواصل الاجتماعي في التثقيف الصحي حول وباء كورونا المستجد لدى عينة من الشباب المنخرطين في دار الشباب الافتراضية لولاية قالمة - الجزائر

د. غوافرية رشيدة^(١)

جامعة باجي مختار - عنابة

amyli43150@yahoo.fr

الباحثة دخلي فاتن

جامعة ٢٠ أوت ١٩٥٥ - سكيكدة -

الملخص :

تهدف الدراسة الحالية إلى إبراز الدور الذي تقوم به شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي الصحي حول مرض كورونا المستجد لدى عينة من الشباب المنخرطين في دار الشباب الافتراضية الخاصة بولاية قالمة هذه الأخيرة حلت كبديل لدار الشباب التي أغلقت أبوابها تفاديا لانتشار الوباء، تكونت عينة الدراسة من ١٢٠ شابا من المتصفحين لهذه الصفحة تتراوح أعمارهم من (٢٠- أكثر ٣٥ سنة)، تم اختيارهم بطريقة قصديه، وقد تم استخدام المنهج الوصفي، وتمت معالجة البيانات من خلال برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS v22، حيث تم التوصل إلى النتائج التالية:

- شبكات التواصل الاجتماعي فعالة في زيادة الرصيد المعرفي

(١) حاصلة على دكتوراه علوم علم النفس العيادي، وماجستير الإرشاد النفسي، لديها أربع سنوات خبرة في التدريس، عملت أستاذة مؤقتة بجامعة قالمة وعنابة، شاركت في مجموعة من المنتقيات الوطنية، ونشرت مجموعة من مقالات مجلات علمية محكمة وطنية ودولية.

حول وباء كورونا المستجد لدى عينة الشباب المنخرطين في دار الشباب الافتراضية - لولاية قلمة- الجزائر

-شبكات التواصل الاجتماعي غير فعالة في اكتساب سلوكيات الصحية تقي من فيروس كوفيد ١٩ لدى عينة الشباب المنخرطين في دار الشباب الافتراضية - لولاية قلمة = الجزائر حيث ظهرت سلوكيات تهاون وإهمال لقواعد الصحية والوقاية لدى عينة الدراسة..

الكلمات المفتاحية:

شبكات التواصل الاجتماعي، دار الشباب الافتراضية، كورونا، كوفيد ١٩، التثقيف الصحي، رصيد معرفي، سلوك صحي.

المقدمة:

إن الاهتمام بالصحة من الأولويات المهمة في حياتنا اليومية، فهي تأخذ حيزا كبيرا من وقتنا وتفكيرنا، فسلامتنا الصحية لها أثر كبير في أدائنا لأدوارنا وواجباتنا اتجاه أنفسنا واتجاه الآخرين، والحاجة إلى ثقافة صحية أصبحت اليوم أكثر إلحاحا من أي وقت مضى، خاصة في ظل عالمنا المتغير والذي يعاني فيه الإنسان من ظواهر ومستجدات بيئية وصحية لم تكن معروفة بالمستوى والحجم الذي هي عليه اليوم، فغياب الوعي الصحي ينعكس سلبا على أفراد المجتمع بإتباع سلوك حياتي لا تراعى فيه القواعد الصحية ويطغى عليه الإهمال الصحي ليصل إلى حد تهديد حياة الإنسان وصحة الأفراد. وإن الوصول إلى ثقافة صحية أو إلى وعي صحي يتم عن طريق انتهاج عملية تسمى بالتثقيف الصحي وهي كل فعل موجه لمساعدة أفراد المجتمع على تبني معتقدات، اتجاهات، أو سلوكيات تهدف إلى رفع المستوى الصحي للمجتمع وتحد من انتشار الأمراض في فترة قصيرة أو طويلة المدى، لذلك فبرامج التوعية الصحية تأخذ نصيبا كبيرا



من اهتمام كل البلدان إلى درجة أنه بإمكاننا أن نقيس مدى تقدم وتخلف بلد معين من خلال مدى وعيه بأهمية ما يقدم من تبادل عالمي للمعلومات صحية عن طريق وسائل مختلفة مثل المحاضرات، وتبادل التجارب في المجالات الصحية، وشبكات التواصل الاجتماعي خاصة شبكة الفيسبوك، فهي شبكة ذات صيت واسع، تعرف رواجاً كبيراً وسط مستخدمي الإنترنت في المجتمع الجزائري من مختلف الفئات العمرية، فهي بالإضافة لما توفره من سبل التواصل وميزات الدردشة الحديثة تعمل على الترويج لأفكار وتوجيه آراء ترتبط أساساً بما يعيشه العالم من مستجدات على جميع الأصعدة، تكون في الغالب على شكل حملات تحسيسية قد يتبناها أفراد أو جماعات أو مؤسسات رسمية أو غير رسمية، يشارك فيها كل من يجد نفسه معنياً بذلك، يروج لها من خلال صفحاتهم الشخصية ويتبنى موقف الجماعة منها. وإن أحد ما يتم تداوله عبر شبكة الفيسبوك هو المطالبة بالحجر الصحي من خلال حملة تعرف بـ «أقعد في دارك» حملة انضم لها ملايين المواطنين وعبر مختلف ربوع الوطن، حملة تعبر عن سخط المواطن ورفضه للاستهتار الجنوني بحياة أفراد المجتمع فهي تهدف في العمق إلى رفع الوعي الصحي للمواطن عن طريق الالتزام بالحجر الصحي، والالتزام أيضاً بقواعد الوقاية من فيروس كوفيد ١٩ بما في ذلك احترام طرق الوقاية. وسنحاول من خلال هذه الدراسة أن نبرز دور شبكات التواصل الاجتماعي عامة ودار الشباب الافتراضية كنموذج في تشكيل وتنمية الوعي الصحي لدى الشباب.

١. الإشكالية الدراسة:

يعيش العالم اليوم هاجس جائحة مخيفة، حيرت العلماء، الأطباء، والباحثين. داء لا يفرق بين نساء ورجال، أطفال أو كبار شكل تحدياً لرجال العلم الذين لم يستطيعوا التصدي له إلى حد الساعة؟!؟

إنه داء كورونا المستجد (CORONA)، إن كورونا مرض خطير، من حيث سرعة انتشاره واستعصاء علاجه، يسببه فيروس كوفيد ١٩، هذا الأخير يغزو الجسم، مما يهدم دفاعه، فيصبح جسم الإنسان غير قادر على حماية نفسه من هلاك محتم خاصة إذا كان الشخص يعاني من أمراض مزمنة ومناعته ضعيفة. لقد كان مشكلا طبيا بحثا عند أول ظهوره - شهر ديسمبر ٢٠١٩، ولكن سرعان ما أصبح من أكبر مشاكل الصحة العامة، لتسببه في مشاكل تعدت الإطار الطبي لتشمل المجال الاقتصادي، النفسي، والاجتماعي، فقد أصبح أكبر مهدد لأمن العالم، كونه يحصد يوما بعد يوم خسائر بشرية فادحة؛ والعدد في تزايد مستمر؛ وبما أن الوقاية هي خير علاج والحل الوحيد لتفادي الإصابة بهذا المرض، وحجر الزاوية فيها هو اقتناع المجتمع بالحجر الصحي واستعمال التدابير الوقائية اللازمة عن طريق عملية التثقيف الصحي وهي عملية إعلامية هدفها تحسيس الناس بتبني نمط حياة، وممارسة صحية سليمة، من أجل رفع المستوى الصحي للمجتمع، والحد من انتشار الأمراض بما في ذلك جائحة كورونا؛ فهو يحقق هذا الهدف انطلاقا من نشر مفاهيم صحية سليمة في المجتمع، وتعريف الناس بأخطار فيروس كوفيد ١٩، وإرشادهم إلى وسائل الوقاية منه؛ ويستعان على ذلك بوسائل مختلفة شرط أن تكون عن بعد، مثل اللقاءات المفتوحة مع الناس افتراضيا، الندوات رقمية، المحاضرات رقمية، الأفلام التليفزيونية، الأخبار، مواقع التواصل الاجتماعي. فمن منالم يستمع إلى احد البرامج التي تتناول موضوع كورونا مرارا وتكرارا، إذ لا يمكن لأحد منا أن ينكر حجم الجهود المبذولة هذه السنة -٢٠٢٠-، ومن جهة أخرى الارتفاع المرعب في نسبة الحالات؛ والأرقام المتداولة يوما لأكثر دليل على ذلك، فالوضع يدعو إلى التساؤل عن مدى فعالية شبكات



التواصل الاجتماعي في الوقاية من هذه الجائحة باعتبارها الوسيلة الأكثر تداولاً للحد من انتشار المرض؟

ومن أجل تبني سلوكيات الصحية نتعايش من خلالها مع المرض؛ تم تكاثف الجهود خاصة عبر العالم الافتراضي وتم واستحداث صفحات جديدة خاصة تهتم بتوعية وتثقيف المواطنين بخطورة هذه الجائحة وتبني سلوكيات صحية نتعايش بها مع المرض، في ظل غياب دواء شافي أو لقاح وافي تبقى مواقع التواصل الاجتماعي هي الوسيلة الأكثر استقطاباً للأفراد المجتمع ومن بين هذه الصفحات صفحة دار الشباب الافتراضية الذي حلت مكان دار الشباب الواقعية التي تعد محور هذه الدراسة، وهكذا يبقى التساؤل الرئيسي المطروح في هذه الدراسة هو:

هل لشبكات التواصل الاجتماعي دور فعال في تثقيف الصحي حول وباء كورونا المستجد لدى عينة من الشباب المنخرطين في دار الشباب الافتراضية - لولاية قلمة = الجزائر؟

وتتفرع عنه الأسئلة الآتية:

س١- هل شبكات التواصل الاجتماعي فعالة في زيادة الرصيد المعرفي حول مرض كورونا المستجد؟

س٢- هل شبكات التواصل الاجتماعي فعالة في اكتساب سلوكيات صحية تقي من فيروس كوفيد ١٩؟

٢- فرضيات البحث:

٢-١ الفرضية العامة:

لشبكات التواصل الاجتماعي دور فعال في التثقيف الصحي حول مرض كورونا المستجد.

٢-٢- الفرضيات الجزئية:

- لشبكات التواصل الاجتماعي فعالية في زيادة الرصيد المعرفي حول مرض كورونا المستجد.

- لشبكات التواصل الاجتماعي دور فعال في إكساب سلوكيات صحية تقي من فيروس كوفيد ١٩.

٣- أهداف الدراسة وأهميتها:

سعت الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف التالية:

- معرفة الدور الذي تقوم به دار الشباب الافتراضية لخدمة أغراض التوعية الصحية

- ما مستوى الوعي الصحي لدى الشباب.

- التعرف على مدى استفادة المتصفحين على مواقع التواصل الاجتماعي من المعلومات الصحية .

- قياس درجة الثقة ومستوى مصداقية المعلومات الصحية التي تطرح في مواقع التواصل الاجتماعي.

الجانب النظري:

١- ضبط المصطلحات الأساسية للدراسة:

إن لمصطلحات الدراسة دور أساسي ورئيسي في أي بحث خاصة البحوث الاجتماعية منها، وباعتبارها مفاتيح لحل شفرات كل بحث، كان لازماً علينا تحديد مصطلحاتنا بدقة، وهذه المصطلحات هي:

١-١- الفعالية :

يقصد بها القدرة على تحقيق النتيجة المقصودة طبقاً لمعايير محددة مسبقاً وتزداد الكفاءة والفاعلية كلما أمكن تحقيق النتيجة تحقيقاً

٢-١- مواقع التواصل الاجتماعي :

تسمى كذلك الشبكات الاجتماعية ومواقع التشبيك الاجتماعي Social networking sites وهي عبارة عن مواقع تستعمل من طرف الأفراد، من اجل التواصل الاجتماعي وإقامة العلاقات والتعارف وبناء جماعات افتراضية ذات اهتمامات مختلفة ويمكن للمستعمل عبرها أن ينشئ صفحاته الخاصة، وينشر فيها سيرته وصوره ومعلوماته الخاصة، ويكتب مقالات ونصوص، وينشر تسجيلات فيديو.^(١)

٣-١- التثقيف الصحي :

يقابل كلمة «تثقيف» في اللغة الفرنسية، «culture» أو «» وفي الإنجليزية «» و التثقيف الصحي في الإنجليزية مرادف ل «health» ويستخدم في اللغة العربية في بعض الأحيان كلمة التربية الصحية أو التوعية الصحية لدلالة على العملية نفسها.

و التثقيف لغة من كلمة ثقف : يثقف، تثقيفا الولد: أي هدبه وأدبه وعلمه.^(٢)

ويشير هذا المصطلح في معجم المصطلحات التربوية المعرفية: «على قدر من المعارف والآراء والاتجاهات، التي تقدم لطلاب في مجال الصحة العامة، وتساعد على إدراك السلوكيات والعادات الصحية السليمة، التي يواجهها المجتمع، مع المشاركة الفعالة و النشطة في حلها».^(٣)

(١) إبراهيم بعزيم، دور وسائل الإعلام الجديدة في تحول المتلقي إلى مرسل وظهور صحافة المواطن، مجلة الإذاعات العربية، العدد ٢٠١١، ص ٤٥.

(٢) عزة عجان، الفضل، قاموس عربي لتلاميذ و الطلاب، ٢٠٠٠ دار الهمة، الجزائر، ص ١٥١

(٣) أحمد جمل، حسين اللقاني، معجم المصطلحات التربوية المعرفية، ط ٢٠٠٨، عالم الكتب، ص ١٥٦

فالتثقيف الصحي هو عملية تعليمية هادفة تزود الناس بالمعرفة اللازمة حول الصحة ومحدداتها والمرض وإيكولوجيا المرض والمظاهر المرضية، وأساليب المعالجة والوقاية، وتسعى لتعزيز المواقف الإيجابية تجاه الصحة والسلوكيات الصحية السليمة، ويمكن أن تقود لاكتساب الممارسات الصحية

- المفهوم الإجرائي:

«هو الفعل الذي نصل بموجبه إلى الوعي صحي حول جائحة كورونا المستجد».

١-٤ الرصيد المعرفي:

فالرصيد لغة هو الرقيب، ورصيد المال هو المقدار المودع في الحساب الجاري لكل شخص بالمصالح المالية؛ وفي لغة التجار هو ما يبقى بعد إسقاط الأقل من الأكثر.^(٤)

أما من الناحية الاصطلاحية؛ لرصيد المعرفي حسب رزقي نعيمة حسن جبر هو «حصيلة الامتزاج الخفي، بين المعلومة، والخبرة، والمدركات الحسية، والقدرة على الحكم. والمعلومات وسيط لاكتساب المعرفة ضمن وسائل عديدة كالحدس، والتخمين، والممارسة الفعلية»^(٥)

كما يحددها «جورج غورفيتش، Georges gorwitech» على أنها: «حصيلة الحقائق والأفكار والمعتقدات والمعاني والرموز التي تتكون لدى الفرد من خلال واقع البيئة الطبيعية والثقافية التي تحيط به ككل».^(٦)

المفهوم الإجرائي:

(٤) بطرس البستاني، محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، ١٩٩٣، مكتبة لبنان لنشر، بيروت، ص ٣٣٧

(٥) نعيمة رزقي، رؤية مستقبلية لدور اختصاصي المعلومات في إدارة المعرفة، ٢٠٠٣ تونس، ص ٢٧٥

(٦) غورفيتش جورج، «الأطر الاجتماعية للمعرفة»، ترجمة خليل أحمد خليل، ١٩٨١ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ٤٢



امتلاك بعض المعلومات حول داء كورونا المستجد وبذلك نكون قادرين على التعبير عنها.

٥-١ مفهوم السلوك الصحي:

في اللغة الانجليزية Behavior و الفرنسية comportement ويقابله مصطلح السلوك في اللغة العربية.

- والسلوك لغة هو التصرف أو السيرة.^(١)

كما يعبر عن تهذيب الأخلاق. أي السلوك أن يظهر العبد نفسه من الأخلاق الذميمة، مثل حب الدنيا والجاه إلى غير ذلك و يتصف بالأخلاق الحميدة مثل العلم والحلم وما أشبه.^(٢)

وحسب علماء النفس فالسلوك :

«هو كل رد فعل فسيولوجي أو نسقي يتألف من تبادل الجاري بين البيئة والوسيط أو يدخل ضمن هذا التبادل وذلك من حيث تأثير و تعديل البيئة للوسيط والوسيط للبيئة كما هو الحال في الإدماج والمواءمة أو التكيف.^(٣) مما سبق من المفاهيم يتبين بأن سلوك الإنسان يتأثر بمجموعة من العوامل منها ما هو موروث، ومنها ما هو مكتسب و هذه المفاهيم واسعة جدا تشمل السلوك الموروث مثل الأعمال الدافعة التي تقوم بها أجهزة الجسم بدون مؤثر خارجي، والسلوك الغريزي القائم على تلبية الدوافع الفطرية مثل الهروب عند الخوف ... إلى غير ذلك من أنواع السلوك بما فيها السلوك الصحي الذي يهدف إلى الحفاظ على الصحة والوقاية من المرض.

المفهوم الإجرائي:

(١) عزة عجان، مرجع سبق ذكره. ص ٢٨٢

(٢) بطرس البستاني، مرجع سبق ذكره، ص ٤٢٣

(٣) مصطفى غالب، «السلوك»، مكتبة الهلال، ١٩٨١ بيروت، ص ١٢

هو الممارسة اليومية التي يقوم بها الفرد والتي تحافظ على صحته و
تقيه من فيروس كوفيد ١٩.

٦-١- فيروس كورونا:

حسب منظمة الصحة العالمية: فهو سلالة من الفيروسات
التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان وتسبب أمراضا تنفسية تتراوح
حدتها من نزلات البرد إلى مرض كوفيد ١٩.

٧-١- مرض كوفيد ١٩:

حسب منظمة الصحة العالمية فان مرض كوفيد-١٩: هو مرض
معد يسببه آخر فيروس تم اكتشافه من سلالة فيروسات كورونا. ولم
يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس الجديد ومرضه قبل بدء
تفشيهِ في مدينة ووهان الصينية في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٩. وقد تحوّل
كوفيد-١٩ الآن إلى جائحة تؤثر على العديد من بلدان العالم.

٨-١- دار الشباب الافتراضية:

دار الشباب هي مؤسسات ذات طابع اجتماعي تربوي وتسلية تابعة
للديوان وهي مخصصة لتنظيم أوقات فراغ الشباب وشغلها بصفة نافعة في
إطار مهام الديوان.

ودار الشباب الافتراضية:

عبارة عن منصة تفاعلية تجمع الشباب في نشاطات صحية
وترفيهية مختلفة، يؤطرها مجموعة من الإطارات بقطاع الشباب والرياضة
من بينهم أطباء، نفسانيين، مربّي شباب، مدربون... وتم إطلاقها من
طرف وزارة الشباب والرياضة تزامنا مع بداية الحجر الصحي.

الجانب الميداني:

١- المنهج المستخدم:



إن المنهج هو مجموعة من القواعد التي يتم وضعها بقصد الوصول إلى الحقيقة في العلم أو هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة من أجل اكتشاف الحقيقة^(١)

وانطلاقاً من هذه الفكرة فلقد استخدمنا المنهج الوصفي نظراً لطبيعة الموضوع وهدف الدراسة الذي يتمثل في معرفة فعالية الدور الذي تقوم به مواقع التواصل الاجتماعي في تحقيق الوعي الصحي لدى الشباب حول جائحة كورونا المستجد.

٢- مجالات الدراسة :

١-٢ الحد المكاني للدراسة :

تقتصر الدراسة مكانياً على صفحة دار الشباب الافتراضية لولاية قالمة «الجزائر»

١-٢ الحد الزمني للدراسة :

كما اقتصرت زمنياً على الفترة الممتدة من شهر فيفري ٢٠٢٠ إلى شهر ماي

٢٠٢٠

٣- أدوات الدراسة :

١-٣ الاستمارة: حيث تم نشرها على صفحة دار الشباب الافتراضية - ولاية قالمة - ونظراً لطبيعة الجائحة لجئنا إلى الاستخدام وسائل التواصل والعمل بمبدأ التباعد الاجتماعي. إذا هي الوسيلة الوحيدة الممكن تطبيقها في ظروف الخاصة بالجائحة. إنما يميز هذه الأداة أيضاً عن الأدوات الأخرى المستخدمة في الدراسة السيكلوجية هو أنها تجنب المفحوص حرج المواجهة، وتضمن الحقيقة، وفي رأي الكثيرين درجة لا بأس بها من تلقائية الإجابة وصدقها. وقد تم الاستعانة في بنائها على برنامج

(١) صلاح الدين شروخ، منهجية العلوم الاجتماعية، دار العلوم، (عنابة- الجزائر)، ٢٠٠٣، ص ١٢٤

التثقيف الصحي للمنظمة الصحة العالمية

٢-٣- وصف أداة البحث :

تم استخدام الاستمارة ويتكون من ٢٠ سؤالاً موزعة على بعدين .
البعد الأولي: يضم ١٠ أسئلة وهي تعنى بمدى امتلاك أفراد العينة
لمعلومات صحية حول جائحة كورونا المستجد .

البعد الثاني: يضم ١٠ أسئلة وهي تعنى بمدى تطبيق مختلف التدابير
الوقائية اللازمة للحد من انتشار الوباء.

٣-٣- طريقة التصحيح الاستبيان:

يمكن الحصول على الدرجات الاستبيان بإتباع الخطوات التالية :

— إذا كانت الإجابة -لا - على العبارات السالبة بمنحه (١) أما إذا
كانت إجابته نعم - بمنحه (٠)

- إذا كانت الإجابة على العبارات الموجبة - نعم - بمنحه (١)، أما إذا
كانت الإجابة - لا (٠)

يمكن الحصول على الدرجة الكلية بأخذ مجموع فقرات الاختبار
ولقد صمم الاستبيان ووضعت العبارات بحي ثتشير الدرجة المرتفعة إلى
ارتفاع درجة التثقيف الصحي لدى الشباب المنخرطين في الدار الشباب
الافتراضية.

٤- عينة الدراسة:

تم اختيار العينة بطريقة قصدية حيث ضمت الشباب المنخرطين
في دار الشباب الافتراضية لولاية -قلمة -والدين تلاقوا برنامج تثقيف
صحي حول وباء كورونا من خلال محاضرات -مطويات -وفديوهات
تحسيسية وتوعوية . صحية حول كوفيد ١٩ مع تقديم استشارات
واستعانة بمعلومات التي تنشرها منظمة الصحة العالمية حيث تكونت

عينت الدراسة من ١٢٠ من منخرطين في دار الشباب الافتراضية، والدين قبلوا المشاركة في الدراسة، وأتموا الإجابة على الاستمارة

٤-١ خصائص أفراد هذه العينة نجد:

جدول رقم ٠١ يوضح توزيع أفراد العينة حسب الجنس:

الجنس	العدد	النسبة
ذكور	٥٠	٤١,٦٦٪
إناث	٧٠	٥٨,٣٣٪
المجموع	١٢٠	١٠٠٪

من خلال البيانات الموضحة في الجدول، يتبين أن أغلب أفراد العينة هم إناث وبلغت نسبتهم ب ٥٨,٣٣٪. وهي نسبة ليست بعيدة كثيرا على نسبة الذكور الذي قدرت نسبتهم ب ٤١,٦٦٪.

جدول رقم ٠٢ يوضح توزيع أفراد العينة حسب السن:

السن	العدد	النسبة
أقل من ٢٠ سنة	٣٠	٢٥٪
٢٠-٣٥	٧٠	٥٨,٣٣٪
٣٥- فما فوق	٢٠	١٦,٦٦٪
المجموع	١٢٠	١٠٠٪

يتبين من خلال الجدول الموضح أمامنا، أن أغلب أفراد العينة يتراوح سنهم ما بين (٢٠ = ٣٥ سنة) وهذا بنسبة ٥٨,٣٣٪ وهي أكبر نسبة، في حين نسبة ١٦,٦٦٪ وهي أقل نسبة من أفراد العينة يفوق سنهم من ٣٥ سنة، و ٢٥٪ من أفراد العينة يقل سنهم ٢٠ عن سنة.

جدول رقم ٣ يوضح توزيع أفراد العينة المستوى الدراسي:

النسبة	العدد	المستوى الدراسي
٪١٦,٦٦	٢٠	متوسط
٪٣٣,٣٣	٤٠	ثانوي
٪٥٠	٦٠	جامعي
٪١٠٠	١٢٠	المجموع

كما هو موضح في الجدول رقم (٣) فإن ٥٠٪ من أفراد العينة لديهم مستوى جامعي. و ٣٣,٣٣٪ منهم مستوى ثانوي و ١٦,٦٦٪ نسبة متوسطة.

٥- عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

من أجل تحليل بيانات الدراسة والإجابة على الأسئلة المقترحة، تم استخدام التكرار والنسب المئوية والنتائج المتحصل عليها.

١.٥- عرض نتائج الفرضية الأولى:

- نصت الفرضية الأولى على:

لشبكات التواصل الاجتماعي فعالية في زيادة الرصيد المعرفي حول مرض كورونا المستجد

الجدول رقم (٤) يوضح نتائج العينة من خلال قياس بعد الرصيد

المعرفي

النسبة	التكرار	النتائج المتحصل عليها البعد	درجة الوعي
--------	---------	-----------------------------	------------



مرتفع	٧٠,٨٣٪	٨٥	بعد الزيادة في الرصيد المعرفي
متوسط	١٦,٦٦٪	٢٠	
منخفض	١٢,٥٪	١٥	
امتلاك رصيد معرفي مرتفع	١٠٠٪	١٢٠	المجموع

- أشارت نتائج الجدول رقم (٤) أن نسبة ٨٥٪ من شباب المنخرطين في دار الشباب الافتراضية قد ساهمت وسائل التواصل الاجتماعي في زيادة رصيدهم المعرفي حول مرض كورونا المستجد بدرجة مرتفعة وهذا حسب نتائج الاستمارة والبعد الخاص بالرصيد المعرفي، هذا يؤكد على فعالية وسائل التواصل الاجتماعي في زيادة الرصيد المعرفي لدى أفراد العينة وأن ٢٠٪ من أفراد العينة ساهمت وسائل الاتصال الاجتماعي في زيادة رصيدهم المعرفي حول مرض كورونا وكان رصيدهم بصفة متوسطة أما ١٢,٥٪ من أفراد العينة كان رصيدهم المعرفي ضعيف.

- مناقشة نتائج الدراسة الفرضية الأولى :

أظهرت نتائج الجدول رقم (٤) إن نسبة مرتفعة من شباب المنخرطين قد زاد رصيدهم المعرفي حول مرض كورونا المستجد والمقدرة ب ٨٥٪ مما يثبت الفرضية الجزئية الأولى أن لوسائل التواصل الاجتماعي دور فعال في تزويدنا بالمعلومات على مرض كورونا وهذا راجع إلى مضامين البرامج التثقيفية التي اعتمدها دار الشباب الافتراضية حيث أنها غنية وثرية ومعلوماتها موثوق منها والتقنيات العالية والرفيعة التي توفرها هذه الوسيلة، بالإضافة إلى أن الفراغ الذي يعانيه الشباب بسبب الحجر الكلي وقضاء أوقات كبيرة أمام الشاشات زاد في تأثير وسائل الاتصال

الاجتماعي وهذا ما أكدته (دراسة المنصور ٢٠١٢) والتي خلصت إلى انه لم يعد بإمكان متصفح الانترنت الاستغناء عنها لما توفره من أخبار وتغطية شاملة ومعلومات ومعارف مفيدة.

٢-٥- عرض نتائج الفرضية الثانية:

نصت الفرضية الثانية على:

- أن لشبكات التواصل الاجتماعي دور فعال في إكساب سلوكيات صحية تقي من فيروس كوفيد ١٩.

النتائج المتحصل عليها البعد	التكرار	النسبة	درجة الالتزام بسلوك صحي واعي
بعد الالتزام بسلوك صحي	٢٢	٪١٨,٣٣	مرتفع
	٣٨	٪٣١,٦٦	متوسط
	٦٠	٪٥٥	منخفض
المجموع	١٢٠	٪١٠٠	سلوك غير صحي

أشارت نتائج الجدول رقم (٥) أن نسبة ٦٠٪ من شباب المنخرطين في دار الشباب الافتراضية لا يقومون بسلوكيات الصحة التي تعلموها من وسائل التواصل الاجتماعي حول مرض كورونا المستجد وهذا حسب نتائج الاستمارة والبعد الخاص باكتساب السلوكيات الصحية ، وهذا يؤكد أن وسائل التواصل الاجتماعي وحدها لا تكفي لاكتساب سلوكيات الصحة وان نسبة منخفضة من الشباب دار الشباب الافتراضية ومقدرة

٢٢٪ يقومون بسلوكيات الصحية، وأما نسبة الباقية وهي ٣١٪ فقد صرحوا أنهم يقومون بسلوكيات صحية وفي أحيان أخرى لا يتقيدون بها برغم من تلقيهم برنامج تثقيفي حول مرض كورونا.

- مناقشة نتائج الدراسة على ضوء الفرضية الثانية :

أظهرت نتائج الجدول رقم (٠٥) إن نسبة مرتفعة من الشباب لا يقومون بسلوكيات صحية هذا يؤكد عدم تحقيق الفرضية الجزئية الثانية التي تقول إن لشبكات التواصل الاجتماعي دور فعال في إكساب سلوكيات صحية تقي من فيروس كوفيد ١٩. ولعل أكبر دليل على عدم قيام الشباب بسلوكيات صحية هو الارتفاع المتزايد لحالات الإصابة حيث سجلت الجزائر ٨٦٩٧ حالة والعدد في تزايد يوميا أما عدد الوفيات ٦١٧ ويرجع إلى عدم التزام بالسلوكيات الصحية إلى قلة برامج الإرشادية التي تهدف إلى الوقاية من هذا المرض والتي تحتاج هي إلى وقت طويل لتظهر نتائجها، حيث أن المعلومات الصحية المكتسبة، لا تبقى راسخة في ذهن أغلب أفراد المجتمع جيدا عن طريق هذه الصفحة بل تبقى مجرد معلومات عامة تزيد في التفافة الصحية للشباب ولا يتم تطبيقها في الحياة اليومية، فأغلب أفراد العينة في ممارساتهم الصحية اليومية لا يقوم بارتداء الكمامة والقفازات المطاطية في كل مرة يخرج فيها من المنزل بالرغم من أن لديهم المعلومات على أنها وسائل تقي من العدوى، فبرغم من ضرورة صحة المعلومات لتغيير السلوك، إلا أن مجرد إعلام الناس عن هذه الجائحة ليس كافيا لإحداث التغييرات المطلوبة في السلوكيات غير الصحية، واتباع ممارسات صحية تقي من مرض كورونا المستجد؛ لذلك يجب أن يتوفر التثقيف الصحي على تجارب تعليمية تتوفر على اختيار بدائل فيما يخص الوقاية من فيروس كوفيد ١٩.

إضافة إلى تركيز وسائل التواصل الاجتماعي على كم المعلومات المقدمة على حساب نوعية المعلومات ومصدرها، دون أن ننسى مشتتات

الانتباه التي تكون سبب في عدم القيام بالسلوكيات الصحية والمتمثلة في الإشاعات حول وجود لقاح فعال ووجود علاج فعال وان بروتوكول الكلوركين هو علاج خاص بمرض كورونا المستجد وانعدام وسائل الردع بعد القيام بعمليات التوعية اللازمة بالإضافة إلى الجانب الاقتصادي الذي كان له دوره في عدم الالتزام بالحجر الصحي مما يؤكد عدم إثبات الفرضية الجزئية الثانية التي تقول أن شبكات التواصل الاجتماعي فعالة في اكتساب سلوكيات صحية تقي من فيروس كوفيد ١٩.

خاتمة:

إن أي بحث اجتماعي صحي، ترتبط نتائجه بصورة أساسية بالثقافة الصحية للمجتمع الذي جرت فيه الدراسة من جهة، ومن جهة أخرى بالثقافة الصحية لمجتمع الدراسة، و بالتحديد بعينة الدراسة؛ وبالتالي فإن الثقافة الصحية لمفردات العينة تنعكس على نتائج الدراسة بشكل كبير، حيث أن نتائج الاستمارة حول موضوع كورونا المستجد، والتي تقيس مجموعة المعلومات، أظهرت نتائجها بإثبات صحة الفرضية الجزئية الأولى وبالتالي لدار الشباب الافتراضية فعالية كبيرة جدا في زيادة الرصيد المعرفي حول هذا الوباء لدى عينة من المتصفحين بولاية قالمة؛ وعلى عدم صدق الفرضية الثانية هذا ما يدل على أن التثقيف الصحي عبر مختلف فضاءات التواصل الاجتماعي غير فعال في التحلي بسلوكيات صحية تقي من هذه الجائحة .

إن الوعي الصحي هو أحد الأهداف التي يسعى التثقيف الصحي إلى تحقيقها من خلال برامجها، وأنشطتها المتنوعة، وهو الهدف الذي تسعى المجتمعات للوصول إليه وتحقيقه بين أفرادها. والهدف من الوعي في أي مجتمع من المجتمعات يتضح من خلال أفراد المجتمع هل يسلكون سلوكا صحيا أم لا؟ ونشر الوعي الصحي يتضح لدى الشباب من خلال النقاط التالية :

أن يكون أفراد هذا المجتمع قد ألموا بالمعلومات المتصلة بالمستوى



الصحي في مجتمعهم وألما بالمشكلات الصحية، الأمراض المعدية المنتشرة في مجتمعهم، معدل الإصابة بها، أسبابها، طرق انتقالها، أعراضها، طرق الوقاية منها ومكافحتها.

أن يكون أفراد هذا المجتمع قد فهموا وأيقنوا أن حل مشكلاتهم الصحية، والمحافظة على صحتهم، وصحة مجتمعهم، هي مسؤوليتهم قبل أن تكون مسؤولية الجهات الحكومية، والمجتمع الذي نريد الوصول إليه بنشر الوعي الصحي عبر الفيسبوك بين مواطنيه هو مجتمع يتبع أفراد الإرشادات، والعادات الصحية السليمة في كل تصرفاتهم، بدافع شعورهم ورغبتهم، ويشتركون في حل مشكلاتهم الصحية.

أن يكون أفراد هذا المجتمع قد تعرفوا على الخدمات، والمنشآت الصحية في مجتمعهم، وهذا ما يلعبه الفيسبوك في تقريب المسافات عن طريق الإعلانات وهو ما يؤدي إلى الانتفاع بها بطريقة منتظمة ومجدية.

توصيات الدراسة:

- قضاء الحاجات الأساسية بنظام ووعي وبزمن محدد ثم التزام بالمكوث بالبيت
- تدعيم دار الشباب الافتراضية بإطارات الطبية والصحية المتخصصة في المجال الطبي، النفسي والاجتماعي
- ضرورة إنشاء جمعيات افتراضية تقوم بعمليات التوعية و التثقيف الصحي تستند في مرجعيتها لمنظمة الصحة العالمية
- ترشيد وقت الفراغ للشباب واستغلاله للتوعية بطريقة فعالة
- نشر الوعي لدى المواطنين في كيفية التعامل مع الإشاعات
- توفير مستلزمات الوقائية للمواطنين وجعلها في متناولهم
- استخدام الردع بعد توعية الكافية للمواطنين

مراجع:

- * إبراهيم بعزيز، دور وسائل الإعلام الجديدة في تحول المتلقي إلى مرسل وظهور صحافة المواطن، مجلة الإذاعات العربية، العدد ٠٣، ٢٠١١.
- * أحمد جمل، حسين اللقاني، معجم المصطلحات التربوية المعرفية، عالم الكتب، ط ٠٣، ٢٠٠٨.
- * بطرس البستاني، محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية)، مكتبة لبنان لنشر، بيروت، ١٩٩٣.
- * صلاح الدين شروخ، منهجية العلوم الاجتماعية، دار العلوم، الجزائر، ٢٠٠٣.
- * عزة عمجان الفضل، قاموس عربي لتلاميذ و الطلاب، دار المهمة، الجزائر، ٢٠٠٠.
- * غروفيتش جورج، الأطر الاجتماعية للمعرفة، ترجمة خليل احمد خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨١.
- * مصطفى غالب، السلوك، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١.
- * نعيمة رزقي، رؤية مستقبلية لدور اختصاصي المعلومات في إدارة المعرفة. تونس، ٢٠٠٣.





حال الإنسان في أزمة كورونا مقارنة نفسية - فلسفية .

لعراية هبة - بن قاسم سلسبيل^(١)

طالبي دكتوراه جامعة محمد مين دباغين - سطيف ٢ الجزائر.

hibayara1993@gmail.com

ملخص الدراسة:

كورونا لعله المصطلح الأكثر شيوعا وتداولاً وانتشاراً بين الناس هذه الأيام، ذلك الفيروس الذي لا يرى بالعين المجردة، أحدث تأثيراً عجبياً في حياة الناس، وتسبب في الهلع والفرع والخوف والذعر. وكان أول ظهوره كما هو معروف لدينا في الصين الدولة المتطورة طبياً وصناعياً. وفي فترة الوقاية من هذا الفيروس قد ينتاب الإنسان الخوف والقلق والضغط من الإصابة به بشكل أو بآخر. هذه الأعراض النفسية التي تظهر نتيجة كردود أفعال طبيعية اتجاه هذا الالتهاب الرئوي الناجم عن فيروس كورونا، تحتاج إلى أن يتم التعامل معها بشكل صحيح كي نتفادى تطورها إلى اضطرابات نفسية. ومن جهة أخرى قد نستطيع التحكم في هذا القلق والخوف من الإصابة بهذا الفيروس من خلال أفكار جيدة وجديدة نستطيع بمقتضاها تغيير حياتنا الحالية إلى ما هو أفضل فلا بد أن يرتبط تجديد الفكر بالقدرة على تحويل الأفكار والأقوال إلى أفعال فماهية الإنسان ليست في أنه كائن مفكر بل في أنه كائن فاعل قادر على تحويل الفكرة إلى

(١) باحثة دكتوراه السنة الثانية تخصص فلسفة القيم وأبستمولوجيا العلوم الإنسانية بجامعة محمد مين دباغين سطيف ٢-الجزائر،
حاصلة على شهادة الليسانس تخصص فلسفة عامة سنة ٢٠١٤ م، وشهادة الماستر تخصص فلسفة القيم سنة ٢٠١٦ م.



خطة عمل ناجحة يتغير من خلالها واقعه إلى الأفضل. وهذه هي الرؤية الفلسفية لهذه الأزمة الوبائية. ووقوفاً على هذا تهدف الدراسة الحالية إلى معرفة دور كل من علم النفس والفلسفة في التخفيف من أعراض الخوف والقلق وحتى الضغط من الإصابة بهذا الفيروس من خلال مقارنة نفسية فلسفية.

الكلمات المفتاحية:

فيروس كورونا، مقارنة نفسية، مقارنة فلسفية.

مقدمة - إشكالية:

يعيش العالم اليوم في حيرة وشروء إزاء فيروس كورونا الذي ظهر لأول مرة في مدينة (ووهان) الصينية والذي اكتسح العالم وانتشر في أرجاء المعمورة بسرعة كالهشيم الذي تذروه الرياح في كل مكان، لتقف البشرية اليوم على حافة الهاوية فاقدة الوجهة. ففضلاً عن تداعياته الاقتصادية والاجتماعية والخدماتية، فهو يولد لدى الإنسان شحنات انفعالية قوية سلبية يصعب التحكم فيها كالخوف الزائد والقلق الحاد واضطراب المزاج والنوم، وكما نعلم كلنا أن الإنسان بطبعه كائن ينتابه الخوف والقلق متى واجه وباء أو أزمة، فغالباً ما تصيبه نوبات من التوتر والقلق والخوف بفعل ما يجتره من أفكار سلبية ومخاوف وتخيلات كلها تبعث على مشاعر الإصابة بالعدوى أو انتشار المرض. ولتخطي هذه الأزمة وانعكاساتها النفسية، نعتقد أن الإنسان المصاب وغير المصاب على حد سواء، وهو في فترة الحجر الصحي، والعواصف الانفعالية التي تشتد بداخله في هذه الفترة يحتاج إلى مساعدة نفسية للخروج من هذه الدائرة وهنا يأتي دور علم النفس في التخفيف من الآثار النفسية لهذه الجائحة من خلال مجموعة من الاستراتيجيات النفسية التي يجب تطبيقها من طرف

الأفراد. ومن جهة أخرى فإن تفكر الفلسفة في هذه الأزمة الوبائية هو ما يجعلها تعيد النظر فيها بوصفها أزمة عالمية ورسم خريطة عملية من أجل تقديم علاج للعقول والنفوس الحائرة، وبالرغم من أن الفلسفة أصبحت لدى البعض موطن ازدراء وتهميش وذلك لأنها منقطعة الصلة بالواقع المعاش من وجهة نظرهم في الوقت الذي تم النظر فيه إلى الفلاسفة على أنهم يعيشون في أبراج عاجية بعيدا عن صخب الحياة ومشكلات مجتمعا، للتدليل على أن الفلسفة تفكر في الأزمة، ولا بد من تحويل الدرس الفلسفي العربي من النظر العقلي المجرد إلى مناقشة قضايا ومشكلات المرحلة التي نعيشها، وبالأخص ما نعيشه اليوم من قلق وخوف من الإصابة وانتشار الفيروس وانتقال العدوى. وفي هذا السياق تهدف هذه الدراسة إلى معرفة دور كل من علم النفس والفلسفة في التخفيف من أعراض الخوف والقلق وحتى الضغط من الإصابة بهذا الفيروس من خلال مقاربة نفسية فلسفية. ومن هنا نأتي إلى طرح التساؤلات التالية:

- ما هو دور علم النفس في التخفيف من التداعيات النفسية لهذه الأزمة؟ وماهي استراتيجيات المواجهة والتدخل؟

- ما دور الفلسفة اليوم لتجاوز هذا القلق من الوباء العالمي؟ وماهي الآليات المعرفية والخلقية التي تقدمها الفلسفة للإنسانية للكبح من هذه الأزمة؟

١- ما هو فيروس كورونا المستجد؟

فيروسات كورونا عبارة عن عائلة فيروسية كبيرة، ومن المعروف أن الإصابة بها تتسبب في نزلات البرد العادية، ومتلازمة الشرق الأوسط التنفسية (MERS)، والمتلازمة التنفسية الحادة (SARS)، وتدعى أيضا متلازمة الالتهاب الرئوي الحاد) وغيرها من

الأمراض الخطيرة نسبيًا. ويعد فيروس كورونا المستجد ٢٠١٩ يسبب حالات الالتهاب الرئوي الفيروسي التي بدأت تظهر في (ووهان) عام ٢٠١٩، وقد أطلقت منظمة الصحة العالمية في ١٢ يناير ٢٠٢٠ مؤقَّتًا على هذا الفيروس اسم «2019-nCoV»، وفي ١٢ فبراير ٢٠٢٠ أطلقت عليه اللجنة الدولية لتصنيف الفيروسات رسميًا «SARS-CoV-2»، كما أكدت أن هذا الفيروس ينتمي لنفس الجنس الذي ينتمي إليه الفيروس المسبب لمرض السارس .

٢- ماهو الالتهاب الرئوي الناجم عن فيروس كورونا المستجد؟

تحدث الإصابة بالالتهاب الرئوي الناجم عن فيروس كورونا المستجد نتيجة العدوى بفيروس كورونا المستجد. ويطلق عليه حاليًا اختصارًا «مرض كورونا» وفي ١١ فبراير ٢٠٢٠، أسمته منظمة الصحة العالمية رسميًا «COVID-19»^(١).

٣- أعراض مرض كوفيد - ١٩:

تتمثل الأعراض الأكثر شيوعًا لمرض كوفيد - ١٩ في الحمى والإرهاق والسعال الجاف، وقد يعاني بعض المرضى من الآلام والأوجاع، أو احتقان الأنف، أو الرشح، أو ألم الحلق أو الإسهال... وعادة ما تكون هذه الأعراض خفيفة وتبدأ تدريجيًا ويصاب بعض الناس بالعدوى دون أن تظهر عليهم أي أعراض ودون أن يشعروا بالمرض، ويتعافى معظم الأشخاص نحو (٨٠٪) من المرض دون الحاجة إلى علاج خاص، وتشتد حدة المرض لدى شخص واحد تقريبًا من كل ٢ أشخاص يصابون بعدوى كوفيد - ١٩ حيث يعانون من صعوبة التنفس....

(١) اللجنة الوطنية الصينية للصحة ومكتب الإدارة الوطنية للطب الصيني الدليل الشامل لفيروس كورونا المستجد للطب الصيني، بيت الحكمة للاستثمارات، ط١، ٢٠٢٠، ١٠٤.



وتزداد احتمالات إصابة المسنين والأشخاص المصابين بمشكلات طبية أساسية مثل ارتفاع ضغط الدم أو أمراض القلب أو داء السكري، بأمراض وخيمة، وقد توفي نحو ٢٪ من الأشخاص الذين أصيبوا بالمرض، وينبغي للأشخاص الذين يعانون من الحمى والسعال وصعوبة التنفس التماس الرعاية الطبية.^(١)

٤-ردود أفعال الأفراد في مواجهة هذا الوباء:

في مواجهة هذا الوباء سيصبح لدى الناس مستويات مختلفة من القلق والتوتر والذعر والخوف، إذ سيصبحون سريع الانفعال والغضب، بالإضافة إلى ذلك، سيربطون أي وعكة صحية تنتابهم بـ «الوباء»، وسيولون اهتماما كبيرا بجالتهم الصحية وحالة عائلاتهم. كما سيطلعون باستمرار على أحدث أخبار «الوباء»، ويمكنهم في منازلهم قلقين، ويمكن أن تؤدي هذه التغيرات النفسية إلى بعض الأعراض الجسدية، مثل:

الشعور بضيق الصدر، وضيق التنفس، وفقدان الشهية، والصداع، وخفقان سريع في القلب، ويمكن أن يمر بعض الناس بمجموعة من الأعراض الأخرى مثل: صعوبة النوم، النوم الخفيف، الاستيقاظ المبكر، الكوابيس، وحتى زيادة معدل ضربات القلب، وارتفاع ضغط الدم، وارتفاع درجة حرارة الجسم، وغيرها.^(٢)

٥-الآثار النفسية وسيكولوجية التدخل والمواجهة:

يعد فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩-Covid) جائحة عالمية مدمرة لكثير من شروط الحياة المألوفة. فضلا عن تداعياته

(١) ناصر محي الدين ملوحي، فيروس كورونا طاعون العصر صناعة رأسمالية شيوعية صهيونية، دط، ٢٠٢٠، ص١٩٤-١٩٥

(٢) اللجنة الوطنية الصينية للصحة ومكتب الإدارة الوطنية للطب الصيني، ٢٠٢٠، الدليل الشامل لفيروس كورونا المستجد للطب الصيني، بيت الحكمة للاستثمارات، دط، ٢٠٢٠، ص٤٨.

الاقتصادية والاجتماعية والخدماتية، فهو يولد لدى الإنسان شحنات انفعالية قوية يصعب التحكم فيها، تتولد عنها في الغالب تداعيات نفسية كالخوف الزائد والقلق الحاد واضطراب المزاج والنوم. فهذا الوباء الذي لايزال علاجه ولقاحه لحد الآن في باب المجهول، سيؤثر فيما يبدو على الصحة النفسية لسكان العالم قاطبة بشكل من الأشكال وبدرجة من الدرجات. فالأكيد أن تداعياته المختلفة كما سبق الذكر، ستكون ثقيلة وثقيلة جدا، بحيث أن جل جوانب الحياة المألوفة، الصحية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية ستتأثر بشكل أو بآخر.

كلنا نعلم أن الإنسان بطبعه كائن ينتابه الخوف والقلق متى واجه وباء من الأوبئة أو تعرض لأزمة من الأزمات، فغالبا ما تجتاحه نوبات من التوتر والهلع بفعل ما يجتره أو ما يأتيه من أفكار ومخاوف وتخيلات كلها تبعث على مشاعر الإصابة بالعدوى أو المرض. وللخروج بسلام من الآثار النفسية المصاحبة لهذه التداعيات، نعتقد أن الإنسان المصاب وغير المصاب على حد سواء، وهو في معمة المشاكل التي تتراكم من حوله، والعواصف الانفعالية التي تشتد بداخله، مطالب بإتباع إحدى الإجراءات أو الاستراتيجيات التالية أو جميعها:

٦- الدعم النفسي واستراتيجيات الوقاية:

إذا كان الدعم النفسي للأشخاص المصابين وغير المصابين بالفيروس على حد سواء يمثل أحد الإجراءات الضرورية، فالأكيد أن الأمر لا يجب أن يقتصر على المختصين في المجال، بل إن كل شخص مطالب بعدم الاستسلام للقلق والرهاب الجماعي لتفادي الوقوع في نوبات الذعر والهلع والإحباط التي قد تنتج عنها أعراض تشبه إلى حد ما أعراض الإصابة بكوفيد-١٩ Covid المتمثلة خصوصا في

انقباض الصدر وضيق التنفس.

لذا فاعتقادنا الراسخ بأن الدعم النفسي المحكوم بأساليب واستراتيجيات وقائية ناجعة، عملاً بالمقولة الشهيرة «الوقاية خير من العلاج»، ستكون له نتائج إيجابية في مواجهة تفشي وتدايعات هذا الوباء، سواء قبل انتشار الفيروس أو أثناء ظهور أولى حالات الإصابة به، أو خلال تفعيل محور التدخل الوقائي الناجع لمواجهته. وتتحدد أبرز تلك الأساليب والاستراتيجيات من منظورنا الشخصي في الأنواع الثلاثة التالية:

استراتيجيات التدخل لحظة ظهور حالات الإصابة بالفيروس، والتي تتراوح بين وقاية عامة قوامها دعم وتحسيس عموم السكان بأهمية الحجز الصحي كنظام وقائي شامل يجب العمل والالتزام به، ووقاية علاجية تسخر لمواجهة تفشي العدوى وانتشارها عبر المواكبة النفسية للحالات المصابة قبل التداوي والعلاج بعدهما.

استراتيجيات المواجهة لحظة تحديد محور التدخل والتي تتراوح بين تقوية النظام الداخلي للوقاية باعتماد عقوبات تأديبية زجرية تتدرج حسب درجة الخرق مثلاً لنظام الحجز الصحي، وبين تسخير وسائل وأدوات فعالة للمراقبة والحماية حفاظاً على ذلك النظام، وبين اعتماد فرق وطواقم طبية وصحية عالية التحفيز والكفاءة والمواطنة.

استراتيجيات محتوى التدخل ونجاعته، بحيث تتراوح بين التدخل المباشر بهدف التحسيس بخطورة الفيروس وتدايعاته المختلفة، مع اعتماد فرق نفسية وطب نفسية متمرسة بهدف الاستشارة والدعم والمواكبة، وبناء علاقات تقوي التضامن والتكافل وسط أفراد المجتمع، وبين استثارة السلوك الإيجابي لدى هؤلاء من خلال تحفيزهم على تفادي الإشاعات

والأخبار المزيفة التي تولد مشاعر الخوف والهلع والقلق والإحباط.^(١)

هذا البروتوكول هو عبارة عن دليل عملي للنفسانيين نضعه بين أيديهم من أجل مساعدتهم على أداء مهامهم بشكل فعال وناجح، والملاحظة الأولية التي يجب أن ننطلق منها هي محاولة وضع تشخيص للحالة النفسية لكل المستويات التي يجب على النفسانيين التدخل فيها، لأن التشخيص يسهل علينا المهمة ويجعلنا نربح الوقت ونكون أكثر فعالية ونجاعة، وما يلاحظ أيضا على الحالة النفسية عند المواطنين بشكل عام حالة من الشعور بالأمان وعدم الاستقرار النفسي وبروز اضطرابات انفعالية متعددة أدت إلى ظهور الكثير من اضطرابات السلوك.

١- المستوى الأول:

يضم هذا المستوى كل المواطنين بجميع شرائحهم الثقافية، الاجتماعية والعمرية، فحالتهم النفسية مختلفة ومتنوعة باختلاف توجهاتهم الفكرية ومستواهم الثقافي والادراكي أو العمري، إلا أن ما يمكن ملاحظته عموما هو التوتر والضغط النفسي (نتيجة تجربة ضاغطة راهنة أو تجربة سلبية متوقعة)، وظهور كذلك الكثير من الانفعالات كالخيرة، الخوف، الفزع، الغضب وغيرها من الانفعالات المندفعة والمتداخلة في أحيان كثيرة. هذه الانفعالات تختلف من شخص لآخر وذلك حسب شخصيته، وحسب مستواه التعليمي، وحسب موقعه الخاص، كما نلاحظ حالة من القلق تزداد يوما بعد يوم عند فئة واسعة من المواطنين خاصة لما طلب منهم البقاء في البيوت وهي الوضعية الجديدة التي لم يتعودوا عليها من قبل، وكذلك نتيجة المستقبل المجهول فيما يخص درجة تفشي هذا الفيروس والنتائج المترتبة عن ذلك. وتدخل النفسانيين على هذا المستوى سواء عن طريق المقابلة المباشرة مع احترام وسائل الوقاية والمسافة الآمنة، أو

(١) الغالي أحرشوا، جائحة كوفيد ١٩ Covid وبيكولوجية التدخل والمواجهة، الكتاب السنوي لشبكة العلوم النفسية، ٢٠٢٠، ص ٧-٨.

كذلك عن طريق الهاتف أو الوسائط الاجتماعية يتمثل في:

السماح لكل عميل بالتعبير عن انفعالاته بكل حرية وتشجيعه على ذلك باستدراجه شيئاً فشيئاً لتفريغ شحنات الانفعالات غير العادية عنده.

تدريبه على طرق التخلص من التوتر والضغط النفسي عن طريق تغيير النشاط، وممارسة إحدى الهوايات (المنزلية طبعاً)، ممارسة أي نشاط ممتع بالنسبة له، التركيز على النقاط الإيجابية التي يمتلكها، التنفس البطني، الاسترخاء وغيرها من الطرق.

تشجيعه على التفكير الإيجابي واعتبار هذه الفترة كفرصة للراحة وممارسة بعض الأشغال المنزلية كطريقة للتخلص من القلق.

٢- المستوى الثاني:

يشمل هذا المستوى الأشخاص الموضوعين تحت الحجر الصحي سواء في بيوتهم أو داخل الفنادق أو في المستشفيات (الذين ينتظرون ظهور نتائج التحاليل)، وكذلك المرضى الذين يخضعون إلى العلاج. ما يلاحظ عند هذه الفئة هو التوتر والضغط النفسي والقلق الشديد وأحياناً قلق الموت (خاصة عند المرضى)، ظهور الكثير من الانفعالات المتداخلة كالخوف والحيرة والشك، نلاحظ كذلك عندهم حالة اكتئابية يسودها الكثير من الحزن والشعور بالذنب (بسبب احتمالية إصابته بالعدوى)، الفزع وعدم تقبل المرض (وهو ما لاحظناه في هروب بعض المرضى)، وطبعاً فإن شدة هذه الأعراض تختلف من شخص إلى آخر، وتدخل النفسانيين على هذا المستوى يكون بواسطة الهاتف أو الوسائط الاجتماعية أو المقابلة المباشرة (في حالة توفر وسائل الأمن والوقاية الصارمة) ويتجسد في:

الإصغاء العميق للعميل ومحاولة فهم الوضعية النفسية التي

يعيشها ومعرفة الاشكالية التي يعاني منها ومن ثم تقديم له المرافقة النفسية الضرورية.

الدعم النفسي (Soutien psychologique) لكل عميل وتشجيعه على التفكير الايجابي واعتبار أن هذه المرحلة مؤقتة وزائلة.

تشجيعه على التفكير المنطقي في وضعيته (وضعية مؤقتة) وضرورة استقساء المعلومة من المصادر الموثوقة، وتطبيق الطرق الوقائية الضرورية، ومن ثم تهدئة انفعالاته مما ينتج عنه ملائمة سلوكاته وتكييفها وفق الواقع الذي يعيشه.

تشجيع العميل على تغيير ردود أفعاله السلبية نتيجة هذا الواقع غير العادي إلى ردود أفعال ايجابية وتقبل هذا الواقع والتعايش معه والتكيف مع متطلباته.

٣- المستوى الثالث:

يشمل هذا المستوى العاملين في قطاع الصحة وخاصة أولئك الذين يتكفلون بالأشخاص في الحجر الصحي أو الذين يتعاملون مع المرضى المصابون بفيروس Covid 19. إن الاشكالية النفسية التي يعان منها هؤلاء الفئة كبيرة جدا وهم يحتاجون رعاية نفسية خاصة وتكفل على عدة مستويات، ما يلاحظ عندهم هو وجود ضغوط نفسية كبيرة تتخللها الكثير من الانفعالات المتداخلة، فمن الخوف والرغبة إلى السخط العام والشعور بالعجز في مواجهة خطر هذا الفيروس كذلك الاحساس بالذنب اتجاه عائلاتهم (من إمكانية نقل العدوى)

والضغط النفسي الذي يعيشه عمال الصحة له ما يبرره، فإدراكهم لخطورة الموقف وغياب في بعض الأحيان لوسائل الحماية والوقاية الضرورية والخوف من الاصابة بالعدوى نتيجة التعايش

اليومي مع المرضى المصابين، وعدم قدرتهم في التحكم في انتشار الوباء، وما يفرضه الواجب المهني يجعلهم يعيشون مواقف نفسية مضطربة وصراعات نفسية عميقة. علما بأنه كلما طالت مدة تعرضهم لهذا النوع من الضغوطات تزيد احتمالية انهيارهم التام من لحظة لأخرى، كما يمكن أن يظهر عندهم الكثير من أشكال الاحتراق المهني.

كما أن تدخل النفسانيين على هذا المستوى يكون سواء بالهاتف أو الوسائط الاجتماعية أو عن طريق المقابلة المباشرة مع مراعات وسائل الوقاية والأمان، ويتجسد في:

عادة ما يكون التدخل في هذا نوع من المواقف بطريقة (Le débriefing) من أجل السماح للعمال بالتعبير عن المواقف التي تعرضوا إليها خلال عملهم اليومي، ومن الأفضل أن تكون حصص (Le débriefing) لإعطائهم الفرصة للتفريغ العاطفي بحرية.

الدعم النفسي ضروري في مثل هذه المواقف لكل عمال قطاع الصحة

الإصغاء للحالات الفردية ومحاولة فهم الاشكالية النفسية التي تعاني منها وتقديم الرعاية النفسية الضرورية.^(١)

٧- دور الفلسفة اليوم أمام هذا الفيروس :

لذا فالسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان، ما دور الفلسفة اليوم؟ هل تقف متأملة وصامتة أمام جائحة كورونا أم أن لها أدواتها العلاجية الخاصة لمواجهة هذا الفيروس؟ يمكن القول أن ما تقدمه الفلسفة دائما هي رؤية ما رآه الكل هذا ما يسميه «سينت غيورغي» بالفكر

(١) بوبازين أحسن، بروتوكول تدخل النفسانيين للتخفيف من الآثار النفسية نتيجة تفشي فيروس Covid19، دسنة، ص٢-٣.

الخلق ، هذا الفكر الذي يتميز بالابتكار والإبداع والذي يمدنا في الوقت نفسه تصورا جديدا أو مفهوما جديدا نحو نظرتنا للعالم وواقع هذا العالم ذاته، أي «التفكير في رؤية ما رآه الكل والتفكير فيما لم يفكر فيه أحد ... لذا لم يرى نيوتن سقوط التفاحة سقوطها فقط، بل الحركة التي تجذب هذا الجسم نحو الأرض أيضا، ولكي يرى بهذه الطريقة، ما كان يراه الكل من دون أن يراه، احتاج إلى نظرة جديدة تُزيل الابتذال عن إدراكه، مما يفترض أنه كان يتساءل وبدأ يفكر فيما لم يفكر فيه أحد من قبل»^(٢).

فإن الفيلسوف رؤيته حول العالم لا تتوقف عند حد السؤال، أي أن يضع الفيلسوف سؤاله عما شاء ولمن شاء ومتى شاء ليكون هو السائل والمجيب وإنما لا بد أن يكون سؤاله مسؤولا حسب تعبير طه عبد الرحمن لأن «شعوره بهذه المسؤولية هو الباعث له على دوام المساءلة، عسى أن يظفر بما يجيب به عن الأسئلة التي تحيط بوجوده وتهجم عليه من كل جانب، وتجعله مسؤولا قبل أن يكون سائلا»^(٣).

فإن المسؤولية الملقاة على المفكر في ظل هذه الجائحة، أن يقدم لنا رؤيته الخاصة حول هذا الوباء، للكشف عن الحلول الشافية للعقول والنفوس الحائرة، ليكيف الأفراد سلوكياتهم وفق قواعد السلامة الصحية، خاصة بعد هلع الإنسانية من هذه الجرثومة الغير مرئية، والتي جعلت العالم شاردا وتائها لا يدرك إلى أين الوجهة وإلى أين يسير؟

أ-العلاج بالفلسفة:

ولعل من الروائع الخالدة فيما كتب في الزمن القديم عن العلاج بالفلسفة «ما كتبه بونثيوس في زنناته خلال الشهور التي سبقت إعدامه حيث كتب سفرا رائعا بعنوان «عزاء الفلسفة» الذي كان لما فيه من أساليب ناجعة في علاج النفس القلقة من أكثر النصوص رواجاً في أوروبا

(٢) إدغار موران، المنهج: معرفة المعرفة الأفكار، تر: يوسف تيبس، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٣، ص ١٩٨

(٣) طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط ٢٠٠٦، ص ١٥.

طوال العصر الوسيط وعصر النهضة بعد الكتاب المقدس... فهذا الكتاب يقدم روشته علاج هائلة لكل نفس بشرية تواجه ظروف استثنائية مثل ظروف مؤلفها الذي كان يواجه الموت فنجح من خلال تأملاته الفلسفية أن يرى الأشياء بحجمها الحقيقي إذ اختفت أمامه الصغائر ولم يعد يرى إلا المعاني ذات الشكل والحجم والمقدار، ومن ثم فقد حول الفلسفة في العصر الروماني من صياغة فلسفية نظرية مجردة إلى شكل جديد يمكنه أن يتعامل مع المشكلات الإنسانية اليومية، الخطيرة والدائمة، فهو يتخيل الفلسفة طبيبا يفحص مريضا، فيشخص حالته جيدا ويعطيه ورشته العلاج... وفي بداية فحصها للمريض تسأله: هل تذكر ماهي غاية الأشياء جميعا، وما الهدف الذي تتجه إليه الطبيعة بأسرها؟ فلما وجدته ناسيا قالت: فهل تعرف من أين أتت الأشياء جميعا؟ قال نعم، من الله، قالت: فهل يجوز أن تعرف الأصل وتجهل الغاية؟^(١)

أما في العصر الحاضر يروي د. عادل مصطفى أثناء دراسته لكتاب عزاء الفلسفة، «أن الطبيب النمساوي فيكتور فرانكل الذي اكتسب خبرة وجودية عميقة كنزيل بمعسكرات الاعتقال النازية قد أسس مدرسة في العلاج النفسي أطلق عليها «العلاج بالمعنى الوجودي» تقوم على أساس أن سعى الإنسان إلى البحث عن معنى في حياته هو قوة دافعية أولى وليس تبريرا ثانويا لحوافزه الغريزية ومن ثم فهو ينبغي أن يتصرف بوصفه كائنا معنيا في المقام الأول بتحقيق القيم وليس بمجرد إرضاء أهواء أو إشباع غرائز، فالوجود الإنساني تجاوز للذات أكثر مما هو تحقيق لها، وأن الحرية ليست دائما تحررا من الظروف وإنما هي اتخاذ موقف إزاء هذه الظروف... وبالطبع كلامنا يحتاج كل فترة أن يقف وقفة تأملية مع ذاته متسائلا عن معنى وجوده وعن أهدافه من هذه الحياة

(١) مصطفى النشار، العلاج بالفلسفة،: بحوث وتطبيقات في فلسفة الفلسفة التطبيقية وفلسفة الفعل، الدار المصرية السعودية، القاهرة، ٢٠١١م، ص ٣٨.

«وفي ضوء إجابته سيتحدد طريقه للسعادة في هذه الحياة»^(٢)

وهنا الفلسفة تجعلنا نقف وقفة تأملية مع جائحة كورونا، ولنبين أن للنظر العقلي مراتب، فهناك النظر العقلي الذي يقف عند الأسباب الظاهرة للأشياء لا يتعداها إلى ما ورائها، وهناك النظر العقلي الذي يتطلع إلى أن يعرف ما انطوى تحت هذه الأسباب الظاهرة من القيم الأخلاقية والمعاني الروحية، أو يمكن القول أن «نسمي النظر إلى الأشياء بوصفها ظواهر باسم النظر المُلْكِي، في حين أن الآية هي الظاهرة منظورا إليها من جهة المعنى الذي يزدوج بأوصافها الخارجية، دالا على الحكمة من وجودها، وهذا المعنى هو عبارة عن قيمة ينبغي لمن يُدركها العمل بمقتضاها كما هو معنى الحياة الذي تشير إليه ظاهرة «نزول المطر» كما تشير إلى آيات عديدة منها معنى الرحمة والنعمة... جاز أن نُسمي النظر إلى الأشياء بوصفها آيات باسم النظر الملكوتي»^(٣)؛ أي لا بد أن ننظر إلى جائحة كورونا لا كظاهرة بل كآية من آيات الله تعالى، وننظر إليها بنظرة ملكوتية لما تحمله من نظام قيمي جديد سواء أثناء أو ما بعد كورونا، لنذكر الحكمة والقيمة الثانوية في هذا الوباء العالمي.

إذن فإن هذا الوباء قد فرض نظاما قيميا جديدا، وبالأخص في قلب قيم الإنسان، بعد أن كانت روح الفردانية والنزوع إلى الأنانية تسيطر على جوانبه، وفي تقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، فإن كورونا قد رسمت معالم (الكوجيطو الجديد)، وهدمت أصنام كوجيتو أننا أفكر إذن أنا موجود، لتعلن للعالم أن كوجيطو الذي يحفظ كينونة الإنسانية، ولسلامة المصلحة العامة لا بد تطبيق القول «أنا في البيت إذن أنا موجود» ، وبعد سيطرة الإنسان على الطبيعة وطغيانه عليها، فإن الفيروس أعاد من جديد قيمة الطبيعة للإنسان أو في رسم العلاقة الرابطة بين الإنسان

(٢) المرجع السابق، ص ٤٥.

(٣) طه عبد الرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط ١٤٠٠٥، ص ١٩.



والطبيعة، أنه لا سيدا عليها وإنما ابن لها، لأن عزل الإنسان عنها ومكوته في البيت بسبب هذا الفيروس الذي انتشر بسرعة في كل مكان، أدى إلى حرمان الفرد من الخروج والتنزه، هذا ما يجعله يستعقل ويدرك أنه ما هو إلا عبد ضعيف أمام هذا الفيروس الذي لا يرى بالعين المجردة، لذا سيكون اشتياقه إلى الطبيعة والعالم الخارجي، كاشتياق الابن لأمه، مما يجعل هذا الإنسان الجديد حتماً يحنُّ ويرعى الطبيعة رعاية خاصة.

ب من الإنسان الاستهلاكي الفائق إلى الإنسان المدبر:

وهنا لابد الإبانة عن دور الحكمة العملية في هذا التغيير، وذلك في تحول الإنسان العولمي الاستهلاكي الذي كان يستهلك استهلاكاً فائقاً لكل المنتجات، خاصة بعد تحول العالم إلى سوقاً استهلاكية، وهيمنة الحياة المادية على سلوكيات الإنسان، وتحول القيم الإنسانية إلى قيم تجارية ربحية والتعلق الشديد بالحياة الدنيا، أو ما سماه «هربرت ماركيز» بالإنسان ذو البعد الواحد الذي يتركز فكره ووجدانه وأحلامه حول السلع، وتوجهه نحو المصلحة الاستهلاكية، إذ «يظن الإنسان أنه يمارس حرته وفرديته، فمجال الاختيار في عالم السلع واسع لأقصى حد، ولكن هذا يخفى الحقيقة الأساسية، وهي أن مجال الاختيار في الأمور المهمة (المصيرية والإنسانية والأخلاقية) قد تقلص تماماً واختفى وأن هذا الإنسان فقد مقدرته على التجاوز وعلى نقد المجتمع»^(١) أما اليوم في ظل هذه الجائحة أصبح الفرد أكثر تدبيراً وتفكيراً في النزعة الاستهلاكية وذلك بالاكتماء بالضروريات لا الكماليات، أي لا التفكير في الوسائل بل التفكير في الغايات النهائية للحياة، وخاصة بعد أن كانت وسائل الإعلام هي المنفذ في جعل المستهلك لا ينفك يركض وراء السلع تحت ضغط الإعلانات والإشهارات، واختزال الحقيقة والمعرفة في الترفيه واللذة في عالم السلع والإغواءات الهابطة، لنجد فجأة انقلاب مضمون الإشهار اليوم في وسائل

(١) عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحداثة والعلمنة، سوريا، دار الفكر، ٢٠٠٩، ص ٣٨.

الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي، وذلك لاحتوائه على معلومات مفيدة وحكم هادفة سواء لإتباع معلومات طبية والتوعية بضرورة التعقيم لمواجهة الفيروس، أو توجيه رسائل قيمة عن ضرورة النظافة في حياة الإنسان، وتقديم نصائح عن كيف يمكن للفرد أن يقضي حجرا صحيا في المنزل دون ملل وكسل، وذلك بقراءة كتاب أو ممارسة هواية معينة، لتصبح الصورة أو الكلمة الإعلامية مشحونة بقيم تربية وصحية؛ فالإنسان الذي يحسن التدبير، هو الإنسان الذي يتدبر بعقله وقلبه في كل فعل، لقوله تعالى «وفي أنفسكم أفلا تبصرون» وقوله أيضا «أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا»، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان فسواه وعدله، وأودع فيه من الطاقات العقلية والعاطفية والروحية والجسمية، ما يؤهله لتحقيق شروط الاستخلاف في هذه الأرض عبر العبودية لله، بكل ما تعنيه من شكر لنعمة الوجود والتكريم والتسييد والهداية والرعاية من ناحية، لذا نجد الإسلام يرسى أهدافا معينة للحياة البشرية فإن هذه الأهداف هي المصالح أو المنافع، فمن مقاصد الشريعة لضبط المصلحة الشرعية الفردية والجماعية نجد حفظ الدين والنفس، والعقل والنسل والمال، فصيانة هذه الأركان من أولى مقاصد الشريعة، لكن الحالة التي بلغها الإنسان في هذه الأزمنة هي حالة الخيانة أو الحالة الاختيانية كما اصطلاح عليها طه عبد الرحمن وحالة الخيانة في نظرته إخلال ونكث بالمواثقة الروحية التي حصلت في عالم الملكوت بين الإنسان وخالقه، وتمثلت هذه المواثقة الروحية في ركنين أساسيين هما ميثاق الإِشهاد وميثاق الائتمان، أي حمل الأمانة وضرورة الحفاظ عليها، لذا علينا إقامة الصلح مع ذواتنا أولا ثم مع الكون، فإن فائدة العزل الصحي في ظل هذه الجائحة هو فرصة في تثوير وتزكية القيم الروحية: أي من الاغتراب الروحي إلى المكابدة نحو الارتقاء في مدارج الصفاء الروحي، لإصلاح الذات وتنقيتها من الكدورات والمعاصي من أجل التغيير الإيجابي الفعال، بالتالي لا بد التوجه نحو فلسفة الإصلاح وإعادة نحت أرضية صلبة متينة

ومحكمة للذات، خاصة ما تعيشه الإنسانية اليوم من حيرة وقلق وجداني، إذن لا بد من حصد الأسقام النفسية وزرع أسس قويمه تكون فاعلة في القول والعمل، فإن رسالة الفيروس واضحة من إحداث التغيير اللازم في الوعي والشخصية والحركة الإنسانية في هذا العالم.

٨ دور الفلسفة التطبيقية لمكافحة الجائحة :

يمكن الحديث أيضا عن دور الفلسفة التطبيقية في مواجهة كورونا، إذ بدأت الفلسفة التطبيقية في الظهور في الخمسينيات والستينات من القرن الماضي بدءا بالتساؤلات الثقافية المختلفة للتعامل مع أخلاقيات الحياة الفعلية، والمشكلات الاجتماعية والسياسية التي تم تجاهلها فيما بين الحربين العالميتين «واحتل تعريف الحياة الإنسانية وقيمتها ومعناها، مجالا واسعا في الفلسفة التطبيقية، فبدأ الحديث يتم بقوة حول الإجهاض والقتل الرحيم والتكاثر الصناعي وهندسة الجينات وقياس نوعية الحياة، وندرة الموارد الطبيعية وما سواها»^(١)،

كما تعتبر فلسفة البيئة من أهم مجالات الفلسفة التطبيقية، لاعتبار البيئة هي الحيز المكاني الذي تعيش فيه الكائنات الحية إنسان، والحيوان، والنبات، وفلسفة البيئة هي تيار فلسفي يهدف إلى احترام هذا المحيط وحمايته من أجل الحفاظ على الموارد الطبيعية والحفاظ على الحياة البرية، لذا سيهتم الفلاسفة المهتمون بقضايا البيئة من طرح تساؤلات أساسية حول علاقة البشر بالطبيعة، إذ تقوم أخلاقيات البيئة على مجموعة من القيم منها حفظ الحياة والصحة والمسؤولية الأخلاقية تجاه الآخرين، لذا ففي زمن وباء كورونا تستطيع البيوتيقا أن تتدخل لتقول كلمتها وتنسج خطابها، على سبيل التحليل والتشخيص لفضح الممارسات الغير الإنسانية والحروب البيولوجية المعلنة وغير المعلنة أو المتسترة وراء أقنعة سياسية، لوضع المعايير الواجب التقيد بها لحماية الإنسان.

(١) مصطفى النشار، العلاج بالفلسفة، مرجع سابق، ص ١٦٠.

خاتمة :

من خلال ما سبق عرضه نستنتج أنه يجب علينا التحلي بالحدز والاحتياط اللازمين لتفادي العدوى الجسدية لهذا الفيروس و التدايعات النفسية الناجمة عنه كذلك لأنها قد تتسبب لاحقا في اضطرابات نفسية قد يصعب معالجتها ومحاولة استغلال فرصة الحجر الصحي في نشاطات ايجابية تخفف من حدة الآثار النفسية لهذه الأزمة فالصحة النفسية أساس الصحة الجسدية. أما عن دور الفلسفة في زمن كورونا، للتفتيش عن الحلول الراهنة لتجاوز هذه الأزمة الوبائية، إذن ما يمكن قوله أن الفلسفة هي تطيب للعقول من خلال التدبر والتأمل في الحكمة العملية أو الملكوتية المتخفية وراء هذا الوباء، أي لا بد أن لا نقف عند هذه الظاهرة ونستعجل في رسم الرؤية الوجودية لها، بل علينا أن ننظر إليها برؤية ملكوتية ونتساءل عن الحكمة المستترة وراءها، من أجل تقويم سلوكياتنا إزاءها، أي لا بد أن ننظر إلى جائحة كورونا لا كظاهرة بل كآية من آيات الله تعالى، لما تحمله من نظام قيمي جديد سواء أثناء أو ما بعد كورونا، لندرك الحكمة والقيمة الثانوية في هذا الوباء العالمي خاصة ما تعيشه الإنسانية اليوم من حيرة وقلق وجداني، إذن لا بد من حصد الأسقام النفسية.





قائمة المراجع :

- * طه عبد الرحمن ، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري ،المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط ٢٠٠٥، ١.
- * طه عبد الرحمن ، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط ٢٠٠٦، ٢.
- * عبد الوهاب المسيري ، العلمانية والحدائثة والعلمنة ،سوريا ،دار الفكر ،٢٠٠٩
- * مصطفى النشار ،العلاج بالفلسفة :بحوث وتطبيقات في فلسفة الفلسفة التطبيقية وفلسفة الفعل ،الدار المصرية السعودية ،القاهرة ،ط ٢٠٠١، ١
- * أ.د الغالي أحرشواو ، ٢٠٢٠، أستاذ علم النفس - المغرب، جائحة كوفيد -١٩ Covid -وسيكولوجية التدخل والمواجهة ، الكتاب السنوي ل شبكة العلوم النفسية العربية «الإصدار السادس».مقال
- * إدغار موران ، المنهج : معرفة المعرفة الأفكار ، تر:يوسف تيبس ،أفريقيا الشرق ، المغرب ، ٢٠١٣.
- * الدليل الشامل لفيروس كورونا المستجد(معارف عامة- الأعراض والتشخيص - طرق الوقاية- الرعاية النفسية- الشائعات)٢٠٢٠، اللجنة الوطنية الصينية للصحة ومكتب الإدارة الوطنية للطب الصيني، ط١، بيت الحكمة للاستثمارات الثقافية، القاهرة.
- * د. ناصر محي الدين ملوحي، ٢٠٢٠، فيروس كورونا طاعون العصر صناعة رأسمالية شيوعية صهيونية.



النظام الدولي بعد كورونا بوادر تغيير أم استمرار للنظام القديم مقاربة نقدية

الدكتورة فرح صابر^(١)

yahoo.com@farahsabir2012

جامعة بغداد - العراق

يشهد العالم اليوم تغيرات حاسمة، ويدفع وباء كورونا الجديد العالم نحو تغيرات جديدة بشكل مستمر. وفي هذا الوقت بات هذا العالم في حاجة ملحة للإجابة على سؤال؛ إلى أين يتجه النظام الدولي في المستقبل؟ إن النظام الدولي ديناميكي، وينبغي أن يفضي الاتجاه العام الى حماية المصالح المشتركة للبشرية. فقد أسهم النظام الودستفالي الذي تأسس في القرن السابع عشر في دفع بناء النظام الدولي وإعادته. أما النظام الحالي فقد تأسس بعد الحرب العالمية الثانية؛ لصون السلام والاستقرار العالميين، وتعزيز التنمية المشتركة لجميع البلدان.

ولكن على أرض الواقع، لم تُسلم السلطة الى الأمم المتحدة، بل ماتزال حكراً على القوى العظمى في العالم، أي الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. نتيجة لهذا، استقر النظام الدولي

(١) أستاذ مساعد في كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة بغداد تخصص التاريخ الحديث والمعاصر - العلوم السياسية، نشرت (٨٤) بحثاً منشوراً في مجلات أكاديمية وعلمية وثقافية ومؤتمرات وملتقيات علمية، داخل العراق وخارجه، لها أحد عشر كتاباً مطبوعاً، وأربعة أخرى قيد الطبع، شاركت في أكثر من (١٥٠) مؤتمراً وملتقى وندوة وحلقة دراسية داخل العراق وخارجه، - عضو استشاري في عدد من المراكز البحثية والمؤسسات العلمية والثقافية، سكرتير تحرير وعضو تحرير عدد من المجلات والنشرات العلمية والثقافية

لِعقود من الزمن على حلّ وسط ضمّني بين القومية والنهج العابر للحدود الوطنية، إذ عملت الولايات المتحدة على مُهمّة الحماية ضمن الإطار المتعدّد الأطراف.

ومثّل سقوط جدار برلين، وانهار بنك «ليمان برذر» يشكّل فيروس كورونا حدثاً عالمياً مدّماً، ويترك تداعيات واسعة النطاق، ومنها بالطبع تداعياته على النظام الدولي. فكيف ستبدو هذه التداعيات، وإلى أين تتجه؟

العولمة والتغيّرات الجذرية

لعلّ الصدمة الأساسية للنظام المالي والاقتصادي في العالم هي إدراك أنّ سلاسل التوريد وشبكات التوزيع العالمية مُعرّضة للاختلال بشدّة، ولذلك لن يكون لوباء فيروس كورونا آثار اقتصادية طويلة الأمد فحسب، وإنما سيؤدي إلى إحداث تغييرات أساسية^(١).

سمحت العولمة للشركات بتوزيع التصنيع في جميع أنحاء العالم، وتسليم منتجاتها إلى الأسواق في الوقت المناسب، متجاوزة تكاليف التخزين. وكانت المخزونات التي تبقى على الرفوف لأكثر من بضعة أيام تُعد إخفاقاً في السوق. وكان لا بُدّ من الحصول على الأمداد وشحنه على مستوى عالمي منسق بعناية، وأثبتت كوفيد-١٩ أنّ مسببات الأمراض لا تكفي بإصابة الفاسد فحسب، وإنما يمكن أن تصيب «نظام التسليم في الوقت المناسب بالكامل».

وبالنظر إلى حجم خسائر السوق المالية التي عانى منها العالم منذ شباط/فبراير، فمن المُرجّح أن تخرج الشركات من هذا الوباء أكثر تردّداً أمام أنموذج «التسليم في الوقت المناسب» والإنتاج المُوزّع عالمياً.

Laurie Garrett, A Dramatic New Stage in Global Capitalism, in: "How the World (١) Will Look After the Coronavirus Pandemic" "Foreign Policy", Mar2020

ويمكن أن تكون النتيجة مرحلة جديدة دراماتيكية للرأسمالية العالمية التي يتم فيها تقريب سلاسل التوريد من الوطن، وملئها بالبدائل للاحتماء من اضطراب مستقبلي، وقد يقلل ذلك من أرباح الشركات على المدى القريب، ولكنه يجعل النظام بأكمله أكثر مرونة^(٢).

أثارت القوة الاقتصادية والعسكرية المتنامية للصين مسبقاً تصميماً من كلا الحزبين في الولايات المتحدة على فصل الصين عن التكنولوجيا الفائقة التي تمتلكها الولايات المتحدة، والملكية الفكرية، ومحاولة إجبار الحلفاء على أن يتعقبوا خطاها. وأثار الضغط العام، والسياسي المتزايد من أجل خفض انبعاثات الكربون مسبقاً تساؤلات حول اعتماد العديد من الشركات على سلاسل الإمداد طويلة المسافة. والآن يجبر كوفيد-١٩ الحكومات والشركات والمجتمعات على تعزيز قدرتها في التعامل مع أزمة طويلة من العزلة الاقتصادية الذاتية^(٣).

وثمة رؤيتان متباينتان حول الطريقة التي يؤثر فيها فيروس كوفيد-١٩ على طريقة إدارة العالم. فالرؤية الأولى ترى أنّ الأزمة الصحيّة العالمية أظهرت الحاجة الى التعددية بجلاء أكثر، وكشفت مغالطة القومية الانفرادية، أو الانعزالية. في حين يقدم أصحاب الرؤية الثانية وجهة نظر معاكسة، تركز على أنّ العولمة، والحدود المفتوحة، تخلق نقاط ضعف أمام الفيروسات والتهديدات الأخرى. ويتطلب الصراع الحالي حول السيطرة على خطوط الإمداد، والمعدات النافذة للحياة، ان تحظى هذه الأخيرة بالعناية على المستوى المحلي من كلّ دولة^(٤).

وحين يرى أصحاب الرؤية الأولى أنّ الوباء دليل على ضرورة أنّ

.Ibid (٢)

Robin Niblett, The End of Globalization as We Know It, in: "How the World Will (٣) Look After the Coronavirus Pandemic", "Foreign Policy", Mar 2020 Project Syndicate"; "The International Order After COVID-19", Robert Malley (٤) Apr 24, 2020



تتحد الدول من أجل «التغلب على التهديدات المشتركة»، يجد أنصار الرؤية الغانية في أنتشار الوباء دليلا على أنّ الدول أكثر أمانا إذا انعزلت بعضها عن بعض. وللوهلة الأولى، يبدو محتملا أنّ كوفيد-١٩ يؤيد النقاش الذي يدعو الى نهج دولي أكثر تنسيقا. ونظرا الى أنّ فيروس كورونا لا يتوقف عند الحدود الوطنية، فالمنطق يقول إنه لا ينبغي أن تكون الاستجابة مقيدة أيضا^(١).

هناك أيضا منطق اقتصادي واضح لمتابعة التعاون الدولي، من خلال مساعدة البلدان الأكثر تضررا، إذ يمكن لجميع البلدان تخفيف الضربة التي ستواجهها بسبب الانهيار العالمي الذي يلوح في الأفق.

لذلك فإنّ الوباء يقوي أيضا سحب وجهات النظر المتنافسة. إذ تميل الدول في الأزمات الى تكثيف الاتجاهات الموجودة مسبقا وتسريعها، ولاسيما الازمات الشديدة. إذ تزامنت جائحة كوفيد-١٩ مع ظاهرة من المقاومة الشعبية المعادية للعولمة، والنظام الدولي الذي تأسس بعد الحرب العالمية الثانية، تعززها عدم المساواة داخل البلدان وفيما بينها^(٢).

فضلا عن تصاعد اتجاه كثير من أجزاء العالم الى التصنيع، يرافقه زيادة هائلة في أعداد سكان الأرض التي بلغت ما يقرب من ثمانية مليارات انسان، وارتفعت مستويات استهلاك الموارد الطبيعية بصورة لافتة، وكانت إحدى النتائج التي ترتبت على ذلك أن بلغ الاحتباس الحراري الكوكبي الذي تحدثه أنشطة بشرية مرحلة بالغة الخطورة قبل أن تبدأ الدول حتى في تنظيم استجابة مناسبة. في الوقت الذي قادتنا تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الجديدة، والتغيّرات التي طرأت على توزيع العمل، وصعود سلاسل القيمة العالمية، الى حالة متزايدة الشدة من الاتكالية المتبادلة. وكما يشير يوشكا فيشر وزير الخارجية الألماني الأسبق

(١) Ibid.

(٢) Ibid.

والآن وقد تسبب الفيروس في إيقاف حركة العالم بأسره، بدأنا ندرك أن الاقتصاد الذي تقوده العولمة أشبه بسيارة سباق عالية الأداء، لكنها شديدة الهشاشة على الرغم من كفاءتها العالية^(٣).

كذلك يقوم فيروس كورونا بتقويض المبادئ الأساسية للتصنيع العالمي. وسوف تقوم الشركات الآن بمراجعة سلاسل التوريد متعددة الخطوات وتقليصها، فضلا عن تعدد البلدان التي تهيمن على الإنتاج اليوم.

كانت سلاسل التوريد العالمية مسبقا تحت نيران النقد، اقتصاديا، بسبب تكاليف العمالة الصينية التي ترتفع باطراد، والحرب التجارية التي يشنها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، والتقدم في مجال الروبوتات، والأتمتة، والطباعة ثلاثية الأبعاد. وكذلك سياسيا، بسبب فقدان الوظائف الحقيقي والمتصور، ولاسيما في الاقتصادات الناضجة. وقد كسر كوفيد-١٩ الآن العديد من هذه السلاسل. وتركت إغلاق المصانع في المناطق المنكوبة مصّنعين آخرين، بالإضافة الى المستشفيات والصيدليات، ومحلات السوبرماركت، ومحلات البيع بالتجزئة، التي باتت محرومة من المخزونات والمنتجات.

وفي الجانب الآخر من الوباء، سوف تطلب كثير من الشركات معرفة عن الأماكن التي تأتي منها وارداتها، وسوف تقايض الكفاءة بالوفرة. وستدخل الحكومات بدورها أيضا، وتفرض على ما تعدها صناعات إستراتيجية أن تكون لديها خطط دعم واحتياطات محلية، وسوف تنخفض الربحية، لكن استقرار الوضع يجب أن يرتفع^(٤).

لاشك ان فيروس كورونا له تأثير كبير في العلاقات الدولية، فهو

Joschka Fisher, The Virus that Changed the World Apr 29.2020, "Project Syndicate" Apr 29.2020

Shannon K. O'Neil, Lower Profits, but More Stability , in: "How the World Will Look After the Coronavirus Pandemic", "Foreign Policy", Mar2020



يختبر علاقات التحالف القائمة، ويُحدث تصدعاً في بنية العولمة الحالية. وهو يتحدى الرأي العام السائد الداعم لزخم سوق عالمي كبير واحد قادر على توفير السلع والخدمات اللازمة في مجالي الرفاهية والأمن.

لكن من غير المرجح الى حد كبير في هذا السياق أن يعود العالم الى عولمة مفيدة للطرفين من النوع الذي تم تحديده في أوائل القرن الحادي والعشرين. ومن دون وجود الحافز لحماية المكاسب المشتركة من التكامل الاقتصادي العالمي، سوف تتدهور بنية الحوكمة الاقتصادية العالمية التي تم تأسيسها في القرن العشرين. وسوف يتطلب الأمر عندئذٍ انضباطاً ذاتياً هائلاً من القادة السياسيين للحفاظ على التعاون الدولي، وعدم العودة الى المنافسة الجيوسياسية العنيفة^(١).

الدولة والعودة الى الواجهة

سيقوي كوفيد-١٩ الدولة، ويعزز الروح الوطنية. وسوف تتبنى الحكومات من كل نوع إجراءات طوارئ لإدارة الأزمة، وسوف تُكره كثير منها على التخلي عن السلطات الجديدة عند انتهاء الأزمة. وفي ظل التراجع الإضافي في العولمة، سوف يتطلع المواطنون الى حكوماتهم الوطنية لتوفير الحماية لهم، وتوسعى الدول والشركات إلى تقليل نقاط ضعفها في المستقبل^(٢). وعلى غرار جائحة الأنفلونزا الإسبانية التي تفشت في عام ١٩١٨، فإن فيروس كورونا الفتاك والمُعدي، قد أدّى الى العودة الى التدابير الصارمة فيما يتعلق بالحدود الوطنية، والحواجز الأخرى^(٣).

وعلى المدى القصير، سوف يوفر أنتشار الوباء الفرصة لجميع القوميين والمناهضين للأجانب (أنصار الدولة الوطنية)، والصقور الصينيين، وحتى الأيميين الليبراليين لتقديم أدلة جديدة على أهمية وجهات نظرهم

(١) Niblet, Op.Cit

(٢) Niblett, Op.Cit

Carl Manla, Henri-Michel. Will Global Governance prove itself, "Project Syndica (٣) te", Apr24, 2020



وضرورتها. وبالنظر إلى الضرر الاقتصادي والانهيار الاجتماعي اللذين يتكشfan الآن، فإن من الصعب رؤية أي شيء آخر سوى تعزيز الاتجاه نحو الميول القومية، وتنافس القوى العظمى، والانفصال الإستراتيجي وما شابه^(٤).

ومما لا شك فيه، أنّ فيروس كورونا سوف يُغيّر اتجاه سياساتنا، سواء أكان ذلك في داخل الدول أو فيما بينها، لأنّ سلطة الحكومة؛ هي التي تتطّلع إليها المجتمعات، بما فيهم الليبراليون. وسوف يؤدي النجاح النسبي للحكومة المعنية في التغلب على الوباء، وآثاره الاقتصادية الى مفاقمة، أو تقليص، القضايا الأمنية، والاستقطابات الأخيرة داخل المجتمعات. وفي كلتا الحالتين عادت الحكومة الى الواجهة. وتظهر التجربة حتى الآن إنّ السلطويين أو الشعبويين ليسوا أفضل في التعامل مع الوباء. وفي الحقيقة كانت الدول التي استجابت للجائحة في وقت مبكر وبجاح، مثل كوريا الجنوبية وتايوان، ديمقراطيات، وليس من الدول التي يديرها قادة شعبويين، أو سلطويين^(٥). وثمة ملحوظة تشير الى أن ديمقراطية جميع الأنظمة السياسية استدارت مسبقا نحو الداخل، ومجثت عن الاستقلالية، وتحكم المرء في مصيره، وتعبير شيفشا نكارمينون، مستشار الأمن القومي السابق لرئيس الوزراء الهندي، فإننا «متجهون الى عالم أصغر، وأكثر فقرا، ولؤما»^(٦).

إزاء المسار العالمي المدمر بسبب وباء كورونا الذي خلف أعداداً هائلة من المصابين والوفيات، وملايين العاطلين عن العمل، ونظم رعاية صحية معرضة للانهيار، وركود اقتصادي يدفع ثمنه الفقراء والضعفاء، والمهمشون، وتتحسب له رؤوس الأموال الكبيرة، تسجل الدولة وأداتها

G. John Ikenberry, Democracies Will Come out of Their Shell, in: "How the

.World Will Look After the Coronavirus Pandemic", "Foreign Policy", Mar2020

Shivshankar Menon, This Pandemic Can Serve a Useful Purpose , in: "How the

.World Will Look After the Coronavirus Pandemic", "Foreign Policy", Mar2020

.Ibid (٦)



الرئيسة المتمثلة في الحكومة المتدخلة عودة مظفرة هذه الأيام.

فلتوفير المعدات والمستلزمات الطبية اللازمة لعلاج المصابين وحماية أطقم الرعاية الصحية أستخدم الرئيس الأمريكي دونالد ترامب قوانين استثنائية تعود لسنوات الحرب العالمية الثانية لإجبار شركات صناعية منها جنرال موتورز على إنتاج أجهزة التنفس الصناعي، ومنها (٣) أم) على إنتاج الأقنعة الواقية للوجه^(١).

وفي أوروبا اشتركت إيطاليا وإسبانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا في اعتماد برامج اقتصادية ومالية إضافية للحيلولة دون تحوّل الركود الحالي الى كساد طويل الأمد. ولم يختلف الحال في دول الشرق الاوسط، أو في جنوب شرق آسيا، أو أمريكا اللاتينية، إذ لم يجد وباء كورونا غير الدولة وأدواتها لمواجهة، إن فيما يخصّ الصحة العامة أو الشأن الاقتصادي^(٢).

وفي البلدان الأوربية التي تسيطر على سياستها حكومات شعبية، تُوظف أدوات الدولة للخروج عن السياق الديمقراطي، ولانتزاع صلاحيات واسعة للرؤساء أو رؤساء الوزارات بادعاء ضرورة المواجهة السريعة للتداعيات المدمّرة لكورونا لتدعيم صلاحياتهم، وفرض المزيد من القيود على المجتمعات المدنية والمواطنين في لحظة خوف شعبي جارف^(٣).

ظروف الوباء الحالية مثّلت لحظة لعودة الدولة، وللحكومات المتدخّلة بعمق وقوّة في إدارة الشأن العام، من الصحة الى الاقتصاد، وسيكون لهذه اللحظة المرشحة للامتداد الزمني تداعيات سياسية واسعة. فكما تكتشف المجتمعات الغربية أنّ الرأسمالية العنيفة، وعلى الرغم من

(١) عمرو حمزاوي، عودة الدولة في زمن الكورونا، ٧ نيسان ٢٠٢٠ (مركز كينيدي للشرق الاوسط) على الموقع:

(٢) Carnegie Middle East Center

. المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه

التنظيم الديمقراطي، وحكم القانون السائدين ستترك المواطنين بمفردهم في مواجهة الأزمات الاقتصادية والمالية الخانقة، وأنّ سبل الإنقاذ من الانهيار والرُّكود والكساد، دوماً، ستعود الى الدولة، فستكتشف المجتمعات في الشرق الأوربي والآسيوي والشرق الأوسط أنّ الدولة، وعلى الرغم من غياب الديمقراطية وضعف حكم القانون تظل الفاصل المجتمعي الأكثر قدرة على مواجهة الأزمات الكبرى وتقديم مَظَلَّات الأمان المصحوبة لتجاوز الأخطار المحدقة بالمواطنين صحياً واقتصادياً^(٤).

أزمة كورونا ستدفع معظم الحكومات، لبضع سنوات على الأقل، الى التحوُّل نحو الداخل، والتركيز على ما يحدث داخل حدودها بدلاً ممّا يحدث أبعد منها. وسيجري تحرُّك أكبر نحو الاكتفاء الذاتي الانتقائي (ونتيجة لذلك فكّ الارتباط) بالنظر الى هشاشة سلسلة التوريد، وحتى نحو قدر أكبر من معارضة الهجرة واسعة النطاق، ورغبة أقل بمعالجة المشكلات الإقليمية والتزام بتلك المعالجة (بما في ذلك المناخ)، نظراً للحاجة المتصوّرة الى تكريس الموارد لإعادة البناء في الوطن، والتعامل مع التداعيات الاقتصادية للأزمة^(٥).

ولكن من الجانب الآخر، وفي خضم الفوضى الناجمة عن الجائحة، يميل كثير من الخبراء الى توقُّع أن تجد العديد من البلدان صعوبة في التعافي من الأزمة، وأنّ يصبح ضعف الدولة، والدول الفاشلة أكثر انتشاراً في العالم، وحتى الى انهيار الدولة في البلدان القريبة من نقطة الانهيار، وقد يهيئ ذلك فرصاً أكبر للأطراف الفاعلة العنيفة غير الحكومية لاستغلال الفوضى، والتأصل، والتوسُّع^(٦).

ومن المؤكّد هنا ان هذا الوباء سيقوِّي الدولة. سوف تتبنى

(٤) المصدر نفسه.

Richard N. Haass, More Failed States , in: "How the World Will Look After the (٥) Coronavirus Pandemic," Foreign Policy", Mar2020 .Ibid; Malley, Op.Cit (٦)



الحكومات من كل نوع إجراءات طوارئ لإدارة الأزمة، وسوف تكرر كثير منها التخلي عن هذه السلطات الجديدة عند انتهاء الأزمة^(١).

القوة الأمريكية في حاجة الى استراتيجية جديدة

في العام ١٩١٧ أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عن استراتيجية جديدة للأمن القومي، تركّز على منافسة القوى العظمى. ويظهر كوفيد-١٩ أنّ هذه الاستراتيجية غير مناسبة، حتى لو سادت الولايات المتحدة كقوة عظمى، فأنها لا تستطيع حماية أمنها بالتصرف بمفردها.

ولخص ريشارد أنزيغ المُشكلة في العام ٢٠١٨ حينما كتب «إنّ تقنيات القرن الواحد والعشرين عالمية- ليس في توزيعها فقط - وإنما في تداعياتها أيضا. يمكن أن تصبح مسببات الأمراض، وأنظمة الذكاء الاصطناعي، وفيروسات الحاسوب، والإشعاعات التي قد يطلقها الآخرون بطريق الخطأ، مشكلتنا نحن مثلما هي مشكلتهم، يجب متابعة أنظمة الإعلام المتدفق عليها، والضوابط المشتركة، وخطط الطوارئ، والمعايير، والمعاملات المشتركة، كوسيلة لتخفيف المخاطر العديدة التي لدينا»^(٢).

بالنسبة لدينامية التعامل الأمريكي مع كورونا يرى عدد من الخبراء أنّها قد جاءت متذبذبة. فمثلا استجابت كوريا الجنوبية، وسنغافورة للوباء بشكل أفضل، وكان رد فعل الصين جيدا بعد تجاوز أخطائها المبكرة. وكانت الاستجابة في أوروبا وأمريكا بطيئة وعشوائية بالمقارنة مع الدول الآنفة الذكر، على نحو تسبّب بالمزيد من تشويهه هالة «العلامة» الغربية^(٣).

(١) Stephen M. Walt, A World Less Open, Prosperous, and Free in: "How the World Will Look After the Coronavirus Pandemic", Foreign Policy, Mar2020.

Quoted in: Joseph S. Nye, Jr. American Power Will Need a New Strategy, in: (٢) "How the World Will Look After the Coronavirus Pandemic", Foreign Policy, Mar2020. (٣) Walt, Op.Cit.

بالنسبة لقوة الولايات المتحدة الأمريكية، تركت الإدارة الفوضوية لترامب انطباعاً لا يمحى في جميع أنحاء العالم لبلد غير قادر على التعامل مع أزماته الداخلية، ناهيك عن أي بلد آخر. والأهم من ذلك يبدو أن الولايات المتحدة كونها دولة نظامية ستخرج من أزمة كورونا أكثر انقساماً بدلاً من الوحدة، كما هو الحال عادة بعد أزمة وطنية بهذا الحجم. ويضيف هذا التمزق المستمر للمؤسسة السياسية الأمريكية قيوداً أخرى على القيادة العالمية للولايات المتحدة^(٤).

وفي اختبار القيادة العالمية، يشير المحللون إلى أنه سوف لن يُنظر إلى الولايات المتحدة على أنها رائدة دولياً بسبب التفات حكومتها إلى المصلحة الذاتية الضيقة، وكشفها عن انعدام الكفاءة الواضح. فقد كان من الممكن تخفيف الآثار العالمية إلى حد كبير من خلال جعل المنظمات الدولية تقدم معلومات أكثر في وقت أبكر، الأمر الذي كان سيعطي الحكومات الوقت لإعداد الموارد وتوجيهها في هذا المضمار إلى حيث تشتد الحاجة إليها. وهو أمر كان يمكن للولايات المتحدة تنظيمه، ممّا أعطى انطباعاً بأن واشنطن فشلت في اختبار القيادة، وأصبح العالم أسوأ حالاً بسبب ذلك^(٥).

واستناداً إلى جوزيف ناي فإن الأمر عندما يتعلق بالتهديدات العابرة للحدود مثل فيروس كورونا، وتغيّر المناخ، فإنه لا يكفي التفكير في القوة الأمريكية وتكريس النفوذ على الدول الأخرى. إن مفتاح النجاح معرفة أهلية القوة مع الآخرين. من المؤكد أن كل بلد يضع مصلحته الوطنية أولاً. والسؤال المهم هو مدى اتساع/ ضيق، تعريف هذه المصلحة، ويظهر كوفيد-١٩ «أننا نحقق في معايرة استراتيجيتنا مع

(٤) Kevin Rudd, The Coming Post-COVID Anarchy, Foreign Affairs, Mar6.2020

(٥) Kori Schake, The United States Has Failed the Leadership Test, in: "How the World Will Look After the Coronavirus

Pandemic", Foreign Policy, Mar2020



هذا العالم الجديد»^(١).

ويرى وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر أنَّ جائحة كورونا ستُغيّر النظام العالمي، داعياً إلى أنَّ على الولايات المتحدة حماية مواطنيها من المرض مع بدء العمل العاجل للتخطيط لعصر جديد. ويؤكد كيسنجر أنَّ الولايات المتحدة أمام عدوٍّ يضرب عشوائياً، وبشكل مُدْمِر، ولاشك في أنَّ الحفاظ على ثقة الجمهور أمر حاسم للتضامن، ولعلاقة المجتمعات بعضها ببعض، وللسلام والاستقرار الدوليين. مُؤكِّداً أنَّ العالم بعد كورونا لن يعود كما كان سابقاً^(٢).

وإذ يُعدُّ كيسنجر أنَّ الإدارة الأمريكية أسهمت بعملٍ قوي لتجنُّب كارثة فورية، رأى أنَّ الاختبار النهائي يكمن في القدرة على إيقاف انتشار الفيروس، ثم توجيه مساره بطريقة تحافظ على الثقة العامة في قدرة الأمريكيين على حكم أنفسهم. وأضاف أنَّ الجهود لمواجهة الأزمة مهما كانت ضخمة وضرورية يجب أن لا تعرقل المُهمّة العاجلة المتمثلة في إطلاق مشروعٍ موازٍ للانتقال الى نظام ما بعد كورونا. وفي هذا الإطار فإنَّه، وفقاً لكيسنجر، لن يكون بإمكان أيِّ دولة، ولا حتى الولايات المتحدة، ان تتغلَّب على الفيروس في جهد وطني محض، لذا يجب أن تقترن معالجة الحاجات الرَّاهنة في نهاية المطاف برؤية وبرنامج تعاونيين عالميين. وحدَّر من أنَّه إذا لم «نتمكن من القيام بالأمرين معاً، فسوف تُواجه أسوأ ما في كل منهما»^(٣).

ويدشير كيسنجر إلى ثلاثة مجالات أمام الولايات المتحدة للعمل بها لضمان إدارة الأزمة بنجاح:

أولاً- دعم المرونة العالمية حيال الأمراض المُعدية بتطوير

(١) Nye, Op.Cit

(٢) 2020, 3 Henry A. Kissinger, The Coronavirus Pandemic Will Forever Alter the World Order, "Wall Street Journal", April

(٣) Kissinger , Op Cit.p

تكنولوجيات وتقنيات جديدة لمكافحة العدوى ولقاحات مناسبة لمجموعات كبيرة من السكان.

ثانيا- السعي الى تضييد جراح الاقتصاد العالمي.

ثالثا- حماية مبادئ النظام العالمي الليبرالي عن طريق موازنة السلطة مع الشرعية؛ لأنّ التراجع عنها سيؤدي الى تفكُّك العُقد الاجتماعي محلياً ودولياً. ومع إقراره بأنه لا يمكن تسوية قضية الشرعية والقوة هذه في وقت واحد، مع محاولة التغلب على الوباء، لذلك يَعدُّ ضبط النفس ضرورياً من جميع الجوانب، في كُلِّ من السياسة الداخلية والدبلوماسية الدولية، ووجوب تحديد الأولويات (٤).

ويرى يوشكا فيشر، أنّ جهود إدارة ترامب المستمرة للتّصلُّل من دور القيادة العالمية الأمريكية تثير سؤالاً أساسياً حول نهجها: ماذا تريد الولايات المتحدة في عهد ترامب؟ القيادة دون تحمُّل المسؤولية؟ ويجيب فيشر: هذا من غير المُرجَّح أن ينجح؛ فبينما تَظَلُّ الولايات المتحدة غارقة في التفكير على المدى القصير، فإنَّ قوى دولية أخرى تتابع بصبر استراتيجيتها طويلة الأمد، الصين مثلاً، لاستغلال الفراغ - الجيو سياسي - الناجم عن الانقلاب الداخلي للولايات المتحدة لطح نفسها- أي الصين- بديلاً للقيادة والاستثمار العالميين. لقد أعطى الرئيس ترامب منذ توليه منصبه، شعوراً للعالم، بان الولايات المتحدة لم تعد تشعر أنها ملزمة أو مقيدة بأيّ واجب حيال أيّ شيء (٥).

على أيّ حال سيكون من الصعب إصلاح الضربة التي تلقّتها صورة أمريكا الدولية، ولاسيّما بعد فشل إدارة ترامب الكبير في مواجهة أزمة كورونا المستجد. هذا الوباء يُعزِّز الانطباع العام بأنّ الولايات المتحدة الآن هي» قوة عظمى مُنحلة، وستُحلُّ محلّها الصين «الذكية،

.Ibid (٤)

Joschka Fisher, The Future of Global Power, "Geopolitical Futures", May 25 (٥)



المتغيرة، والحيوية اقتصادياً» حتى وإن بدا هذا الانطباع غير واقعي في الوقت الراهن لأسباب كثيرة^(١).

هل العالم على أعتاب حرب باردة جديدة

كانت الدلائل تشير قبل أزمة كورونا، إلى أنّ النظام الدولي الليبرالي قد بدأت تظهر عليه ملامح الضعف أو حتى التفتت. فقد كانت القوة العسكرية والاقتصادية للولايات المتحدة، نقطة الارتكاز الجيوسياسية التي أستاذت إليها النظام، تتحدّى الصين، أولاً إقليمياً، ولاحقاً على الصعيد العالمي. وأسهمت إدارة ترامب في زيادة المشاكل لهذا النظام من خلال إضعاف هيكل التحالف الأمريكي الذي كان في المنظور الاستراتيجي التقليدي محورياً في الحفاظ على توازن القوى ضدّ الصين، وخلق فراغ سياسي ودبلوماسي لصالح بكّين، من خلال نزع الشرعية عن المؤسسات الدولية بشكل منهجي، وترتب على ذلك، عالم مختلّ الوظائف، ويتسم بالعشوائية على نحو متزايد^(٢).

وتفاقم الأزمة الحالية مثّل هذه الاتجاهات، وسيُحدّد التنافس الاستراتيجي الآن النطاق الكامل للعلاقة بين الولايات المتحدة والصين، في المجالات العسكرية، والاقتصادية، والمالية، والتكنولوجية، والأيدولوجية، وسيعيد تشكيل علاقات بكّين وواشنطن مع البلدان الأخرى.

ووصولاً الى الأزمة الحاليّة، كانت فكرة نشوب حرب باردة ثانية تبدو بعيدة وسابقةً لأوانها، بسبب تشابك النظامين الماليين الصيني والأمريكي، الى الحدّ الذي يبدو فيه الانفصال الحقيقي بينهما غير محتمل. كما أنّ احتمال نشوب حروب جيو-سياسية أو أيديولوجية بالوكالة في بلدان أخرى، أيضاً تبدو غير واردة، مثلما كانت، خلال المنافسة بين

(١) Fisher, The Virus that Changed the World

(٢) Rudd, Op.Cit

الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي السابق^(٣).

ولكن بعد التَطَوُّرات التي أعقبت ظهور فايروس كورونا يبدو أنّ مسار الأحداث بين الطرفين أخذ في التَّصاعُد، وبدأت حرب كلامية مشحونة بينهما. وبدأت المخاوف من إقدام الولايات المتحدة على خطوات مُعيَّنة يمكن أن تُثير المخاوف، وتُغيِّر من الوضع القلق والهَشَّ بين واشنطن وبَكِّين. فتفكير واشنطن بإنهاء استثمارات صناديق المعاشات الأمريكية في الصين، أو تقييد الحيازات الصينية المستقبلية من سندات الخزنة الأمريكية، أو بدء حرب عُملات جديدة، خصوصاً مع إطلاق بَكِّين العُملة الورقية الصينية الجديدة مؤخراً، كل ذلك قد يزيد من خطر الحروب بالوكالة^(٤). لذا لم يكن مستغرباً إعلان وزير الخارجية الصيني في تصريح لـ «رويتر»، بأنَّ الولايات المتحدة تُشَنُّ ما يشبه الحرب الباردة ضدَّ بلاده^(٥).

ومع تصاعد المواجهة بين واشنطن وبَكِّين، بدأ النظام العالمي، والقواعد والمؤسَّسات التي يقوم عليها في التعثُّر. وتحوَّلت العديد من المؤسَّسات نفسها إلى ساحات للتنافس. ولاشك في أنّ كلا الدولتين تضرَّرتا، والحلُّ هنا، بتعبير جوزيف ناي؛ إنه لا يوجد «مدير نظام» للحفاظ على النظام الدولي في حالة جيدة. وتبدو النظرة هنا متباينة، فهناك من يرى أنّ ما يجري الآن هي ملامح لحرب باردة جديدة، في حين يجادل بعضهم من أنّ اللحظة الراهنة قد لا تكون تُمثِّل مرحلة الحرب الباردة، لكنها قد تُهيئ لها الظروف المناسبة^(٦).

لاشك في أنّ الصَّرع الاقتصادي على الصين كان هائلاً، ومن المُرجَّح أن يكون نموّ عام ٢٠٢٠ عند مستوى الصفر وهو أسوأ أداء منذ خمسة

.Ibid (٣)

.Ibid (٤)

.Reuter News Agency",may28,2020" (٥)

.Rudd, Op.Cit (٦)



عقود. وتحتاج الصين لوقتٍ إضافيٍّ لإصلاح الأضرار الهائلة التي لحقت بمكانتها المالية الناتجة عن كونها الأصل الجغرافي للفيروس، وفشل بكين في احتواء الأشهر الأولى الحرجة^(١).

ولأسباب مختلفة قد لا تخرج الولايات المتحدة من الأزمة بشكلٍ أفضل، في بلد منقسمٍ سياسياً، أكثر من أيِّ وقت مضى، ورئيسٍ بدا وكأنه ينأى بنفسه بعيداً عن العالم في أوج الأزمة العالمية، في ظل ارتفاع كلف الوباء وخسائره التي وصلت الى ١٠٠ ألف حالة وفاة، وملايين العاطلين، وانكماش اقتصادي قد يتحول الى الأكبر منذ وقت طويل^(٢).

ومن المؤكد، أنّ الأزمة قد مزقت كثيراً ممّا تبقى من العلاقات الأمريكية- الصينية. ففي واشنطن لم يعد «عالم المشاركة الاستراتيجية» مع بكين قبل عام ٢٠١٧ قابلاً للاستمرار سياسياً. ومن المرجح أن تصبح علاقة الولايات المتحدة مع الصين أكثر تصادمية.

كانت الاستراتيجية الأمريكية قبل (شي بينغ) هي الانتظار حتى يتحول ميزان القوى الاقتصادية والعسكرية لصالح الصين قبل السعي الى تعديلات رئيسة على النظام الإقليمي والدولي. بما في ذلك تايوان، العنصر الوحيد الأكثر زعزعة للاستقرار في العلاقات الأمريكية-الصينية، وبحر الصين الجنوبي، ووجود الولايات المتحدة في آسيا، ولكن في ظل قيادة بينغ أصبحت بكين أكثر حزماً بصورة ملحوظة. إذ خاضت مخاطر محسوبة، وناجحة حتى الآن، أدت الى إحداث تغييرات على الأرض، كما في حالة استصلاح الجزر في بحر الصين الجنوبي، ومبادرة «الحزام والطريق»^(٣). وخلال ذلك كله تدعم الصين طموحها الجيو سياسي في التوسع اقتصادياً، وسياسياً من خلال تحالفات نجحت في تشكيلها نتيجة حركيتها، ونموها،

(١) . Rudd, Op.Cit

(٢) . Malley, Op.Cit

(٣) . Rudd, Op.Cit

وقوة تواجدتها الخارجي، من خلال استثمارات في مختلف أنحاء العالم، فضلاً عن أنها جها سياسة براغماتية توجي بخلوّها من المطالبات، وعلى قاعدة المنافع المتبادلة، أو هذا ماتوجي به تحركاتها ظاهرياً على الأقل. وبالطبع تطمح الصين الى جني منافع الاستثمارات الخارجية سياسياً، واقتصادياً من غير أن تدفع أثماناً او كُلفٍ سياسيةٍ تصورّها كقوة استعمارية جديدة (٤).

ويُعدّ ردّ فعل الولايات المتحدة على هذا النهج قابلاً للإدارة، لكن هذا الحساب يمكن أن يتغيّر في عالم ما بعد الحرب، وعالم ما بعد الوباء. بل يذهب المتشائمون الى القول إنّّه يمكن للخدش أن يقود العلاقات الأمريكية-الصينية الى الانهيار، في حال ايّ أزمة حقيقية للعلاقات بينهما، وقد تقود لاحتمال حدوث شكل من أشكال المواجهة العسكرية بين الطرفين، حتى كنتيجة غير مقصودة للإدارة الفاشلة للأزمات قد ينتقل فجأة من النظرية الى الواقع. وأنّ مواجهته مكلفة لكلا الدولتين، وللعالم كلّّه (٥).

هناك من يقدّم بدائل أفضل لهذا السيناريو، واعتماداً على تغيير رئيس في سياسة واشنطن، وإصلاحات في بَكنين، وتطوير بنية جديدة للانفراج بين الولايات المتحدة والصين، واستلهاماً من التجربة الأمريكية-السوفيتية، التي تحدّد معايير واضحة عن المنافسة لتجنب الكارثة العسكرية، وجهود الدول الأخرى لتجميع الموارد السياسية والمالية للحفاظ على المؤسسات الدولية الأساسية للنظام الحالي حتى عودة الاستقرار الجيو-سياسي (٦).

[George Friedman](#), Power and the Rise and Fall of Nations, "Geopolitical Futures", (4)

May 5, 2020; Hal Brands, Don't Let Great Powers Carve Up the World Spheres of Influence Are Unnecessary and Dangerous, "Foreign Affairs", Apr 20, 2020

[Rudd, Op.Cit](#) (٥)

Rudd, Op.Cit.; Brands, Op.Cit (٦)



لقد حدّد كوفيد-١٩ تكاليف مواجهة أزمة عالمية في ظلّ نظام دولي تشوبه عيوب. والنتيجة الأسوأ هي مواجهة الأزمة القادمة بدون نظامٍ على الإطلاق^(١). ولكن ما هو مؤكد، في رأي الخبراء، أنّ الأزمة قد مرّقت كثيراً ممّا تبقى من العلاقات الأمريكية-الصينية.

النظام الدولي بعد كورونا: المتغيّر والثابت

لن تكون السياسة الدولية والنظام العالمي كما كان قبل فيروس كورونا، وإذا كان هناك من تغيّرات ستحدث دونما شك، فإن هناك ثوابت لا يمكن للوباء الحالي أن يغيّرها. فإذا كانت الصين والولايات المتحدة قد دفعتا كلفة اقتصادية باهظة نتيجة الوباء، فإن كلفتها السياسية كانت أكبر. فقد تلقّت الصين ضربة سياسية أيضاً، إذ أثار أدائها في بداية الأزمة بالإضافة إلى التساؤل حول مصدر الفيروس، مخاوف بشأن مصداقيتها السياسية فضلاً عن التساؤل عن مصدر الفيروس. فمن يثق في الاعتماد على بلدٍ لا يرغب في التصرف بشكل مسؤولٍ على المستوى العالمي؟

وفي الطرف الآخر كانت الولايات المتحدة محلّ أمتعاضٍ واسعٍ في أدائها والتعامل مع الظروف التي نجمت عن فيروس كورونا، وخصوصاً أداء الرئيس ترامب، لكن العالم مازال يمنح بعض الثقة للولايات المتحدة^(٢). وبوسع بيل غيتس، الذي تحدث قبل أكثر من سنتين عن احتمال ظهور وباء قد يهدد البشرية، أن يؤكد أنّ خطر هذا الوباء يوجّد جميع البلاد في حربٍ مشتركةٍ، وأنّ استئصال هذا البلاء جدير بأن يكون المهمة المركزية للسياسة الخارجية لكل البلاد، مثلما جرى في ١١ سبتمبر- أيلول حينما بدا أنّ العالم قد توحد ضدّ ما يُعرف بـ «الارهاب»^(٣). فهل

(١) Malley, Op.Cit

(٢) world, "Responsible Statecraft, Apr 19-Robert E. Hunter, What will change and remain the same in a post-COVID

(٣) 2020, "Did National Interest", May 5 11/9 Nikolas K. Gvosdev, Why the Coronavirus Won't Transform International Affairs Like

ستكون هذه اللحظة مشابهة لتلك؟ وأنّ العالم قد دخل حقبة جديدة في العلاقات الدولية؟ بالطبع الإجابة ستكون سلبية. فمما لاشكّ فيه أنّ فيروس كورونا له تأثير؛ فهو يختبر علاقات التحالف القائمة، ويحدث صدعاً في بنية العولمة الحالية، ولكن العالم لم يتعرّض لصدمة واحدة، مثلما حدث في ١١ سبتمبر تؤدي الى وقفة^(٤). فمن الثابت أنّه لن تتغيّر العديد من الحقائق الملموسة للقوى العالمية. إذ تنتج الصدمات الأساسية للنظام الدولي عادة من حروبٍ كبيرةٍ، كما حدث بعد حربين مُدمرتين في القرن الماضي، وحربٍ باردةٍ، لكن جائحة كورونا ليست من هذا الحجم، فهي سوف تغيّر الهياكل الأساسية للسلطة ببطء.

إذ سيستمر الدولار الأمريكي كعملة عالمية، وتمنح هذه الحقيقة الولايات المتحدة أيضاً فوائد كبيرة، وتساعد في دعم دورها العالمي.

ومن شبه المؤكد أنّ الولايات المتحدة ستستمر في كونها رائدة العالم في إنتاج الأفكار، وكذلك «الملاذ الآمن» التعليمي للناس حول العالم، كل هذه العوامل تساعد على إنتاج شعورٍ بالاستقرار في النظام العالمي. على النقيض من ذلك، ستستمر الصراعات الحالية على السلطة داخل البلدان، وفيما بينها، على الرغم من فيروس كورونا المنتشر حول العالم، وتستمر العديد من هذه الأنشطة والتفاعلات بين البلدان. وهكذا؛ بينما تتعاون روسيا مع الآخرين ضد الفيروس فإنها تسعى بنشاط أيضاً لتحقيق طموحاتها، لاسيما في أوروبا والشرق الأوسط^(٥).

وستبقى منطقة الشرق الأوسط أيضاً كما كانت من قبل؛ مُعرّضة للاضطرابات التي لم تهدأ فيها ابداً، ولن تختفي المواجهة بين إيران وجيرانها، ومع الولايات المتحدة. وفي الشرق الأقصى ستستمر كوريا الشمالية في استفزازاتها في المنطقة المنزوعة السلاح، ولن تتوقف الصين

(٤) Ibid.

(٥) Hunter, Op.Cit. Gvosdev, Op.Cit.



عن جهودها الرامية لخلق «وضع راهنٍ جديدٍ» في بحر جنوب الصين، وفي أوروبا لن تتنازل روسيا عن القرم.

واثبتت أزمة الفيروس أن الاستعدادات العسكرية مبالغٌ فيها، إذ إنها لا تصلح للتعامل مع خطر التهديدات اليوم، لكن سيظل من الصعب تحويل الموارد من ميزانية الدفاع الأمريكية الى مجالات أخرى تحتاج إليها، ولاسيما الصحة والتعليم والبنية التحتية.

ويُرجَّح أنه سيستمر التأثير السياسي للقطاع العسكري في الحد من قدرة الولايات المتحدة على تكريس الموارد، والاهتمام بالدروس المستفادة من الوباء.

فضلاً عن أنه لن تؤدي أزمة الفيروس الى بذل جهود أكبر في التعامل مع التحدي الوجودي الحقيقي: وفي مقدّمته تغيُّر المناخ، ولن تُؤخذ هذه الجهود على محمّل الجدّ من أكبر الاقتصادات في العالم^(١).

كذلك لن تتغيّر جوانب أخرى من السياسة العالمية، ومن ثم لن يكون فيروس كورونا العامل المركزي المنظم، بل محض عاملٍ إضافي، وعلى الدول أن تتعامل معه وهي ترسم ملامح سياساتها الخارجية.

ولن يحدث بصفة آلية أن تنظر جميع الدول نظرة واحدة الى الضرر الناجم عن الوباء، بل إنّ ما ظهر بدلاً من ذلك كان مزيجاً من التعاون والتصادم، قائم على كيفية تقدير كل قوةٍ لمصالحها.

ذلك ما يجعل المشكّكين في أنّ العالم على شفا تحولٍ هائلٍ في العلاقات الدولية يبدون على حق في توقعاتهم. فالعالم منذ سنين تَوَقَّع أنّ مرضاً معدياً هائلاً قد يظهر على نطاق عالمي، حتى لو لم نعلم السبب والتوقيت الدقيقين. صحيح أنّ هناك تحولاً بطيئاً يجري في العلاقات الدولية، لكن الوباء لن يكون نهاية التنافس داخل النظام العالمي

(١) Hunter, Op.Cit.

الفوضوي. كل ما هنالك أنه سوف يصبح مجرد عنصر جديد. ففيروس كورونا لا يعدو «بجعة رمادية» كما وصفها نيكولاس جفوسديف محرر الـ«ناشونال انتريست»^(٢).

وعندما يتحدث جورج فريدمان عن تأثير كورونا على تغيير النظام الدولي، فإنه يصف ذلك بالأوهام، ويقرّ بأنّ الألم قوي، لكن النظام مازال قوياً بتعبيره أيضاً^(٣). ولكن ربما كان الدرس الذي تعلمته البشرية من الجائحة؛ هو أنه لا يمكن لأيّ دولة، ولا حتى الولايات المتحدة أن تتغلب على الفيروس بمجهودها الداخلية المخضّة. ويجب أن تقترن ضرورات اللحظة في نهاية المطاف برؤية تعاونية دولية. وكما يقول كيسنجر؛ الآن نعيش فترة تاريخية، والتحدّي التاريخي للقادة هذه المرة هو إدارة الأزمة وبناء المستقبل، إذ أنّ الفشل يمكن ان «يحرق العالم»^(٤).

ملاحظات ختامية

- تعثّر الولايات المتحدة في التعامل مع الأزمة، خلق ثلماً في دورها في قيادة العالم.

- النظام العالمي وتوازن القوى يميلان الى التغيّر ولكن ببطء شديد، إذ ستبقى الولايات المتحدة مهيمنة على هذا النظام مع ظهور منافسين اقوياء وأبرزهم الصين.

- بالرغم من جهود بكّين وواشنطن، فإنّ الحقيقة غير المريحة هي أنّ قوة الولايات المتحدة والصين ستتقلص نتيجة هذه الأزمة بشكل كبير. وستكون النتيجة انجرافاً بطيئاً، ولكنه ثابت نحو الفوضى الدولية بما في ذلك الأمن الدوّلي والتجارة وإدارة الوباء.

- انتهاء نظام العولمة الاقتصادية والاعتماد المتبادل، والبحث عن

(٢) Gvosdev, Op.Cit

(٣) Friedman, Op.Cit

(٤) Kissinger, Op.Cit



سلاسل توريد محلية.

- نفس القواعد الحالية لعمليات التصنيع والإنتاج العالمية.
- فشل المؤسسات الدولية في القيام بدورها الذي كان متوقّعا في التحذير والتنسيق للحدّ من الأزمة، ومنظمة الصحة العالمية، وأدائها خلال الأزمة ربما كانت أوضح الأمثلة.
- مزيد من الانكفاء إلى الداخل وتراجع القضايا الدولية ذات الاهتمام المشترك.
- تقوية مفهوم الحكومة المركزية وتعزيز قبضة الحكومات دونما معارضة.
- قوة الروح الإنسانية ونجاحها في مواجهة الخطر.
- المنتصر في الحرب ضد الكورونا هو الذي سيكتب التاريخ، ويحدّد المستقبل بشكلٍ كبيرٍ.
- سيكون العالم: أقلّ انفتاحاً، أقلّ حُرِيَّةً، وأكثر فقراً.

قائمة المصادر:

باللغة العربية:

* عمرو حمزاوي، عودة الدولة في زمن الكورونا، ٧ نيسان ٢٠٢٠ (مركز كارنيغي للشرق الاوسط)) على الموقع:

www.https://Carnegie – mec.org *

باللغة الانجليزية:..

* Brands. Hal, Don't Let Great Powers Carve Up the WorldSpheres of Influence Are Unnecessary and Dangerous , “Foreign Affairs.Apr” ٢٠٢٠.

* Fisher.Joschka, The Future of Global Power, “Geopolitical Futures”, May٢٥,٢٠٢٠.

* Fisher. Joschka, The Virus that Changed the World Apr ٢٩,٢٠٢٠, “Project Syndicate” Apr ٢٩,٢٠٢٠..

* [Friedman,George](#), Power and the Rise and Fall of Nations, “Geopolitical Futures”, May٢٠٢٠,٥.

* Garret. Lauri, A Dramatic New Stage in Global Capitalism, in: “How the World Will Look After the Coronavirus Pandemic” “ForeignPolicy”, Mar٢٠٢٠.

* Gvosdev. Nikolas K, Why the Coronavirus Won't Transform International Affairs Like ١١/٩ Did”National



Interest”, May ٢٠٢٠ , ٥.

Haas. Richard N.s, More Failed States , in: “How -
the World Will Look After the Coronavirus Pandemic”
..”Foreign Policy”,Mar٢٠٢٠

How the World Will Look After the Coronavirus” -
.Pandemic” ,”Foreign Policy”,Mar٢٠٢٠

Hunter [Robert E](#) , What will change and remain -
world,” Responsible ١٩-the same in a post-COVID
.٢٠٢٠ Statecraft”,Apr

Ikenberr. G. John y, Democracies Will Come out -
of Their Shell, in: “How the World Will Look After the
.Coronavirus Pandemic” ,”Foreign Policy”,Mar٢٠٢٠

. , The Coronavirus Pandemic Will Forever Alter -
.the World Order.”Wall Street Journal”, April 3, 2020

Malley.Robert The International Order After -
.٢٠٢٠ ,٢٤ Project Syndicate”, Apr“١٩-COVID

Menon. Shivshankar, This Pandemic Can Serve a -
Useful Purpose , in: “How the World Will Look After the
.Coronavirus Pandemic” ,”Foreign Policy”,Mar2020

Niblett. Robin, The End of Globalization as -
We Know It, in: “How the World Will Look After the
.Coronavirus Pandemic”,”Foreign Policy”,Mar2020

Nye. Joseph s. Jr.American Power Will Need -

a New Strategy, in: “How the World Will Look After the
.Coronavirus Pandemic ,”Foreign Policy”,Mar٢٠٢٠.

O’Neil K .Shannon, Lower Profits, but More -
Stability , in: “How the World Will Look After the
.Coronavirus Pandemic”,”Foreign Policy”,Mar٢٠٢٠.

.Reuter News Agency”,may٢٨,٢٠٢٠”-

Rudd. Kevin, The Coming Post-COVID Anarchy, -
.“Foreign Affairs”, Mar٦,٢٠٢٠.

Schake. Kori, The United States Has Failed the -
Leadership Test, in: “How the World Will Look After the
.Coronavirus Pandemic”,”Foreign Policy”,Mar2020

Walt M.Stephen, A World Less Open, Prosperous,-
and Free

in: “How the World Will Look After the ,
.CoronavirusPandemic”,”Foreign Policy”,Mar2020





الاقتصاد في زمن كورونا التحديات والاستراتيجيات

نبيل سديري^(١)

جامعة الحسن الأول - كلية الحقوق سطات - المغرب

nabilsdairi@gmail.com

ملخص:

تترك الأوبئة تأثيرا على النمو الاقتصادي، ففي حالة كورونا على سبيل المثال، تعتبر ووهان من أهم المدن الصناعية، وتسبب انتشار الفيروس في إغلاق المصانع وإيقاف حركة الاقتصاد، مما كبد المدينة خسائر اقتصادية هائلة وكذلك الشأن بالنسبة لباقي الدول الأوروبية وأمريكا وإفريقيا، وقد تأثرت بورصة شانغهاي، حيث تراجعت بنسبة ٨٪، كما تراجع النمو الاقتصادي في الصين بحوالي ٠,٢٪ في الربع الأول من ٢٠٢٠ بسبب كورونا، ومن المتوقع أن تبلغ قيمة الخسائر ٦٢ مليار دولار، كما توقع خبراء أن يتكبد الاقتصاد العالمي خسائر تفوق ١٦٠ مليار دولار بسبب الفيروس.

وتعتمد عمليات التخطيط على تقدير المواقف وتشخيص الواقع ودراسة التاريخ والتفكير العميق بعد التحليل الجذري لكل مشكلة يمكنها أن تنتج عن الجائحة، مما يتطلب عمليات التخيل الذهني إلى أين ستصل هذه الجائحة، وذلك مرتبط بطبيعة السياسات التي تتخذها الدولة على الصعيد الاقتصادي ومحاربة حالة الكساد والبحث عن التمويل

(١) باحث بسلك الدكتوراه تخصص القانون العام والعلوم السياسية جامعة الحسن الأول كلية الحقوق سطات مقالات وطنية ودولية
مداخلات وطنية ودولية اللغات، الفرنسية، الإنجليزية، الروسية



المناسب لمواجهة هذا الفيروس، فالإجراءات الحالية التي اتخذها بعض الحكومات في وقف الحياة لمدة زمنية لحين السيطرة على الفيروس يتطلب من الدولة رصد الموازنات الطارئة لاستدامة التدفق الاقتصادي والسيولة المالية بغية الحد من الخسائر الاقتصادية الواقعة على القطاع الخاص والحكومات والدول الصاعدة أو النامية، إن الدروس التي يجب استخلاصها أنه لا أحد يتوفر على سيناريو فعال لتدبير هذه الأزمة الاقتصادية.

مقدمة:

في ذروة التنافس التجاري والعقوبات المتبادلة بين الصين وأمريكا ظهر فيروس كورونا في دجنبر الماضي في الصين، وتحديدًا في مقاطعة «ووهان» المعقل الصناعي الأضخم في الصين، متسببًا بانخفاض كبير في الإنتاج، وتوقيف العديد من المصانع وحركة المواصلات نتيجة الإجراءات التي فرضتها السلطات في محاولة للحد من انتشار وتقليل الخسائر المترتبة عليه لكنها أخفقت في محاصرته، وهو ما تسبب في انتشاره في أغلب دول العالم وقد تجاوز عدد المصابين به حتى منتصف ٢١ مارس ربع مليون على مستوى العالم، وتواصل جائحة فيروس كورونا (كوفيد ١٩) إلحاق خسائر فادحة ومتزايدة في الأرواح في مختلف بلدان العالم، وحتى يتسنى حماية الأرواح وإتاحة الفرصة لنظم الرعاية الصحية لكي تواكب الأزمة، كان من الضروري اللجوء إلى عمليات العزل والحظر العام والإغلاق واسع النطاق لإبطاء انتشار الفيروس، وبالتالي تتمخض الأزمة الصحية عن انعكاسات حادة على النشاط الاقتصادي فنتيجة لهذه الجائحة، من المتوقع أن يشهد الاقتصاد العالمي انكماشًا حادًا بواقع -3% في عام ٢٠٢٠، وهو أسوأ بكثير مما ترتب على الأزمة المالية العالمية في ٢٠٠٨/٢٠٠٩، وفي أحد السيناريوهات الأساسية، الذي يفترض انحصار الجائحة في النصف الثاني من عام ٢٠٢٠، وإمكانية تخفيف جهود الاحتواء بالتدرج،

من المتوقع أن ينمو الاقتصاد العالمي بمعدل ٥,٨٪ في ٢٠٢١ مع موعد النشاط الاقتصادي إلى طبيعته، بمساعدة الدعم المقدم من السياسات^(١).

باغتت جائحة كوفيد-١٩ العالم وهو يواجه الفعل آفاقاً ضعيفة للنمو العالمي، مع انخفاض التضخم وأسعار الفائدة الاسمية، ورفعت الجائحة ضرورة التحرك من خلال سياسة المالية العامة إلى مستوى غير مسبق، وقد تكثفت التكلفة الإنسانية للجائحة بمعدل مروع، ومن المتوقع أن يكون لها تأثير جسيم على الناتج والماليات العامة وينبغي أن تكون استجابات الحكومات سريعة ومنسقة ومتماشية مع حدة الأزمة الصحية، مع قيام أدوات المالية العامة بدور أساسي في هذا الخصوص، وتتطلب الأولوية الأولى، وهي إنقاذ الأرواح، الاستجابة الكاملة لاحتياجات الإنفاق على عمليات الاختبار والعلاج، الأمر الذي يدعو إلى تنسيق الجهود العالمية، بما في ذلك دعم البلدان ذات القدرات المحدودة في المجال الصحي، عن طريق المنح والتمويل الميسر وإيجاد لقاح منخفض التكلفة لكل بلدان العالم^(٢)، ويتطلب إنقاذ الأرواح أيضاً مراعاة التباعد الاجتماعي، وهو مكون أساسي في الحماية الجماعية محلياً وعالمياً، مما يفرض تكاليف أكبر عن طريق خفض الناتج والإيرادات الضريبية، والحاجة إلى حماية الأفراد والشركات الأكثر تضرراً، ويمكن تحقيق هذا الهدف باتخاذ إجراءات كبيرة مؤقتة توجه إلى المستحقين في الوقت المناسب، كالإجازات المرضية والعائلية التي تمولها الحكومة، وتحويلات المساعدة، وإعانات البطالة، ودعم الأجور، وتأجيل المدفوعات الضريبية، وبالمثل يمكن أن يؤدي إلى دعم سيولة الشركات إلى تخفيض مخاطر الإفلاس.

الفرضية الأولى: مدى فعالية السياسات الاقتصادية والسياسية في

(١) تقرير آفاق الاقتصاد العالمي، الموقع الرسمي لصندوق النقد الدولي، www.imf.org.

(٢) تقرير الرائد المالي، صندوق النقد الدولي، أبريل ٢٠٢٠، www.org.imf.org ٢٣/٠٥/٢٠٢٠ على الساعة ١٥ ونصف زوالاً.

الحد من أزمة كورونا والرجوع إلى العهد السابق من الحياة الطبيعية على المستوى الاقتصادي والمبادلات التجارية.

الفرضية الثانية: الآثار الاقتصادية ستستمر رغم القضاء على الفيروس نظرا للآثار السلبية البليغة التي عرفها الاقتصاد العالمي، لا بد من الوقت حتى يتعافى الاقتصاد وترجع الأمور لعادتها الطبيعية.

من خلال ما سبق نطرح الإشكالية التالية:

ما مدى نجاعة الاستراتيجيات الاقتصادية في الحد من الآثار السلبية على الاقتصاد العالمي وآليات المواجهة لتحقيق التوازنات الاقتصادية العالمية؟

ويتفرع عن الإشكالية سؤالين اثنين:

ما هي التحديات الاقتصادية التي تواجه العالم في ظل أزمة كورونا؟

وما هي الاستراتيجيات الاقتصادية للحد من الآثار السلبية على الاقتصاد العالمي؟

وللإجابة على السؤالين نقسم الموضوع إلى محورين :

المحور الأول: التحديات الاقتصادية في أزمة كورونا

المحور الثاني: الاستراتيجيات الاقتصادية للحد من أزمة كورونا

ولدراسة الموضوع نعتمد المنهج التاريخي لذكر التطورات التي جاءت فيها أزمة كوفيد-١٩، والمنهج التحليلي الوصفي بتحليل المعطيات الاقتصادية لاستخلاص النتائج لبلورة آليات مواجهة كوفيد-١٩.

المحور الأول: التحديات الاقتصادية في أزمة كورونا

إن هذه الأزمة منقطعة النظير لأن هناك أزمة كبيرة من المرجح



أن تتضاءل الخسائر التي أشعلت فتيل الأزمة المالية العالمية أمام خسائر الناتج المصاحبة لهذا الطارئ الصحي وإجراءات الاحتواء المرتبطة به، ثانياً على غرار أي حرب أو أزمة سياسية هناك عدم يقين شديد ومستمر بشأن مدة الصدمة ودرجة حدتها، ثالثاً في ظل الظروف الراهنة هناك دور مختلف تماماً للسياسة الاقتصادية، ففي الأزمات العادية يسعى صناع السياسات إلى تشجيع النشاط الاقتصادي عن طريق تحفيز الطلب الكلي بأسرع وقت ممكن، أما هذه المرة فمعظم الأزمة يرجع إلى تبعات إجراءات الاحتواء اللازمة، مما يزيد من صعوبة تحفيز النشاط، ويجعله أمراً غير مرغوب على الأقل بالنسبة للقطاعات الأكثر تضرراً^(١)، ومن المرجح أن يمر الاقتصاد العالمي هذا العام بأسوأ ركود تعرض له منذ سنوات «الكساد الكبير»، متجاوزاً في ذلك كل تداعيات الأزمة المالية منذ ١٠ سنوات، فمن المتوقع أن يتسبب «الإغلاق العام الكبير» في انكماش النمو العالمي بشدة، ومن المتوقع حدوث تعاف جزئي في عام ٢٠٢١، حيث يصبح النمو أعلى من معدلات الاتجاه العام، ولكن على مستوى إجمالي الناتج المحلي سيظل أدنى من الاتجاه العام في فترة ما قبل الفيروس، مع قدر كبير من عدم اليقين حول مدى «قوة التعافي»، ومن الممكن أن تكون نتائج النمو أسوأ بكثير وسيحدث هذا إذا استمرت الجائحة وإجراءات الاحتواء مدة أطول، أو وقع ضرر أكثر حدة على اقتصادات الأسواق الصاعدة والاقتصادات النامية، أو استمر تشديد الأوضاع المالية، أو إذا ظهرت آثار غائرة واسعة النطاق بسبب إغلاق الشركات واستمرار البطالة

أولاً: على مستوى الاتحاد الأوروبي

مثلما ينشر فيروس «كورونا» المعاناة البشرية في كافة أنحاء العالم،

(١) تقرير آفاق الاقتصاد العالمي، الموقع الرسمي لصندوق النقد الدولي، www.imf.org ٢٣/٠٥/٢٠٢٠ على الساعة ١٥ ونصف زوالاً.

فإنه ينشر كذلك المعاناة الاقتصادية، فهو ليس فيروسا معديا على المستوى الطبي فقط ولكنه معد اقتصاديا أيضا، ففي ٤ مارس ٢٠٢٠ قالت «المفوضية الأوروبية» إن إيطاليا وفرنسا معرضتان لخطر الانزلاق إلى الركود، وقال صندوق النقد الدولي إنه يرى أن الاقتصاد العالمي يتجه إلى مسارات أكثر خطورة، وهو الأمر الذي يطرح بدوره عدة أسئلة: كيف وإلى أي مدى وبأي سرعة سوف ينتشر الضرر

الاقتصادي؟ وإلى متى سيستمر الضرر

؟ وماهي آليات العدوى الاقتصادية؟ وفوق كل شيء ما الذي يمكن للحكومات أن تفعله حيال ذلك؟، حاول عدد من خبراء الاقتصاد الإجابة على تلك الأسئلة، واستكشف مستقبل العالم العالمي في ظل انتشار فيروس كورونا، وذلك عبر أوراق بحثية وتقديرات^(٢).

ثانيا: الأسواق المالية والاستثمار

مع مطلع العام الجديد بدأ الاقتصاد العالمي في طريقه إلى انتعاش جيد، وأنه لن يتأثر بشدة بتلك التوترات التجارية والسياسية التي كانت جارية حينئذ، فكانت الأسواق المالية متعشة وتوقعات النمو متفائلة، كل هذا تحول بعد انتشار فيروس كورونا في معظم دول العالم، حيث تضررت الأسهم العالمية حيث يتم شراء وبيع أسهم الشركات، أن تؤثر على العديد من الاستثمارات، خاصة المعاشات التقاعدية أو حسابات التوفير الفردية، وشهدت مؤشرات FTSE وداو جونز الصناعي «ونيكى» انخفاضات هائلة منذ بداية تفشي الوباء في ٣١ دجنبر، وحقق مؤشرا «داو وجونز و FTSE» أكبر انخفاض لهما في يوم واحد منذ ١٩٨٧، ويخشى المستثمرون من أن يؤدي تفشي وباء كورونا إلى تدمير النمو الاقتصادي، وألا تكون الإجراءات الحكومية كافية لوقف التراجع، واستجابة لهذا الوضع قررت البنوك

(٢) محمد محمود السيد، الصدمات الخمس للاقتصاد العالمي جراء كورونا، مركز أبحاث السياسات الاقتصادية، مارس ٢٠٢٠، على موقع www.futureuae.com تم الأطلاع ٢٣/٠٥/٢٠٢٠ على الساعة 09h05..

المركزية في العديد من الدول خفض أسعار الفائدة، ومن المفترض أن تؤدي هذه الخطوة نظرياً إلى تقليل تكلفة الاقتراض، وبالتالي تشجيع الإنفاق ثم تعزيز حالة الاقتصاد، كما شهدت الأسواق العالمية تعافياً بعد أن أقر مجلس الشيوخ الأمريكي مشروع قانون المساعدات المالية لمواجهة وباء كورونا بقيمة ٢ تريليون دولار لمساعدة العمال والشركات، لكن مع هذا حذر بعض المحللين من أن الأسواق قد تشهد تقلباً إلى أن يتم احتواء الوباء^(١)، ووصل عدد الأشخاص الذين تقدموا بطلبات للحصول على إعانة البطالة إلى مستوى قياسي في الولايات المتحدة، مما يشير إلى نهاية عقد من التوسع الاقتصادي في العالم، وتسيطر حالة عدم اليقين حول عمر الأزمة الاقتصادية الراهنة التي تسبب فيها فيروس كورونا، فمن الواضح أن هذه الصدمة الاقتصادية يمكن أن تسبب آلاماً طويلة، وربما تترك ندوباً عميقة أكبر بكثير من الأوبئة الأخرى التي كانت تظهر بعد الحروب الكبرى، هذا الوباء مختلف من الناحية الاقتصادية، لأنه ضرب بشدة الدول الاقتصادية الكبرى، فالدول الأكثر تضرراً تشمل مجموعة G7، بالإضافة إلى الصين. ورغم تغير البيانات الطبية كل ساعة إلا أنه اعتباراً من ٥ مارس ٢٠٢٠، كانت الدول العشر الأكثر تضرراً من فيروس كورونا مطابقة تقريباً لقائمة أكبر عشر اقتصاديات في العالم، وتأتي الولايات المتحدة والصين واليابان وألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا ضمن العشر الأوائل الأكثر تأثراً بالمرض^(٢).

ثالثاً: القوى الاقتصادية العالمية

ولكي ندرك حجم الكارثة، وإذا أخذنا فقط الولايات المتحدة والصين واليابان وألمانيا وفرنسا وإيطاليا، فسنجد أنهم يمثلون ٦٠٪ من

(١) لورا جونز-ديفيد براون-دانيل بالمبو، فيروس كورونا: دليل تداعيات الوباء على الاقتصاد العالمي، على موقع بي بي سي نيوز، www.bbc.com ٢٣/٥/٢٠٢٠ على الساعة الثامنة صباحاً.

(٢) حمد محمود السيد، الصدمات الخمس للاقتصاد العالمي جراء كورونا، مركز أبحاث السياسات الاقتصادية، مارس ٢٠٢٠، على موقع www.futureuae.com تم الأطلاع ٢٣/٥/٢٠٢٠ على الساعة 09h05..

العرض والطلب العالميين (الناتج المحلي الإجمالي)، و٦٥٪ من التصنيع العالمي و٤٪ من الصادرات الصناعية العالمية، وتعتبر أحد المحللين الاقتصاديين فإنه: «عندما تعطس هذه الاقتصادات، ستصاب بقية دول العالم بالبرد»، فهذه الاقتصادات ستصاب، خاصة الصين وكوريا واليابان وألمانيا والولايات المتحدة، هي جزء من سلاسل القيمة العالمية، لذا فإن أزماتها ستنتج عدوى «سلسلة التوريد» في جميع الدول تقريباً^(٣)، لذا من المرجح أن يتضرر قطاع التصنيع العالمي.

رابعاً: الصدمات الاقتصادية العالمية

هناك مظاهر عدة للصدمات الاقتصادية التي يواجهها العالم حالياً بسبب هذا الوباء، ومن المرجح أن تستمر لأسابيع وشهور مقبلة، أولى هذه الصدمات هي القائمة على معتقدات الناس، حيث أن حالة الذعر التي تنتشر بين الناس بسبب انتشار الفيروس، وعدم ثقتها في السياسات والقرارات الحكومية، قد يدفعهم إلى انتهاج ما يعرف بـ«سلوك القطيع»، حيث تنتشر الفوضى، ويتكالب الناس على شراء المواد الاستهلاكية، وسحب أموالهم من البنوك، وهو ما قد يقوض بعض الاقتصادات إلى كوارث محققة.

ويتمثل ثاني مظاهر الصدمة في انخفاض العرض وانكماش الإنتاجية، حيث أغلقت السلطات والشركات في العديد من الدول أماكن العمل والمدارس، فقد أمرت العديد من الشركات اليابانية الكبيرة موظفيها بالعمل من المنزل منذ أواخر فبراير، وهو الحال في معظم دول العالم، فمن منظور اقتصادي، فإن عمليات الإغلاق وحظر السفر تقلل الإنتاجية بشكل مباشر، بطريقة تشبه الانخفاض المؤقت في التوظيف، حيث تعرضت صناعة الطيران لأضرار بالغة، مع تراجع حركة

(٣) حمد محمد السيد، الصدمات الخمس للاقتصاد العالمي جراء كورونا، مركز أبحاث السياسات الاقتصادية، مارس ٢٠٢٠، على موقع www.futureuae.com تم الأطلاع ٢٣/٠٥/٢٠٢٠ على الساعة 05h27..



الطائرات، وخفضت شركات الطيران الرحلات الجوية، وألغى المسافرون حجوزات رحلات العمل والعطلات، كما فرضت الحكومات حول العالم قيوداً على السفر في محاولة لاحتواء الوباء، وحظر الاتحاد الأوروبي دخول المسافرين القادمين من خارج دول الاتحاد لمدة ٣٠ يوماً والتي قد تتمدد في خطوة غير مسبوقه لإغلاق حدوده بسبب وباء كورونا، وفي الولايات المتحدة الأمريكية منعت إدارة «ترامب» دخول المسافرين القادمين من المطارات الأوروبية إلى الأراضي الأمريكية، وتكشف البيانات المستمدة من خدمة تتبع الرحلات الجوية، أن عدد الرحلات التجارية على مستوى العالم قد تأثر سلباً بشكل كبير، كما أعرب خبراء صناعة السفر في بريطانيا عن مخاوفهم بشأن عدم استقبال السياح الصينيين، فخلال ١٢ شهراً انتهت في شتبر ٢٠١٩ زار بريطانيا حوالي ٤١٥ ألف صيني، وينفق المسافرون الصينيون ثلاثة أضعاف ما ينفقه أي زائر أو سائح آخر في بريطانيا بمتوسط ١٦٨٠ جنيه استرليني في كل زيارة^(١)، فقد تشهد المدن التي تعتمد على السياحة في توفير قدر كبير من دخلها هبوطاً في تكلفة المعيشة، بسبب انكماش الاقتصاد وهبوط الأسعار، في حال تراجع أعداد السائحين، وهكذا جاءت التوقعات الخاصة بوحدة المعلومات بمجلة «الايكونومست» التي ترصد تكاليف المعيشة حول العالم، وقد أنهت تقريرها السنوي حول تكلفة المعيشة في العالم ٢٠٢٠ في شهر نونبر ٢٠١٩، قبل الانتشار الوبائي لفيروس كورونا، لذا من المرجح أن يكون التقرير القادم مختلفاً تماماً^(٢)، وقال «سيمون بابتيست»، كبير خبراء الاقتصاد بوحدة المعلومات بمجلة الإيكونومست: «يرجح أن تشهد المدن التي تعتمد على السياحة هبوطاً في الأسعار، لذا أتوقع ألا تتمكن سنغافورة وهونغ كونغ من الاحتفاظ بالصدارة في قائمة الدول الأكثر غلاء في

(١) لورا جونز-ديفيد براون-دانيال بالمبو، فيروس كورونا: دليل تداعيات الوباء على الاقتصاد العالمي، على موقع بي بي سي نيوز، com.bbc.WWW ٢٣/٥/٢٠٢٠ على الساعة الثامنة صباحاً.

(٢) فيروس كورونا: خريطة المدن الأكثر غلاء في العالم قد تتغير بسبب التأثيرات الاقتصادية، على موقع بي بي سي نيوز، com.bbc.WWW ٢٣/٥/٢٠٢٠ على الساعة الثامنة صباحاً.

المستقبل، وقد نرى مدنا مختلفة تصل إلى تلك القمة».

ويتعلق الأمر الثالث من مظاهر الصدمة بالمدى الزمني والمكاني للأزمة، حيث إن فيروس كورونا ليس أول صدمة يشهدها العالم، فهناك «الصدمة النفطية» في السبعينات من القرن الماضي، وتسونامي تايلاند وزلزال اليابان عام ٢٠١١، لكن كل هذه الصدمات والأزمات كان لها نطاق جغرافي محدد، دون توسع مادي، وكذلك إطار زمني بلغت خلاله الذروة ثم توقفت، إلا أن فيروس كورونا أثبت أنه قابل للسيطرة، فهو ينتشر في كافة بقاع العالم ليترك آثار الصدمة على معظم الاقتصاديات، وكذلك ليس هناك إطار زمني واضح من المحتمل أن ينتهي خلاله هذا الوباء، وبالتالي هناك حالة من عدم اليقين حول حجم الآثار الاقتصادية المحتمل وقوعها في كافة أنحاء العالم، وهو الأمر الذي قد يولد بدوره سياسات وردود فعل كارثية التأثير.

ويرتبط رابع مظاهر الصدمة بسلسلة التوريد، فاعتبارا من أوائل مارس ٢٠٢٠، كان وباء كورونا متمركزا في الصين، وكانت بجانب اليابان وكوريا، أكثر الدول تضررا وبالنظر إلى مركزية هذه الدول في سلاسل التوريد العالمي، وتلقي قطاع التصنيع صدمات قوية في آسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية، خاصة في ظل التأثير الواضح للوباء على دول مثل ألمانيا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة.

ويظهر خامس مظاهر الصدمة في جانب الطلب، والذي من المتوقع أن يتقلص بشكل كبير، حيث أن حظر التجوال وتقييد حركة المواطنين والسفر سيقلل من حجم الطلب على السوق بنسبة ما، وذلك على مستوى المستهلكين، أما على مستوى المستثمرين، فستسود حالة من الحذر والترقب، التي ستمنعهم من ضخ أي أموال في مشروعات أو استثمارات جديدة^(٣).

(٣) حمد محمود السيد، الصدمات الخمس للاقتصاد العالمي جراء كورونا، مركز أبحاث السياسات الاقتصادية،



وستؤدي فاشية كوفيد-١٩ وعواقبها المالية والاقتصادية إلى زيادة كبيرة في عجز المالية العامة ونسب الدين العام مقارنة بالتوقعات السابقة، فمع هبوط الناتج تراجع الإيرادات بمجدة أكبر إذ يتوقع السيناريو الأساسي لعام ٢٠٢٠ أن تقل الإيرادات بنسبة 2.5% من إجمالي الناتج المحلي العالمي عن التوقعات الواردة في عدد أكتوبر^(١) ٢٠١٩، وستقع على المالية العامة تكاليف مباشرة أيضا بسبب المصروفات الصحية الضرورية والإجراءات المتعلقة بالضرائب والإنفاق لدعم الأفراد والشركات، وتقدر هذه التكاليف حاليا بنحو ٣,٣ تريليون دولار على مستوى العالم، وبالإضافة إلى ذلك بالرغم من أن قروض القطاع العام وعمليات ضخ رؤوس الأموال المساهمة (١,٨ تريليون دولار أمريكي) والضمانات وغيرها من الالتزامات الاحتمالية (٢,٧ تريليون دولار أمريكي) يمكن أن تدعم المؤسسات المالية وغير المالية، فإنها تخلق مخاطر على المالية العامة في نفس الوقت.

وسيتعين التعامل مع صدمات الأزمة على مرحلتين: مرحلة الاحتواء وتحقيق الاستقرار تليها مرحلة التعافي، وفي كلا المرحلتين هناك دور حاسم لكل من الصحة العامة والسياسات الاقتصادية، وتكتسب عمليات الحجر الصحي والإغلاق العام والتباعد الاجتماعي أهمية حاسمة في إبطاء انتقال العدوى، مما يعطي نظام الرعاية الصحية وقتا كافيا للتعامل مع طفرة الطلب على خدماته وإمهال الباحثين وقتا كافيا لمحاولة إيجاد أدوية ولقاح، ويمكن أن تساعد هذه الإجراءات على تجنب ركود النشاط الاقتصادي بصورة أشد وأطول أمدا وتهيئة السبيل لتعافي الاقتصاد^(٢).

مارس ٢٠٢٠، على موقع www.futureuae.com تم الاطلاع ٢٣/٠٥/٢٠٢٠ على الساعة 06h00..

(١) تقرير الرائد المالي، صندوق النقد الدولي، أبريل ٢٠٢٠، www.imf.org ٢٣/٠٥/٢٠٢٠ على الساعة ١٥ ونصف زوالا.

(٢) تقرير آفاق الاقتصاد العالمي، الموقع الرسمي لصندوق النقد الدولي، www.imf.org ٢٣/٠٥/٢٠٢٠ على الساعة ١٥ ونصف زوالا.

يمكن اعتبار أن كافة التدفقات الاقتصادية عبر الحدود هي قنوات عدوى للمخاطر والكوارث الاقتصادية المرتبطة بانتشار فيروس كورونا، من بضائع، وخدمات، وأشخاص، ورأس مال، واستثمار أجنبي، ومصارف دولية، على مستوى البنوك يرجح العديد من الخبراء أن القطاع المصرفي قد تعلم من درس الأزمة المالية ٢٠٠٨، وأصبح من غير المرجح أن يكون ناقلاً رئيسياً للعدوى، حيث أصبحت الاحتياطات أعلى والنظام المصرفي بشكل عام أكثر أماناً، ولكن تظل هناك مخاوف من تأثير الصدمات والتوقعات السلبية، التي قد تدفع المواطنين لحالة من الذعر في تعاملها مع البنوك، وكذلك قد تدفع المواطنين لحالة من الذعر في تعاملها مع البنوك، وكذلك قد تدفع حالة الركود بعض الشركات إلى الإفلاس والتخلف عن سداد القروض والأقساط للبنوك، وهو ما قد يتسبب في أزمة حقيقية حال توسع نطاق تأثيره^(٣). كما ستتضرر مجموعة من القطاعات الصناعية والمصرفية وتتمثل في :

١. القطاع المصرفي والمالي

ويتمثل الخطر الأكبر في القطاع المالي غير المصرفي، فالشركات هي الأكثر عرضة للخطر إذا تدهورت حالة الثقة والسيولة، ويتنبأ الخبراء بمشاكل مالية ضخمة، حيث يتعين على الشركات دفع الديون والأجور، ويتعين على الناس دفع أقساط الرهن العقاري أو دفع الإيجارات، وإذا تركت وحدها جون مساعدات، فيمكن أن تكون هناك موجة ضخمة من الإفلاس التي قد تؤدي إلى كارثة مالية. ولكن أغلب المحللين ركزوا على انتقال عدوى إغلاق المصانع وكساد بعض الصناعات بين الدول، فالدول المنكوبة ستتقلص صادراتها بشكل كبير، وهو ما سيؤثر على القطاع الصناعي في دول أخرى تعتمد على الدول المنكوبة في إمداداتها

(٣) حمد محمد السيد، الصدمات الخمس للاقتصاد العالمي جراء كورونا، مركز أبحاث السياسات الاقتصادية، مارس ٢٠٢٠، على موقع www.futureuae.com تم الأطلاع ٢٣/٠٥/٢٠٢٠ على الساعة 06h08.



الصناعية، وبمنظرة أكثر تفصيلاً، سنجد أن الشركات الصناعية داخل الدول الثلاث الكبرى في شرق آسيا (الصين، وكوريا الجنوبية، واليابان) تزود الولايات المتحدة الأمريكية بأكثر من ٢٥٪ من وارداتها الصناعية بشكل عام، وترتفع هذه النسبة لأكثر من 50٪ عند الحديث عن قطاع الكمبيوتر والالكترونيات^(١). فعلى سبيل المثال هناك مقاطعة في الصين تسمى «هوي»، يطلق عليها «وادي البصريات»، نظرا العديد من الشركات التي تصنع مكونات الألياف البصرية هناك ظن حيث يوجد في المقاطعة ما يقرب من ربع كابلات وأجهزة الألياف الضوئية في العالم، مقاطعة «هوي» أيضا موقع لمصانع تصنيع الرقائق الدقيقة المتقدمة للغاية، والتي تصنع منها رقائق الذاكرة المحمولة المستخدمة في الهواتف الذكية على سبيل المثال ومن المتوقع أن انتشار الوباء في «هوي» فقط، يمكن أن يخفض 10٪ من الشحنات العالمية للهواتف الذكية.

٢. قطاع السيارات والطيران

إن قطاع السيارات وخاصة في شرق آسيا، قد تعطل بالفعل بسبب التمزقات في سلاسل التوريد الدولية. على سبيل المثال أجبر نقص الأجزاء القادمة من الصين شركة «هونداي» الكورية لصناعة السيارات على إغلاق جميع مصانع السيارات في كوريا، كذلك أغلقت شركة «نيسان» اليابانية مصنعا في اليابان مؤقتا، وقد وصلت الصدمة إلى أوروبا، حيث حذرت شركة Fiat-chrysler من أنها قد توقف قريبا الإنتاج في أحد مصانعها الأوربية^(٢). ويتوقع الخبراء أنه في حال احتواء الوباء قريبا، فسيتباطأ نمو الاقتصاد العالمي بنسبة 0.5٪ فقط خلال عام ٢٠٢٠، وسيرتفع تلك النسبة إلى 5٪ في

(١) حمد محمود السيد، الصدمات الخمس للاقتصاد العالمي جراء كورونا، مركز أبحاث السياسات الاقتصادية، مارس ٢٠٢٠، على موقع www.futureuae.com تم الأطلاع ٢٣/٠٥/٢٠٢٠ على الساعة 06h18..

(٢) حمد محمود السيد، الصدمات الخمس للاقتصاد العالمي جراء كورونا، مركز أبحاث السياسات الاقتصادية، مارس ٢٠٢٠، على موقع www.futureuae.com تم الأطلاع ٢٣/٠٥/٢٠٢٠ على الساعة 06h32..

حالة السيناريو الأسوأ، وهو انتشار الوباء على نطاق أوسع في نصف الكرة الشمالي، حينئذ ستكون اليابان هي أكثر دول العالم تضرراً، حيث ستخسر حوالي 10% من الناتج المحلي الإجمالي لديها، تليها ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية بخسائر تبلغ حوالي 8%.

من جراء إجراءات الحجر الصحي بغية مكافحة تفشي الفيروس، تأثرت قطاعات اقتصادية بشكل كبير، خصوصاً قطاع الطيران والسياحة وأسواق الأسهم والنفط، ووفقاً لتقرير «أونكتاد» فمن المتوقع أن تنكمش صادرات الصين من قطع الغيار والمكونات الحيوية لمنتجات تتراوح بين السيارات والهواتف الخلوية بنسبة 2% على أساس 20% من التجارة العالمية في المنتجات الوسيطة تأثرت ٧٥ دولة، وتعد دول الاتحاد الأوروبي المتضرر الأكبر من تفشي هذا الفيروس، حيث بلغ خسارته قرابة ١٥,٦ مليار دولار، في حين تضررت اليابان بنسبة ٥,٢ مليارات دولار، وكوريا الجنوبية بنسبة ٣,٨ مليارات دولار، وتايوان بنسبة ٢,٧ مليار دولار، وفيتنام بنسبة ٢,٣ مليار دولار^(٣).

وقد تلقت صناعة السيارات ضربة موجعة من فيروس كورونا بعد إغلاق عدة مصانع في الصين في يناير وفبراير، يظهر الإنتاج في هذا القطاع تعافياً تدريجياً ليقترّب من مستويات ما قبل الفيروس، وقد يؤدي هذا التعافي إلى المزيد من التراجع في أسعار السيارات، إذ يتراكم المخزون من تلك السيارات لدى المصنعين والوكلاء، وقالت «آنا نيكول»، مديرة شؤون القطاعات الاقتصادية في وحدة المعلومات بمجلة الاكونوميست: «بمجرد بدء تعافي الطلب، نتوقع أن تتراجع أسعار السيارات وسط محاولات من المصنعين والوكلاء تعويض ما فقدوا من عائدات، وفي بعض الدول والمناطق التي تعتمد على صناعة السيارات،

(٣) مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، تقدير موقف، تأثيرات كورونا على التنافس الاقتصادي بين الصين وأمريكا، ٢٠٢٠، ص ٨.



بصفة أساسية سوف يؤدي الدعم الذي توفره الحكومات لصناع السيارات إلى المزيد من انخفاض الأسعار، وأضافت أن المستهلكين سوف يتجهون إلى السيارات ذات العلامات التجارية الراسخة التي يقل تعرضها للاضطرابات، وذلك لضمان توافر قطع الغيار ومستلزمات التشغيل^(١)، وتوقعت وحدة المعلومات بمجلة «الايكونوميست» أن ترتفع تكلفة المعيشة في بعض المدن بسبب الإجراءات التي تستهدف الحد من انتشار فيروس كورونا من زيادة النفقات العامة للشركات. يتضح من خلال هذا المحور أن الأضرار ستكون بليغة في ظل أزمة كورونا والتأثيرات التي ستبعتها بعد القضاء على الفيروس مما يتطلب وقتاً وجهداً كبيراً ووضع استراتيجيات اقتصادية وسياسية لتعافي الاقتصاد العالمي من آثار الأزمة هذا ما سنتطرق له في المحور الثاني.

المحور الثاني: الاستراتيجيات الاقتصادية للحد من أزمة كورونا

على الرغم من كل ما سبق من توقعات، إلا أن حجم الضرر الاقتصادي واستمراره سيتوقف بشكل أساسي على كيفية تعامل الحكومات مع هذا الوباء، حيث أن طبيعة الأزمة الحالية وانتشارها بين مختلف دول وقارات العالم، فرضت خلق روح تعاونية بين مختلف الحكومات مع هذا الوباء، حيث أن طبيعة الأزمة الحالية وانتشارها بين مختلف الحكومات في مواجهة الأزمة، وجعلت من الضروري حدوث عملية تنسيق رفيعة المستوى أثناء عملية صنع القرارات واتخاذها. ويرى الخبراء أن هناك ثلاثة أطر رئيسية يجب أن تمثل عماد استجابة حكومات العالم للتداعيات الاقتصادية المحتملة لانتشار فيروس كورونا، والتي تتمثل في^(٢):

(١) فيروس كورونا: خريطة المدن الأكثر غلاء في العالم قد تتغير بسبب التأثيرات الاقتصادية، على موقع بي بي نيوز، www.bbc.com، ٢٣/٥/٢٠٢٠ على الساعة الثامنة صباحاً.

(٢) حمد محمود السيد، الصدمات الخمس للاقتصاد العالمي جراء كورونا، مركز أبحاث السياسات الاقتصادية، مارس ٢٠٢٠، على موقع www.futureuae.com تم الأطلاع ٢٣/٥/٢٠٢٠ على الساعة ٠٦h42.

أولاً: أن تتخذ البنوك المركزية قراراتها المتعلقة بالسياسة النقدية بناء على تنسيق وتعاون مشترك فيما بينها، وبدلاً من القرارات المنفردة، ففي الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال، فإن خفض سعر الفائدة الطارئة من قبل الاحتياطي الفدرالي لم يجعل الوضع أسهل للبنوك المركزية إلى أنها مستعدة للتدخلات المنسقة، وتوفير السيولة في حال حدوث خلل خطير يؤدي إلى الضغط على الوسطاء الماليين.

ثانياً: نظراً لطبيعة هذه الصدمة، قد تكون الشركات الصغيرة والمتوسطة من بين أكثر الشركات تعرضاً لأزمات السيولة، وبالتالي من المهم توفير التسهيلات لمواصلة إقراض تلك الشركات الصغيرة والمتوسطة.

ثالثاً: لا بد من اتخاذ قرارات اقتصادية تستهدف مساعدة الأشخاص المتضررين من الحجر الصحي ونقص الدخل، كما تم بالفعل في إيطاليا، سواء من خلال تقديم دعم مالي مباشر، أو في هيئة خدمات أساسية مجانية أو ذات أسعار مخفضة، وذلك لمنع الناس من الإفلاس.

وعلى المستوى الأوروبي يقترح الخبراء رفع درجات التضامن والتنسيق بين الدول الأوروبية، مثل تبادل الأدوات الطبية، وفتح المستشفيات لاستقبال مرضى من دول أوروبية أخرى، وإعارة الممرضات والأطباء، وكذلك هناك دعوة لتوسيع «صندوق التضامن الأوروبي»، وهو الذي تم إنشاؤه عام ٢٠٠٢ لدعم الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي في حالات الكوارث الكبيرة، حيث يمكن لهذا الصندوق التدخل لتوفير الإغاثة للمناطق المتضررة خلال الأزمة أو المراحل التالية، ويزعم الخبراء أن تحقيق هذا النمط من التعاون ربما يمنح قبلة الحياة للاتحاد الأوروبي مجدداً، لتكون هذه الأزمة سبباً في تصحيح مسار سياسات القارة العجوز. وقد مرت عشر سنوات على قيام البلدان الأعضاء في الصندوق بزيادة موارده لمساعدة البلدان التي كانت تمر بضائقة مالية أثناء الأزمة العالمية في الفترة ٢٠٠٨-٢٠٠٩، والآن يعود الصندوق إلى الانخراط النشط في

دعم الجهود المبذولة على مستوى السياسات الوطنية للحد من الأضرار الاقتصادية، من خلال تسهيلات الموجهة للإقراض، بما في ذلك التمويل الطارئ الذي يقوم على الصرف العاجل للموارد المطلوبة ومرة أخرى تبادر بلدانه الأعضاء بزيادة موارده من جديد في سياق ما يبدو أنه أزمة أكبر مما شهدناه في العقد الماضي، وستساهم هذه الجهود بالكثير نحو ضمان عودة الاقتصاد العالمي للوقوف على قدم راسخة بعد انحسار الجائحة، وإعادة فتح أماكن العمل والمدارس، وتحسن خلق الوظائف، وعودة المستهلكين إلى الأماكن العامة، وباختصار ضمان إمكانية عودتنا إلى أوضاعنا الاقتصادية المألوفة وتفاعلاتنا الاجتماعية المعتادة التي كنا نعتبرها أمرا مسلما به منذ وقت طويل^(١).

وفي ضوء استجابات السياسات حتى الآن، يتوقع أن تتراجع أرصدة المالية العامة في عام ٢٠٢٠ في كل من البلدان تقريبا، مع حدوث توسع مالي كبير في الولايات المتحدة والصين، وعدة من الاقتصاديات أوروبية وآسيوية أخرى، وبالرغم من أن الزيادة الكبيرة في العجز هذا العام أمر ضروري وملائم بالنسبة لكثير من البلدان، فإن هناك مواطن ضعف يفرضها الوضع المبدئي في بعض الحالات (إذ أن الدين العام العالمي بلغ 83% من إجمالي الناتج المحلي في عام ٢٠١٩)، ويثير الوقف قلقا أكبر في حالة اقتصادات الأسواق الصاعدة والاقتصادات النامية التي تواجه صدمات متعددة تتضمن الجائحة والتدهور المفاجئ في أوضاع التمويل، وضعف الطلب الخارجي، وكذلك انخفاض أسعار السلع الأولية، وحتى بعد جهود المجتمع الدولي لتخفيف هذه القيود التمويلية، فسيكون على هذه البلدان إعادة ترتيب أولويات الإنفاق بالتركيز على القطاع الصحي مع حماية الخدمات العامة الأساسية (النقل والطاقة والاتصالات) والحماية

(١) تقرير آفاق الاقتصاد العالمي، الموقع الرسمي لصندوق النقد الدولي، www.imf.org ٢٣/٠٥/٢٠٢٠ على الساعة ١٦ ونصف زوالا.

الاجتماعية^(٢)، وهناك عدم يقين كبير في الوقت الراهن حول مدى تأثير جائحة كوفيد-١٩ على المالية العامة، وهو أمر لن يرتهن بمدة الجائحة فقط بل يعتمد أيضا على ما إذا كان الاقتصاد سيتعافى بسرعة أم أن الأزمة ستلقي بظلالها لفترة طويلة، ونظرا لأن دعم القطاع العام يتم تقديمه على نطاق استثنائي، بما في ذلك استخدام أدوات كالقروض والضمانات، فإن للشفافية أهمية بالغة في إدارة المخاطر التي تتعرض لها المالية العامة، ومع تقدم البلدان في احتواء الجائحة وإنهاء الاغلاقات، وسيصبح التحفيز المالي المنسق على نطاق واسع، أداة أكثر فعالية في تعزيز التعافي، وسيكون من الملائم أيضا إيقاف العمل بالإجراءات الاستثنائية المطبقة أثناء الأزمة، وبمجرد تعافي الاقتصادات سيصبح من اللازم تحقيق تقدم في ضمان بقاء الدين في حدود يمكن تحملها.

وبينما الاقتصاد في حالة توقف، سيكون على صناع السياسات التأكد من أن الأفراد قادرون على سد احتياجاتهم وأن مؤسسات الأعمال يمكن أن تنتعش من جديد بمجرد مرور المراحل الحادة من الجائحة، ويتطلب هذا إجراءات جوهرية موجهة من خلال المالية العامة والسياسة النقدية والقطاع المالي للحفاظ على الروابط الاقتصادية بين العمالة والشركات والمقرضين والمقترضين، مما يحافظ على سلامة البنية التحتية الاقتصادية والمالية للمجتمع، ففي بلدان الأسواق الصاعدة والبلدان النامية ذات القطاعات غير الرسمية الكبيرة، على سبيل المثال يمكن استخدام التكنولوجيا الرقمية الجديدة لتقديم الدعم الموجه لمستحقيه، ومن المشجع أن صناع السياسات في كثير من البلدان ارتفعوا إلى مستوى هذا التحدي غير المسبوق بالإسراع إلى اعتماد مجموعة واسعة من الإجراءات^(٣).

(٢) تقرير الرائد المالي، صندوق النقد الدولي، أبريل ٢٠٢٠، org.imf.www، ٢٣/٠٥/٢٠٢٠ على الساعة ١٥ ونصف زوالا.

(٣) تقرير آفاق الاقتصاد العالمي، الموقع الرسمي لصندوق النقد الدولي، org.imf.www، ٢٣/٠٥/٢٠٢٠ على الساعة ١٥ ونصف زوالا.

ويمكن أن يؤدي تقديم تسهيلات واسعة النطاق للتحفيز وتوفير السيولة بهدف الحد من الضغوط النظامية في النظام المالي إلى رفع مستوى الثقة والحيلولة دون حدوث انكماش أعمق في الطلب عن طريق الحد من توسع الصدمة في النظام المالي وتعزيز توقعات التعافي الاقتصادي في نهاية المطاف، وهنا أيضا ساهمت الإجراءات العاجلة والكبيرة من جانب عدة بنوك مركزية بدور حيوي وأدت إلى تجنب هبوط أكثر حدة في أسعار الأصول ومستوى الثقة، ومن الإجراءات التي اكتسبت أهمية خاصة في هذا الصدد تفعيل وإنشاء خطوط لتبادل العملات بين البنوك المركزية الكبرى من أجل توفير السيولة الدولية.

وسيتغير المشهد الاقتصادي كثيرا طوال مدة الأزمة وربما لفترة أطول من ذلك مع زيادة انخراط الحكومات والبنوك المركزية في الاقتصاد، والاقتصادات المتقدمة في وضع أفضل لتجاوز الأزمة بما يتمتع به من قدرات قوية في مجال الحكامة ونظم رعاية صحية جيدة التجهيز، وميزة إصدار عملات الاحتياطي، ولكن هناك العديد من الأسواق الصاعدة والاقتصادات النامية التي لا تملك أصولا مماثلة وتواجه أزمات صحية واقتصادية ومالية متزامنة، وسيكون بحاجة إلى مساعدة الدائنين الشائيين من الاقتصادات المتقدمة ومساعدة المؤسسات المالية الدولية^(١)، وسيكون التعاون متعدد الأطراف ضروريا، فبالإضافة إلى تبادل المعدات والخبرة المتخصصة لتعزيز نظم الرعاية الصحية حول العالم، يجب القيام بجهد عالمي يضمن للبلدان الغنية والفقيرة على السواء الحصول على الأدوية واللقاحات المطلوبة لفيروس كوفيد-١٩ فور التوصل إليها، وسيحتاج المجتمع الدولي أيضا إلى تكثيف المساعدات المالية لكثير من اقتصادات الأسواق الصاعدة والاقتصادات النامية، وبالنسبة للبلدان التي تواجه مدفوعات كبيرة لسداد ديونها، قد يتعين النظر في تأجيل سداد الدين

(١) تقرير آفاق الاقتصاد العالمي، الموقع الرسمي لصندوق النقد الدولي، www.imf.org ٢٣/٠٥/٢٠٢٠ على الساعة ١٦ ونصف زوالا.

وإعادة هيكلته.

وأخيرا يجدر التفكير في إجراءات يمكن اعتمادها لمنع تكرار أحداث كهذه الجائحة، فيمكن تعزيز أمن الصحة العامة والاقتصاد العالمي معا من خلال تحسينات في البنية التحتية للصحة العامة العالمية، زيادة تبادل المعلومات عن الأمراض المعدية غير المعتادة وتعزيز الطابع التلقائي لهذا التبادل، والتبكير في اختبارات الكشف عن الفيروس وتوسيع نطاقها، وبناء مخزون عالمي من معدات الوقاية الشخصية، ووضع بروتوكولات تحظر القيود على التجارة في المستلزمات الضرورية^(٢).

خاتمة:

تجاوزت آثار فيروس كورونا الصين اقتصادا وصحة وتحول إلى وباء عالمي ضحاياه تجاوزت ربع مليون إنسان رغم محدودية الوفيات بحدود ١٢ ألفا حتى ٢١ مارس الجاري، وعلى المستوى الاقتصادي فقد أحدث شللا وخسائر تقدر بمئات المليارات وفق التقديرات الأولية. أما فيما يتعلق بالاقتصاد الصيني فيبدو أنه المتضرر الأكبر من جراء هذا الفيروس، نتيجة للإجراءات الصارمة التي اتخذت من أجل مكافحة الفيروس، إضافة إلى عدم قدرتها على الاستفادة المباشرة من مخرجات المرحلة الأولى من الاتفاق التجاري بينها وأمريكا، وتضرر سمعتها التي تحتاج إلى وقت لتجاوزها، لكن وفقا لتقارير حديثة فإن الإجراءات الصارمة التي اتخذتها الصين في مكافحة الفيروس، إضافة إلى تقديمها مساعدات طبية، وإرسال خبراء للدول المنكوبة، كصربيا وإيطاليا، قد تمكنها من تحويل كارثتها الاقتصادية إلى فرصة سياسية لمنافسة الولايات المتحدة الأمريكية التي أخفقت

(٢) تقرير آفاق الاقتصاد العالمي، الموقع الرسمي لصندوق النقد الدولي، www.imf.org ٢٣/٠٥/٢٠٢٠ على الساعة ١٦ ونصف زوالا.



في الاضطلاع بدورها العالمي في جانب الإغاثة الإنسانية، على غرار دورها خلال فترة تفشي فيروس «سارس وإيبولا». وأياً تكن الآثار التي سيخلفها الفيروس فمن المؤكد أن التنافس الاقتصادي بين البلدين لن يتوقف، لكن الفواتير الباهضة التي سيدفعها الطرفان قد تدفعهما إلى التوافق على آليات تضمن إعادة إنعاش القطاع الاقتصادي من أجل تعويض الآثار التي خلفها انتشار فيروس كورونا، ثم معاودتهما التنافس الاقتصادي.



Kur'an-ı Kerim Bağlamında Koronavirüs Salgınının Bir Cezalandırma Sayılıp Sayılamayacağı Meselesi

Mustafa TUNÇER⁽¹⁾

Özet

Son üç aydır dünya çapında yüz binlerce insanın ölümüne neden olan Koronavirüs salgını Müslüman âlimler arasında farklı şekillerde yorumlanmaktadır. Bunlardan bir kısmı, bu felakete Allah'ın bir gazabı, dünyada işlenen suçlara ve isyanlara karşılık bir cezası olduğu şeklinde bakarken, bir kısmı da bu vakayı bir imtihan vesilesi olarak görmektedir

Şüphesiz Yüce Allah, bu evrende yarattığı her varlıktan haberdar olduğu gibi her yaratılanın da hangi gaye için dünyaya geldiğini, günah işleyenlerin hangilerine bu dünyada ceza vereceğini de en iyi bilendir. Bu virüs nedeniyle vefat edenlerin gayri ahlakî ve dine aykırı eylemler veya isyanlar sonucu Allah'ın insanları cezalandırdığı ihtimali oldukça yüksektir. Nitekim Allah, onlarca ayette emir ve yasaklara uymayan pek çok nesli/topluluğu helak ettiğini, cezalandırdığını belirtmektedir. Fakat şunu da ifade etmek gerekir ki, bu salgın hastalık konusunda kesin bir yargıda bulunmak ilahî bir bildirim olmadığı sürece mümkün değildir. Bunun dışında yapılacak her türlü açıklama, sahibinin tahmininden ve yorumundan öteye

(1) Dr.Öğr. Üyesi. Giresun Üniversitesi İslami İlimler Fakültesi Temel İslam Bilimleri Bölümü (Tefsir)

gitmeyecektir. Kısaca bir anlamda niyet okuma anlamı taşıdığı için söz konusu virüs nedeniyle pek çok insanın ölümüne neden olan vakanın işlenen menhiyat dolayısıyla gerçekleştiğini aleni bir şekilde ilan etmek çok makul ve mantıklı durmamaktadır

Bu çalışmada Kur'an'da anlatıldığı üzere bazı kavimlerin işledikleri suçlar yüzünden cezalandırılmaları örnekliğinden hareketle koronavirüsün bir ayet ya da imtihan olduğu konusu değerlendirilmektedir

:Anahtar Kelimeler

.Kur'an, Tefsir, Ayet, Ceza, İmtihan, Korona

Giriş

Tüm dünyayı kasıp kavuran ve pek çok ülkenin ekonomisi ile demografik yapısını oldukça etkileyen koronavirüs salgınının Allah tarafından bir uyarı veya imtihan mı, yoksa bir ceza mı olduğuna ilişkin bazı insanların ciddi kaynaklara dayanmayan bilgilerle yüzeysel yaklaşımlarda buldukları görülmektedir. Bu çalışmada bu tür düşüncelerin Kur'an'ın ruhuna ne kadar uyup uymadığı irdelenmektedir

Kur'an-ı Kerim'in uyarılarına kulak tıkayan, emir ve yasaklarını dikkate almayan insanların, gerek hayatın her türlü iş ve işleyişi ve gerekse sağlık açısından çeşitli sıkıntılara maruz kalmaları mukadderdir. İster kolera, veba, sıtma vb. bulaşıcı hastalıklar, ister depresyon, tsunami, kasırga gibi insanlara topluca zarar veren felaketler olsun beşeriyet için hepsi birer uyarıcı konumunda olup Yüce



Yaratıcının rahmet ve gazabının eseridirler. Bütün bunlar bir yönüyle rahmet olduğu söylenebilir, çünkü insanların yanlışlarını görüp düzeltilmelerini, ibret alıp günahlardan kaçınmalarını sağlamaktadır. Bir yönüyle de azap olduğu ifade edilebilir; zira onca uyarılara, felaketlere rağmen isyanda ısrar edenler cezalandırılmaktadır. Bir başka ifadeyle Kur'an'da her birinin ayet olarak nitelendirildiği bu tür ikazlara aldırış etmeyen, onları tabiatın normal seyri olarak telakki edenler bazen derhal .bazen de gecikmeli olarak azaba uğratılmaktadır

Belli bir topluluk arasında meydana gelen felaketin sebebi bazen toplumun tüm fertleri olmayabilir. Bir başka ifadeyle bazı kişilerin işledikleri suçlar yüzünden tüm toplum cezalandırılabilir. Bu durumu Resûlullah bir hadislerinde şöyle ifade eder: "Allah bütün topluma bazılarının günahı yüzünden azap etmez, fakat aralarında kötülük meydana gelir, bu kötülüğü hoş karşılamamakla birlikte güçleri de yettiği halde müdahale yapmazlarsa o zaman Allah hepsine azap eder."⁽¹⁾ Meydana gelen zulüm ve kötülük engellenmezse bütün bir toplumu sarar.⁽²⁾ İyiliği emretme kötülükten sakındırma müslümanların üzerine düşen bir görevdir. Öyle ki en azından bir grup bu görevi mutlaka yerine getirmelidir. Zira Yüce Allah "İçinizden hayra çağıran, iyiliği emredip kötülüğü meneden buyurmaktadır. (104/3 bir topluluk bulunsun," (Âl-i İmrân Özellikle kötülükleri engelleme noktasında herkesin duyarlı olması ve bu konudaki sorumluklarını mutlaka yerine getirmesi gerekir. Bu durum ancak toplum bilincine sahip olan ve sosyal prensipleri üstün bir anlayış ve

(1) Ebû Abdillâh Ahmed b. Muhammed İbn Hanbel eş-Şeybânî, *el-Müsned*, (İstanbul: Çağrı Yayınları, 2. Baskı, 1412/1990), 4/192.

(2) Ebû Dâvûd, Ebû Bekr Abdullah b. Süleyman b. Eş'as es-Sicistânî, *es-Sünen*, (İstanbul: Çağrı Yayınları, 1992), "Melâhim", 17.

sorumluluk duygusuyla hareket eden bireylerin öz-
verili çalışmasıyla yerine getirilebilir. Dolayısıyla toplu-
mun herhangi bir kesiminde oluşan sıkıntılı bir durum,
virüs gibi o toplumun diğer katmanlarına da zamanla
ulaşabilir. Bu yüzden iyiliği emredip kötülükten sakındır-
manın (emr-i bi'l-maruf nehy-i ani'l-münker) önemi çok
.daha belirgin hal almaktadır

1. Kur'an-ı Kerim'e Göre Cezalandırılan Topluluklar ve Sebepleri

İslam'a göre suçların bireyselliği esastır. Hiç kim-
senin başkasının günahını yüklenmeyeceğine⁽¹⁾ dair
ayetlerdeki vurgu, suçların ferdiliğine işaret etse de her
müslümanın iyiliği emretme kötülükten sakındırma⁽²⁾
görevi dolayısıyla içinde bulunduğu toplumdan bigâne
yaşamamalı, bu konudaki uyarma sorumluluğunu yerine
getirmesi gerekir. Aksine Hz. Peygamber'in verdiği şu
.örnekteki gibi akıbetine katlanmak zorunda kalacaktır

Allah'ın hududuna giren meseleleri tatbik eden, bu"
konuda gösteriş ve gevşeklik gösteren kimse ile yasakları
çiğneyenlerin durumları, bir gemiye binip kur'a çekerek,
geminin alt ve üst katlarına yerleşen yolculara benzer.
Öyle ki, alt kattakiler su ihtiyaçlarını giderirken üsttekileri
yanından geçip onlara rahatsızlık veriyorlardı. Bu yüzden
alttakiler geminin dibini delmeye başladılar. Üsttekiler
onlara gelip "ne yapıyorsunuz bu şekilde?" deyince onlar
da "Size rahatsızlık vermeden su ihtiyacımızı buradan gi-
dereceğiz" cevabını verirler. Üsttekiler eğer onlara mani
olsalardı hem kendilerini hem de onları kurtarmış olur-
lardı. Şayet yaptıkları işte serbest bıraksalar hem onları

(1) Fâtır 35/18; Necm 53/38.

(2) Âl-i İmrân 3/104; Tevbe 9/71.



(1)“ .helak ederler hem de kendileri helak olurlar

Yüce Allah suç işleyenleri bir taraftan cezalandırırken; suça bulaşmamış, emre karşı gelmemiş olanları da cezalandırmayacağını ifade etmektedir: “Allah onlara zulmetmiş değildi, asıl onlar kendilerine zulmetmişlerdi.” (Tevbe 9/70) “Allah kullara asla zulmedici değildir.” (Âl-i .(44/10 Yûnus ;5/8 Enfâl ;182/3 İmrân

Şu halde insanların başına gelen bela ve musibetler başta bütün çeşitleri ile fuhuş ve zina olmak üzere azgınlık ve sapkınlıkların, zulüm, fitne, fesat, itaatsizliklerin neticesi ve isyanların karşılığıdır.⁽²⁾ Bu husus ayetlerde :açık bir şekilde dile getirilmektedir

وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ
وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ
Başınıza gelen her musibet kendi”
yapıp ettikleriniz yüzündendir; kaldı ki Allah birçoğunu da

(1) Ebû Abdillah Muhammed b. İsmail el-Buhârî, *Câmi'u's-sahîh*, (İstanbul: Çağrı Yayınları, 1992), “Şirket”, 6, “Şehâdet”, 30; Muhammed b. İsa et-Tirmîzî, *Sünen*, (İstanbul: Çağrı Yayınları, 1992), “Fitne”, 12.

(2) Bazı müfessirler bu durumu pek çok yöreyi etkileyen kıtlık, büyük yangın, sel gibi dünya üzerinde meydana gelen musibetlerin artması şeklinde tefsir ederken, “İnsanların kendi elleriyle yapıp ettikleri yüzünden” ifadesini de yaptıkları haksızlık ve günahlar” şeklinde yorumlamaktadırlar. (Bk. Muhammed b. Cerîr et-Taberî, *Câmi'u'l-Beyân an te'vîl-i âyi'l-Kur'ân*, (Beyrut: Dâru'l-Fikr, 1405/1984), 21/50; Mahmud b. Ömer ez-Zemahşerî, *el-Keşşâf an hakâiki't-tenzîl ve uyûni'l-ekâvil fi vücûhi't-te'vîl*, (Tahran: İntişârâtü Afitâb, ts.), 3/224; Ebû Abdillah Fahrüddîn Muhammed b. Ömer b. Hüseyin er-Râzî, *et-Tefsîru'l-kebîr*, (Beyrût: Dâru İhyâi't-Türâsi'l-Arabî, 3. Baskı, ts.), 25/127-128.) Muhammed Esed ise, bela ve musibetlerin artmasını toprağın, havanın ve suyun sanayi atıkları ve şehir çöpleri yüzünden dizginlenemeyen bir şekilde kirlenmesine, uyuşturucu ve görünürde faydalı ilaç kullanımı sebebiyle insanın kendi vücudunda oluşan her çeşit genetik bozulmalara, nükleer felaketlerin ve cinsel sapıklıkların artmasına, özetle insanın maddi ilerlemeyi yegâne hedef sayıp Allah'a ve ahlakî değerlere karşı vurdumduymazlığının sonucuna bağlamaktadır. (Muhammed Esed, *Kur'an Mesajı Meal Tefsir*, çev. Cahit Koytak, Ahmet Ertürk, (İstanbul: İşaret Yayınları, 2002), 828.)



(1). (30/42 *bağışlar.*” (Şûrâ

Bunu akıl ve mantık da doğrular. İnsanların maruz kaldıkları çoğu musibetler, zararlar, tehlikeler kendi amel ve tasarruflarının sonucunda meydana gelir. İnsanların bu şekilde oluşan olumsuz neticeleri kınayıp sebebini başka mecralarda aramaları doğru olmaz.⁽²⁾ Onların görevi, her türlü iş ve eylemlerinde bu zarar ve tehlikelerden korunmak için düşünce üretmeleridir

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ -
sanların kendi elleriyle yapıp ettikleri yüzünden karada ve
(3). (denizde düzen bozuldu.” (Rûm 30/41

مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَنْتُمْ
iman eder ve şükrederseniz Allah size niçin azap etsin?”
(Nisâ 4/147

Ayrıca yapılan her türlü uyarılara rağmen doğru yolu bulamayan veya kötülükleri işlemekten vazgeçmeyen kişilerin üzerine felaket yağdığı belirtilmektedir. “*Sonra içlerinden hakkı çiğneyenler, sözü değiştirip kendilerine söylenenden başka bir şekle soktular. Biz de hakkı çiğne*

(1) Bireylerin sebep olduğu suçların karşılıklarını mutlaka bu dünyada bulacakları veya başlarına her ne sıkıntı geliyorsa bir eylemin karşılığı olması gibi mutlak bir kuraldan söz edilmez. Ancak toplulukların başına gelen musibetler mutlak surette isyan vari yaptıklarının karşılığıdır. (Ahmed Mustafa Merağî, *Tefsîru'l-Merâğî*, (Mısır: Mustafa el-Bâbî el-Halebî, ts.), 9/39). Aslında ayette geçen “*Başınıza her ne musibet gelirse...*” şeklinde çoğul kalıbının kullanılması buna işaret etmektedir. (Sait Şimşek, *Hayat Kaynağı Kur'an Tefsiri*, (İstanbul: Beyan Yayınları, 2016), 4/453.)

(2) M. İzzet Derveze, *et-Tefsîru'l-hadis*, çev. Şaban Karataş vd. (İstanbul: Düşün Yayıncılık, 2014), 3/357.

(3) Buradaki “deniz” kelimesi ile neyin kast edildiği konusunda müfessirler ihtilaf etmişlerdir. Çoğunluğa göre “kara” kelimesi ile iç bölgeler, “deniz” kelimesi ile ise kıyı şeritleri kast edilmiştir. (Bk. Muhammed Âbid el-Câbirî, *Fehmu'l-Kur'an Nüzul Sırasına Göre Tefsir*, çev. Muhammed Coşkun, (İstanbul: Mana Yayınları, 3. Baskı, 2017), 2/449.



dikleri için üzerlerine gökten bir azap gönderdik.”

.(Aṣrâf 7/162

İnsanların başlarına gelen bela ve musibetler, kendilerinin inat edip muhalefette bulunmalarından dolayı genelde semavî afet⁽¹⁾ veba, taun, kıtlık gibi çeşitli salgın hastalık ve felaketler⁽²⁾ şeklinde gerçekleşmekte-
dirler

Şu hususu da ifade etmek gerekir ki, Allah’tan gelen her türlü musibet ve belayı, işlenen bir cürmün neticesine bağlamak elbette mümkün değildir. Bunun aksi, zorlama bir yorum olur.⁽³⁾ Eğer mesele bu şekilde anlaşılmış olsaydı, her türlü kötülüğü işleyip isyan bataklığında yüzen kâfirlerin musibetlerden başlarını kaldıramamaları gerekirdi. Hatta Kurtubî’nin de ifade ettiği gibi⁽⁴⁾ şayet kâfirlerin babalarını günahları yüzünden helak etseydi, kâfirler olmazdı. Bu konu Fâtır suresinde şöyle dile getirilir: “Şayet Allah insanları yapıp ettikleri yüzünden hemen cezalandıracak olsaydı, yerin üstünde tek bir canlı kalmazdı.” (Fâtır 35/45). Burada dile getirilen “insanlar”dan kastın, inkârcıların yanı sıra tüm insanlar için geçerli oldu.⁽⁵⁾uğunu söyleyenler de vardır

Kâfirler için cezalandırmanın derhal olmamasının en önemli nedeni, “İnkâr edenler, kendilerine vermiş old

(1) Elmalılı Hamdi Yazır, *Hak Dini Kur’an Dili*, (İstanbul: Eser Kitabevi, 1971), 6/4356.

(2) Muhammed Ali es-Sâbûnî, *Safvetü’t-tefâsîr*, (Beyrut: Dâru’l-Kur’ani’l-Kerîm, 1981), 1/257; Lütfullah Cebeci, *Kur’an’da Şer Problemi*, (Ankara: Akçağ Yayınları, 1985), 309; Zeki Tan, *Kur’an’a Geçmiş Kavimlerin İnkırazında Ma’siyetin Rolü*, (Ankara: Kitap Neşriyat, 2011), 70-71.

(3) Ömer Özsoy, *Sünnetullah*, (Ankara: Fecr Yayınları, 1994), 96.

(4) Ebû Abdillâh Muhammed b. Ahmed el-Kurtûbî, *el-Câmi’ li ahkâmi’l-Kur’an*, (Kahire: Dâru’l-Kâtibi’l-Arabî, 1387/1967), 10/119.

(5) Kurtûbî, *el-Câmi’ li ahkâmi’l-Kur’an*, 10/119.

uğumuz fırsatın sakın onlar için hayırlı olduğunu sanmasınlar. Onlara verdiğimiz fırsat ancak günahlarını artırmaya yarıyor. Onlar için alçaltıcı azap vardır,” (Âl-ayetinde belirtildiği üzere azaplarının (178/3 i İmrân⁽¹⁾).artırılmasına yönelik olduğu görülmektedir

Bu ayetlerde Allah, inkârcıların işledikleri her suçun cezasını bu dünyada verilmediğini ifade ederken *“Haksızlık edenler, neye nasıl dönüşeceklerini (başlarına (227/26 nelerin geleceğini) yakında görecekler,”* (Şuâarâ ayetinde de bazılarının cezalarının bu dünyada karşılığının .olacağını belirtmektedir

İnkârcıların işledikleri suçların cezası, ister bu dünya için belli bir süre ertelenmiş, ister derhal verilmiş olsun ahirete yönelik cezalarının ebedi olacağı muhakkaktır.⁽²⁾ Burada görüldüğü gibi Yüce Allah küfür, şirk ve isyan yüzünden kimilerinin cezasını derhal kesmekte, kimilerininkini tövbe ve pişman olma şansı tanıyarak kıyamete kadar herhangi bir zaman dilimine ertelemekte, kimilerinin cezasını ise ahirette vereceğini bildirmektedir

Pek çok ayet benzer şekilde isyanları yüzünden bu dünyada cezalandırılan toplulukların örneklerinden bahsetmektedir. Bütün ilahi kitap ve peygamberlere rağmen bir kısım insanlar gaflet ve dalalet, küfür, şirk ve nifak içerisinde hayatlarını sürdürmüş ve akabinde .cezalandırılmışlardır

Gelen uyarıcıları dinlemeyip haktan sapan tarihteki pek çok topluluk işledikleri günahlar, kötülükler, zulümler, zorbalıklar vb. yüzünden cezalandırılıp helak edilm

(1) Derhal azap yerine mühlet verilmesinden söz eden bazı ayetler için bk. Aṣrâf 3/183.

(2) Hûd 11/106-107; Nebe 78/23.



işlerdir. Bu konuya işaret eden ayetlerden bazıları şunlardır

Nice nesilleri helak ettik. Biz onları günahları sebebiyle helak ettik ve onların ardından başka nesiller meydana getirdik. (Enʿâm 6/6)

Sizden önceki nice nesilleri, haksızlık ve kötülük yoluna saptıklarında yok ettik; hâlbuki peygamberleri onlara apaçık deliller getirmişlerdi, ama onların iman edecekleri yoktu. Günah yolunu seçen toplulukları işte böyle cezalandırırız. (Yûnus 10/13)

Nuh'tan sonraki nesillerden nicelerini helak ettik. (İsrâ 17/17)

Biz, ülkeleri ancak halkı zulümde ısrar edince helak ederiz. (Kasas 28/59)

Bunlardan daha zorba olanları da silip süpürdük. (Zuhrûf 43/8)

Ayetlerden anlaşıldığına göre ilahî ikazlara aldırış

(1) Bu ayette özel olarak müşrik Araplar'a hitap edilmekle beraber genel olarak sürekli kötülük işlemek suretiyle helaki hak eden her topluluğa yönelik bir uyarı özelliği taşımaktadır. Eski toplulukların kötülük ve zulümleri, azgınlaşıp isyana varmalarından dolayı ortadan kaldırılma sahnelerinin anlatılması suretiyle insanların bundan ibret almaları, mevcut imkânlarının kendilerini bu gibi akıbetten koruyamayacağını bilmeleri ve hayatlarını buna göre şekillendirmeleri istenmektedir. (*Kur'an Yolu Türkçe Meal ve Tefsir*, haz. Hayrettin Karaman vd. (Ankara: DİB Yayınları, 5. Baskı, 2014), 2/376-377.) Ebû Hayyan'ın ifadesine göre bu ayette, önceki nesillerin helak edildiği gibi, isyan ettiklerinde muhaptarların da aynı akıbetle maruz kalacağı ima yoluyla bildirilmektedir. (Bk. Ebû Hayyan, Muhammed b. Yûsuf b. Ali b. Yûsuf b. Hayyan, *el-Bahru'l-muhît*, (Riyad: Mektebetü ve Metâbi'u'n-Nasri'l-Cideyşe, ts.), 4/77.)

(2) Helak edilen topluluklar için bk. Hicr 15/4; Meryem 19/74, 98; Tâhâ 20/128; Enbiyâ 21/9; Şu'arâ 26/139; Kasas 28/58; Secde 32/26; Yâsîn 26/31; Sâd 38/3; Ahkâf 46/27; Kâf 50/36; Kamer 54/51; A'râf 7/4; Enbiyâ 21/6, 9; Duhân 44/37; Muhammed 47/13; Hâkka 69/5-6.

etmeyen ve isyana sürüklenen topluluklar ya derhal ya da belli bir süreliğine cezaları tehir edilip yok edilmişlerdir.

Kur'an, helak edilen toplulukların nasıl yok edildiğine ilişkin bilgiler de verir. Bu topluluklardan bazıları deprem⁽¹⁾, bazıları korkunç ses (sayha)⁽²⁾, bazılarının üzerine taş yağdırma⁽³⁾, gibi çeşitli felaketlerle cezalandırılmışlardır. Bunların ilahi iradeye karşı çıkanların doğal afetlerle cezalandırılabilmesine dair de bazı örneklerin varlığı dikkat çekmektedir.

Eski Ahit'te Allah'ın buyruklarına karşı gelen İsrailoğullarının salgın hastalıklarla cezalandırıldığı şu şekilde ifade edilmektedir

Rabbe sırt çevirmekle yaptığınız kötülükler yüzünden el attığınız her işte O sizi lanete uğratacak, şaşkına çevirecek, paylayacak. Sonunda üzerinize yıkım gelecek ve çabucak yok olacaksınız. Rab, mülk edinmek için gideceğiniz ülkede sizi yok edinceye dek salgın hastalıkla cezalandıracak. Veremle, sıtmayla, iltihapla, yakıcı sıcaklıkla, kuraklıkla, samyeliyle, küfle cezalandıracak. Siz yok oluncaya dek bunlar sizi kovalayacak. Başınızın üstündeki gök tunç, ayağınızın altındaki yer demir olacak. Rab siz yok oluncaya dek gökten yağmur yerine ülkenize toz ve kum yağdıracak⁽⁴⁾.

Benzer şekilde Hz. Dâvûd döneminde İsrailoğullarından 70 bin kişinin bulaşıcı hastalıklar yüzünden

(1) A'râf 7/78; Naziât 79/6-9.

(2) Hicr 15/73; Sâd 38/15; Hûd 11/82-83.

(3) Hicr 15/74-75.

(4) Kutsal Kitap, "Yasanın Tekrarı", 28/20-24.



(1).öldüğü belirtilmektedir

Kur'an'da toplulukların helakinin gündeme geldiği ayetlerde helak edilenler arasında herhangi bir topluluğun cezalandırılmasının bulaşıcı hastalıklardan olduğuna dair açık bir ayet yer almamakla birlikte A'râf suresinde Firavun'a uyanların ders almaları için ürün kıtlığı ile cezalandırıldıkları, başlarına bir felaket geldiğinde bunu Hz. Mûsâ'nın uğursuzluğuna bağladıkları ve Hz. Mûsâ'ya "Bizi büyülemek için ne işaret getirirsen getir, biz sana inanacak değiliz" dedikleri⁽²⁾ anlatılır. Bunun üzerine Yüce Allah onlara yönelik şöyle buyurur. "Biz de açık seçik mucizeler olmak üzere onların üzerine tufan, çekirge haşarat, kurbağalar ve kan gönderdik. Yine de büyüklük tasladılar ve günahkâr bir kavim olmakta direndiler. Azap üzerlerine çökünce, 'Ey Mûsâ! Sana verdiği söz hürmetine, bizim için rabbine dua et! Eğer bizden azabı kaldırırsan mutlaka sana inanacağız ve muhakkak İsrailoğulları'nı seninle göndereceğiz' derlerdi. Ulaşacakları bir müddete kadar onlardan azabı kaldırdığımızda hemen sözlerinden dönerlerdi." (A'râf 7/130-135). Bazı müfessirler, bu ayette sözü edilen "ricz" kelimesini "taun" anlamında (عَلَيْهِمُ الرَّجْزُ) olduğunu söylemektedirler. Onlara göre veba hastalığının Arapçadaki adlarından biri riczdir. Dolayısıyla Mısırlıların böyle bir hastalıkla da cezalandırılmış olabileceğini belirtmektedirler⁽³⁾.

2. Koronavirüs Salgını Bir Ceza mı Yoksa

(1) Kutsal Kitap, "1. Tarihler", 21/10-30.

(2) A'râf 7/130-132.

(3) Ebû Muhammed Abdülhak b. Galib İbn Atıyye, *el-Muharreru'l- vecîz fî tefsîri'l-kitâbi'l-azîz*, nşr. Abdüsselam Abdüşşafî Muhammed, (Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, 1413/1993), 7/144; Muhammed Tahir b. Muhammed İbn Âşûr, *Kitâbu't-Tahrîr ve't-tenvîr*, (Tunus: ed-Dâru't-Tunusiyye, 1984), 9/71; *Kur'an Yolu Meal ve Tefsir*, 2/578.

3. Bir İbret mi?

XXI. yüzyılın gelişmiş ekonomi ve teknolojilerinin çaresiz kaldığı, altında ezildiği koronavirüs salgınının Allah'ın bir cezası olup olmadığı konusunun Kur'an'a arzı ehemmiyet arz etmektedir. Acaba pek çok kişinin ifade ettiği gibi inançsızlığa, ahlaki çöküntüye uğrayan insanlığa karşı Allah'ın kızgınlığının bir karşılığı, işlenen günahlar yüzünden vermiş olduğu bir cezanın ifadesi midir? Yoksa bir imtihan vesilesi midir? Şüphesiz her iki senaryo için kesinlik bildiren ifadelerle konuyu yorumlamak oldukça zordur. O halde burada yapılması gereken en doğru şey, bu hadiseye daha temkinli yaklaşmak ve kullanılan ifadeleri daha özenle seçmektir

Tüm dünyayı dize getirip çaresiz bırakan koronavirüs salgınının Allah'ın insanlığa bir cezası olduğunu savunanlar, yukarıda ifade edilen ve tarihte uyarılara uymayıp cezalandırılan topluluklardan bahseden ayetleri ve Hz. Peygamber'in, "Bulaşıcı hastalık, Allah'ın dilediği kimseleri kendisiyle cezalandırdığı bir çeşit azaptır,"⁽¹⁾ şeklindeki hadisini delil göstererek yorumlarını yapmaktadırlar. Şüphesiz bu yorum için 'kesinlikle yanlıştır' denmez. Zira günümüzde inançsızlığın, ahlakî çöküşün, inkâr ve isyanların arttığı söylenebilir. Mademki tarihte benzeri sonuçların ortaya çıkışıyla Allah kendilerini cezalandırmıştır, bugün de aynı şekilde meydana gelen benzeri sonuçlara karşı da Allah bu şekilde koronavirüsü ortaya çıkararak insanları cezalandırmaktadır

Koronavirüsün biyolojik bir silah olup olmadığı bir taraftan tartışılmaya devam etsin, korona dâhil kâinatta meydana gelen her şey Allah'ın külli iradesi ile gerçekleşmektedir. Onun dilemesi dışında hiçbir şey

(1) Buhârî, "Tıb", 31; Ebü'l-Hüseyn Müslim b. el-Haccâc, *el-Câmi'u's-sahîh*, (İstanbul: Çağrı Yayınları, 1981), "Selâm", 92-95.

yaratılmayacağına göre, her insan bu olaydan da mutlaka bir pay çıkarmalıdır. Şayet inanan bir insan, sadece mikroskopla görülebilen bir mikroba karşı acizliğini görüp bir ders çıkarabiliyor, Allah'a karşı görevlerini daha iyi yerine getirebiliyorsa, o insan için bu vaka bir imtihan olur; yok eğer küresel çapta bu kadar ağır sonuçlarına rağmen aymaz tavır ve isyanlarına devam ediyorsa elbette o kişi için de bir cezadır, musibettir

Çin'de ortaya çıkan Koronavirüs salgınını bir milyon Uygur Müslümanına uyguladığı işkenceye karşı Allah'ın Çinlilere bir cezası şeklinde çok özel sebeplere bağlayıp kesinlik bildiren ifadelerle konuyu değerlendirmek aşırı cesurca bir çıkış olacağı muhakkaktır. Nitekim benzeri çıkışlar daha önce yaşanan felaketler için de dillendirilmişti. Örneğin, 2004 yılında 230 bin kişinin ölümüyle sonuçlanan Endonezya'nın sahillerini kasıp kavurduğu tsunami için içki içen ve ahlakî çöküntüye uğrayanlara; 17.480 kişinin vefat ettiği 1999 yılı Marmara bölgesi depremi için de fuhşa bulaşmış insanlar için Allah'ın verdiği bir bela olduğu söylenmişti. Bütün bu ve benzeri yaşanan felaketler için tam olarak ne maksatlı gerçekleştiğini bilemediğimiz için meseleyi bu tür bir yaklaşımla değerlendirmek doğru olmasa gerektir

Öte yandan bu tür vakaların Allah'ın bir cezası olmadığını, eğer Allah'ın cezası olsaydı buralarda yaşayan pek çok masum insanın sıkıntılara, felaketlere maruz kalmasının Allah'ın adaletiyle çelişeceğini söylemenin *ثُمَّ يَبْنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ* de yanlışlığı belirtmek gerekir. Zira Allah *Sa-* "dece içinizden zulmedenlere dokunmakla kalmayacak olan *fitneden sakının ve bilin ki Allah'ın cezası şiddetlidir,"* (En-fâl 6/25) ayetiyle musibetlerin çeşitli sebeplere meb

ni olarak sadece suçu işleyen ve o suça seyirci kalanlarla sınırlı kalmayacağını bildirmektedir. Görüldüğü gibi bu ayette birilerinin ortaya çıkardığı fitne ateşine karşı herkesin uyanık olması gerektiğine vurgu yapılmaktadır. “Kurtubî”nin bildirdiğine göre bazı sahabîler “la tusîbenne şeklinde tel- (لَا تُصِيبَنَّ) “ifadesini “letusîbenne (لَا تُصِيبَنَّ) affuz ettiklerini ifade etmektedirler. Bu durumda anlamı “özellikle zulmedenlere isabet eden fitneden sakının” anlamına gelecek şekilde okumanın mümkün olduğudur.⁽¹⁾ Dolayısıyla şu söylenebilir: Meydana gelen fitne sadece suçun sahiplerinin cezası değil, o fitneden korunmayıp ortaya çıkışına seyirci kalanların görev ihmallerinin bir .cezasıdır

Allah’ın ortaya koyduğu yasakları çiğneyenlerin, cezalandırılmalarının yanı sıra bu yasağa karşı hiçbir engelleme çabası içine girmeyenlerin de cezalandırılabilirliğini gösteren bir örnek Âl-i İmrân, Bakara ve Mâide⁽²⁾ surelerinde anlatın İsrailoğullarından bir grubdur. Cumartesi avlanma yasağını çiğneyenlere karşı seyirci kalıp hiçbir müdahale örneği göstermeyenlerin akıbeti konusunda çoğu müfessir, yasağı çiğneyenleri engellemek şöyle dursun, “yasağı çiğneyenlere nasihat edenlere ‘oyasak tanımaz olanlara herhangi bir tavsiyede bulunmanın faydası yoktur’ diyen bu grubun da maymuna çevrilmiş olabileceğini ifade etmektedirler.⁽³⁾ Bu grubun cezalandırılanlardan olduğunu savunan Müfessir Mevdudî, Kur’an’ın ayetlerinin iyice düşünüldüğünde cezalandırmanın daha doğruya yakın olduğunu, zira bir musibet anında, o musibete maruz kalan kasabanın sadece iki gruba ayrıldığını; ,bir grubun musibete uğratılanlardan

(1) Kurtûbî, *el-Câmi’ li ahkâmi’l-Kur’ân*, 8/393.

(2) Âl-i İmrân 3/163-166; Mâide, 560; Bakara 2/65.

(3) Taberî, *el-Câmi’ u’l-beyân*, 9/6364; Kurtûbî, *el-Câmi’ li ahkâmi’l-Kur’ân*, 7/307.



diğer grubun da Kur'an'ın ifadesiyle bu afetten kurtulanlardan oluştuğuna göre, ortada kalan ve engellemeye çalışmayan grubun cezaya çarptırılanlar arasında yer almış olmaları gerektiğini belirtmektedir. Ona göre böyle bir çıkarımın doğru olma ihtimali daha yüksektir. Zira ona göre bu durum ayette geçen “Rabbinize karşı bir mazeret sunabilmek için” ifadesiyle ve akabinde gelen ayetlerle ⁽¹⁾.desteklenmektedir

Şu halde bir kimse sadece Allah'ın yasaklarına karşı gelmemek ve pasif kalmakla kurtuluşa eremez, aksine iyilikleri hâkim kılma yolunda çaba göstermeli ve kötülükleri de temizlemek için her türlü gayreti sergilemelidir. Bu itibarla helak edilen önceki nesillerin başına gelen felaketleri göz ardı etmeden günümüzde de yüz binlerce insanın ölümüne, pek çok ülkenin ekonomisinin çöküşüne neden olan günümüz doğal afetleri, ortaya çıkan fitnenin sadece suça bulaşan insanlara ulaşmakla kalmayacağı bilinciyle değerlendirilmeli ve buna göre sürekli teyakkuzda bulunulmalıdır

3.1. “Korona” Kelimesinin Kur'an'da Geçtiği İddiası

Korona” kelimesinin Kur'an'da yer alıp almaması-” na dair yapılacak kısa taramada bu kelimenin asıl formu ile hiçbir şekilde mushafta yer almadığı hemen görülecektir. Ne bu kelimenin orijinal yazılımı olan “corona” ile ne (ك) “ve “kef (كُرُونَا) “de kelimenin başındaki harfin “kaf harfi ile yazılış şeklinin hiçbir surette Kur'an'da (كُرُونَا) yer almayan bu kelimenin İnternette yer alan bazı sitele



(1) Ebu'l-A'lâ Mevdûdî, *Tefhimu'l-Kur'an*, çev. Muhammed Han Kayani vd. (İstanbul: İnsan Yayınları, 1996), 2/98-99.

rde⁽¹⁾ Kur'an'da geçtiği konusunda bilgiler yer almaktadır. Üstelik sadece birkaç kere değil, tam 15 kere yer aldığı ve bunun mucizevî bir şekilde 14 asır öncesinden kutsal kitabımızda bildirildiği iddia edilmektedir. Hem bu iddia öyle kesin ifadelerle dile getirilmektedir ki, "korona"nın Kur'an'da işareten ya da üstü kapalı bir şekilde ifade edildiğinin söylenmesinin bile Kur'an'a atılacak bir iftira olduğu ifade edilmektedir. Hatta o kadar ki, bunu reddeden veya yok sayanların cehennemlik olacağına kadar iş vardiirilmektedir

.6/6 En'âm :1 Örnek

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ

*yeryüzünde önce onlardan ,ki mi Görmediler"
".ettik yok nesilleri nice*

**Verilen anlam: "Görmediler mi helak ettik nice
"...kabileyi korona'dan**

.Örnek 2: İbrahim 14/49

وَتَرَى الْمُجْرِمَ يَنْ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنَ يَنْ فِي الْأَصْفَادِ

*zincirlere -halinde sıra- suçluların ,gün O"
".göreceksin olduklarını vurulmuş*

Verilen anlam: "Görürsün suçluları o gün korona'nalı ve bezler içinde

.33/33 Ahzâb :3 Örnek

(1) <https://www.erdemcetinkaya.com/kuranda-korona-virusu-mucize/>, erişim: 21.05.2020. Benzer şekilde Kur'an'da "Aids" kelimesinin Furkân 25/38. ayetinde عَادًا وَثَمُودًا "Âd ve Semûd" kelime grubunda; "Hiv" kelimesinin ise, Kâria 101/9. ayette فَأَمَّهُ هَاوِيَةً geçtiği iddia edilmektedir.



وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى

**cahiliye önce daha ve oturun Evlerinizde”
“.sayılmayın açılıp gibi olduğu dönemde**

**şeklinde ... buyûtikunne fî korona Ve)
(okunarak**

**içinde oturun evleriniz- Korona” :anlam Verilen
“...de, burçlar içinde ilk cahiller gibi**

.25/41 Fussilet :4 Örnek

وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ

“Onların yanına bazı arkadaşlar verdik”

**Verilen anlam: “ Biz onlara birtakım yakın-
“.lar (Korona) musallat ettik**

**Kur’an’da “k-r-n” kelimesi zaman, boynuz, mil-
let, nesil⁽¹⁾ gibi anlamlara gelmektedir.⁽²⁾ Hiçbir ayette
virüs anlamında kullanılmamıştır. Oysa bu örnekler**

(1) Ebü'l-Fazl Cemâluddîn Muhammed b. Mukerrem b. Alî İbn Manzûr, *Lisânu'l-Arab*, (Beyrût: Dâru lisâni'l-Arab, ts.), 13/331; Zemahşerî, *el-Keşşâf*, 2/497. Bu anlamlardan biri olan nesil karşılığında kullanıldığını Hz. Muhammed'in şu hadisinde de görmek mümkündür: “Nesillerin (kurûn) (قُرُونٌ) en hayırlısı benim neslim (karn) (قرن) sonra onların peşinden gelenler, daha sonra da bu sonuncuları takip eden nesildir.” (Buharî, “Şehâdet”, 9; Tirmizî, “Fiten”, 45.)

(2) Nesil bir dönemde yaşayanlar yani nesil anlamında kullanıldığında bu sürenin ne kadar olduğu noktasında ileri sürülen görüşlerden ortalama 70 yıllık bir insan ömrüdür. Şu halde kelimeyi toplumların uğradıkları dönemlerden biri, tarihi bir dönem şeklinde anlamak mümkündür. Hatta bu anlamı, Kur’an’daki kullanımına daha yakın görünmektedir. (bk. Muhammed Reşid Rıza, *Tefsîru'l-Kur’ani'l-Hakîm*, (Beyrut: Dâru'l-Marife, 2. Baskı, ts.), 7/306.) Daha kapsamlı bir ifadeyle “bir tarihi dilimi” veya “bir medeniyeti” anlamı taşımaktadır. (bk. Esed, *Kur’an Mesajı Meal Tefsir*, 224.)



de görüldüğü üzere “korona” kelimesinde bulunan harfler yukarıdaki ayetlerde yan yana geldi diye “korona”nın Kur’an’da çağlar öncesinden belirtildiği iddia edilmektedir. Bu harfler ayette varmış gibi, bazen harf ilave edilerek, bazen harf silinerek çok ace-mice bir metotla iddialar desteklenmeye çalışılmaktadır. Öte yandan “korona”, Latince kökenli bir kelime olup “taç” anlamında kullanılmaktadır. Ayrıca şunu da belirtmek gerekir ki, “korona” kelimesinin aslı Latince “corona”dır. Bu virüs elektron mikroskobunda incelendiğinde “taç”a benzediği için ona bu ad ve-⁽¹⁾.rilmiştir

“Korona” kelimesinin Kur’an’da yer aldığı iddia edilen birçok ayetten sadece birini ele alarak inceleyelim: Yukarıda da geçtiği üzere Ahzâb 33. ayette Hz. Muhammed’in eşlerine hitaben onların diğer kadınlar gibi olmadığı, olur olmaz kişilerle konuşarak ortalıkta dolaşmamaları ve evlerinde oturmaları istenmek-aslından kelimenin başında kelimesinin وَقَرْنَ .tedir “görmezlikten gelinmekte, ayrıca “nûn (و) “vav” olan harfi ilave edilmektedir. Oysa kelimenin sonunda- (ن) ki “nûn” harfi, cem-i müennes-i gâibe formunda kadınlara yönelik kullanılan bir zamir olan “nûn-u nisve”dir. Bu şekilde kelime, “evlerinizde oturun” anlamı verilerek tutarsız bir şekilde “korona”ya benzetilmeye çalışılmıştır. Oysa yüce kitabımız Kur’an-ı Kerim kehanetlerde bulunmak için değil, insanları doğru yola ve mutluluğa ulaştırmak için vardır

Sonuç

Yüce Allah insanların hem bu dünyada hem de

(1) <https://eksisozluk.com/korona--84426?p=4>, erişim: 22.05.2020.



ahirette huzurlu bir hayat sürmeleri için gönderdiği peygamberlere tabi olunmasını, getirdikleri mesajlara uyulmasını insanlardan istemiştir. Ancak çoğu kere görevlendirilen bu elçilerin açıkladığı kurallara uymayanları Allah çeşitli şekillerde cezalandırdığını belirtmiştir. Bu vakaların dışında bildirmediği ya da günümüzde yaşanan felaketlerin ve özellikle korona salgınının işlenen günahlar sebebiyle mi gerçekleştiği, yoksa rutin hayatta zaman zaman yaşanabilen ibretlik vaka mı olduğu sorusu herkesi meşgul etmektedir

Tüm dünyayı etkisi altına alan koronavirüs felaketini kimileri aile bağlarının çözülüp fuşun yaygınlaşmasına, kimileri Afrika'da fakirlikle mücadele eden insanlara, kimileri Filistin'de, Arakan'da, Çin'deki insanlık trajedilerine, kimileri dünya nimetlerinin hoyratça israf edilmesine, kısaca Allah'a itaatin yok oluşuna, emir ve yasaklara uyulmamasına bağlamaktadır. Koronavirüs vakasının tüm dünyayı esir aldığı bir felaketi insanlar ister bela, ister ibretlik bir vaka olarak okumuş olsun, şayet sonuçlarını doğru anlayıp değerlendirebilirse dünya ile ilişkisini yeniden gözden geçirecek, kendisiyle yüzleşecek ve yaratıcıya karşı tavır ve davranışlarını yeniden gözden geçirecektir

İnsanları evlerine hapseden, başta Kâbe olmak üzere tüm ibadethanelere kilit vurduran koronavirüsün, ölen insanların günahkâr olmaları nedeniyle Allah'ın kendilerini cezalandırdığı bir felaket olma ihtimali elbette vardır. Nitekim pek çok ayet, emir ve yasaklara uymayıp isyan eden bazı toplulukların helak edildiğinden bahsetmektedir. Ancak dünyanın baş belası haline dönüşen koronavirüsün de aynı şekilde işlenmiş bazı suçlar veya kötülükler sonucu insanlara yönelik bir cezalandırma



olduđu konusunda ilahî bir bildirim olmadığı sürece kesin bir yargıda bulunmak mümkün değildir. Dolayısıyla bu noktada yapılacak her türlü yorum, bir bakıma Allah'ın irade kastını tahmin etme anlamı taşıyacağı için vefat eden binlerce insanın veya ortaya çıkan zararların işlenen günahlar yüzünden ortaya çıktığını söylemek çok ikna edici durmamaktadır

Kaynakça

Buhârî, Ebû Abdillâh Muhammed b. İsmail. *Āmiu's-sahîh*. İstanbul: Çağrı Yayınları, 1992

Câbirî, Muhammed Âbid. *Fehmu'l-Kur'an Nüzul Sırasına Göre Tefsir*. Çev. Muhammed Coşkun, İstanbul: Mana Yayınları, 3. Baskı, 2017

Cebeci, Lütfullah. *Kur'an'da Şer Problemi*. Ankara: Akçağ Yayınları, 1985

Derveze, M. İzzet. *et-Tefsîru'l-hadis*. Çev. Şaban Karataş vd. İstanbul: Düşün Yayıncılık, 2014

Ebû Dâvûd, Süleyman b. Eş'âs. *Sünen*. İstanbul: Çağrı Yayınları, 1992

Ebû Hayyân, Muhammed b. Yûsuf b. Ali b. Yûsuf b. Hayyân. *el-Bahru'l-muhît*. (Riyad: Mektebetü ve Metâbiu'n-Nasri'l-Cideyşe, ts

Esed, Muhammed. *Kur'an Mesajı Meal Tefsir*. Çev. Cahit Koytak, Ahmet Ertürk, İstanbul: İşaret Yayınları, 2002

İbn Âşûr, Muhammed Tahir b. Muhammed. *Kitâbu't-tahrîr ve't-tenvîr*. Tunus: ed-Dâru't-Tunusiyye,



.1984

İbn Atıyye, Ebû Muhammed Abdülhak b. Galib. *el-Muharreru'l-vecîz fî tefsîri'i-kitabi'l-azîz*. Nşr. Abdüsselam Abdüşşafî Muhammed, Beyrut: Dâru'l-Kütübî'l-İlmiyye, 1413/1993

İbn Hanbel, Ebû Abdillâh Ahmed b. Muhammed eş-Şeybânî. *el-Müsned*. İstanbul: Çağrı Yayınları, 2. Baskı, 1412/1992

İbn Manzûr, Ebü'l-Fazl Cemâlüddîn Muhammed b. Mukerrem b. Alî. *Lisânu'l-Arab*. Beyrût: Dâru'lisâni'l-Arab, ts

Kur'an Yolu Meal ve Tefsir. Haz. Hayrettin Karaman vd. Ankara: DİB Yayınları, 5. Baskı, 2014

Kurtûbî, Ebû Abdillâh Muhammed b. Ahmed el-Ensârî. *el-Câmi li ahkâmi'l-Kur'ân*. Kahire: Dâru'l-Kâtibi'l-Arabî, 1387/1967

Kutsal Kitap (Tevrat, Zebur, İncil Yeni Çeviri). İstanbul: Yeni Yaşam Yayınları, 2016

Merağî, Ahmed Mustafa. *Tefsîru'l-Merâğî*. Mısır: Mustafa el-Bâbî el-Halebî, ts

Mevdudî, Ebu'l-Alâ. *Tefhimu'l-Kur'an*. Çev. Muhammed Han Kayani vd. İstanbul: İnsan Yayınları, 1996

.1994 ,Özsoy, Ömer. Sünnetullah. Ankara: Fecr Yayınları

Râzî, Ebû Abdillâh Fahrüddîn Muhammed b. Ömer b. Hüseyin. *et-Tefsîru'l-kebîr*. Beyrût: Dâru İhyâit-Türâsi'l-Arabî, 3. Baskı, ts

Reşid Rıza, Muhammed. *Tefsîru'l-Kur'ani'l-Hakîm*. Beyrut: Dâru'l-Marife, 2. Baskı, ts

Sabûnî, Muhammed Ali. *Safvetü't-tefâsîr*. Beyrut: Dâru'l-Kur'ani'l-Kerîm, 1981

Şimşek, Sait. *Hayat Kaynağı Kur'an Tefsiri*. İstanbul: Beyan



.Yayınları, 2016

Taberî, Muhammed b. Cerîr. *Câmi'ü'l-Beyân an te'vîl-i âyi'l-Kur'ân*. Beyrut: Dâru'l-Fikr, 1405/1984

Tan, Zeki. *Kur'an'a Geçmiş Kavimlerin İnkırazında Ma'siyetin Rolü*. Ankara: Kitap Neşriyat, 2011

Tirmizî, Muhammed b. İsâ. *Sünen*. İstanbul: Çağrı .Yayınları, 1992

Yazır, Elmalılı Hamdi. *Hak Dini Kur'an Dili*. İstanbul: Eser Kitabevi, 1971

Zemahşerî, Mahmud b. Ömer. *el-Keşşâf an hakâiki't-tenzîl ve uyûni'l-ekâvîl fî vücûhi't-te'vîl*. Tahran: İntişârâtü Afitâb, ts

<https://eksisozluk.com/korona--84426?p=4>, erişim: 22.05.2020

<https://www.erdemcetinkaya.com/kuranda-korona-virusu-mucize/>, erişim: 21.05.2020



قائمة المراجع

- تقرير آفاق الاقتصاد العالمي، الموقع الرسمي لصندوق النقد الدولي، org.imf.www، 2020/05/23 على الساعة 15 ونصف زوالاً.

- تقرير الراصد المالي، صندوق النقد الدولي، أبريل 2020، org.imf.www، 2020/05/23 على الساعة 15 ونصف زوالاً.

- تقرير الراصد المالي، صندوق النقد الدولي، أبريل 2020، org.imf.www، 2020/05/23 على الساعة 15 ونصف زوالاً.

- فيروس كورونا: خريطة المدن الأكثر غلاء في العالم قد تتغير بسبب التأثيرات الاقتصادية، على موقع بي بي سي نيوز، com.bbc.WWW، 2020/05/23 على الساعة الثامنة صباحاً.

- لورا جونز-ديفيد براون-دانيال بالمبو، فيروس كورونا: دليل تداعيات الوباء على الاقتصاد العالمي، على موقع بي بي سي نيوز، com.bbc.WWW، 2020/05/23 على الساعة الثامنة صباحاً.

- محمد محمود السيد، الصدمات الخمس للاقتصاد العالمي جراء كورونا، مركز أبحاث السياسات الاقتصادية، مارس 2020، على موقع www.futureuae.com تم الاطلاع على الساعة 09h05..

- مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، تقدير موقف، تأثيرات كورونا على التنافس الاقتصادي بين الصين وأمريكا، 2020، ص8.



Postmodern Dünyada Bulaşıcı Hastalıklarla Yaşamak



Bulaşıcı Hastalıkların Tarihsel Serüveni

Dr. Ali YILMAZ⁽¹⁾

Türkiye

İlk peygamber Hz. Âdem'den bu yana Allah'ın yarattığı yer kürede zaman zaman bulaşıcı hastalıkların olduğu muhakkaktır. Zira Hz. Âdem'in oğlu Kabil ile başlayan yeryüzünün ifsadı yani sünnetullah'ın aksine hareketler dünya düzenini bozmaya başlamıştır. Toplumda bazı yanlış değerlendirmelere değinmek gerekir ki; Allah'ın peygamberleri vasıtasıyla gönderdiği ilahi mesajlara karşı gelen geçmiş kavimlerin helaki il bulaşıcı hastalıklarla insanların ölümünü aynı değerlendiremeyiz. İnsan davranışlarında meydana gelen bazı bozukluklar/aşırılıklar bulaşıcı hastalıkların ortaya çıkma sebeplerinden biridir. Salgın hastalıklar; insandan insana, böcekten insana, hayvandan insana, gıdadan canlılara, anneden çocuklara ve medikal işlemlerden insanlara olmak üzere altı şekilde bulaşmaktadırlar. Salgın hastalıkların özellikle hayvanlardan insanlara geçmesi daha yaygındır. Köpekler evcilleştiğinde kızamık, inekler evcilleştiğinde

(1) Dr. Öğretim Üyesi, Giresun Üniversitesi İslami İlimler Fakültesi, İslam tarih ve Sanatları Öğretim Üyesi.



tüberküloz ve difteri insanlara bulaşmıştır. Milyonlarca insanın ölümüne sebep olan çiçek, verem, sıtma, kolera ve kızamık gibi hastalıkların çoğu bu hayvanların evcilleşmesi neticesinde onlarla olan ilişkilerde aşırılıklardan dolayı ortaya çıkmıştır.⁽²⁾ Ancak bulaşıcı hastalıkları sadece hayvanlara bağlayıp onlara mesafeli yaklaşmak da doğru değildir. Gerekli olduğu kadar temizlenmeme, hijyene riayet etmeme gibi sebepler de bu hastalıkları doğurmaktadır. Dünyayı etkileyen bulaşıcı hastalıklardan hiç birisinin İslam coğrafyasından yayılmamış olması Müslümanların temizliğe dikkat etmelerine ve hayvanlarla ilişkilerinde .orta yol -itidal - tutturabilmesine bağlanabilir

İnsanlığı olumsuz etkileyen bu salgın hastalıklar, veba, kolera, tifüs, kızamık, Rus/İspanyol gribi, Hiv/aids ve virüsü olarak kendilerini göstermişlerdir. 19 en son Kovit Bu tebliğimizde salgın hastalıklarla ilgili ayrıntılara girmeksizin dünyada, İslam coğrafyasında ve Osmanlı'da gözükten vakalardan örneklemeler gösterilerek Korona üzerinde bazı değerlendirmelerde bulunmaya çalışacağız. En çok zihinlerde kalan ve birçok insanın ölmesine sebep olan ilk en büyük yıkıcı salgın olan veba hastalığı son 1500 yılda üç büyük pandemi oluşturmuştur. Pandemi en basit anlamıyla eşzamanlı olarak çok yaygın bir şekilde çok fazla sayıda insanı tehdit eden bulaşıcı hastalıklara verilen

(2) Yolun, Murat, İspanyol Gribinin Dünya ve Osmanlı Devleti Üzerindeki Etkileri, Adıyaman, Üniversitesi SBE, Yayınlanmamış Yüksek Lisans Tezi, Adıyaman, 2012, 20-23.



isimdir. Dünya Sağlık Örgütü'nün (WHO) tanımlamasına göre bir hastalığın pandemi olabilmesi için bazı kriterlerin aranması gerekmektedir. Bu kriterler, hastalığa sebep olan virüsün daha önce rastlanmayan yeni bir virüs olması, insanlara kolayca bulaşabilmesi ve insandan insana kolay ve sürekli bir şekilde bulaşması olarak tespit edilmiştir.

Dünyada ilk ciddi salgın hastalığı "Kara ölüm" şeklinde isimlendirilen Veba salgınıdır. İlk olarak Mısır'da çıkan veba salgını, Filistin ve Bizans topraklarını etkisi altına aldıktan sonra Akdeniz ve bütün dünyaya buğday gemileriyle yayılmıştır./sirayet etmiştir. Bu salgın, toplam 50 milyon insanın ölümüne sebep olarak dünya nüfusunun %26'sının kaybına yol açmıştır. İkinci salgın, XIV. asırda başlayıp; kilim, halı, elbise ve ev eşyaları taşıyan kervanlarla önce Kırım'a oradan da Avrupa'ya yayılan, Avrupa nüfusunun üçte birinin, dünya genelinde ise 100 milyon insanın ölüne sebep olan bir diğer veba salgınıdır. Üçüncü salgın ise XIX. yüzyılda Orta Asya ve Çin'den başlayarak bazı ülkelerde etkili olan hastalıktır.⁽¹⁾ Bu salgında da 15 .milyon insan ölmüştür

Bir başka salgın hastalık humma diye de bilinen tifüs hastalığıdır. XVI. yüzyıldan sonra Avrupa'da hamamların ortadan kalkmasıyla oluşmaya başlayan temizlik zafiyeti

(1) Ayar, M. Özçelik, T. "XIX. Asır Ortalarına Kadar Osmanlı'da Veba Salgınlarının Tarihçesi", Osmanlı'da Salgın Hastalıklarla Mücadele, (ed. İbrahim Paşaoğlu, vd.) Çamlıca Yayınları, İstanbul, 2015, 47-75.



nedeniyle kirliliğin ve onun neticesi oluşan bitlerin insanları ısırması nedeniyle tifüs salgınları meydana gelmiştir. Bu salgında Avrupalılar, salgının sebebini aramak yerine birbirlerini suçlamaya başlamışlardır.⁽²⁾ Peki, insanları etkileyen bulaşıcı hastalıklar ulaşım araçlarının sınırlı olduğu zamanlarda bu kadar nasıl hızlı yayılmıştır? Bu hastalıklar, ya ticari faaliyetlerde bulunan tüccarlar veya tüccarların elindeki metalar vasıtasıyla ya da devletlerin birbirleriyle yaptıkları savaşlarda birbirleriyle yakın markaj savaşmak zorunda kalan insanlar eliyle kolaylıkla geniş kitlelere bulaşmıştır. 1877-1878 yılları arasında yapılan Osmanlı-Rus savaşında Osmanlı askerleri bu bulaşıcı hastalıklardan önemli ölçüde etkilenmişlerdir⁽³⁾.

Zihinlerde iz bırakan diğer bir salgın hastalık ise İspanyol gribi olarak tarihe geçen fakat çıkış yeri ABD olup, Avrupa'ya savaşmak için gelen askerler vasıtasıyla yerel olmaktan çıkıp ulusal bir sorun haline gelen ve dünya nüfusunun %15'inin ölümüne neden olan hastalıktır. 1918 yılında İspanya Madrid'de haber ajanslarında yapılan grip anonsundan dolayı İspanyol gribi olarak meşhur olmuştur. I. Dünya savaşı yıllarında bu bulaşıcı hastalıklardan etkilenmeyen ülke hemen hemen yoktur. Sovyet lider Vladimir Lenin, bu konuda çok mustarip olacak ki "bit ve

(2) Nikiforuk, Andrew, Mahşerin Dördüncü Atlısı Salgın ve Bulaşıcı Hastalıklar Tarihi, (trc. Selahattin Erkanlı) İletişim Yayınları, İstanbul, 2007, 131-157.

(3) Ot, İnci, "Tanzimat Sonrası Osmanlılarda Bulaşıcı Hastalıklarla Mücadele", Osmanlı'da Salgın Hastalıklarla Mücadele, (ed. İbrahim Paşaoğlu, vd.) Çamlica Yayınları, İstanbul, 2015, 130-131.

tifüs ile ordularının üzerine bir kırbacın sallandığı”, ancak maddi kaynakların kısıtlı olmasına rağmen karizmatik bir devrimci olarak vatandaşlarını motive etmek için “Sosyalizmin bitleri yeneceği” söylemi akıllarda kalan anekdot-⁽¹⁾.lardan birisidir

Salgın hastalıklarından birisi de Kolera hastalığı idi. 1817 yılında içme sularından kaynaklanan bu bulaşıcı hastalığın merkezi Hindistan’dır. Sanayileşmenin başlama yıllarına rastlayan tarihlerde bu durumu iyi değerlendiren İngiltere, Hindistan’ı sağlamal bir inek gibi sömürerek ülkenin hatırı sayılır zenginliklerini ülkelerine taşımıştır. 1830’lu yıllarda Avrupa’ya ulaşan bu bulaşıcı hastalık nedeniyle çoğunluğu İspanya ve Fransa’da olmak üzere beş yüz bine yakın insan telef olmuştur.⁽²⁾ Aynı hastalık Osmanlılarda 1831 yılında görülmeye başlanmış, 1854 yılında Kırım savaşına katılan batılı Fransız askerleriyle yine gündemdeki ağırlığını korumuş, Osmanlı-Rus savaşında da kendini göstermiştir. Bu tarihlerde hastalığın aşısı ve tedavisi bulunamamış olacak ki bu sürecin devamında hac mevsiminde yaşanan olay akıllardaki tazeliğini devam ettirmektedir

Aynı zamanda Haccı Ekber’e de denk gelen 1893 yılı haccında Hicaz’da yaşanan kolera salgını nedeniyle bazı hacılar ibadetlerini yarıda keserek haclarını tamamlaya-

(1) Yolun, İspanyol Gribi, 54.

(2) Ayar, XIX. Asır, 79-82.



mamış, tamamlamaya çalışanlardan otuz bine yakın hacı ise kolera yüzünden ölmüştür. Aynı yıl İstanbul da bu kolera'dan nasibini almış, burada iki bin kişi hayatını kaybetmiştir.⁽³⁾ Osmanlı devleti o günün şartlarında hastalığa yakalananlara gerekli yardımda bulunmuştur. Karantina altına alınan vatandaşların bütün ihtiyaçları karşılanmaya çalışılmasına rağmen yabancı basın aynı korana salgınında olduğu gibi olayları çarpıtmıştır. Halbuki hastalar, imkanlar ölçüsünde belediyelerin özel hastanelerinde tedavi altına alınmış, mekanlar dezenfekte edilmiş ve hastaların elbiseleri yenileriyle değiştirilmiştir.⁽⁴⁾ Hastalık görülen haneler dezenfekte edilerek eşyalar basınçlı sular ile temizlenmiştir

İlk Dönem İslam Tarihinde Amvâs Salgını

İlk dönem İslam tarihine baktığımızda bölgesel bir salgın hastalığı görmekteyiz. Hicretin on sekizinci yılı, Hz. Muhammed'in vefatından sekiz yıl sonra meydana gelen salgında İslam ümmetinin halifesi/başkanı Hz. Ömer idi. Bilindiği üzere O'nun hilafeti İslam kurumlarının tesis edildiği, İran Sasani devletinin tarih sahnesinden silindiği ve Bizans üzerine gidilip fetihler yapıldığı zamanlardır. Şam bölgesine yapılan seferlerde Halid b. Velid'in azlinden sonra ordu komutanlığını Ebû Ubeyde b. Cerrah yapmakta idi. Tarih kitaplarında ilk görüldüğü yer olan Emvâs



(3) Ayar, XIX. Asır, 83-92.

(4) Ayar, XIX. Asır, 97-98.

beldesinden dolayı salgın bu isimle de meşhur olmuştur.⁽¹⁾

Bu salgın neticesinde ordu komutanı Ebû Ubeyde ile ondan sonra başkomutanlığa geçen Muâz b. Cebel ve Fadl b. Abbas da bu veba salgını sırasında vefat etmişlerdir. Yaklaşık yirmi beş bin kişinin öldüğü salgında ölenlerin birisi de Mekke'nin fethinden sonra Müslüman olup Hz. Peygamber ve Hz. Ebû Bekir zamanında devlet bürokrasisinde yer alamayan ancak Hz. Ömer zamanında bu veba salgını sebebiyle ordu kısım komutanlığına getirilen Yezid b. Ebû Süfyan'dır

Bu veba sırasında, üzerinde askeri harekât yapılan yerleri teftiş için ikinci kez Suriye topraklarına giden Hz. Ömer, salgın ve bulaşıcı hastalık olan bölgelerin teftişi konusunda karar vermede zorlanmıştır. Kimi ashab buraya kadar gelmişken mutlaka vebalı toprakların ziyaret edilmesini isterlerken bazıları bu bölgeye girilmesini söylemişlerdir. En sonunda bölgeden uzaklaşma kararı alan Hz. Ömer, sadece kendisi değil başkomutan Ebû Ubeyde ile birlikte askerlerin de geri dönmelerini söylemiş, ancak Ebû Ubeyde savaş mevziisinden dönmeye karar vererek bunu Hz. Ömer'e bildirmiştir. Ebû Ubeyde verdiği dönüş kararından dolayı da Hz. Ömer'e serzenişte bulunmuş, ama bu serzeniş onun verdiği karardan dönmelerini sağlamamıştır.⁽²⁾ Ebû Ubeyde'nin Allah'ın

(1) Belâzurî, Ebû'l-Hasen Ahmet b. Yahya b. Câbir, Futûhü'l-Buldan, Beyrut, Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, 1983, I, 165.

(2) Doğuştan Günümüze İslam Tarihi, II, 95.



kaderinden mi kaçırıyorsun diye sitemine Hz. Ömer: “Evet Allah’ın kaderinden yine Allah’ın kaderine kaçırıyoruz. Ey Ebû Ubade! bir deve sürün olsa bir taraf çorak diğer taraf verimli bir vadi olsa, sen hangisine götürürsün? Kaldı ki onları nerede otlatırsan otlat Allah’ın kaderiyle otlatmış olmaz mısınız?” diyerek cevap vermiştir. Onların aralarında geçen bu diyaloga şahit olan Abdurrahman b. Avf: “Bende bunun cevabı olacak bilgi var diyerek, Allah’ın elçisinin: “Bir yerde veba olduğunu işitirseniz oraya girmeyiniz. Eğer bulunduğunuz yerde veba ortaya çıkarsa oradan ayrılmayınız.”⁽³⁾ dediğini aktarmıştır

Görüldüğü gibi bu tür bulaşıcı hastalıkların hüküm sürdüğü zamanlarda bilimin ve aklın önderliğinde başkalarına da bulaştırıp onların vebaline girilmemesi için bu karantina önlemleri tarihi süreç içerisinde devam etmiştir. Hz. Ömer, Medine’ye gelince Ebû Ubeyde’ye yazdığı mektupta vebalı bölgeden ayrılması gerektiğini belirtmiş, Ebû Ubeyde halifenin bu emri üzerine ordusunda bulunan Muâz b. Cebel’i halifenin işaret buyurduğu bir yer araştırması için görevlendirmiş, ancak Muâz b. Cebel’in hanımının da bu hastalığa yakalanması nedeniyle araştırma tamamlanamamış ve Ebû Ubeyde de bu hastalığa yakalanıp vefat etmek üzereyken askerlerine bunun bir bela ve musibet değil şehitlik olduğu manasına gelen konuşma yapmayı da ihmal etmemiştir. Bu vebanın bir bela olduğu

(3) Buhari, Tıp, 30.



serzenişine yeni komutan Muâz b. Cebel de itiraz etmiş ve Ebû Ubeyde gibi bu hastalığı bir rahmet ve şehitlik olarak tarif etmiştir. Sonra o da halefi gibi veba hastalığından kurtulamayarak vefat etmiştir. Muâz b. Cebel'in de vefatı sonrası komutanlığa geçen dört Arap dâhisinden birisi olan Amr b. el-As; "Bu hastalık ortaya çıktığında ateş gibi yakar, ondan korunmak için dağlara çıkın diyerek kendisi dâhil diğer askerler ve insanları dağlara çıkararak ayrı bölgelere yerleştirmiş ve toplu yaşamlara bir nevi önlem almıştır. Aldığı bu çözüm odaklı tedbirden dolayı da biz-zat Hz. Ömer tarafından takdir edilmiştir. Her kriz bir kahraman doğurur ilkesinden hareketle bu salgın öncesi Hz. Ömer tarafından ilk defa devlet görevine getirilen Ebû Süfyan'ın büyük oğlu Yezid b. Ebû Süfyan'ın bu vebada ölümü daha sonra Emevi devletinin kurucusu Muaviye'nin kamuda göreve getirilmesiyle önlenemez yükselişine sebep olmuştur.⁽¹⁾ Görüldüğü gibi bu salgın hastalık bazılarının vefatlarına sebep olsa da her musibet yeni ufuklara yelken açar anlamında bazı fırsatların doğmasına ve bazılarının .yıldızının parlamasına sebep olmaktadır

Osmanlıdan Miras Olan Karantina Kültürü

Yukarıda belirttiğimiz gibi salgın hastalıklardan birisi de Kolera'dır. 1817 yılında ilk defa Hindistan'da meydana gelip, Rusya'dan bütün dünyaya yayılan ve dünyada

(1) Belâzurî, Futûh, I, 167; İbn Asâkir, Ebû'l-Kasım Ali b. Hasan, Tarihi Dimaşk, thk. Amr b. Garametü'l-Amerevî, I-VXXX. yy. Dâru'l-Fikir, 1995, LIX, 117.



50 yıldan fazla bir süre devam eden Kolera salgınından Osmanlı devleti de nasibini almıştır. Biz bu Kolera salgını ile ilgili olarak milyonlarca insanın ölmesine neden olan hastalıktan daha ziyade Osmanlı devletinde ilk karşılaşılmasına rağmen o günün şartlarında bu bulaşıcı hastalıkla nasıl mücadele edildiği üzerinde durup, devamı olmakla iftihar ettiğimiz Osmanlı Devleti'nde bu hastalıkla mücadele eden, Osmanlı devletinin yetiştirdiği devlet adamı/ sağııkçı Mustafa Behçet Efendi'den bahsetmek istiyoruz. Osmanlı imparatorluğunun gerileme döneminde 1774 yılında sağııkçı bir ailenin torunu olarak dünyaya gelen Mustafa Behçet Efendi, o günün şartlarında medrese eğitiminin sonras tıp ve yabancı dil de öğrenerek kendisini yetiştirmiş birisidir. O, 1827 yılında Tıphane-i Âmire'nin kurulması için zamanın Padişahı olan II. Mahmut'a sunduğu layiha değerlendirilerek bu kurumun kurulmasına vesile olmuş ve öncülük etmiştir. Tıp mektebinde Batı'da okutulan anatomi, fizyoloji ve pratiğe dayalı klinik derslerine ağırlık verilerek, bu dersleri okutması için Avrupa'dan hocaların getirilmesine vesile olmuştur. Aynı zamanda Mustafa Behçet Efendi 14 Mart tıp bayramının da banisi sayılmaktadır. İlklerin adamı olan Mustafa Behçet Efendi, dünyada meydana gelip Osmanlı devletinde daha çok 1831 yılında kendisini hissettiren hastalıkla cesur bir şekilde mücadeleye girişmiştir. Salgın hastalığın Osmanlı devletine sıçraması, Mısır valisi Kavalalı Mehmet Ali Paşa'nın isyanı karşısında devletin önce İngiltere'den



daha sonra Rusya'dan yardım istemesi üzerine Rusya'nın 15.000 kişilik donanma gücüyle boğazlara gelmesiyle olmuştur. İşin ciddiyetini anlayan Mustafa Behçet Efendi, bu gemilerden Osmanlı tebaasına bulaşın olmaması için Karadeniz'den gelen gemilere onar günlük karantina uygulanması için bir takrîr hazırlayarak kaymakam Paşa'ya arz etmiş ve gereği yapılmıştır.⁽¹⁾ Bu gayreti ile bulaşın yayılmasını bir süre önlemiştir

Mustafa Behçet Efendi'nin bu takrîri Matbaa-i Amire'de basılarak vatandaşlara dağıtılmıştır. Bu sağlıklı Osmanlı aydınının günümüz Türk hekimlerinin aşı arayışlarına destek ve motive edici yönü olduğunu hatırlatmak isteriz. İçerisinde bulunduğumuz Korona salgın hastalığı aşısı ve tedavi edici ilacın Türkiye'den çıkacağına inanmalıyız. Bu örnek 1750 sanayi devrimi ile kaçırdığımız kalkınma fırsatlarının telafisi olarak Türk insanının kendisine duymaya başladığı özgüvenle yeniden canlanacaktır. Bu sıçramanın sadece sağlıkta değil bütün beşeri ve dini ilimlerde kendisini göstermesi gerekmektedir. Zira 1831 yılında meydana gelen Kolera salgını ile ilgili olarak Mustafa Behçet Efendi'nin kaleme almış olduğu "Kolera Risalesi", Türk bilim adamları için bir örnek olması gerekmektedir. O, kolera mikrobulunun keşfinden elli bir yıl önce epidemiyolojik gözlemlerini yazmayı başarmıştır. XIX. yüzyılın ilk çeyreğinde bütün dünyayı

(1) BOA, HH, nr.4795 2-a'dan nakille bilgi veren; Armağan, Mustafa, Mustafa Behçet Efendi, Derin Tarih Dergisi, Nisan 2020, sayı. 97, 48.



etkileyen kolera salgını hakkında malumat verip nasıl tedavi edileceği hakkında bilgiler içeren küçük ama kıymetli eser Fransızca, Almanca ve diğer dillere de tercüme edilmiştir.⁽²⁾ Bir Osmanlı aydını olan Mustafa Behçet Efendi'nin kolera hastalığı konusunda yaktığı meşale dünyayı aydınlatırken, kendisi genç yaşta şarbon hastalığına yakalandı.⁽³⁾lanarak 1834 yılında vefat etmiştir

Koronavirüs'ün Ekonomik ve Sosyal Sarsıntıları

Aralık 2019 tarihinde Çin'in Wohan kentinde ilk defa görülüp bütün dünyayı etkisi altına alan bu salgın hastalık nedeniyle bütün dünyada küresel tedarik zincirleri koptuğundan hava taşımacılığı vs. ticari faaliyetler durma noktasına girmiştir. Ülkeler, sınırlarını kapatmış ve kendi vatandaşlarının temel hak ve özgürlük alanlarında bazı kısıtlamalara gitmiştir. Özellikle enerji piyasaları ve petrol fiyatlarındaki dalgalanma bu piyasaların bozulmasına ve belirsizliğin artmasına sebep olmuştur. İşyerleri kapanmaya başlamış, restoranlar, cep telefonu dükkânları, zincir dükkânlar ve Alış Veriş Merkezleri kapanarak çalışanlar işsiz kalmışlardır. Sadece sabit gelirli memurlar ve kamu işçileri bu krizden etkilenmemişlerdir

Küreselleşme süreci içerisinde kapitalist toplumlarda yeni süreci örgütleyecek ülke olarak Çin konuşulmaya başlandı. Çinin

(2) Kazancıgil, Aykut, Osmanlıda Bilim ve Teknoloji, Ketebe Yayınları, İstanbul, 2020, 319.

(3) Sarı, Nil, "Mustafa Behçet Efendi", DİA, TDV Yayınları, İstanbul, 1992, V, 345.



Covit-19 krizine müdahale ederken gösterdiği başarı, sadece Çin ile ilişki yumağı içerisinde olan ülkelerde değil, Batı ülkelerinde de konuşulmaya başlandı. Amerika Birleşik Devletleri başkanının virüsün adını özellikle Çin ön takısı ile kullanması, dikkatlerden kaçmaması gerekmektedir. Amerika Birleşik Devletleri'nin mevcut başkanı Donald Trump, sürekli bu virüsün biyolojik bir saldırı olduğunu telaffuz etmesi, tam söyleyemese de bütün küresel güçler olarak Çin'e karşı altından kalkamayacağı nispette tazminat davalarının dillendirilmesi, salgın sonrası dünyada dengelerin değişeceği olası bir yapılanmada Çin'in önünün kesilmesine yönelik çalışmalar olarak gözükmektedir.

Bu salgınla mücadelede en başarısız ülkeler –Almanya ve diğer bazı küçük ülkeler hariç- demokrasisinin daha üst düzeyde olduğunu iddia eden ülkelerdir. Bunun sebebi aşırı özgürlüğü kendisine din olarak kabul etmiş zümrenin hayat ve hareket tarzlarının sınırlandırılması konusunda ülke yöneticilerinin toplum nabzını tutarak atacağı adımlarda tereddütlü davranmasından kaynaklanmaktadır. Diktatörlükle idare edilen ülkelerde yönetime karşı çok ses çıkaramadıklarından dolayı; Müslüman coğrafyada da inançları gereği belirlenen sınırların çiğnenmesi konusundaki sorumluluk duygusu bu ülkelerin daha başarılı olmalarında etkili olmuştur. Ülkelerin gösterdikleri bu başarıda sadece halkın sağduyusunun değil zamanında etkin ve etkili tedbirler almada inisiyatif alan yöneticilerin de katkısını unutmamak gerekmektedir. Diğer yandan Çin'de iki aylık bir kuluçka döneminde erken davranıp bilim ve tıbbın ışığında sosyal hareketlenmeyi de hesaba katarak erken davranan sorumlu devlet idarecileri bu yarışta bir adım öne geçmişlerdir. Bununla birlikte büyük devlet olmasını silah sektörüne yaptığı yatırımla eşdeğer gören modern! ülkeler kişi başına düşen gayri safi milli hasılanın yüksekliğine güvenerek



sosyal işlere pek kafa yormamışlardır. Kapitalist sistem dünya nüfusunun fazlalığından şikâyetle sürekli pompaladığı nüfus planlaması neticesinde batıda oluşan yaşlı nüfus gerçeği de bu pandemi sürecinde önlerine bir problem olarak gelmiş ve onunla yüzleşmek zorunda kalmışlardır. Vahşi kapitalizmde duygusallığa yer olmadığı gerçeğinden hareketle yaşlı kesime üretime faydası olmayan tüketici diye baktıklarından dolayı üzerinde masraf etmeye değmeyen grup olarak değerlendirilmiş ve yaşlı bakım evlerinin çoğu tedavi konusunda gündeme bile alınmamıştır. Bu ülkeler, Özgürlük adına içerisine düştükleri şartlanmışlıkla, asıl hürriyetlerini kısıtlamışlar ve dini inançları da problemler içerdiğinden bu sınavı iyi verememişlerdir. Kapitalist sistemlerde her şey mal/kapital üzerinden değerlendirildiğinden ABD gibi sosyal güvencesi olmayan insanların test yaptıramaması virüsün bulaştığı insanların çoğalmasına dolayısıyla bulaşın diğer insanlara iletilmesinin yolunun açılmasına sebep olmuştur

Türkiye Bu Süreci Yönetmede Nasıl Başarılı ?Oldu

Sağlık altyapısını güçlendiren Türkiye ve benzeri devletler bu krize daha hazırlıklı yakalanmışlardır. Çin'de iki ay önce görüldüğünden tedbir almak için zamanın olması tezi başarıyı itibarsızlaştırmaktan başka bir şey değildir. Türkiye'de bu krizde, belli başlı büyük şehirlerin yerel idarecileri ile daha senkronize çalışılabilseydi başarının daha da yüksek olacağı kesindi. Bazı yerel idareciler parti merkezlerinden yanlış yönlendirilmeyip kendi hallerine bırakılsalardı çok daha başarılı hizmetler üretebileceklerdi. Şu bir gerçek ki kriz anlarında bütün risk iktidarda olanların üzerlerindedir. Başarının da başarısızlığında iktidarda olanlara sayılacağından hareketle muhalefet partilerine mensup yerel yöneticilerin toplu

taşıma araçlarında gerekli hassasiyeti göstermemesi, önlem alması gerekirken olayı provokasyon olarak başka yerlere çekmesi bunlardan sadece bir örnektir. Ayrıca yerel yönetimlerin yetkisi olmadığı halde fuar aparatı olarak kullanılan bir yapıdan hastane çıkarmaya çalışması zihinlerin bulanmasından başka bir işe yaramamaktadır. Açtığımız hastane standardizasyonunu veren merkezi hükümet olmasına rağmen iş yapmaya çalışmak ucuz siyaset yapmaya çalışmanın diğer adıdır. Bir büyük ilimizde karşılaşıldığı şekliyle illere özgü bilim heyeti kurma çabaları beyhude çalışmalardır

Türkiye’de krizin başarılı bir şekilde yürütülmesinde en büyük pay sahiplerinden birisi de iyi yetişmiş sağlık kadrolarının özverili çalışmalarıdır. İyi yetişmiş sağlık personellerinin sahip olduğu ve diğer insanların sağlığı konusunda daha etkin müdahalede dini inancın verdiği heyecan da eklenince sağlık çalışanlarının performansları ikiye katlanmıştır. 193 ülke arasında Türkiye nüfus yoğunluğu açısından 83.154.997 nüfus sayısı ile dünyada 18. sırada yer almaktadır.⁽¹⁾ İngiltere’de yapılan bir araştırmada ise Türkiye 193 ülke arasında 36. sırada yer almaktadır. Bu başarı ölçütü vaka sayısı ve bu salgında vefat eden kişilerin matematiklerine göre yapılmaktadır. Bu tabloya bakarak Türkiye’nin çok da başarılı olmadığı gibi bir düşünceye kapılmanın doğru bir yaklaşım olmadığını değerlendiriyoruz. Korona virüsle en etkili mücadele eden ülkelere bakıldığında -örneğin birinci gözükten İsrail- nüfus sayısı düşük ülkelere oluşmaktadır. Nüfusu Türkiye’den fazla olup sıralaması yukarıda olan ülkelere bakınca sadece Çin, Japonya ve Vietnam olmak üzere üç ülke bizden daha yukarı sıralardadır. Bu bağlamda kalkınmakta olan öncü bir ülke olarak bu başarıyı görmezden gelemeziz. Türkiye’de eski zihniyetle oluşan muhalefet hariç ülkeyi

(1) https://tr.wikipedia.org/wiki/N%C3%BCfuslar%C4%B1na_g%C3%B6re_%C3%BClkeler_listesi



başarısız değerlendiren yoktur. Türkiye'nin kendisini yetiştirmiş en iyi bilim adamlarından oluşan bilim kurulunun rehberliğinde, mevcut iktidarın kurulun tavsiye ettiği önlemleri almada ciddi davranması olayın kontrolden çıkmamasına sebep olmuştur. Türkiye'de çok azı müstesna olmak üzere yazılı ve görsel basının da bu imtihanı başarı ile geçtiğini düşünüyoruz. Diğer taraftan Türkiye'yi oluşturan halkın çoğunun Müslüman olmasının da bu başarıda rolü büyüktür. Zira Müslüman olan kimse "elinden ve dilinden diğer Müslümanların emin olduğu kişidir."⁽²⁾ düsturundan hareketle bu süreçte ilmi verilerin ışığında sağlıkçıların gösterdikleri yolda ve verdikleri bilgiler doğrultusunda sadece kendisi için değil kendisi vasıtasıyla diğer kişilerin zarar görmesi durumunda kendisinin de sorumluluk taşıyacağına bilinciyle hareket etmiştir. Hem sosyal hayattaki bazı kısıtlamalara uymada, hem de sürekli uyarılan fiziki mesafe, maske ve zaten alışkın olduğu temizlik konusunda gerekli hassasiyeti göstermiştir. Burada şu konunun da altını çizmek gerekir ki zihinlerde yerleşmeye başlayan ve yanlış kullanılan sosyal mesafe diye tanımlanan durumu düzeltmek gerekmektedir. Zira Müslüman hayatının son demine kadar karşısındaki muhataplarıyla aralarına sosyal mesafe koyamaz. Muhatapları ister Müslüman olsun ister olmasın onunla sosyal iletişim kurmak zorundadır.

Korona virüs Sonrası Fırsatlar ve Tehditler

Yukarıda da belirtildiği gibi dünyanın yaratılışından itibaren insanlığın Allah'ın koyduğu sünnetullah'ın aksine hareketleri nedeniyle meydana gelip birçok insanın vefatına yol açan ve en son 2019 Aralık ayında Çin'in Wohan kentinde ortaya çıkan salgın, 170 kadar ülkeyi etkisi altına almıştır. Birçok insanın ölümüne ve hürriyetlerinin kısıtlanmasına sebep olan bulaşıcı hastalık, aşı veya te-

(2) Buhari, İman, 4.

davi edici ilacın bulunmasıyla kısa zamanda sona erecektir. Yukarıda da belirtildiği gibi salgın sürecinde ekonomik ve sosyal olarak bütün ülkeler bu durumdan etkilenmişlerdir. Bir insanın sağlığının bütün diğer faktörlerden daha değerli ve kıymetli olması bir tarafa hayatın devam ettiğini de unutmamak gerekmektedir. Müslümanlar olarak üzerimize düşen sorumluluğu yerine getirmekle birlikte şunun farkında olmalıyız: Belli bir süreliğine yaşam sürdürdüğümüz bu dünyada bütün yaratılanlar insanlığın emrine verilmekle birlikte zaman zaman Allah yarattığı insanları imtihana tabi tutmaktadır. Bu gibi salgın hastalıkları, yapılan kötülüklerin bir karşılığı olarak, Allah'ın intikamı olarak değerlendirmek yerine Kur'an'da ifadesini bulan şu ayet ışığında konuya yaklaşmanın daha doğru olduğunu değerlendiriyoruz: "Biz sizi kimi zaman düşman ve ölüm korkusuyla, kimi zaman kıtlık-kuraklık ve açlıkla, kimi zaman da mallarınızda, canlarınızda ve ürünlerinizde bir kısım kayıplarla mutlaka sınavacağız. (Ey Peygamber!) Sen bütün bunlara göğüs gerip (1)".sabredenleri (cennetle) müjdele

Bu düşünceler içerisinde yeni normale dönülmesi ile birlikte bu kriz ortamını ülke ve Müslümanlar olarak nasıl fırsata çevireceğiz? Aslında bu krizi, salgın sürecinde ar-ge çalışmalarını iyi yapan ülke ve milletler daha kolay atlatacaktır. Silah sanayinin dışında sağlık sektörü gibi alanlara yönelip yatırım yapan ülkeler bir adım daha ileriye gidecektir. Bu salgın sonrası vahşi kapitalizm kısa bir süre sarsılsa bile kaldığı yerden insanlığı sömürmeye devam edecektir. Bu bağlamda gelişmekte olan ülkelerin bu fırsatı daha iyi değerlendireceklerini düşünüyoruz. Zira ülkelerin sınırlarını kapatmak zorunda kaldığı bu süreçte dış dünya ile irtibatı kesmeden belki belli miktarda bedel de ödeyerek ithalat politikalarında yeni normale göre bir değerlendirme yaparak yaşamsal sektörlerden

(1) Bakara, 2/155.



başlamak suretiyle millileşme yolunda süratli ve kararlı adımlar atmak gerekmektedir. Salgın sürecinde insani olarak olayı değerlendiren ihtiyaç sahibi ülkelere tıbbi malzeme noktasında yardıma bulunan Türkiye'nin dünya piyasasındaki popülaritesi arttığından bu krizden sonra öngörülmeleyen bir olumsuzluk yaşanmazsa ki -emperyal güçler bu hususta çalışacaklardır- Çin ile birlikte bu fırsatları en iyi değerlendirebilecek muhtemel ülkeler arasında öncü .olacaktır

Tehditlere gelince; Şayet küresel güçler insanlığın karşı karşıya kaldığı bu salgın hastalığı bir biyolojik saldırı olarak yaratıkları algıyı dünya kamuoyunda kabul ettirebilirlerse bu krizin faturasını Çin'e kesmeye çalışacaklardır. Bu yaklaşım dünyada yeni kışkırmalar ve çatışmalar meydana getireceğinden bu kaotik ortamdan yine silah tüccarları ve onların taşeronu küresel güçler karlı çıkacaklardır. Bunun ipuçları daha kriz bitmeden görülmeye başlanmıştır. Mesela; Covid-19 salgını ile mücadelede Amerika Birleşik Devletleri'nin bazı ülkelere uyguladığı yaptırımların kaldırılması yönünde beyanlarına kulak asmayarak onlara inat insani yardım göndermekte ısrarcı olan Çin, dünyanın daha sağduyulu ülkelerini yanına çekerek bu konuda en kazançlı ülke durumuna .dönüşebilir

Tarih boyunca bütün krizlerin sonucunda ağır faturalar birilerine kesilmiş ve buhranlı günler yaşamasına sebep olmuştur. Tarihi gerçekler ışığında belki de beklenmeyen bu kriz sonucu yeni dünya düzeni kurulacak ve daha yaşanabilir bir dünya ile insanlık buluşacaktır. Özelde Türkiye genelde bütün İslam ülkelerine düşen XVIII. yüzyılda meydana gelen sanayi devriminden sonra hammaddeleri sömürülen ve pazar haline dönüşen geçmişimizle yüzleşmek ve dersler çıkarmaktan geçmektedir. İslam dünyası teknolojik gelişim-

elere duyarlılığını hat safhaya çıkararak gelişmelerin takipçisi değil öncüsü olma yönünde irade beyanında bulunmasının gerekliliği konusuna kilitlenmelidir. Eğer siz ürettiklerinizle öncü olup takip edilen olamazsanız, kaçınılmaz olarak üretenlerin peşine takılan taklitçiler olmak zorunda kalmaya mahkumsunuzdur. Bu bağlamda yeraltı ve yerüstü zenginliklerle bezenmiş İslam coğrafyası bu pandemi sürecini iyi okuyarak, geleceği inşa yönünde üzerine düşeni yapmaya çalışacağına olan güven ve inancı zinde tutmak gerekmektedir.



KAYNAKÇA

Armağan, Mustafa, Mustafa Behçet Efendi, Derin Tarih Dergisi, Nisan 2020, sayı. 97

Ayar, M. Özçelik, T. "XIX. Asır Ortalarına Kadar Osmanlı'da Veba Salgınlarının Tarihçesi", Osmanlı'da Salgın Hastalıklarla Mücadele, (ed. İbrahim Paşaoğlu, vd.) Çamlıca Yayınları, İstanbul, 2015

Belâzurî, Ebû'l-Hasen Ahmet b. Yahya b. Câbir, Futûhü'l-Buldan, Beyrut, .Dâru'l-Kütübî'l-İlmiyye, 1983

Buhari, Ebû Abdullah Muhammed b. İsmail, Sahîhu'l-Buharî, thk. Mustafa .Deybu'l-Bega I-VIII, Beyrut, 1987

https://tr.wikipedia.org/wiki/N%C3%BCfuslar%C4%B1na_g%C3%B6re_%C3%BClkeler_listesi

İbn Asâkir, Ebû'l-Kasım Ali b. Hasan, Tarihi Dimaşk, thk. Amr b. Garametü'l- .1995, Amerevî, I-VXXX. yy. Dâru'l-Fikr

Kazancıgil, Aykut, Osmanlıda Bilim ve Teknoloji, Ketebe Yayınları, İstanbul, 2020

Nikiforuk, Andrew, Mahşerin Dördüncü Atlısı Salgın ve Bulaşıcı Hastalıklar .Tarihi, (trc. Selahattin Erkanlı) İletişim Yayınları, İstanbul, 2007

Ot, İnci, "Tanzimat Sonrası Osmanlılarda Bulaşıcı Hastalıklarla Mücadele", Osmanlı'da Salgın Hastalıklarla Mücadele, (ed. İbrahim Paşaoğlu, vd.) Çamlıca .Yayınları, İstanbul, 2015

.2011, Öztürk, Mustafa, Kur'an-ı Kerim Meali, Düşün Yayıncılık, İstanbul

.Sarı, Nil, "Mustafa Behçet Efendi", DİA, TDV Yayınları, İstanbul, 1992

Yolun, Murat, İspanyol Gribinin Dünya ve Osmanlı Devleti Üzerindeki Et- kileri, Adıyaman, Üniversitesi SBE, Yayınlanmamış Yüksek Lisans Tezi, Adıyaman, .2012



توصيات المؤتمر



في ختام مؤتمرنا هذا الموسوم بـ: «العالم في ظل أزمة كورونا إشكاليات وحلول» المنعقد عبر تقنية (زوم) منذ يومين ٣٠ و ٣١ مايو، لاحظنا أن جائحة كورونا قد أعادت البشرية جمعاء إلى إعادة النظر في نوااميس الحياة وقوانينها، إذ مست جميع المستلزمات اليومية للمواطن البسيط؛ اجتماعيا، ودينيا ونفسيا، وثقافيا وحتى سياسيا؛ وعلى هذا الأساس جاء هذا المؤتمر الذي نشطه ثلة من الباحثين الأكاديميين عبر العالم؛ لتسليط الضوء على بعض الجوانب التي ظهرت جلية في محاور هذا المؤتمر المرسومة سالفًا من قبل المشرفين على فعالياته وهي:

دور الدين في جائحة كورونا

مستقبل التعليم في زمن كورونا

كورونا والعلوم الاجتماعية والنفسية

الاقتصاد في زمن كورونا

كورونا والإعلام الجديد

كورونا والتكنولوجيا

كورونا في الأدب والفنون

وقد استطاع المتدخلون بسط القضايا المختلفة بكل جدية علمية متميزة، وتم على أساسها رصد التوصيات الآتية:

١- صناعة ميثاق فتوى، يتضمن تنظيم العلاقة بين المفتين والخبراء وبخاصة في فتاوى النوازل.

٢- وضع سياسة حكيمة لتطوير الافتاء الجماعي في النوازل.

٣- الاهتمام بالتعليم عن بعد (التعليم الإلكتروني) ودعمه بكل الوسائل المادية، والمعنوية.

٤- نشر جهود العلماء المسلمين في مواجهة الجوائح والتدابير الوقائية.

٥- التأكيد على أهمية فقه الاستشراف وعلم المستقبلات وبخاصة في أزمنة النوازل والجوائح.

٦- فتح الحوار بين الأديان المختلفة في كيفية مواجهة مثل هذه النوازل.

٧- عقد مؤتمرات مستقبلية تهتم بمختلف الجوانب التي لامستها جائحة كورونا.

٨- أعمال هذا الملتقى سوف تنشر بعد إرسال المقالات من قبل المحاضرين وإخضاعها للتحكيم في كتاب خاص بمؤتمر المنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي التابع لجامعة غريسون تركيا، كما سوف تنشر بمجلة المرتقى التابعة للمدرسة العليا للأساتذة مستغانم الجزائر بحكم أن هذه المدرسة شريكا في تنظيم المؤتمر.

وفي ختام هذه التوصيات لا بد من شكر كل الباحثين الذين شاركوا في إنجاح فعاليات هذا المؤتمر، شكرا لهم جميعا على أن ساهموا في كسر رتابة هذا الحجر الذي نعيشه، شكرا لهم على مساهماتهم البحثية، شكرا لهم على أنهم أفادوا واستفادوا، كما لا يفوتني أن أشكر اللجنة المنظمة لهذا المؤتمر، ولا أخفي عنكم إذا قلت لكم أنهم بذلوا جهدا مضاعفا غير معتاد، فإذا كنا نحس بثقل تنظيم المؤتمرات العلمية في الأيام العادية التي يتوافر فيها العنصر البشري في مجموعة متقاربة فكيف هو الحال بالنسبة للجنة التنظيم هذه التي تعمل بمبدأ التباعد الذي فرضته جائحة كورونا، فكل التقدير والشكر والامتنان لهؤلاء الأبطال وعلى رأسهم الدكتور هاني إسماعيل رمضان مدير المنتدى العربي التركي للتبادل



اللغوي، كما تشكر لجنة التوصيات البروفيسور عبد القادر مزارى مدير المدرسة العليا للأساتذة مستغانم الجزائر

والشكر موصول إلى الذين ساهموا في إنجاح فعاليات المؤتمر، وهم: نائب رئيس جامعة غيرسون البروفيسور حسين بكر رئيسا فخريا للمؤتمر، والبروفيسور إلياس قارصلي رئيس المؤتمر، ونائبا عميد كلية العلوم الإسلامية الدكتور علي يلمز، والدكتور مصطفى تنجر، ورئيس مركز الواقع المعزز الدكتور مصطفى سركان عبد السلام، وإلى كل هؤلاء الشكر الجزيل على مدّهم كل أسباب النجاح لهذه المؤتمر وجعل الله عملكم في ميزان حسناتكم.

